دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة(٢)

الرومان

دكتور/ حسين الشيخ



دار المعرفة الجامعية

الرُّومان



دراسات في تاريخ الحضارات القديمة

(٢)



دكتور

حسين الشيخ

أستاذ التاريخ القديم

بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية

١٤٢٥ هجرية

٢٠٠٥ ميلادية

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة - تليفون: ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ ش قناة السويس - الشاطبي ت ٥٩٢٣١٤٦

دار المعرفة الجامعية

للطبع والنشر والتوزيع

- **الإدارة : ٤٠ شارع سوتير**

الأزاريطة - الإسكندرية- ت : ٤٨٧٠١٦٣

- **الفرع : ٣٨٧ شارع قنال السويس**

الشاطبي - الإسكندرية - ت : ٥٩٧٣١٤٦

الفنية للطباعة والنشر

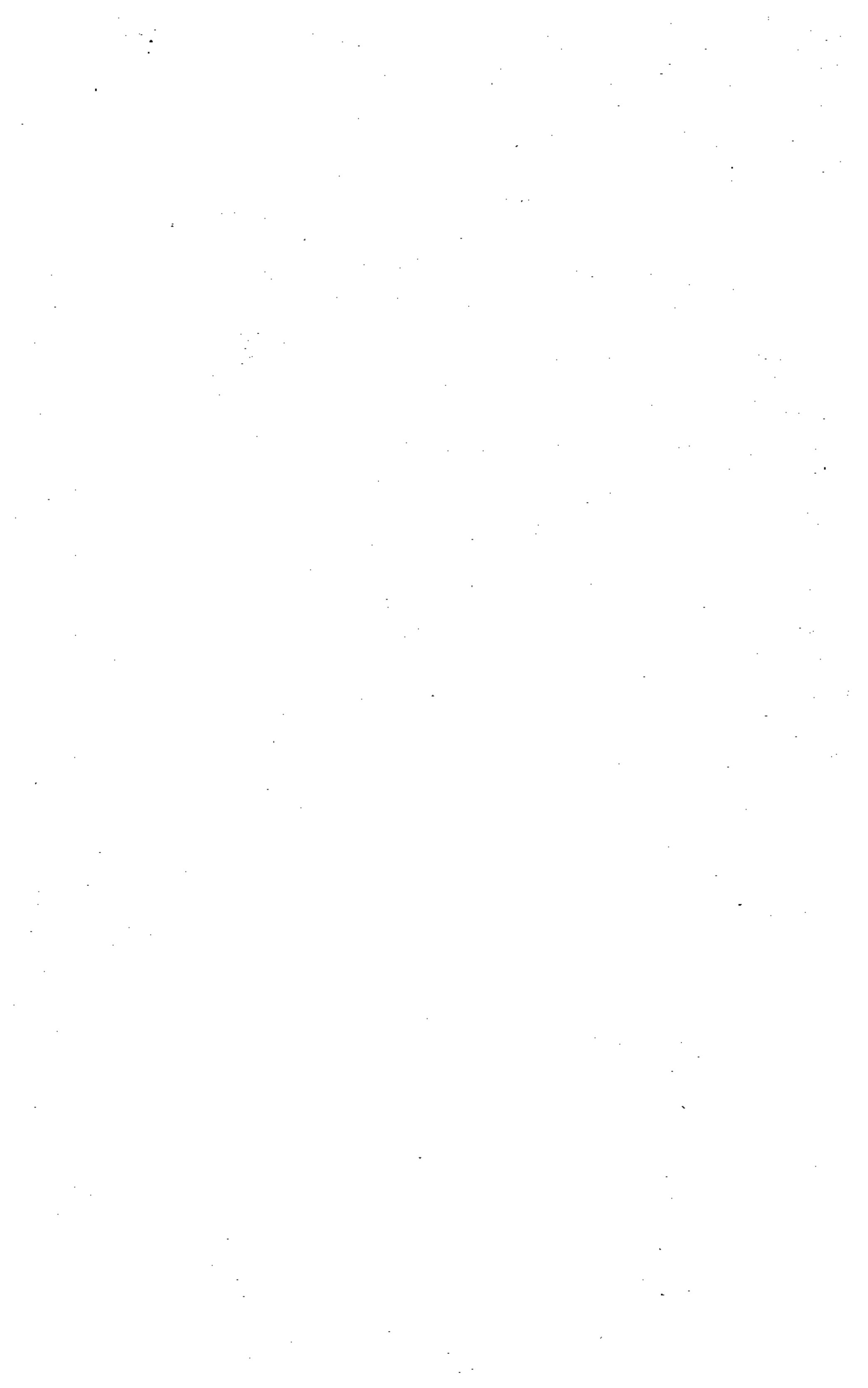
48 ش جودة - رأس التين ت: 4875936



﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

صدق الله العظيم

(سورة الزمر، الآية: ٩)



مقدمة الطبعة الأولى

تأتى هذه الدراسة من منطلق أن الحوادث التاريخية التى شكلت منعطفات هامة فى حياة المجتمعات القديمة، ما هى إلا رد فعل ظاهرى أو محصلة لكل ما يدور داخلها من صراعات نظرية أو عملية تتبلور فى النهاية فى شكل حدث تاريخى، ولذا تصبح دراسة مثل هذه المجتمعات بكل ظروفها البيئية والحياتية عاملاً مساعداً لتفهم الأحداث التاريخية التى قد يصعب علينا أحياناً تفسيرها إلا فى ظل فهمنا التام لما كان يدور فى هذه المجتمعات.

من هنا لا يصبح العرض التقليدى للأحداث التاريخية الهامة التى أثرت بشكل مباشر – أو حتى بشكل غير مباشر – فى تاريخ الرومان هو الهدف الأول من هذه الدراسة، فتاريخ الرومان قد استقر – إلى حد ما – بحيث قد يسقط من يتعامل معه بالشكل التقليدى فى مزالق التكرار، مما يفقد العمل – وإن بذل فيه الكثير من الجهد – بعض قيمته، فاعادة كتابة فترة تاريخية ما فى تاريخ الرومان لا تتاح كثيراً إلا فى حالة اكتشاف بعض الوثائق النادرة، أو ظهور أثر معين قد يفرض اعادة كتابة تاريخ هذه الفترة.

لهذا قد يكون من الطبيعى أن تحاول مثل هذه الدراسة أن توجد نوعاً من التوازن بين عرض سريع ومركز للحوادث التاريخية، واستعراض لبعض نماذج من الظواهر الاجتماعية التى طبعت المجتمع الرومانى كالعلاقة بين الطبقات، والعلاقة بين النظم السياسية وازدهار أو تدهور الحياة الثقافية، والعلوم والدين والأدب ونظم التعليم، وإن شابها بعض القصور – فى رأيى – لعدم التعرض للفن كمظهر اجتماعى، وقد يعود هذا إلى الكم الضخم من الكتابات فى هذا الشق والذى سيجبر الباحث على الاطالة بعض الشىء مما يخرج بالدراسة عن هدفها المرسوم وهو اعطاء أكبر قدر من المعلومات

والتحليلات فى أضيق مساحة ممكنة، حتى يمكن للقارئ المتخصص وغير المتخصص استيعابها على حد سواء، رغم التركيز الشديد الذى قد يلاحظ أحياناً. وأرجو أن تتاح لى الفرصة والوقت حتى أتدارك هذا القصور بطريقة ما فى المستقبل القريب إن شاء الله، وإن كنت قد حاولت ذلك عن طريق مجموعة من الملاحق واللوحات والأشكال التوضيحية التى أحياناً ما قد تغنى عن الشرح المطول.

والله الموفق،،،

حسين الشيخ

الإسكندرية ١٩٩٣

مقدمة الطبعة الثانية

خمس سنوات أو تزيد انقضت منذ أن ظهرت هذه الدراسة إلى حيز الوجود، خمسة أعوام مليئة بالتنقل والترحال والبحث ومحاولة البحث، والاستزادة من العلم ومحاولة الاستزادة، والحوارات والمناقشات العلمية وغير العلمية، والنقد ونقد النقد ومحاولة علاج أوجه القصور والضعف فى هذه الدراسة وفى شخص الدارس، وقد ساعد فى ذلك ملاحظات وانتقادات وأحياناً بعض من مديح أساتذتى وزملائى وطلابى بل والقارئ العادى الذى قد يبدى أحياناً ملاحظة - حتى وإن كانت شكلية - قد تمر على القارئ المتخصص. ولازلت حتى الآن أحاول أن أجد حلاً لاشكالية التناقض بين أن أقدم دراسة موثقة للباحث المتخصص، وأن أقدم كتاباً عاماً بسيطاً شاملاً يمكن أن يشد انتباه القارئ العادى أملاً فى المساهمة فى نشر وتنمية الحس التاريخى، ولا أدعى أننى قد نجحت فى هذا تماماً إلا أننى أدعو الله أن يمنحنى الوقت والجهد لاتلافى ما قد يظهر فى هذه الطبعة من قصور أو ضعف والكمال لله وحده.

حسين الشيخ

الإسكندرية ١٩٩٨



مقدمة الطبعة الثالثة

ست سنوات مرت منذ أن صدرت الطبعة الثانية لهذه الدراسة، واليوم تصدر الطبعة الثالثة فى ظل متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تختلف تماماً عن الظروف التى صدرت فيها الطبعة الثانية. ثلاث سنوات أو تزيد منذ أن عبر العالم إلى القرن الحادى والعشرين بكل ما حمله لنا من حروب ودمار وتحول سياسى عسكرى إلى نظام القطب الأوحد ومحاولة فرض الديموقراطية الليبرالية بالقوة أو ديكتاتورية الديموقراطية- إن جاز التعبير-وثورة معلوماتية أو انفجار معلوماتى لا تستطيع حياة واحدة أن تحيط به، بالإضافة إلى الثورة البيوتكنولوچية التى تهدف إلى تأكيد فكرة «الإنسان السوبر مان» مع ما يحمله هذا من خطر انقراض الإنسان العادى.

ومع السنوات الأخيرة من القرن العشرين فجر فوكوياما فكرته حول نهاية التاريخ والتى خلص فيها إلى أن المحرك الأول للأحداث التاريخية هو صراع النظريات السياسية والاقتصادية، ومع سقوط النظام الاشتراكى أصبح المجال مفتوحاً أمام الديموقراطية الليبرالية وبالتالى انتهى التاريخ، وهى الفكرة التى تراجع فوكوياما نفسه عنها بعد عدة سنوات. وكرد فعل لهذه الفكرة ظهرت نظرية صامويل هانتجتون حول الصراع المستمر بين الثقافات والحضارات المختلفة كمحرك أساسى للأحداث التاريخية وهى النظرية التى يثبت خطأها الآن تدريجياً.

ومع الركود الاقتصادى الذى يشهده العالم حالياً والظروف المختلفة التى تعيد إلى الذهن ما حدث فى أوروبا وأمريكا فى الثلاثينيات من هذا القرن والتى قادت العالم إلى الحرب العالمية الثانية، أصبح من الضرورى أن نعيد النظر فى طريقة تعاملنا مع الأحداث التاريخية وطريقة كتابتها أو ما سوف

أطلق عليه «إعادة تدوير التاريخ» Recycling History، بمعنى أن المدخلات غالباً ما تكون ثابتة أو شبه ثابتة، لكن المخرجات قد تختلف عما اتفق عليه وذلك حسب طريقة تعاملنا معها.

من هذا المنطلق حاولت فى هذه الطبعة أن أعالج بعض أوجه القصور التى أحسستها فى الطبعة الثانية مثل إضافة فصل عن الفن فى الحضارة الرومانية وعلاقة هذا الفن بالظروف الاجتماعية، وبعض مباحث عن الإنسان فى الجمهورية والامبراطورية الرومانية ومحاولة تتبع لحياته اليومية والقانون الذى يحكمه وموقفه من الفلسفة والعلم.

كما حاولت أن أقدم ملحقاً وافياً عن أهم الأحداث التاريخية التى مرت بروما، حتى أتلافى عدم التركيز على هذا الجانب، والاهتمام الأكبر بالتاريخ الاجتماعى للرومان، كما حاولت أن أقدم مجموعة من الصور والرسوم والأشكال التوضيحية التى قد تضيف بعداً جديداً لهذه الدراسة، وأتمنى أن أكون قد وفقت فى هذا والكمال لله وحده.

حسين الشيخ

الإسكندرية - مارس ٢٠٠٤

محتويات الدراسة

ملاحق الدراسة

مدخل إلي تاريخ الرومان

المبحث الأول: الظروف الجغرافية.

المبحث الثاني: مصادر دراسة التاريخ الروماني.



مدخل إلى تاريخ الرومان

تحكى الأساطير أن «رومولوس» هو الذى أنشأ روما، وقد استوطن تل البلاتين وهو أحد التلال السبعة التى أقيمت عليها روما، وهى مجموعة من التلال بالقرب من مصب نهر التيبر (على بعد حوالى عشرين كيلو مترا من مصب النهر)، وقد ظهرت تواريخ عديدة لنشأة المدينة إلا أن أكثر التواريخ تداولا هو الحادى والعشرين من أبريل عام ٧٥٣ ق.م ولا يزال حتى الآن هو التاريخ الذى ينظر إليه باعتباره مولد روما.

وحوالى القرن السابع ق.م أصبحت روما مدينة مزدهرة يحكمها النظام الملكى، وفى بداية القرن الخامس ق.م. ظهر فى روما النظام الجمهورى، وبحلول عام ٢٧٢ ق.م. كانت روما قد أتمت السيطرة على كل شبه الجزيرة الايطالية، واستمرت الحروب لمائة وخمسين عاماً تالية أصبحت فيها روما القوة الأولى والوحيدة تقريبا فى حوض البحر المتوسط. واستمرت الحركات التوسعية التى يقوم بها النظام الحاكم فى روما خلال الفترات التالية حتى وصلت الى أقصى حد لها فى عهد الامبراطور (تراجان) فى أواخر القرن الأول الميلادى وأوائل القرن الثانى.

وبدءا من أواخر القرن الثانى الميلادى بدأت الامبراطورية الرومانية مرحلة التدهور والهبوط وانقسمت الى امبراطورية غربية مركزها روما نفسها وأخرى شرقية كان مركزها القسطنطينية، وبحلول عام ٤٧٦ ق.م. كان الجزء الغربى من هذه الامبراطورية قد أنهار نتيجة لضغوط الممالك الجديدة البربرية من القوط والوندال والجرمان وغيرهم ممن انبثقت منهم الشعوب الأوروبية الحديثة، أما الجزء الشرقى من الامبراطورية فقد استطاع الصمود خلال العصور الوسطى حتى سقط على يد الاتراك فى عام ١٤٥٣.

أما عن ايطاليا نفسها فهى عبارة عن شبه جزيرة تمتد من جنوب خليج

جنوا الى الجنوب الشرقى لمسافة تزيد عن خمسمائة ميل وفى الطرف الجنوبى الغربى منها يوجد مضيق مسينا الذى يفصل ايطاليا عن جزيرة صقلية، وتمتد جبال الابنين بطول ايطاليا ويصل ارتفاعها فى بعض المناطق الى ما يزيد عن ثمانية آلاف قدم. وتتميز ايطاليا بالتنوع فى المناخ والتربة، وفى الجزء الغربى من ايطاليا فى المنطقة المحصورة بين جبال الابنين والبحر وجدت ثلاث مناطق سهلية ملائمة للزراعة هى اترويا ولاتيوم وهى المنطقة المحيطة بمدينة روما، وكمبانيا وهى المنطقة المحيطة بمدينة نابولى، والمنطقتان الآخيرتان تميزتا بتربة بركانية خصبة ساعدت على ازدهار الزراعة فيهما، أما فى الجزء الشرقى فلا يوجد الا سهل واحد هو سهل ايوليا الذى استخدم لرعى الماشية أو الأغنام، أما أنهار شبه الجزيرة الايطالية فقصيرة لا تصلح للملاحة فى أغلب الأحوال، لذا كانت التنقلات تتم إما براً أو بحراً، وكانت أهم الموانئ البحرية تقع فى الجزء الغربى من شبه الجزيرة(١).

أما المستوطنون الأوائل لايطاليا فيبدو أنهم قد عبروا البحر الادرياتيكى من شبه جزيرة البلقان حوالى القرن العاشر قبل الميلاد وأشهرهم كانت قبائل «الغتنى» ثم أعقبتهم جماعات أخرى أتت من وسط أوروبا وتعددت الجماعات الجديدة المستوطنة لايطاليا والذى كونوا فيما بعد عناصر متعددة للشعوب اللاتينية، كجماعة «السابين» و «الاومبريين» و «البيكنى» وغيرهم ثم انتهت هذه الفترة من الهجرة المستمرة الى ايطاليا بدخول الشعوب الكلتية لها وقد عبروا جبال الآلب أتين من بلاد الغال أو الدانوب، وتكلمت هذه الجماعات لغات متقاربة الى حد كبير كانت محصلتها الأخيرة مجموعات من اللغات الأولى تضم اللغة الأومبرية والأوسكانية والثانية كانت اللاتينية(٢).

وكان من الطبيعى وايطاليا تخطو أولى الخطوات الحضارية لها أن تتأثر

---

(1) Cyril Robinson, A Histroy of Rome, pp. 1-5.
(2) Ibid., Loc., Cit.,

وخاصة فى الجزء الجنوبى منها بالحضارة اليونانية وذلك فى الأغلب عن طريق صقلية التى استوطنها اليونانيون بدءاً من القرن الثامن ق.م. وضمن حركة استعمارية واسعة النطاق، وعن هذا الطريق احتكت ايطاليا لأول مرة بنظام دولة المدينة اليونانى السابق الحديث عنه فى القسم الأول من هذا العرض المختصر لبعض جوانب حضارة اليونان والرومان وأبرز الأمثلة كانت مدن (كوماى) التى أنشئت تقريبا فى نفس الفترة التى أنشئت فيها روما (٧٥٠ ق.م)، ثم نيابوليس وتارنتوم وسيراكوزة ورجيون. وازدهرت هذه المدن وقويت الحضارة اليونانية فى جنوب ايطاليا حتى أنه فى وقت من الأوقات أطلق على هذه المنطقة (اليونان العظمى). إلا أن تأثير هذه المدن اليونانية اقتصر فقط على الناحية الثقافية بمعناها العام فلم يكن لهم وزن سياسى أو أطماع للسيطرة على ايطاليا فقد انشغلت هذه المدن بالصراع الدائم بينها[1].

أما الشعوب الايطالية فبما أنها كانت تنتمى الى أجناس متعددة انعدمت بينها الوحدة الحضارية بكل مقوماتها، لذا كان من الضرورى لروما أن تفرض الوحدة السياسية على هذه الشعوب تدريجيا، واستمرت هذه المحاولات حتى اكتملت بضم الغال الى ايطاليا فى عهد يوليوس قيصر وعندما انهار الجزء الغربى من الامبراطورية انتهت هذه الوحدة الى أن عادت ثانية فى العصر الحديث عندما تكونت ايطاليا مرة أخرى كدولة متحدة فى ١٨٧٠، أما الوحدة الثقافية فقد واكبت الوحدة السياسية إلا أنها كانت بالضرورة أكثر بطئا فحتى القرن الثانى نجد أن أحد الشعراء البارزين (انيوس) يتكلم ثلاث لغات هى اليونانية واللاتينية والاوسكانية، ويمكن القول بشئ من الحذر أن هذه الوحدة لم تكتمل إلا بحلول عصر أوغسطس.

---

(1) H.H. Scullard, A History of the Roman World, pp. 10 - 13.
راجع ابراهيم نصحى، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٦٠ ـ ٦٣.



المبحث الأول
الظروف الجغرافية

التكوين الجغرافي:

تتكون ايطاليا من قسمين رئيسيين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كبيراً من حيث الخصائص الطبيعية هما:

١- القسم الشمالي:

وهو عبارة عن سهل فسيح تحيط به سلسلة جبال الألب، ورغم ارتفاع الممرات الموجودة فى وسط هذه الجبال وغربها فأن روافد نهرى الراين والرون تيسر الوصول الى هذه الممرات ولهذا كان من الطبيعي بسبب وجود هذه الممرات فى جبال الألب أن هذه الجبال لم تصبح حاجزاً مانعاً فى وجه الهجرات القادمة من داخل القارة الأوروبية ويبلغ اتساع القسم الشمالى من الشرق الى الغرب حوالى ٥٠٠ كيلو متر ومن الشمال الى الجنوب حوالى ١٠٠ كيلومتراً، ويشغل وادى نهر البو وهو أعظم أنهار ايطاليا معظم مساحة هذا القسم وينبع هذا النهر من جبال الألب فى الغرب وقد تهيأ لهذا القسم عاملان رئيسيان لازدهار الزراعة فيه هما خصوبة التربة ووفرة المياه.

٢- القسم الجنوبي:

ويتكون من شبه جزيرة تقع بين البحر التيراني فى الغرب والبحر الادرياتيكى فى الشرق، وتمتد نحو ١٠٠٠ كم دون أن يزيد عرضها أى مكان عن ٢٠٠ كيلو متر وعلى عكس القسم الشمالى من شبه الجزيرة الايطالية والذى يفتقر الى الشواطئ الطويلة وتحيط به سلسلة جبال الألب، كانت الشواطئ تحيط بالقسم الجنوبى على طول امتداده وتحفه سلسلة جبال الابنين. وتوجد فى بعض مناطق الشاطئ الغربى والجزر المجاورة له عدة براكين بعضها خامد وبعضها لازال يمارس نشاطه منذ العصور القديمة كبركان فيزوف فى كمبانيا بالقرب من نابولى. واسترمبولى باحدى جزر ليبارى، واتنا فى صقلية. ورغم النتائج المدمرة للثلاث براكين وقت حدوثها فإن نتائجها كانت مفيدة، ذلك أن ما قذفت به من حمم ساعد على تكوين تربة خصبة صالحة للزراعة وبصفة خاصة زراعة الكروم.

٣- جزيرة صقلية :

قامت هذه الجزيرة بدور هام فى التاريخ الرومانى وبخاصة اثناء الصراع بين روما وقرطاجة. وصقلية لا يفصلها عن شبه جزيرة ايطاليا الا مضيق مسينا وحوالى ١٢٨ كيلومتر عن افريقيا حيث كانت قرطاجة، وهى التى أقامت مستعمرات لها فى صقلية وكانت تمارس نشاطها التجارى الواسع فيها. ولذلك فما أن أصبحت روما سيدة شبه الجزيرة الايطالية حتى رأت ضرورة السيطرة على صقلية لحماية شبه الجزيرة من الغزو الخارجى.

٤- البحـــر:

هيأ لليونان سواحل مليئة بالتعاريج ومن ثم بالموانى الطبيعية التى جعلت البحر هو المتنفس الطبيعى لبلاد اليونان فجابوا هذا البحر سواء كانوا تجارا أو قراصنة أو مهاجرين منذ القرن العاشر ق.م. بل قبل ذلك أحياناً.

أما فى حالة ايطاليا فقد كانت سواحلها لا تضم رغم طولها الظاهرى سوى عدد قليل من التعاريج. وقد وصف سترابون هذه السواحل بأنها خالية من الأماكن التى تصلح لحماية السفن فيما عدا عدد قليل من الموانى،وهو وصف صادق الى حد كبير اذا عرفنا أن الأمر لا يقتصر على قلة التعاريج بل يزيد على ذلك عامل آخر هو تعرض ايطاليا الى رياح غير ملائمة للملاحة على طول الساحل الشرقى المطل على البحر الادرياتيكى وفى الجزء الأوسط من الساحل الغربى. وقد كان لهذين العاملين (قلة التعاريج وعدم وجود الرياح المواتية للملاحة)، أثرها الظاهرى الذى أخر دخول ايطاليا فى ميدان النشاط البحرى الى فترة متأخرة كثيراً عن تلك التى برزت فيها بلاد اليونان فى هذا الميدان، لكن رغم ذلك فقد انتفعت ايطاليا من البحر حين دفعتها الظروف الى الخروج اليه، بعامل آخر هو الموقع المتوسط الذى تتمتع به فى حوض البحر المتوسط، بالاضافة الى وجود الموانى الطبيعية القليلة بها فى الأماكن المناسبة لاتصالاتها الخارجية، فالطرف الجنوبى لشبه الجزيرة الايطالية وجزيرة صقلية الملاصقة له تقترب الى حد كبير من الشواطئ الافريقية كما ساعد على سهولة الاتصال بهذه القارة وجود ميناء بيتولى (وهو اسم المكان الذى احتله فيما بعد ميناء نيابوليس وهو نابولى الحديثة) وسيراكوز(فى جزيرة صقلية) كنقط انطلاق نحو هذه القارة، بينما كان ميناء تارنتوم

وبرنديزيوم هما البداية الطبيعية للطريق البحرى نحو بلاد اليونان وساحل القسم الشرقى للبحر المتوسط ، ومن هنا كانت أهمية هذا الموقع الأوسط الذى هيأ لروما التى أصبحت سيدة ايطاليا الفرصة لأن تصير فى يوم من الأيام مقراً لامبراطورية قدر لها أن تشمل كل حوض البحر المتوسط.

٥- المنـــاخ:

ومناخ ايطاليا بوجه عام من الطراز الشائع فى حوض البحر المتوسط فهو جاف صيفا ممطر شتاء دون افراط فى درجة الحرارة أو البرودة.، وأن كان هذا يختلف من مكان الى آخر تبعا لأرتفاع المكان عن مستوى سطح البحر أو انخفاضه عنه، وموقعه فى الشمال أو الجنوب، وقربه من البحر أو بعده عنه. ونتيجة لانتشار المرتفعات فى أودية الأنهار وعند مصابها حيث تتراكم الرواسب وجدت بيئات مناسبة لتوالد ناموس الملاريا، ولذلك نكبت ايطاليا قديما وحديثا بنفس هذا المرض من حين الى آخر[١].

٦- موارد الثروة:

(أ) الثروة الزراعية والحيوانية: اشتهرت ايطاليا فى العصور القديمة بأن أهم موارد ثرواتها كانت الزراعة وتربية الحيوان، ذلك أن الأراضى المنخفضة كانت تنتج محصولات وفيرة من مختلف أنواع الحبوب مثل القمح والذرة والشعير وكذلك من البقول مثل البازلاء والفاصوليا وغيرها. واشتهرت تربة كمبانيا بانتاج ثلاث حاصلات متعاقبة فى العام الواحد وفى كل أنحاء ايطاليا فيما عدا الجهات الجبلية كانت تزدهر أشجار الكروم والزيتون وعلى مر الزمن وبخاصة من القرن الثانى قبل الميلاد كان استثمار الأرض الزراعية فى مثل هذا النوع من الزراعة أجدى من استثمارها فى زراعة الحبوب الغذائية مما كان له نتائج اجتماعية وسياسية خطيرة أهمها كان اعتماد روما فيما بعد على مدن الامبراطورية فى تمويلها بالقمح. وبعد اتساع روما فى شرق البحر المتوسط ادخلت أنواع أخرى من الفاكهة مثل التفاح والكمثرى. أما زراعة الموالح شأنها كان شأن زراعة الأرز فلم تتعلمها ايطاليا من الشرق إلا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية بوقت طويل.

---

(١) ابراهيم نصحى، المرجع السابق، ص ١٣ – ١٧.

ولما كانت تتوافر مراع ممتازة للأغنام والماعز والماشية والخيول فى المناطق الساحلية المنخفضة شتاء وفى المنحدرات الجبلية صيفا فأن تربية الحيوان كانت تلى الزراعة فى ايطاليا من حيث الأهمية.

وفى العصور القديمة كانت ايطاليا تفوق أغلب أقاليم البحر المتوسط من حيث الغنى بالغابات وهى التى كانت تنتشر فى الأقليم الشمالى على السفوح الجبلية لجبال الألب وفى وادى البو وعلى امتداد ساحل ايجوريا وفى الأقليم الجنوبى على سفوح الابنين وفى لاتيوم وأودية نهر التيبر وروافده وكذلك فى جنوب اترووريا حيث عطلت طويلا زحف الرومان عبر هذا الاقليم.

وقد كان الرومان والاترووريون (أو الاتروسكيون) والاغريق والقرطاجنيون يقبلون على استخدام الخشب الايطالى فى بناء السفن، وكان هذا الخشب يستخدم أيضا بكثرة فى المبانى وصنع الأثاث وكانت غابات الصنوبر مصدرا هاماً للقطران والصمغ، كما أن أشجار البلوط والزان كانت توفر علفا لقطعان الخنازير.

ومن المرجح أن ايطاليا قديما كانت أغنى فى غاباتها منها اليوم. فيبدو أنه قبل العصر المسيحى بعدة قرون كانت مساحة كبيرة من غاباتها قد اختفت نتيجة لنشاط الحطابين والراغبين فى تطهير الأرض لزراعتها أو تحويلها الى مراع.

(ب) **الثروة المعدنية:** لم تتمتع ايطاليا بثروة معدنية كبيرة وأن كانت مناجم النحاس فى اترووريا وليجوريا وجزيرة سردينيا والكميات الوفيرة من خام الحديد فى جزيرة ألبا القريبة من شاطئ اترووريا قد ساعدت الى حد كبير على سد حاجة ايطاليا فى العصور القديمة الى أهم المعادن اللازمة لها وكان يمكن الحصول على الملح من مناجم صقلية وكذلك من المستنقعات الملحية والواقعة عند مصب التيبر على امتداد الشاطئ الغربى فى أواسط ايطاليا وأما أحجار البناء من مختلف الأنواع بما فى ذلك الرخام الممتاز فأنها كانت على الدوام وفيرة، وفضلا عن ذلك فأن لاتيوم واترووريا وغيرهما من أقاليم إيطاليا كانت غنية بالصلصال الصالح لصناعة أنواع ممتازة من الأجر والقرميد والأوانى الفخارية [١].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨ – ٢٢.

المبحث الثاني

مصادر دراسة التاريخ الرماني

١- **قوانين اللوحات الاثني عشر**: وهى القوانين التى صدرت حوالى عام ٤٥٠ ق.م. واذا كانت اللوحات ذاتها لا تعمر طويلا فأن قوانينها ظلت قائمة لعدة قرون وحفظت لنا مقتطفات الكتاب الرومان المتتابعين منذ عهد شيشرون أجزاء كبيرة من هذه القوانين وهى تلقى ضوءاً على جوانب الحياة فى الجمهورية الرومانية فى أوائل عهدها .

٢- **المعاهدات**: وكانت المعاهدات التى تعقدها روما نوعين، وبمقتضى احدهما كان الطرفان المتعاقدان يعتبران ندين متكافئين ويلتزمان بمساعدة بعضهما البعض فى الحروب، أما النوع الآخر فقد كانت روما تعتبر فيه الحليف الاسمى ويلتزم الطرف الآخر بمساعدتها فى الحروب الدفاعية والهجومية على حد سواء، وكذلك باحترام هيبتها، ومن البديهى أنه كان من شأن عقد محالفات من مثل هذا النوع الثانى ضياع سيادة مثل هؤلاء الحلفاء وانزالهم الى مصاف اتباع روما، وقد أعقب خروج حلفاء روما عليها أنها استبدلت بمحالفات من النوع الأول محالفات من النوع الثانى، فكانت النتيجة المنطقية لذلك اتساع نطاق هيمنة روما على النحو الذى سنراه .

وكانت نصوص المعاهدات تحفر على لوحات من البرونز تعلق على تل الكابيتول (كابيتولينوس) وقد ظلت هذه اللوحات سليمة أمداً طويلا.

٣- **القرارات**: وكانت تصدرها الجمعية الشعبية الرومانية وقد جرت العادة على حفر هذه القرارات على لوحات برونزية وايداعها فى معبد ساتورنوس. وبذلك كان هذا المعبد يؤدى عدة وظائف منها أنه كان دارا للعبادة ثم كونه الخزانة العامة ودار المحفوظات العامة. ومع ذلك فأن شيشرون وهو أحد أشهر خطباء الرومان يشكو من اهمال شأن الوثائق المودعة فى دار المحفوظات العامة. وازاء هذا فلا يبعد أن يكون الكثير من الوثائق القديمة قد ضاع كلية أو تشوه على مر الأيام.

٤- **قرارات السناتو:** وكانت فى خلال القرنين الاخريين من عهد الجمهورية تودع فى معبد ساتورنوس، ومن المحتمل أن يكون قد بدئ فى اتباع ذلك قبل هذا الوقت بزمن طويل الا أن المصادر الأدبية لم تستخدم القرارات التى أصدرها السناتو فى عهد الجمهورية. مما يوحى بأن هذه القرارات لم تعمر طويلا ربما بسبب المكان أو الأمكنة التى كانت تحفظ فيها.

٥- **سجلات الحكام وكبار الكهنة الرومان:** وكانت تحفظ فى مكاتب كل منهم وهذه السجلات على ثلاث أنواع:

(أ) **قوائم الاحصاء:** وهى تتضمن بيانات احصائية عن عدد المواطنين الرومان و تم إدخال بعض التعديلات على هذه القوائم ولكن الكثير من الباحثين مازالوا يترددون فى اعتبار قوائم الاحصاء السابقة لعام ٣٠٠ ق.م. أصلية يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها.

(ب) **القوائم السنوية للحكام:** قد كانت كل هيئة من هيئات الحكام الرومان تحتفظ لديها بقائمة تسجل فيها أسماء شاغلى مناصب هذه الهيئات سنوياوأهم هذه القوائم من الناحية التاريخية هى قوائم القناصل فقد درج الرومان ومؤرخوهم على اعتبار سنوات تولى القناصل للحكم تاريخا لكافة الاحداث العامة والخاصة. وبفضل ما تبقى من نصوص أدبية أمكن تجميع عدة مصنفات يحتوى كل منها قائمة كاملة للقناصل الرومان الذين تولوا الحكم منذ بداية الجمهورية وفضلا عن ذلك فأن لدينا أجزاء كبيرة من سجل بأسماء القناصل محفور على جدار المقر الرسمى للكاهن الأعظم وهو المعروف باسم «رجيا».

(جـ) **حوليات كبار الكهنة:** عندما انشئت الجمهورية أصبح كبير الكهنة هو الذى يحدد سنويا أيام الأعياد الدينية وكذلك أيام انعقاد المحاكم، ومنذ وقت لا يزال من العسير تحديده درج الكاهن الأكبر على اعداد حولية يسجل بها الى جانب الأيام السابق ذكرها، الأحداث الهامة التى تقع أثناء العام الذى يتولى فيه منصبه والى جانب ذلك فهو فى آخر الحولية يذكر أسماء حكام ذلك العام. وكانت العادة المألوفة هى عرض حوليات كبار الكهنة على الملأ. وحوالى ١٢٥ ق.م. عهد الكاهن الأكبر موكيوس سكايفولا الى أحد المصنفين

بجمع الحوليات القديمة ونشرها على هيئة كتاب، وغالبية محتويات حوليات كبار الكهنة مقصورة على أحداث تتصل بطقوس دينية أقيمت بمناسبة هذه الأحداث مثل تكريس المعابد وإقامة مهرجانات القواد المنتصرين وحدوث مجاعة أو وقوع حدث من الأحداث التى كانت تعتبر من الغرائب مثل كسوف الشمس أو خسوف القمر.

وهكذا يتضح مما عرضناه أنه لم يتبق للمؤرخين القدامى من المدونات التاريخية الخاصة بعهد الجمهورية الا بعض المعاهدات وقوائم الحكام وأن قوانين اللوحات الاثنتى عشر كانت أهم ما تبقى من قوانين القرن الخامس ق.م. وأنه لم يتبق من أكثر تشريعات النصف الأول من العهد الجمهورى، إلا أسماء هذه التشريعات وفى بعض الحالات مضمونها، وأن حوليات كبار الكهنة لم تتضمن تسجيلات أكيدة معاصرة للاحداث الا منذ حوالى عام ٣٠٠ ق.م.

٦- **الأساطير:** وازاء هذا فلم يتبق أمام مؤرخى الرومان لاستكمال معلوماتهم عن تاريخ روما قبل القرن الثالث ق.م. الا مصدران هما الاسطورة التقليدية لروما فى صدر تاريخها وروايات الاسر الارستقراطية، والمصدر الأول زاخر بأحداث تتسم جميعها بطابع لا يدع مجالا للشك فى أنها مستمدة من القصص الشعبى، ذلك أنه من الواضح أن بعضها ليست إلا وليدة الخيال وأن بعضها الآخر زود فى سخاء بتفاصيل خرافية وأن بعضها لا يتسق اطلاقا مع مجرى التاريخ الرومانى.

ولا جدال فى أن روايات الارستقراطية الرومانية كانت أصلا تحتوى على معلومات كثيرة موثوق بها وكان من الممكن اعتبارها مصدرا قيما لمعلوماتنا عن تاريخ روما فى صدر حياتها لو أنها وصلت على حالها الأول، ذلك أن الأسر الحاكمة فى عهد الجمهورية كانت شديدة الحرص على الحفاظ على ما يثبت جدارتها بالتمتع بمكانتها الممتازة، ومن ثم فأنه فى قاعة الاستقبال لكل منزل من منازل البطارقة كان رب الأسرة يضع صور أبائه وتحت كل منها نقش يتضمن تاريخ حياة المتوفى. وغالبا فأن بيانات هذه التواريخ كانت فى البداية صحيحة بسبب وجود معاصرين للمتوفين على قيد الحياة عندئذ. غير

أنه بعد فترة من الوقت طغت على هذه البيانات الصحيحة خرافات اخترعت عمداً عندما انضمت الى الأسر الحاكمة العريقة أسر جديدة من الأثرياء وعمد هؤلاء النبلاء الجدد الى الاختراع ليضفوا على ماضى أسرهم من الجلال الوهمى ما كانوا يفتقرون إليه فى واقع الأمر، مما دفع بالاسر القديمة أيضا الى الاختراع فى محاولة منها للبقاء، ووسط هذا السياق اختلطت الحقائق بالأوهام، ولما كان تنسيق الروايات الأرستقراطية أكثر براعة من تنسيق الأساطير الشعبية فأن استخلاص الحقائق من الروايات الأرستقراطية غدا أصعب منالا من استخلاصها من الأساطير الشعبية.

٧- **الكتاب القدماء:** حوالى عام ٢٠٠ ق.م. صاغ المؤرخان جابيوس بيكتور وكينكيتوس اليمنتوس والشاعران كوينتوس اينيوس وجنايوس فايفيوس، الروايات الشعبية والارستقراطية فى قالب أدبى وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب لم يثبتوا فى مؤلفاتهم إلا ما بدا لهم أنه أقرب القصص الى التصديق أو أكثره طرافة ومتعة دون أن يضيفوا الى محتويات مصادرهم شيئاً ابتكروه أو توصلوا اليه بالبحث. بيد أن العرض الذى قدمه جابيوس ومعاصروه لم يرض الاجيال المتتابعة من كتاب القرنين الثانى والأول قبل الميلاد فأخذوا يضيفون اليه تباعا حتى اكتمل النص الرسمى لتاريخ النصف الأول من عهد الجمهورية الرومانية واذا كانت قلة من هؤلاء الكتاب قدمت بذلك بعض المحاولات لاستقصاء الحقائق وتمكنت أحيانا من الكشف عن وثيقة ذات قيمة كبرى، فأن أغلبهم أطلقوا لخيالهم العنان ليكتبوا تاريخاً موسعاً، ولم يكن أيسر عليهم من مضاعفة عدد الانتصارات التى أحرزتها روما فى ميادين القتال، وأن يضيفوا الى أمجاد الأسر التى كانت تتولاهم برعايتها من الأمجاد والبطولات ما يتمثل فى انتصارات خيالية على اعداد خيالية من الأعداء الذين لا وجود لهم. وحوالى نهاية القرن الأول قبل الميلاد أعطى المؤرخ الرومانى ليفيوس والمؤرخ الإغريقى ديونسيوس الهاليكارناس للرواية المقبولة رسميا لتاريخ الجمهورية الرومانية صورتها النهائية. واذا كان هذان المؤرخان قد ترفعا عن التزييف إلا أنهما لم يخلصا هذه الرواية من الخرافات. ذلك أن أولهما برغم أنه قد سلم بأن تاريخ روما المبكر زاخر

بالأساطير الخرافية الا أنه لم يبذل الا محاولة سطحية فى فحص مصادره، وأن ثانيهما برغم ما بذله من جهد ملموس فى المقارنة بين مؤلفات من سبقوه لم يستطع نقد هذه المؤلفات نقدا مثمراً. وهكذا يصعب القول بأن هذين المؤرخين اللذان يعتبران المصدرين الأدبيين الرئيسيين لتاريخ الجمهورية الرومانية المبكر واضعا أسس كتابة هذا التاريخ على أساس علمى[١].

الرومــان الأوائــل

شهدت ايطاليا فى المرحلة المبكرة من عصر الحديد انبثاق الجماعات الانسانية المختلفة التى لعبت أدواراً رئيسية فى تاريخها خلال العصور التاريخية، ومع هذا فلا يمكن تتبع تاريخ أكثر هذه الجماعات قبل القرن السادس قبل الميلاد حين يصبح من الممكن تحديد أسماء هذه الجماعات وموطنها. ولما كان الباحثون قد درجوا على اتخاذ اللغة والجنس أساساً لتقسيم سكان ايطاليا فى العصور التاريخية لذا فقد انقسم هؤلاء السكان الى قسمين، أحدهما (الايطاليون)، والآخر (غير الايطاليون).

الايطاليون : وكانوا موزعين علي النحو التالي :

١- **في اقليم لاتيوم:** وهو يقع جنوب نهر التيبر بين الشاطئ الغربى والسلسلة الرئيسية لجبال الابنين حيث كان يسكن اللاتين وهم الذين سيصبح بعضهم – الرومان – بعد بضعة قرون سادة ايطاليا ثم العالم المتحضر، ومن المحتمل أن اللاتين كانوا أساساً ثمرة امتزاج أربعة عناصر رئيسية هم مهاجرى العصر الحجرى الحديث وكانوا قليلى العدد، والثانى كانوا عنصر مهاجرى أواخر عصر البرونز من أصحاب اللغة الهندو – أوروبية وكانوا أكثرا١- **في اقليم لاتيوم:** وهو يقع جنوب نهر التيبر بين الشاطئ الغربى والسلسلة الرئيسية لجبال الابنين حيث كان يسكن اللاتين وهم الذين سيصبح بعضهم – الرومان – بعد بضعة قرون سادة ايطاليا ثم العالم المتحضر، ومن المحتمل أن اللاتين كانوا أساساً ثمرة امتزاج أربعة عناصر رئيسية هم

---

(١) عبد اللطيف أحمد على ـ مصادر التاريخ الرومانى – صفحات ٣ وما بعدها.

مهاجرى العصر الحجرى الحديث وكانوا قليلى العدد، والثانى كانوا عنصر مهاجرى أواخر عصر البرونز من أصحاب اللغة الهندو – أوروبية وكانوا أكثر رقيا وأكبر عددا من العنصر السابق، وكان الثالث عنصر مهاجرى أوائل عصر الحديد من أصحاب اللغات الهندو – أوروبية وكانوا أقل عدداً لكن أكثر تحضراً ممن سبقوهم، من المهاجرين وكان الرابع عنصرا من المهاجرين قدموا كذلك فى أوائل عصر الحديد ولكن من المناطق المجاورة فى جبال الابنين وكانوا أدنى من أهالى العنصرين الثانى والثالث فى العدد والحضارة، ومنذ أواخر القرن السابع قبل الميلاد أخذ الاتروسكيون يبسطون سيطرتهم على أقليم لاتيوم، وفى أعقاب ذلك أنضمت الى العناصر السابق ذكرها نسبة ضئيلة من الاتروسكيين.

أما الجماعات الايطالية التى أخذت منذ أواخر القرن السادس ق.م. تنزح عن موطنها فى جبال الابنين لتغير على جنوب لاتيوم ونجحت فى الاستقرار هناك فأنها لم تندمج مع اللاتين أو تعتبر فى عدادهم.

٢- **وعلي مشارف اقليم لاتيوم:** كانت تنزل عدة قبائل صغيرة مثل الهرنيكى والفاليسكى، ولما كانت هذه القبائل تماثل اللاتين الى حد كبير من حيث الجنس واللغة، فأنه يمكن اعتبارهم فى عدادهم.

٣- **في وديان المنطقة الوسطي من جبال الابنين:** حيث كان يعيش عدد كبير من القبائل كثيراً ما كانت تدعى القبائل الاومبرية – السابلية، لأن ابرزها كانت قبائل الاومبرى. فى الشمال والسابلى فى الجنوب. ومما يجدر بالملاحظة أن الفرع الايطالى للغات الهندو – أوربية كان يتسم بلهجات متعددة أهمها ثلاث وهى اللاتينية والاومبرية والأوسكية. وعلى حين كانت اللاتينية تختلف اختلافا واضحا عن اللهجتين الاخيرتين كان هناك وجه شبه كبير بين هاتين اللهجتين الأخيرتين، وكانت مجموعة القبائل التى تستخدم اللهجة الاومبرية تدعى القبائل الأومبرية، والمجموعة التى تستخدم اللهجة الاوسكية تدعى القبائل السابلية.

غير الايطاليين: وكان غير الايطاليون موزعين علي النحو التالي:

١– فى المنطقة الشمالية الغربية، وهى تشمل وادى البو من جبال الألب

حتى نهر تيكونوس شرقا بما فى ذلك المنطقة الساحلية، حيث يعيش الليجوريون، واذا كانوا بوجه عام من سلالة سكان هذه المنطقة فى العصر الحجرى الحديث فلابد من أن يكونوا قد تأثروا بطريقة أو بأخرى ببعض الهجرات التالية للأننا نجدهم فى مطلع العصور التاريخية يستخدمون لغة هندو - أوربية.

٢- فى المنطقة الشمالية الشرقية وهى تمتد من السفوح الجنوبية لجبال الألب الى السفوح الشمالية الشرقية لجبال الابنين وكان أهم سكانها :

■ **قبائل الغتني في الطرف الشمالي شمال نهر البو :**

* عدد من القبائل كانت تنزل الى الشمال والغرب من قبائل الغتنى حتى اقليم الليجوريين وكانت أهم هذه القبائل هى الرابتى وهم جيران الغتنى، وفى خلال القرن السادس ق.م. كانت أكثر هذه القبائل تخضع لسيطرة الاتروسكيين.

* سلالة أصحاب حضارة فيلانوفا وكانوا ينزلون شمال جبال الابنين وشرقها وقد وقع هؤلاء أيضا تحت سيطرة الاتروسكيين.

٣- فى المنطقة الوسطى شرق القبائل الامبرية - السابلية كان توجد مواطن البيكنى وهم من سلالة العصر الحجرى الحديث ثم امتزجت بهم عناصر اللورية فى أعقاب هجرة الإللوريين الى شبه الجزيرة الايطالية فى أواخر عصر البرنز.

٤- فى المنطقة الجنوبية الشرقية - وهى تشمل ايوليا وكابويا القديمة - حيث كان يعيش عدد من القبائل هى الداوينى والبيوقتيى والمسابيى ولكن يطلق عليها جميعا اليابوجى.

٥- فى المنطقة الجنوبية الغربية - وهى تشمل وكابريا واقليم البروتبى وكانت أهم القبائل فى هذه المنطقة قبيلتا الأونيوترى والخونسى، وأما قبيلة الأوسكى فإن اسمها يدل على أنه لم يكن لها وجود قبل غزو السابنى أصحاب اللهجة الاوسكية.

٦– فى الجزء الجنوبى على امتداد الشاطئ من طرف البحر الادرياتيكى حتى خليج نابولى، أسس الأغريق منذ حوالى منتصف القرن الثامن حتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد مجموعاة كبيرة من المستعمرات مما أكسبها هذا الاسم (بلاد الاغريق الكبرى).

٧- في اقليم كمبانيا: وهو يقع على الساحل الغربى فيما بين لاتيوم شمالا ولوكانيا جنوبا وجبال الابنين شرقا، كانت تنزل قبائل الاوسنوس وهى من سلالة أهل العصر الحجرى الحديث الذين وفدوا من شمال افريقيا.

٨- اقليم اترووريا: وهو يشمل المنطقة الواقعة غربى السلسلة الرئيسية لجبال الابنين فيما بين نهرى الارنوس والتيبر ومن المحتمل أن أغلب سكان هذا الاقليم كان مثلهم مثل سكان اقليم لاتيوم مزيجا من أربع سلالات.

٩- صقلية: استولى الإغريق على الشاطئين الجنوبى والشرقى وعلى جزء من الشاطئ الشمالى وتوغلوا فى الداخل دون أن يستطيعوا الامتداد الى الطرف الغربى لاستيلاء القرطاجيين عليه وكان سكان صقلية وهم الذين يدعون سيكولى يتألفون مثل جيرانهم سكان المنطقة الجنوبية الغربية بشبه الجزيرة الايطالية من امتزاج سلالة أهل العصر الحجرى الحديث مع المهاجرين الاللوريين ولكن مع اختلاف نسبة كل من العنصرين فى هذا المزيج فنسبة العنصر الأول الى الثانى كانت فى صقلية أكبر منها فى شبه الجزيرة.

ويتضح من هذا أنه عند نهاية القرن السادس ق.م. كانت تعيش فى مختلف مناطق ايطاليا عدة جماعات انسانية متباينة فى الجنس وفى الحضارة ويفسر هذا العقبات التى اعترضت سبيل الوحدة السياسية وتكوين أمة ايطالية واحدة[١].

---

(١) ابراهيم نصحى، المرجع السابق، ص ٢٣ وما بعدها.

Cf.William Sinnigen & Arthur Boak, A History of Rome, pp.17 -20.

الأتروسكيون والإغريق

كان الرومان يدعون جيرانهم الى الشمال الغربى منهم الاتروسكى أو التوسكى وهم الذين كان الإغريق يدعونهم التورسنوى أو الشورسنوى أو الثوردوى على حين أنهم كانوا يدعون أنفسهم الراسنا، ذلك وفقاً لرواية اغريقية، وكان الاقليم الذى سكنه هؤلاء القوم قديما يدعى توسكانيا، وطراز أعمدتهم وكذلك طراز معابدهم يدعيان الطراز التوسكانى.

ولا جدال أن الحضارة الاتروسكية هى مزيج من عناصر حضارة ايطاليا ومن عناصر حضارية غير ايطالية لا أدل على أصلها الأجنبى من الآلاف من النقوش التى وصلت الينا باللغة الأتروسكية والتى وجد شبه اجماع على أنها ليست من فصيلة اللغات الهندو – أوروبية.

ولا يقف الاشكال عند حد أصل الاتروسكيين، اذ أن الباحثين الذين يتفقون على أن الاتروسكيين وفدوا على ايطاليا من آسيا الصغرى، يختلفون حول تاريخ وصولهم الى وطنهم الجديد. الا أنه فى أعقاب وصول التجار الاتروسكيين الى الاقليم الواقع بين نهرى الارنو والتيبر وتعرفهم على خيرات هذا الاقليم استطاع هؤلاء الاتروسكيون برغم قلة عددهم السيطرة على وطنهم الجديد بفضل كونهم أرقى حضارة وأحسن تنظيما وأمضى أسلحة من أهالى هذا الوطن.

وفى خلال القرن الخامس ق.م. بلغت المستعمرات الإغريقية فى صقلية وايطاليا أوج مجدها وذروة رفاهيتها. واذا كان مركز الاغريق فى صقلية قد تهدده القرطاجيون بعد توغلهم فى داخل الجزيرة وسيطرتهم على الصقليين فان النصر الحاسم الذى أحرزه (جلون) حاكم سراكوسا على القرطاجيين فى موقعة (هيمرا) عام ٤٨٠ ق.م. رغم سيطرة الاغريق على الجانب الأكبر من صقلية خلصهم من خطر قرطاجة لمدة تزيد على سبعين عاماً.

ولم تلبث سيراكوزا أن أصبحت أعظم المدن الإغريقية الى حد أنها اعتبرت (أثينا الغرب).

وكان لإستقرار الإغريق فى ايطاليا تأثيرات بعيدة المدى فى تقدم حضارة الإيطاليين، بعضها مباشر عن طريق إتصالهم بالإغريق، وبعضها غير مباشر عن طريق إتصالهم بالإتروسكيين، فإلى الإغريق يعود فضل غرس أشجار الكروم والزيتون بعد أن كانت تنمو بطريقة برية قبل قدومهم، وكان من شأن ما نشره الإغريق من آنية فخارية وبرونزية اثناء تجارتهم مع الإيطاليين وما أقاموه فى مدنهم من عمائر وتماثيل، أنهم زودوا الإيطاليين بنماذج ما قلدوه فى هذه المجالات. كما صادفت اداب الإغريق واساطيرهم ومذاهبهم الدينية ونظمهم السياسية هوى فى نفوس الإيطاليين، ويضاف إلى ذلك فنون القتال المتقدمة وتحصين المدن بالأسوار المبنية من الحجارة وما إلى ذلك. وهكذا أعطى الاغريق دفعة كبيرة للحضارة الإيطالية، وقامت مدينة كوماى بالتحديد بدور كبير فى هذا الصدد[1].

(1) Ibid., pp. 21 - 29.

القسم الأول

مدخل إلي التاريخ السياسي

المبحث الأول : النظام الجمهوري منذ البداية حتي التدهور.

المبحث الثاني : العصر الإمبراطوري.

المبحث الثالث : المتغيرات السياسية والعسكرية في العصر الإمبراطوري.

المبحث الرابع : المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية في العصر الإمبراطوري.

المبحث الخامس: الجيش الروماني في العصر الإمبراطوري.

المبحث السادس: تدهور الإمبراطورية الرومانية.



المبحث الأول

النظام الجمهورية منذ البداية حتي التدهور

أولاً: روما وايطاليا :

بانتهاء فترة الحكم الملكى فى روما حوالى نهاية القرن السادس ق.م. وبداية القرن الخامس، تدخل روما مرحلة الصراع الطبقى بين الارستقراطية وعامة الشعب، وذلك خلال الفترة المتقدمة من العصر الجمهورى، ويواكب هذا الصراع المحاولات المستمرة من جانب روما لبسط سلطاتها على جميع أنحاء ايطاليا. والتأريخ لهذه الفترة وما سبقها أمر من الصعوبة بمكان اذ يغلب عليها الطابع شبه الأسطورى، ويستمر ذلك الوضع حتى حوالى نهاية القرن الرابع ق.م. حتى تظهر لنا فى التاريخ الرومانى أول شخصية تاريخية رومانية محددة الملامح وهو ابيوس كلاوديوس كايكوس الذى تولى منصب القنصل فى عامى ٣٠٧، ٢٩٦ ق.م.

وفى خلال فترة الحكم الملكى كان لروما مركز الصدارة فى علاقتها باللاتين فقد كان لها على سبيل المثال مكانة متميزة فى أحد الأحلاف اللاتينية الذى أنشىء أساسا لغرض دينى مما يعيد الى الذهن أثينا وموقفها من حلف ديلوس بالرغم من اختلاف الغرض الذى أنشئ من أجله كلا الحلفين إلا أنه وبعد انتهاء الحكم الملكى تزعزت مكانة روما فى الحلف وربما كان السبب أن اللاتين قد أبرموا الحلف مع الملكُ، لأن الفترة التالية شهدت معاهدة بين روما واللاتين يقف فيها الطرفان على قدم المساواة وهى معاهدة كاسيوس التى أبرمت عام ٤٩٣ ق.م. وفى ظل هذا التحالف بين روما واللاتين استطاعت روما أن تقوى من مركزها ضد المدن الاتروسكية فى شمال ايطاليا وقبائل السابين فى الشمال الشرقى وذلك من خلال معارك طويلة الأمد.

إلا أن عام ٣٩٠ ق.م. شهد كارثة غير متوقعة لروما تمثلت فى غزو الغال لها ودخولهم أياها وفرض جزية ضخمة عليها، ثم انسحابهم مرة أخرى الى الشمال عبر جبال الابنين، لكن بعد أن تركوا ذكرى لم تمح الا بغزو يوليوس قيصر لبلاد الغال.

وكان من الطبيعى أن يعقب مثل هذا الغزو وما تعرضت له روما من متاعب اقتصادية وسياسية بسببه فترة من الركود فى النشاطات التوسعية للمدينة واستمرت هذه الفترة حتى النصف الثانى من القرن الرابع ق.م. وأعقب هذه الفترة من الركود فترة أخرى من النشاط العسكرى امتدت حوالى السبعين عاما خرجت روما فى نهايتها وقد سيطرت تقريبا على معظم شبه الجزيرة الايطالية واخضعتها لنفوذها وبذلك أصبحت مؤهلة تماما لتلعب دورها كواحدة من القوى الجديدة المؤثرة فى عالم البحر المتوسط.

وقد واجهت روما العديد من التحديات العسكرية خلال فترة توسعاتها المستمرة داخل ايطاليا كان أهمها صراعها مع أعدائها السامنيين الذى امتد على ثلاث مراحل عرفت تاريخيا باسم الحروب السمنية الأولى والثانية والثالثة، فقد امتد نفوذ السامنيين حوالى منتصف القرن الرابع ق.م. (٣٥٠ ق.م.) الى السهول الساحلية الشرقية والغربية لايطاليا كما أدى اتصالهم بالحضارة اليونانية الى ظهور مدن غنية وقوية خاصة فى اقليم كمبانيا، وكانت أهم هذه المدن (كوبوا) التى اشتهرت بمنتجاتها من البرونز والحديد والخزف.

وكان من الطبيعى أن تحدث النزاعات بين بعض المدن اليونانية والقوة الجديدة التى تحاول بسط نفوذها على أمثال هذه المدن وأعنى بها السامنيون فقد حدث أن استنجدت مدينة كابوا فى اقليم كمبانيا بروما لتمنع عنها خطر السمنيين فأجابتها روما لطلبها حيث كانت فى قلق دائم من تعاظم سلطان هذه القوة الجديدة وبذلك بدأت الحرب السمنية الأولى التى لا يعرف عنها الكثير ما عدا أن روما قد أفلحت فى السيطرة على اقليم كمبانيا الغنى، وأوجد هذا الانتصار لروما من الأعداء الكثير فقد بدأت مدن الحلف اللاتينى الأخرى تطالب باعادة النظر فى معاهدة كاسيوس حتى تضمن لنفسها بعض

المكاسب من انتصارات روما. وازاء رفض مقترحات مدن الحلف اللاتينى أعلنت هذه المدن الحرب على روما لمدة ثلاث سنوات انتهت بسحق الحلف اللاتينى بأجمعه ثم تمت تسوية عام ٣٣٨ ق.م. بدأت روما بمقتضاها تتعامل مع مدن الحلف من منطلق السيادة والسيطرة الرومانية على أجزاء كبيرة من ايطاليا.

أعقبت هذه الحروب بعض الاحتكاكات بين روما والسامنيين الذين لم يسلموا بضياع اقليم كمبانيا وخروجه من دائرة نفوذهم مما أدى فى النهاية الى اشتعال الحروب السمنية مرة أخرى على مرحلتين هذه المرة، الحرب السمنية الثانية واستمرت من ٣٣٦ – ٣٠٤ ق.م. والحرب السمنية الثالثة من ٢٩٨ – ٢٩٠ ق.م. وبذلك تم اخضاع السمنيين ومنحوا المرتبة الثانية من حقوق المواطنة الرومانية.،

وكما كان موقف مدن الحلف اللاتينى وتوجسهم من انتصار روما فى الحرب السمنية الأولى، حدث نفس الشئ للمدن اليونانية الواقعة على خليج تارنتوم فقد استغاثت هذه المدن بملك ابيروس ويدعى بيروس لمساندتها ضد الخطر الرومانى فاستجاب لها وكان بذلك أول القواد الهلينستيين الذى يواجه الرومان فى حرب استمرت من ٢٨٠ – ٢٧٥ ق.م. لكنه هزم فيها، وبانتصار روما الجديد على بيروس أرست بذلك مبدأ السيادة الرومانية على ايطاليا(١) .

أما عن روما من الداخل فقد كان الصراع قاسيا كمثيله فى الخارج فقامت الجمهورية الرومانية نتيجة لثورة الارستقراطية من ملاك الأرض، وتولى السلطات التنفيذية فى الدولة موظفون عموميون من الطبقة الارستقراطية. وسيطر على هؤلاء الموظفين مجلس الشيوخ الرومانى الذى كان يعبر عن مصالح الطبقة الارستقراطية ضد أى مصالح أخرى، لذا كان من الطبيعى أن يتفجر الصراع بين هذه الطبقة الحاكمة وبين الطبقة المحكومة من عامة الشعب نتيجة تضارب المصالح الاقتصادية وما يترتب عليها من ظروف اجتماعية وسياسية وقانونية. وبدأ هذا الصراع حوالى بداية القرن الخامس

---

(1) Michael Grant, History of Rome, pp. 37 - 56.

قبل الميلاد واستمر أكثر من مائتى عام حتى حقق العامة أهدافهم. وقد تكونت طبقة العامة فى روما من أصحاب الحرف والفلاحين الاحرار والتجار والمهاجرين الفقراء واستخدمت هذه الطبقة فى بداية صراعها مع الارستقراطية الرومانية سلاحا بسيطا لكنه فعال الى أقصى الحدود، وهو (الانسحاب) أى انسحاب كافة هذه الجماعات من روما مما يشكل بالقطع كارثة اقتصادية لا يمكن الأرستقراطية أن تتجاهلها، وقد خرج عامة الشعب من هذا الصراع فى أول جولة لهم فيه بمكسب لا ينكر هو ظهور مجموعة من الموظفين العموميين والترابنة الشعبيين الذى يدافعون عن مصالحهم ضد مصالح الارستقراطية، بالاضافة إلى تكوين الجمعية الشعبية التى أصبحت ندا لمجلس الشيوخ الارستقراطى، وتدريجيا تطورت سلطات الترابنة حتى أصبحت تجيز لهم الاعتراض على أى موظف عام أو قرارات أو قوانين يفرضها مجلس الشيوخ، وتتعارض مع مصالح الطبقات الشعبية فى روما.

وكان ثانى المكاسب التى خرجت بها طبقة العامة فى روما فى صراعها مع الارستقراطية هو مجموعة القوانين المكتوبة المعروفة باسم «قوانين الآلواح الاثنى عشر» والتى تعتبر أحد أهم مصادر التاريخ الرومانى، ويعتبر هذا المكسب تغييرا جذريا فى العلاقات بين كل من الارستقراطيين والعامة، اذ كانت القوانين قبل ذلك أقرب الى العرف الذى يخضع للتفسيرات الشفوية التى تقدمها الطبقة الارستقراطية وحدها مما شكل نوعا من الضغط على الطبقات الأخرى، أما فى ظل القوانين المكتوبة فقد سحبت هذه الامتيازات بالتالى من يد الطبقة الارستقراطية والتى كثيراً ما استغلت هذا الوضع لصالحها دون باقى الطبقات .

ثم توالت مكاسب العامة كاكتسابهم لحق التزاوج بينهم وبين الاشراف من الارستقراطيين وامكان انتخاب أحد القناصل من عامة الشعب بعد أن كان قاصرا على الارستقراطيين واعادة توزيع الأراضى العامة وهى الأراضى التى كانت روما تضمها عن طريق الغزو، وكان الهدف من اعادة التوزيع هو الحد من الملكيات الكبيرة واتاحة الفرصة للفلاحين الصغار لتملك بعض

هذه الأراضى، وقد صدر قانون بهذا المعنى فى ٢٦٧ ق.م. يحدد الحد الأقصى للملكية الزراعية بحيث لا تزيد عن ٥٠٠ فدان رومانى للشخص الواحد من الأراضى الزراعية أو الأراضى الصالحة للرعى، وعرف هذا القانون باسم (لكينوس سيكستوس). ووصلت هذه المكاسب الى ذروتها فى عام ٢٨٧ ق.م. عندما أصبحت لقرارات الجمعية الشعبية قوة القانون بمقتضى قانون عرف باسم قانون هورتنسيوس. وهكذا ففى خلال قرنين من الصراع بين طبقة العامة والطبقة الارستقراطية حصل العامة على جميع أهدافهم بأقل قدر من العنف، ولم يعد للارستقراطية سند قانونى لأى امتيازات قد تتمتع بها. وبالتالى اعتمد مركزهم الجديد فى الدولة على وضع غير رسمى تضفيه عليهم ثروتهم أو سمعة أسرهم وتاريخهم وأعمالهم المجيدة ان وجدت، وهو ما يخالف الوضع القديم.

وتولى الأمور التنفيذية فى داخل روما عدد قليل من الموظفين العموميين هم قنصلان وبرايتور واحد، وفى بعض الأحيان زيد العدد الى اثنين واثنان من الكويستور وأربعة من الايديل واثنان من الكنسور، وحددت فترة شغلهم لمناصبهم بعام واحد تجنبا لترك السلطة التنفيذية فى روما لمثل هذا العدد القليل من الموظفين لمدد طويلة، ولما كانت هذه المناصب يتم شغلها بالانتخاب فيمكن القول بأن الشعب الرومانى قد مارس السلطة الى حد ما، الا أن هؤلاء الموظفين كانوا بحكم الوضع السياسى القائم أميل الى جانب مجلس الشيوخ الذى يضم أصحاب الخبرة السياسية الناضجة وذلك بحكم كونهم أعضاء فى هذا المجلس قبل شغلهم لمناصبهم، بالاضافة الى أن مستقبلهم السياسى كان مرتبطاً أيضا بالمجلس بعد تركهم لمناصبهم وأدى ذلك بطبيعة الحال الى تعاظم سلطان المجلس من الناحية السياسية واستمر هذا الوضع حتى فترة ظهور الأخوان جراكوس[1].

هكذا كانت روما من الداخل فهى فى طريقها الى الشكل السياسى المنظم المستقر الى حد كبير بعد أن استقرت لها الأمور تقريبا فى شبه الجزيرة

---

(1) Ibid., pp. 57 - 73

الايطالية، الا أنه توجد نقطتان أخيرتان لابد من الاشارة اليهما وكانت من أهم العوامل التى ساعدت روما على بسط سلطانها على ايطاليا بأجمعها تقريبا ألا وهى: شبكة الطرق البرية الشهيرة ثم الجيش الرومانى، بالنسبة للنقطة الأولى وهى شبكة الطرق البرية الرومانية فقد بدأت لأول مرة بشكلها المتطور حوالى ٣١٢ ق.م. بأنشاء الكنسور ابيوس كايكوس للطريق الموصل من روما الى كابوا والذى حمل اسمه، ثم امتد نفس الطريق ليصل الى برنديزيوم ثم بدأت الطرق تتعدد لتربط روما وأغلب المدن، وأيضا كان لها دورها الاقتصادى كوسيلة سريعة للنقل البرى بالاضافة لدورها الحضارى الذى لا يمكن تجاهله. أما الجيش فقد أخضعت به روما مدن ايطاليا بتجنيد كل مواطن لائق للخدمة العسكرية على نفقته الخاصة كالتزام يؤديه للدولة الا أن طول الحروب وبعد المعارك عن روما جعل فكرة دفع راتب منتظم للجنود الرومان تظهر الى حيز الوجود، وكانت هذه الخطوة هى المرحلة الأولى نحو تكوين جيش محترف خاص بروما.

وهكذا وبحلول منتصف القرن الثالث ق.م. كانت روما قد أصبحت سيدة ايطاليا بلا منازع وهو الوضع الذى يحقق لايطاليا مزايا عديدة جلبها السلام، إلا أن هذه المزايا كانت أعظم بالنسبة لروما، فقد بلغت الأراضى العامة – أراضى الشعب الرومانى السابق ذكرها – التى ضمتها روما أبان غزواتها ما يقرب من خمس مساحة شبه الجزيرة الايطالية، مما أعطى روما قوة اقتصادية هائلة أهلتها بالاضافة الى القوة البشرية التى امتلكتها بعد اخضاعها لشبه الجزيرة الايطالية لأن تلعب دوراً فى عالم البحر المتوسط وهو موضوعنا التالى[١].

ثانيا: روما والبحر المتوسط:

الحروب البونية:

كانت أول معاهدة تعقدها روما مع دولة خارج شبه الجزيرة الايطالية هى

---

(١) وعن الموضوع بشكل عام راجع: دونالد ددلى، حضارة روما، ص ٣٤ – ٦٠، لطفى عبد الوهاب يحيى، تاريخ الرومان، ص ٩٩ – ١٠٦.

معاهدتها مع قرطاجة فى عام ٥١٨ ق.م. وتجددت هذه المعاهدة مرتين فى عام ٣٧٨ ق.م. وعام ٣٤٨ ق.م. وكان الهدف منها هو الحد من نشاط روما التجارى فى غرب البحر المتوسط، وبالمقابل كان الحد من المطامع القرطاجية فى ايطاليا، وكانت قرطاجة فى ذلك الوقت أغنى وأقوى مدن غرب البحر المتوسط، أنشأها مستعمرون من مدينة صور الفينيقية حوالى ٨٠٠ ق.م. ومن هنا جاءت الكلمة اللاتينية (بونى) التى أطلقت على القرطاجيين، وبالتالى سميت الحروب التالية بين روما وقرطاجة أما بالحروب الفينيقية أو الحروب البونية. وتمتعت قرطاجة بموقع جغرافى فريد (تونس الحالية) يجعل القوة المتواجدة فى هذه المنطقة تتمكن من شطر البحر المتوسط الى شطرين شرقى وغربى. وبالتالى كان للمدينة نشاط تجارى مزدهر مع مصر ومدن شرق البحر المتوسط بالاضافة الى احتكارها لتجارة غربى البحر المتوسط.

هذا النشاط التجارى المزدهر لقرطاجة وما أعقبه بطبيعة الحال من انتعاش اقتصادى ورخاء وزيادة مضطردة بالتالى فى حجم القوة العسكرية القرطاجية حتى تتمكن من حماية هذا النشاط كان بالضرورة أحد أسباب الصدام بين قرطاجة والقوة الجديدة الآخذة فى الظهور والتى نعنى بها روما والتى كانت قد شارفت على الانتهاء من توحيد ايطاليا تحت زعامتها وبدأت تتطلع الى السيطرة على أجزاء من البحر المتوسط لفتح منافذ تجارية جديدة، هذا الصدام كان لا يحتاج لأكثر من ذريعة واهية حتى يدخل مرحلة الصراع العسكرى وقد حدث هذا عندما حاول القرطاجيون السيطرة على مدينة ميسينا ربما فى محاولة منهم لفرض سيطرتهم على المضيق البحرى الواقع بين صقلية وايطاليا (مضيق ميسينا) فأعلنت الجمعية الشعبية فى روما الحرب عليهم استجابة لطلب النجدة الذى تقدمت به مدينة ميسينا. وهكذا بدأت الحرب البونية الأولى فى ٢٦٤ ق.م. واستمرت حتى ٢٤١ ق.م. وانتهت بالصلح بين القوتين بشرط جلاء قرطاجة عن صقلية والتى ضمتها روما اليها لتصبح أول ولاية رومانية.

وبرز فى هذه المرحلة من الحروب البونية القائد القرطاجى العظيم (هاميلكار) الذى أنزل أفدح الخسائر بروما والتى اضطرت بدورها الى انشاء اسطول بحرى قوى حتى تستطيع مواجهة قرطاجة التى كانت فى الاساس تعتمد على قوتها البحرية، وبعد العديد من المعارك التى خسرت روما أغلبها وجد الرومان أن توجيه ضرباتهم الى القوة البحرية القرطاجية نفسها أسهل من محاولتهم السيطرة على البحر المتوسط، ونجحوا فى ذلك بل واستطاعوا بعد سنوات قلائل ضم كورسيكا وسردينيا فى ولاية واحدة عام ٢٢٧ ق.م.[١].

وخلال هذه الفترة التى أعقبت الحرب البونية الأولى والتى أخذت روما فيها فى تدعيم نفوذها فى المناطق الجديدة المفتوحة كان هناك استعداد آخر يجرى فى أسبانيا، فلم يكن القرطاجيون وعلى رأسهم هانيبال قد تخلوا عن حلمهم بالقضاء على روما واحلال قرطاجة محلها كوريث لها فى مستعمراتها وخطوطها التجارية، لذا فقد استغل هاميلكار هذه الفترة لاخضاع جنوب أسبانيا وكون جيشا ضخما من أهالى القبائل الجنوبية الا أن هاميلكار قتل فى عام ٢٢٨ ق.م. قبل اكمال حلمه، وخلفه زوج ابنته (هازدروبال) الذى استمر على خط هاميلكار من توسع مستمر لنفوذ قرطاجة فى اسبانيا وانشأ عاصمة جديدة للولاية بأجمعها هى (نوفاكارثاجون) أى قرطاجة الجديدة، وهى قرطاجنة الحالية فى اسبانيا، الا أنه اغتيل هو الآخر قبل اكماله لحلم هاميللكار وخلفه ابن هاميلكار الشاب ويدعى (هانيبال) ليصبح ثالث وأعظم القواد القرطاجيين فى حروبهم ضد روما.

وخلال الفترة الأولى من حكم هانيبال استطاع السيطرة على ثلثى شبه جزيرة ايبيريا تقريبا، وأجرى اتصالات ودية مع قبائل الغال التى كانت العدو شبه التقليدى لروما، بل وايطاليا كلها، وبهذا أصبح الجو مهيئا مرة أخرى لنشوب الجولة الثانية من الحروب البونية والتى لم تكن تنتظر أكثر من شرارة بسيطة لاشعالها كما كان الحال فى الحرب الأولى، وتمثل هذا العذر فى

---

(1) M. Rostovtzeff, Rome. pp. 50 - 65.

استنجاد (ساجنتوم) احدى المدن الاسبانية القليلة التى تمتعت بالحكم الذاتى بروما لتحميها من الخطر القرطاجى، وهكذا بدأت الحرب البونية الثانية فى ٢١٨ ق.م. [١].

وتحرك هانيبال فى ٢١٨ ق.م. من قرطاجة الجديدة ليعبر جبال الألب وينقل ميدان المعركة الى ايطاليا نفسها فينتصر فى أول معركة له (معركة وادى البو) ثم يتحرك الى جنوب ايطاليا ليدير معاركه من هناك، هذا الوضع الخطير جعل الرومان يلجأون الى وسيلتهم القديمة التقليدية فى مواجهة مثل هذه الأمور المصيرية فأعلنوا كوينتوس فابيوس ماكسيموس ديكتاتورا ليدير الحرب ضد قرطاجة والذى حاول استغلال عنصر الزمن الذى لم يكن فى صالح هانيبال اذ كان بعيدا عن قواعده الأصلية سواء فى قرطاجة أو قرطاجة الجديدة، فاتبع فابيوس ماكسيموس وسائل الاغارة المستمرة وقطع المؤن عن جيوش هانيبال اذ أثبتت المعارك المتتالية التى انتصر فيها هانيبال أن مواجهته فى معركة مكشوفة أمر لا قبل لجيوش روما به، ثم تغيرت الأوضاع بخروج فابيوس ماكسيموس من الحكم وتولى الديمقراطيون والذين نادوا بالمواجهة المباشرة مع هانيبال، وكان من نتيجة ذلك معركة «كاناى» والتى هزمت فيها روما أبشع هزيمة فقد قتل فيها من الجيش الرومانى ما يزيد عن ٢٥,٠٠٠ جندى وأسر ما لا يقل عن ١٥,٠٠٠ جندى آخر، وتمكن القائد الرومانى فارو من الهرب مع ١٠,٠٠٠ جندى باقى.

واستمرت الحرب ضارية بين روما وهانيبال حتى ظهور القائد الشاب كورنيليوس سكيبيو الذى كان يضارع هانيبال فى عبقريته الحربية فبدأت روما تسترد مكانتها الحربية لتحرز العديد من الانتصارات ضد هانيبال توجتها بانتصارها على هانيبال فى موقعة (زاما) التى حدثت عام ٢٠٢ ق.م. وبها انتهت الحرب البونية الثانية وطلبت قرطاجة الصلح بمقتضى شروط قاسية وضعتها روما كان أهمها تخلى قرطاجة عن اسطولها البحرى

---

(١) عن أسباب الحرب البونية الثانية راجع :

Donald Kegan, The Roman World., p. 83 ff.

ودفع تعويض هائل عن الحرب. وهكذا إحتلت روما مكانة قرطاجة فى أسبانيا وغرب حوض البحر المتوسط.

الا أن الأثر الذى تركته الحرب البونية الثانية لم يذهب بانتهاء الحرب فقد ظلت روما لفترة طويلة تعانى من الدمار الاقتصادى الذى لحق بها أبان هذه الحروب الطويلة، ولهذا ظل الشعور العدائى تجاه قرطاجة قائما، ويمكن القول أيضا أن الخوف من استعادة قرطاجة لمكانتها العسكرية كان واردا، هذا بالاضافة الى محاولة كبار الاقطاعيين الرومان لسحق تجارة تصدير النبيذ والزيتون القرطاجية والمنافسة لتجارتهم، كل هذه العوامل أدت الى نشوب الحرب البونية الثالثة والتى بدأت بمبادرة من روما فى ١٤٩ ق.م. وقاومت قرطاجة لمدة ثلاثة سنوات الى أن سقطت فى ١٤٦ ق.م. وأحرقت عن آخرها وبيع خمسون ألفا من رجالها كعبيد وتحولت قرطاجة الى ولاية رومانية، وبذلك انتهت الحروب البونية الثلاثة وتحولت قرطاجة الى ذكرى مريرة فى نفوس الرومان.

أما عن نتائج الحروب البونية فقد كانت لها أسوأ الآثر على بنيان روما الاقتصادى فقد خرب جنوب ايطاليا تقريبا، وبالتالى هاجرت جموع الفلاحين الى روما لتزيد من اعداد الفقراء المتعطلين المتواجدين فى روما والذين عاشوا أما عالة على الدولة أو أحد الأثرياء، وفى نفس الوقت تضخمت ثروات أخرى عند بعض المستفيدين من الحروب نتج عنها ظهور المزارع الضخمة التابعة لشخص واحد واختفاء نظم المزارع الصغيرة التى يستغلها فلاحين متوسطى الحال كما يحدثنا بذلك (كاتو) فى مقال له (عن الزراعة) كتبه حوالى ١٦٠ ق.م. لكن من ناحية أخرى ونتيجة لانتصار روما فى الحروب البونية فقد تحولت الى دولة كبرى فى عالم البحر المتوسط تسيطر على عدد كبير من الولايات منها افريقيا ومقدونيا وآسيا وأسبانيا وبلاد الغال كما مهد لقيام امبراطورية عالمية ظلت قائمة حتى تم تقسيمها الى امبراطورية شرقية وأخرى غربية فى عام ٣٩٥ ق.م(١).

---

(١) عن الحروب البونية الثلاثة بالتفصيل ومجرياتها ونتائجها راجع :
H.H. Scullard, op. cit., p. 133 ff.

الحروب المقدونية:

بعد موت الاسكندر الأكبر قسمت امبراطوريته ثلاثة أقسام: مقدونيا ومصر وسوريا، وكانت مقدونيا تتمتع بقوة كبيرة استمدتها من كونها موطن الاسكندر، بالاضافة الى ظهور أحد الملوك الطموحين الحالمين باعادة مجد الاسكندر، وكان فيليب الخامس ملك مقدونيا، وبالتالى أصبحت هذه القوة الجديدة خطراً يؤرق روما، وقد تحققت مخاوف الرومان خلال الحرب البونية الثانية عندما أنضم فيليب الخامس الى عدوهم هانيبال وأيده فى محاولة منه للمشاركة فى انتصاراته التى كان لا يزال يحرزها، لذلك فبعد انتهاء المرحلة الثانية من الحروب البونية بدأت روما حربا ضد مقدونيا عرفت بالحرب المقدونية الأولى والثانية والثالثة.

وبدأت الحرب المقدونية الأولى فى ٢٠٠ق.م. واستمرت حتى ١٩٦ ق.م. وانتهت لصالح روما، وطلبت مقدونيا الصلح مقابل بقاء فيليب الخامس على عرشه وسحب حامياته من بلاد اليونان وتخفيض عدد قواته المسلحة ودفع تعويض لروما مع تعهده بألا يشن حربا خارج حدود مقدونيا الا باذن من روما.

وخلال ما يقرب من ربع قرن أخذت مقدونيا فى الانتعاش الاقتصادى والعسكرى مرة أخرى وازداد نفوذها فى السنوات الأخيرة من حكم فيليب الخامس وخليفته برسيوس فكان هذا نذيرا جديدا لروما ومبرر كافيا كى تشتعل الحرب المقدونية الثانية فى ١٧١ ق.م. واستمرت حتى ١٦٨ ق.م. حين انتصرت روما على مقدونيا انتصاراً حاسماً فى موقعة (بيدنا) وأسر برسيوس ملك مقدونيا ومات فى الأسر بعد عامين.

وبانتهاء الحرب المقدونية الثانية قسمت مقدونيا الى أربع جمهوريات مستقلة تدار ادارة شبه ذاتية، الا أن ظهور العديد من المدعين خلافة برسيوس جعل روما فى النهاية تلجأ للقوة مرة ثانية فيما عرف (اصطلاحا) بالحرب المقدونية الثالثة لاخضاعهم وأعلنت مقدونيا فى عام ١٤٨ ق.م.

ولاية رومانية تدار بواسطة روما نفسها[1].

بالاضافة الى كل هذا فقد كان نفوذ روما قد بلغ حدا كبيراً من القوة فى الممالك الهللينستية كسوريا ومصر بالاضافة الى تدخلها المستمر فى اليونان نفسها، وتجلت قوة هذا النفوذ فى أبعد الممالك عن روما وهى بيرجاموم التى أوصى ملكها أتالوس الثالث بعد وفاته أن تؤول مملكته بكاملها إلى روما فى ١٣٣ ق.م. وأعلنت بيرجاموم ولاية رومانية فى آسيا فى ١٢٩ ق.م. وبحلول نهاية القرن الثانى قبل الميلاد يمكن القول بأن الامبراطورية الرومانية (وأن كانت لا تزال تأخذ شكل الحكم الجمهورى) وقد وصلت الى مرحلة اكتمال تكوينها وأن أى معارك أخرى كنت تعتبر تأكيدا وتقريرا لوضع كان قد بدأ من قبل كما حدث فى حالة مصر اذ لم تدخلها روما وتضمها فعليا لتصبح ولاية رومانية ذات طابع خاص كما أعلنها أوغسطس الا بعد موقعة اكتيوم (٣١ ق.م.) رغم أن مصر كانت تدور فى فلك النفوذ الرومانى قبل ذلك بكثير.

وعلى صعيد آخر فقد واكب هذا التطور والنمو السياسى والعسكرى المضطرد وما تبعه من رواج اقتصادى، ازدهار آخر فى مجال العلوم والفنون والآداب فى روما. ففى مجال الآدب، وبرغم ضياع الكثير من الأعمال الأدبية الرومانية التى ترجع الى هذه الفترة الا أنه من الصعب انكار الأدب الرومانى فقد وصلنا من أعمال كتاب الكوميديا عدد من مسرحيات بلاوتوس وترنتيوس. الا أن التراجيديا كانت أسوأ حظا اذ لم يصلنا عمل كامل لأحد من كتاب هذه الفترة، وبقيت لنا شذرات من أعمال بعض شعراء الملاحم مثل نايفيوس وانيوس، ومقتطفات من هجائيات لوكيليوس، الا أنه بقى لنا عمل واحد كامل من هذه الفترة (عن الزراعة) الذى سبقت الاشارة اليه وكتبه كاتو حوالى ١٦٠ ق.م.

---

(١) عن تداخل الحرب المقدونية الأولى مع الثانية (٢٠٠ – ١٩٦ ق.م.) وحول اعتبار الحرب المقدونية الثانية (١٧١ – ١٦٨ ق.م.) هى الثالثة (١٤٨ ق.م.) راجع: لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١١٢ – ١١٣ ثم قارن:
William Sinnigen & Arthur Boak op. cit., pp. 120-126, p. 131.

أما عن الناحية الفنية فكان ازدهارها فى هذه الفترة أبطأ منه عن ازدهار الأدب فلم يتعد الأمر بعض الأنشاءات المعمارية التقليدية كبناء القناطر ومد قنوات الصرف وشق الطرق وتعبيدها واضافة بعض المعابد التى لم يتضح فى أى منها أسلوب الفن الرومانى القومى المنفرد اذ كان الفن لازال متأثرا بالفن اليونانى مباشرة.

أما الفلسفة فقد واجهت مصاعب جمة فى روما عكس الوضع فى الثقافة اليونانية فقد نظرت اليها الدولة من وجهة نظر نفعية بحتة وهى مدى منفعتها للدولة، وقد انتشرت فى روما الفلسفة الرواقية على يد ديوجينيس الذى ألقى محاضراته هناك فى ١٥٥ ق.م. الا أنها قيدت بالعديد من المطالب الصارمة كاخضاع الطموح الشخصى لمصلحة الدولة والتغلب على الطمع والبذخ والتمسك بقيود منظمة لتصرف الاشخاص فى كل مواقف الحياة العامة والخاصة.

واجمالا فكما كانت هذه الفترة هى فترة التكوين بالنسبة للجمهورية الرومانية فى المجال العسكرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى فقد كانت أيضا فترة حضانة للادب والعلوم والفنون الرومانية التى سنتابعها فى الفصل الأخير من هذه الدراسة فى الفترة الانتقالية من أواخر العصر الجمهرى الى أوائل العصر الامبراطورى (عصر أوغسطس) بشكل أكثر اكتمالا وقربا من الروح الرومانية الأصلية(١).

ثالثاً: تدهور الجمهورية الرومانية:

حتى عام ١٤٠ ق.م. كانت الاقطاعيات الزراعية الكبرى قد انتشرت تماما فى الجمهورية الرومانية وكان مجلس السناتو (الشيوخ) محتكرا للسلطة السياسية ألا أن هذا الاحتكار قويل بدءا من هذا التاريخ بتحدى عنيف (خاصة بعد ظهور زعيما الاصلاح الاخوان تيبيريوس جراكوس وجايوس جراكوس) لم ينته الا بزوال النظام الجمهورى نفسه.

---

(١) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص ٩٤ – ١٠٦.

وكان تيبيريوس جراكوس يرى أن الخطر الأكبر على الجمهورية الرومانية يكمن فى نظام الاقطاعيات الزراعية الضخمة التى نتج عنها تشريد المزارعين الرومان الفقراء وكان العلاج فى نظره هو اعادة توزيع الأراضى الزراعية من جديد، لذلك رشح نفسه لمنصب التريبون وانتخب عام ١٣٣ ق.م. فقدم اقتراحا باعادة تطبيق قانون ليكينوس سيكستوس الصادر ٣٦٧ ق.م. والذى حدد الحد الأقصى للملكية الفردية من الأراضى بما لا يزيد عن ٥٠٠ فدان رومانى (ايوجيرا) واضاف اليه ٥٠٠ يوجيرا أخرى للابنين البالغين ليصبح بذلك الحد الأقصى للملكية هو ١٠٠٠ يوجيرا للأسرة، أما الأراضى الزائدة عن ذلك فتسلم الى الدولة لتعيد توزيعها على الفقراء فى شكل مساحات صغيرة تبلغ الواحدة منها ٣٠ يوجيرا للفلاح الواحد. وشكل تبيريوس جراكوس لجنة للإصلاح الزراعى تكونت منه ومن أخيه جايوس جراكوس وأبيوس كلاوديوس لممارسة تطبيق هذا الاقتراح عمليا بعد أن استطاع استصدار قانون من مجلس السناتو بهذا المعنى.

وعندما حاول تبيريبوس جراكوس ترشيح نفسه للعام التالى لمنصب التريبون (ومكان هذا مخالفا للتقاليد الرومانية القاضية بأن يشغل التريبون منصبه لمدة عام واحد فقط) لضمان تنفيذ هذا القانون ثار بعض أنصار مجلس السناتو وقبضوا على تبيريوس جراكوس وبعض أعوانه وقتلوه، الا أن لجنة الاصلاح الزراعى ظلت تمارس عملها لمدة أربعة عشر عاماً متتالية حتى ١٢٠ ق.م. وفيها جايوس جراكوس الذى حرص على تنفيذ حكم أخيه تيبيريوس جراكوس بشأن الاصلاح الزراعى.

وكون جايوس جراكوس جبهة قوية ضد مجلس الشيوخ من أصحاب المصالح المالية والتجارية والفقراء والحلفاء الايطاليون، وفى ظل السماح بدءا من عام ١٣١ ق.م. باعادة ترشيح التريبون لنفسه مرة أخرى فقد رشح جايوس جراكوس نفسه لمنصب التريبون من ١٢٤ ق.م. وحتى ١٢٢ ق.م. وأصدر خلال هذه الفترة عددا من القوانين التى تضمنت تنفيذ برامج الاصلاح الزراعى، وعلى أوسع نطاق.

ونتيجة لازدياد شعبية جايوس جراكوس بين الفقراء الرومان على وجه الخصوص بسبب القوانين المتتالية التى كان هدفها الأول تحقيق قدر معقول من الرخاء للفقراء كقانون توزيع الغلال على فقراء روما بنصف سعر السوق ثم مجانا فيما بعد، حاول مجلس الشيوخ النيل من شعبيته بالمزايدة على قراراته وقوانينه ثم أعلن الحرب المسلحة عليه عام ١٢١ ق.م. حين فشل فى اعادة ترشيحه تريبونا لذلك العام وقتل جايوس جراكوس فى ذلك الهجوم وشرد ثلاثة آلاف من أعوانه فى عمليات التطهير التى أعقبت ذلك. ومنذ ذلك الوقت أصبح – الصراع الحزبى – سمة مميزة للحياة السياسية فى روما، كما أن الحرب الأهلية أدت الى ادخال أساليب جديدة تتسم بالعنف على السياسة. ولما كان كل حزب يهدف الى السيطرة التامة على السلطة وسحق الحزب المعارض فقد أدى هذا الى تركيز السلطة فى أيدى أبطال أى من الأحزاب المتصارعة وبطريقة غير عادية مثلما حدث فى السنوات الست التى تولى ماريوس فيها منصب القنصل وفترات دكتاتورية سولا ويوليوس قيصر، وكانت هذه الفترة الزمنية (أواخر القرن الثانى حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد) التى امتدت من موت تبيريوس جراكوس فى ١٣٢ ق.م. الى معركة اكتيوم فى ٣١ ق.م. وهى أحرج فترة مرت بالنظام الجمهورى الرومانى والتى انتهت بانتهاء النظام نفسه. ويمكن تقسيم هذه الفترة الزمنية الى قسمين من ناحية الأشخاص وعلاقاتهم بالنظام، الفترة الأولى من بداية ظهور الاخوين جراكوس فى ١٣٣ ق.م. حتى ظهور سولا فى ٧٨ ق.م. والفترة الثانية من سولا حتى معركة اكتيوم أى من ٧٨ الى ٣١ ق.م[١].

بالنسبة للفترة الأولى فقد تميزت بعد وفاة الأخوين جراكوس بالعمل تدريجيا على ايقاف العمل بقانون الاصلاح الزراعى الذى أستنه تبيريوس جراكوس حتى تم الغاؤه فى ١١١ ق.م. وظهور ماريوس الذى يشغل منصب التريبون عام ١١٩ ق.م. ثم عين برايتور فى أسبانيا ثم انتخب قنصلاً عام ١٠٧ ق.م. لانهاء الحروب الرومانية فى أفريقيا واستطاع فعلا اتمام هذه

---

(١) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص ١٠٧ وما بعدها.

المهمة خلال عامين بفضل جيش من المتطوعين أعده ماريوس من بين فقراء روما وسلحه ودربه وكانت هذه أولى خطواته لتطوير الجيش الرومانى الذى دان بالولاء لفترة طويلة لقائده جايوس ماريوس.

وفى عام ١٠٢ ظهرت قبائل الكمبرى والتيوتون النازحون من اسكنديناوه فى بلاد الغال بغرض غزو ايطاليا الا أن ماريوس استطاع صدهم والانتصار عليهم بل وسحقهم تماما وتأمين ايطاليا ضد هذا الغزو البربرى. وكانت غارات الكمبرى والتيوتون هى المبرر لتولى ماريوس منصب القنصلية أربع مرات من ١٠٧ – ١٠٤ ق.م. ثم تولى المنصب لخامس مرة فى ١٠٠ ق.م. ثم ترك المنصب الى الأبد[1].

وبعد تسع سنوات من ترك ماريوس لمنصب القنصل نشبت الحرب الأهلية بين روما وحلفائها من الايطاليين نتيجة رفض روما لمطالبهم فى حقوق المواطنة الرومانية وتعارض المصالح الاقتصادية بين الطرفين ودامت هذه الحرب ثلاث سنوات من ٩٠ – ٨٨ ق.م. وفى النهاية اضطرت روما للاعتراف بحقوقهم فى المواطنة وبعض الاصلاحات الاقتصادية.

ثم تعرضت روما لاخطر مواجهة عسكرية لها مع قوة أجنبية منذ نهاية الحرب البونية الثانية، وتمثلت هذه القوة فى ميثراداتيس السادس، وكان أشد طموحا فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود، والتى كانت تتمتع بقدر كبير من الثراء والقوة العسكرية. إذ كان ميثراداتيس الخامس على علاقة طيبة بروما وبذلك تمكن من بسط نفوذه على جيرانه من المدن الصغيرة، إلا أن ابنه ميثراداتيس السادس كان أشد طموحا فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود وبذلك أصبح يسيطر على مملكة قوية فى الشرق بعد تدهور سوريا.

وانتهز ميثراداتيس فرصة انشغال روما فى الحرب الأهلية الدائرة بينها وبين حلفائها من الايطاليين فهاجم آسيا فى عام ٨٨ ق.م. واكتسح القوات

---

(1) Ciril Robinson. op. cit., pp. 130 - 142.

الرومانية بها. ودبر مذبحة قتل فيها في يوم واحد عدد يتراوح ما بين ثمانين الى مائة وخمسين الفا من الرومان والايطاليين في آسيا وصودرت أملاكهم لصالح الخزانة الملكية، وهكذا خسرت روما آسيا وبات من الضرورى لها القضاء على ميثراداتيس السادس.

واختار مجلس السناتو أحد القنصلين الموجودين عام ٨٨ ق.م. لاداء هذه المهمة وكان هو «لوكيوس كورنيليوس سولا» والذى قاد الحرب ضد ميثراداتيس وانزل به خسائر جسيمة حتى اضطر الى عقد معاهدة صلح عام ٨٤ ق.م. تنازل بمقتضاها عن جميع فتوحاته ودفع تعويضا لروما مقابل احتفاظه بمملكته بونتوس ثم اعترف به صديقا لروما، وهكذا كسب سولا شرف استعادة ولاية آسيا للشعب الرومانى.

هذا الوضع خلق من سولا قائداً عسكرياً يسيطر على أكبر جيش رومانى موجود خارج ايطاليا، ولذا كانت عودته الى ايطاليا خطر كبير على كل الأحزاب، الا أن سولا عاد على رأس جيشه كعدو ظاهر للحزب الديموقراطى ولمجلس الشيوخ معا وعلى حدود روما قاتل سولا آخر جيوش السامنيين ثم دخل روما وأعلن نفسه ديكتاتورا لمدة غير محدودة وحكم روما بالارهاب وقرر كضمان لنفسه ومركزه ألا يسمح لأى جيش أن يعسكر فى ايطاليا وأن يدخل القادة العسكريين روما كأشخاص عاديين وبذلك ضمن ألا يظهر شخص آخر يعيد ما فعله سولا من قبل(١).

أما الفترة الثانية والتى تبدأ بموت سولا فى ٧٨ ق.م. وحتى معركة اكتيوم فى ٣١ ق.م. فقد شهدت عودة ميثراداتيس ملك بونتوس الى ساحة القتال ضد روما، وفى ايطاليا نفسها ظهرت ثورة العبيد تحت زعامة سبارتاكوس والتى أظهرت ضعف الحكومة المركزية، وانتشرت القرصنة فى البحر المتوسط، كما شهدت نفس الفترة عددا من أهم القادة العسكريين الذين خلفوا سولا مثل بومبى وكراسوس الذى اعتمد على ثراؤه الفاحش فى حياته

---

(1) Ibid, pp. 142 - 160.

السياسية، ويوليوس قيصر ثم ماركوس انطونيوس واوكتافيوس الذى لقب فيما بعد بأوغسطس.

فى عام ٧٤ ق.م. اشتعلت الحرب مرة أخرى بين روما وميثراداتيس ملك بونتوس فقاد لوكللوس الجيوش الرومانية واستطاع طرد ميثراداتيس من مملكة بونتوس نفسها فى ٦٧ ق.م. أما ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس والتى استمرت من ٧٣ ق.م. الى ٧٠ ق.م. فقد قضى كراسوس عليها تقريبا، وأكمل بومبى على بقيتها وهو فى طريق عودته من أسبانيا. واكتسب بومبى وكراسوس شعبية كبيرة مكنتهما من التقدم سويا لمنصب القنصلية على الرغم من معارضة مجلس السناتو.

وفى نفس الوقت كان قراصنة البحر المتوسط قد ازدادوا قوة وجرأة لدرجة مهاجمتهم لشواطئ ايطاليا نفسها وتهديدهم لتجارة الحبوب التى تعتمد عليها روما فى غذائها فعهد الى بومبى بالقضاء عليهم ومنح بمقتضى قانون (جابينيوس) سلطات غير عادية فقد أصبح تحت أمرته ٥٠٠ سفينة حربية بالاضافة الى ١٢,٠٠٠ جندى ومنطقة نفوذ تشمل كل البحر المتوسط، وفعلا استطاع بومبى القضاء على خطر القراصنة فى مدة وجيزة لم تتجاوز الثلاثة أشهر. واستثمر بومبى انتصارات لوكللوس فى آسيا لصالحه فبقى فى آسيا فى الفترة من ٦٦ ق.م. حيث نظم ثلاث ولايات رومانية هى: بونتوس وسوريا وكيليكيا وأكد سيادة روما على هذا الجزء من العالم القديم.

وخلال فترة غياب بومبى فى آسيا كانت شعبية يوليوس قيصر فى ازدياد مستمر ولذلك فحين عاد بومبى الى روما تكون تحالف ثلاثى ضم كراسوس وبومبى ويوليوس قيصر الذى كان يهدف الى الحصول على قنصلية عام ٥٩ ق.م. وقد تم هذا التحالف بدءا من عام ٦٠ ق.م، وبعد انتهاء قنصلية قيصر استطاع الحصول على بلاد الغال القريبة لمدة خمس سنوات ووضعت ثلاث فرق عسكرية رومانية تحت امرته، فقام قيصر بغزواته الشهيرة لبلاد الغال ابتداء من ٥٨ ق.م. وحتى ٥٢ ق.م. حين عاد الى ايطاليا بعد القضاء على الثورة القومية الغالية وانتهت مهمته بنجاح فى ٥١ ق.م. وخلال هذه السنوات الطويلة تمكن قيصر من تكوين جيش قوى يدين له وحده بالولاء

اعتمادا على شخصه ومشاركته لجنوده فى ذكرياتهم ومعاركهم وحملاتهم التى قاموا بها سويا وجدد قيصر تحالفه مع زملائه كراسوس وبومبى وخرج كل منهم بغنيمة لا بأس بها اذا جدد قيصر امارته لبلاد الغال خمس سنوات أخرى، وأصبح بومبى وكراسوس قنصلين لعام ٥٥ ق.م.

فى نفس الوقت ظهر خطر جديد يهدد روما وهو مملكة بارثيا التى قامت نتيجة للفراغ الذى خلفته الاسرة السليوقية بعد انهيار حكمها فى سوريا، وكانت هذه المملكة احياء جزئيا للامبراطورية الفارسية القديمة، وعندما حاولت هذه القوة الجديدة السيطرة تماما على تجارة الجزء الشرقى من العالم القديم والذى كانت روما تعتبره منطقة نفوذ تجارية كان هذا هو الدافع لشن حملة قادها كراسوس لاخضاع بارثيا، الا أن هذه الحملة انتهت بكارثة حلت بالجيش الرومانى وقتل فيها كراسوس نفسه.

وأدى موت كراسوس الى تفجر الصراع بين العضوين الباقيين فى التحالف، ووجد مجلس السناتو فى بومبى قوة لا يستهان بها ليقف فى وجه قيصر الذى رأى المجلس أنه يشكل خطراً مباشراً عليه فعين بومبى قنصلا وحيدا واحتل مركز (بطل مجلس الشيوخ) وكان رد قيصر على هذه الاجراءات دخوله ايطاليا بجيوشه وعبوره نهر الروبيكون (وكان عبور قيصر لنهر الروبيكون والذى كان بمثابة حدود ايطاليا بمثابة تحد سافر لمجلس السناتو الذى استدعى قيصر كفرد عادى لا كقائد على رأس جيش قوى)، واندلعت الحرب الأهلية الا أن قيصر استطاع بسرعة السيطرة على ايطاليا ودخل روما واستمر الصراع بين بومبى وقيصر خارج ايطاليا على مراحل حتى انتهى بانتصار قيصر على منافسه فى موقعة فارسا لوس وهرب بومبى الى مصر الا أنه قتل عند نزوله للشاطئ، ولما كان قيصر قد تعقبه لذا لم يكن أمامه مفر من التدخل فى النزاعات القائمة وقتذاك بين أفراد العائلة البطلمية المالكة فى مصر وكانت بداية علاقته بكليوباترا السابعة[1].

وكانت انتصارات قيصر المتتالية مبررا كافيا ليركز كل سلطات الدولة فى

(1) Ibid., pp. 160 - 180.

يديه وأضاف الى اسمه لقب (امبراطور) ومنحته الجمعية الشعبية عام ٤٩ ق.م. لقب الدكتاتور ثم فى عام ٤٦ ق.م. عين دكتاتورا لمدة عشر سنوات، ثم فى عام ٤٤ ق.م. عدل التعيين ليصبح دكتاتورا لمدى الحياة ثم اغدقت عليه الكثير من الالقاب الشرفية والوظائف والامتيازات والسلطات مما لم يكن له مثيل من قبل فى التاريخ الرومانى. وآثار هذا الاتجاه الذى بدا وكأنه عودة للنظام الملكى ثائرة الجمهوريين وبعض اتباع قيصر نفسه وكانت النتيجة هى اغتيال قيصر بيد أقرب اصدقائه ومنهم بروتوس فى ١٥ مارس عام ٤٤ ق.م. وحتى الآن لا يوجد ما يؤكد اتجاه قيصر نحو اعلان نفسه ملكا على روما قبل اغتياله أو العكس،. لكن المؤكد هو أن الاجراءات التى سبقت موت قيصر كانت اشارة واضحة تعلن موت الجمهورية الرومانية، فقد تم التصديق على ما قام به قيصر من أعمال لكن عفى عن قتلته(1).

وبعد موت قيصر ظهر ماركوس انطونيوس كخليفة له فى جيشه ولبيدوس، الذى شغل منصب قائد فرسان القصر، كما ظهر جايوس اوكتافيوس ابن أخ يوليوس قيصر والذى تبناه وجعله وريثا له وهو الذى سيحمل اسم أوغسطس فيما بعد.

وفى عام ٤٣ ق.م. قام ائتلاف ثلاثى آخر بين كل من ماركوس انطونيوس ولبيدوس وجايوس أوكاتافيوس لمدة خمس سنوات.

وفى الفترة من ٣٦ ق.م. حتى موقعه أكتيوم أدى طموح كليوباترا السابعة ملكة مصر البطلمية آنذاك الى خلق هوة واسعة بين اوكتافيوس وانطونيوس، فقد اتصلت كليوباترا بانطونيوس واستمالته الى جانبها بعد أن كانت قد فعلت نفس الشئ مع سلفه يوليوس قيصر آملة فى الزواج منه، الا أن مصرعه قضى على آمالها، لكن هذه الأمال تجددت فى شخص انطونيوس الذى رأت أن بامكانها السيطرة عليه وبالتالى السيطرة على روما عن طريقه، وقاد أوكتافيوس حربا دعائية ضد انطونيوس وكيلوباترا داخل روما ومشروعاتهما حول مستقبل الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية، ولذلك فعندما تولى

---

(1) Ibid., pp. 181 - 221.

أوكتافيوس منصب القنصل عام ٣١ ق.م. أعلن الحرب على انطونيوس باعتباره خائنا لروما وانتصر عليه في موقعة اكتيوم في نفس العام وشهد العام التالي سيطرة اوكتافيوس على مصر وانتحار انطونيوس وكليوباترا السابعة ودخول مصر دائرة النفوذ الروماني لتصبح ولاية رومانية ذات طابع خاص كما أعلنها أوكتافيوس.

وببداية فترة سيطرة أوكتافيوس واعلانه لنفسه (برينكبس) وهو لفظ غامض يحتمل كل التأويلات يمكن القول أن الجمهورية الرومانية قد انتهت لتبدأ فترة جديدة في التاريخ الروماني هي العصر الامبراطوري[١].

(1) Ibid., pp. 181 - 221.



المبحث الثاني

العصر الإمبراطوري

بداية العصر الإمبراطوري وقضية خلافة العرش :

من الناحية النظرية كان حكم أوغسطس يعتمد على قوة مجلس السناتو التشريعية والدستورية، وبالتالى فقد كان من المفترض ان يعين السناتو خليفة أوغسطس، إلا أن أوغسطس خشى من عودة الصراع الحزبى والتنافس الدموى على العرش، فحرص على أن يعين هو بنفسه خليفته. وسلك أوغسطس فى ذلك مسلك يوليوس قيصر فتبنى ابن أخته أوكتاڤيا وإسمه ماركوس ماركيللوس Marcus Marcellus وأخذ يعده لخلافته، إلا أن ماركيللوس توفى قبل موت أوغسطس، فأخذ أوغسطس يرتب الأمور لصديقه ورفيق كفاحه الجنرال اجريبا Agrippa إلا أنه يموت هو الأخر قبل أوغسطس، فلم يجد أوغسطس أمامه إلا إبن زوجته چوليا، وكان يسمى تبيريوس فتبناه وأخذ يعده لخلافته(1).

خلفاء أوغسطس :

أباطرة الأسرة الجوليو كلاودية :

بعد موت أوغسطس تولى الحكم أربعة أباطرة من اسرته فى الفترة من ١٤ م إلى ٦٨ م، وأخذوا إسم الأباطرة اليوليو كلاوديين نسبة إلى يوليوس وهى عشيرة أوغسطس، وكلاوديوس الذى تنتسب إليه الإمبراطورية ليڤيا وهم: تيبريوسTeberius وكاليجولاCaligula وكلاوديوسClaudius ونيرون Nero، ولم يحدث فى توليهم للعرش أى نزاع أو خلافات حزبية لأن

---

(1) Suetonius, divus Augustus, Iet Passim, Tiberius, 7 - 59; Tacitus, Annales, I - V1.

أوغسطس كان قد وضع أسس نظام تولى العرش، إلا أن هذه الأسس أخذت تضعف مع مرور الوقت، حتى إنهارت مع نهاية هذه الاسرة، ففى عام ٦٩م يظهر قسباسيانوس Vaspasianvs وينصب نفسه إمبراطورا بقوة السلاح بعد إغتيال نيرون أو إنتحاره، ويؤسس بذلك اسرة جديدة هى الاسرة الفلاقية.

تيبريوس: ١٤ - ٣٧ م:

بعد وفاة أوغسطس ورثه تيبريوس فأصبح يسمى تيبريوس أوغسطس قيصر، وتولى الحكم بدءا من ١٤ م وهو فى سن الخامسة والخمسين، وكان إجمالا إمبراطورا قادراً وكفئاً رغم تمسكه بالقديم ورفضه الأفكار الجديدة وعدم رغبته فى التجديد والتطوير، ولذا لم يغتصب الكثير من سلطات السناتو كما فعل أوغسطس من قبل. وبشكل عام لم يشهد عصر تيبريوس احداثا مؤثرة إذ كانت الأمور قد استتبت فى عصر أوغسطس، ما عدا تمرد لبعض القوات الرومانية على ضفاف نهر الراين، وقبل موته أوصى بأن يؤول العرش إلى جايوس كاليجولا الإبن الوحيد المتبقى من أبناء ابن أخيه جرمانيكوس[1].

جايوس كاليجولا: ٣٧ - ٤١ م:

بدأ الإمبراطور الشاب حكمه بإطلاق سراح المسجونين السياسيين والغى نظام المخبرين وخفض الضرائب، وكان محبا للمسرح والمهرجانات والرياضه بعكس تيبريوس، وبالتالى فقد أصبح معبوداً لجماهير الرومان فى أوائل حكمه. ولم يمض على توليه العرش ستة أشهر حتى مرض كاليجولا مرضاً شديداً يبدو أنه قد أثر على قواه العقلية، فبدأ يتحدث عن اللاحدود فى الحكم المطلق، ويدعو الرومان إلى عبادته كإله، وتم إتهامه بأنه قد حاول تقليد ملوك البطالمة فى زواجه من أخته، كما عادى مجلس السناتو واعاد نظام المخبرين مرة أخرى بعد أن كان قد الغاه، وبلغ به إحتقار مجلس السناتو وجماهير الرومان ان أعلن أنه عين حصانه نبيلاً وعضواً بالسناتو،

(1) David Shotter, Tiberivs Caesar, p. 4 ff.

وكان ينوى تعيينه قنصلا وشريكا له فى الحكم. وبخاصة بعد حادثة زيارة اجريبا للإسكندرية، وفى ٤١م يتم قتله على يد أحد ضباط الحرس البرايتورى بعد أن اهان هذا الضابط، ويتولى العرش من بعده عمه كلاوديوس[١].

كلاوديوس: ٤١ - ٥٤م:

اعترف الحرس البرايتورى بعم كاليجولا ويسمى كلاوديوس إمبراطورا بعد أن وعدهم بمكافأة كبيرة، وأصبح هذا تقليداً مؤسفاً إتبعه الاباطرة فيما بعد. وهكذا أصبح تيبريوس كلاوديوس قيصر جرمانيكوس إمبراطورا بالصدفة ورغم أنف السناتو. وكان كلاوديوس مثقفاً وتلميذا للمؤرخ تاكيتوس، وقد احيا وظيفة كانت قد انقرضت منذ العصر الجمهورى هى وظيفة الكنسور أو الرقيب على السناتو، كما أوقف قانون الخيانة العظمى وحد من نفوذ المخبرين السريين، كما حاول أن يطور فى الجهاز الإدارى الذى اسسه أوغسطس لإدارة شئون الإمبراطورية، وانتعشت فى عهده التجارة الخارجية لروما، وتوسعت روما فى شبكة الطرق البرية، واستمرت التوسعات العسكرية فقد تم فتح بريطانياً فى عهده.

وفى عام ٥٠ تبنى كلاوديوس ابن زوجته ويسمى نيرون واعلنه خليفه له. وفى ٥٤م يموت كلاوديوس مسموماً على يد زوجته اجريبينا ربما بسبب تفكيره فى التراجع عن اعلان نيرون خليفه له[٢].

نيرون: ٥٤ - ٦٨م:

تولى الحكم بعد موت كلاوديوس مسموماً وأصبح يسمى نيرون كلاوديوس قيصر ووعد الحرس البرايتورى بمكافأة ضخمة، وكان فى السادسة عشر محباً للفنون وتلميذاً للفيلسوف والاديب الرومانى سينكا، إلا أن أمه اجريبينا كانت مسيطرة عليه تماماً حتى أنه اضطر إلى اغتيالها حتى ينفرد بالحكم فى ٥٩م. ومارس نيرون حياة اللهو والبذخ الخرافى والذى نتج عنه افلاس

---

(١) سيد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، صفحات ١٢٩ – ١٤٩.

(٢) المرجع السابق، صفحات ١٥٠ – ١٥٨.

الخزينة العامة، وبالتالى اضطر إلى تخفيض قيمة العملة الرومانية ثم لجأ إلى عمليات المصادرة حتى يعوض هذا الإفلاس[1].

وفى عهد نيرون حدث حريق ضخم دمر عشرة احياء من أحياء روما الأربعة عشر، لكن لا يوجد دليل مادى على ما اشيع من أنه هو مدبر هذا الحريق. وأتهم اليهود المسيحيون الجدد بأنهم وراء هذا الحريق، ومن هذا الوقت بدأ اضطهادهم، وشهد عهد نيرون تدهوراً واضحاً فى ادارة الولايات الرومانية ما عدا اليونان التى كان نيرون يعشقها وبدأت حركات التمرد والثورات ضد الحكم الرومانى تظهر، وأخذت الأحوال تسوء حتى اضطر مجلس السناتو إلى اعلان ان الإمبراطور نيرون قد أصبح عدواً للشعب، فأضطر نيرون إلى الإنتحار فى ٦٨م، وبه تنتهى الاسرة اليوليوكلاودية لتبدأ أسرة جديدة هى الأسرة الفلاڤية Flavian [2].

أباطرة الاسرة الفلاڤية:

واباطرتها ڤسباسيانوس Vaspasianus وتيتوس Titus ودوميتيانوس Domitianus، وقد حكموا من ٧٠ إلى ٩٦م.

ڤسباسيانوس: ٧٠ - ٧٩م:

تولى ڤسباسيانوس العرش وهو فى الستين من عمره عام ٧٠م حيث واجه صراع القادة العسكريين، كما وجد الخزانة العامة مفلسة بسبب تبذير نيرون الكبير، فبدأ فى حملة إصلاحية بدأها بالإصلاح العسكرى فألغى تجنيد الرعاع فى الجيش وإعتمد على الطبقة الوسطى المثقفة، وأنشأ الأكاديميات العسكرية، كما حاول تطهير الحرس البرايتورى وعين ابنه تيتوس قائداً له. ثم تلى ذلك الإصلاح المالى، ففرض ضرائب عامة جديدة بسبب زيادة الدخول، والغى الإعفاء الضريبى الذى منحه نيرون لليونان، كما هجر القصور الفخمة التى بناها نيرون وعاش حياة بسيطة، فكسب بذلك تأييد كل

---

(1) Barbara Levick,The Government of the Roman Empire, pp.15-17,31-33.

(٢) نفسه، صفحات ١٥٩ وما بعدها .

طوائف الشعب. كما بدأ ڤسباسيانوس حركة نشطة من البناء والتعمير، فأعاد بناء الكابيتول الرومانى، وأنشأ مبنى الكولسيوم واهتم بشبكة الطرق الرومانية والحصون الدفاعية والثكنات العسكرية.

كما قام بتأمين حدود الإمبراطورية فى الشرق الأوسط، عن طريق إصلاح العلاقات مع الإمبراطورية البارثية، وفرض سيطرة روما على إمارة بالميرا ومملكة كوماچين وكابادوكيا وارمينيا.

وبالإضافة إلى ذلك بدأ ڤسباسيانوس عملية تطوير للجهاز الادارى الرومانى عن طريق اختيار موظفين من طبقة الفرسان واغنياء إيطاليا، وإستبعد بهذا العبيد المحررين ذوى الأصول الوضيعة، فكسب تأييد مجلس السناتو، كما حول التعليم إلى خدمة تقدمها الدولة بالمجان حتى تساهم فى نشر الثقافة اللاتينية والحضارة الرومانية فى كل ولايات الإمبراطورية.

ثم أعلن ڤسباسيانوس ابنه تيتوس قائد الحرس البرايتورى وريثا له على العرش، ومن بعده دوميتيانوس حتى يتفادى مشاكل الصراع على العرش، وذلك رغم معارضة مجلس السناتو لمبدأ توريث العرش ورغبتهم فى ان يتم اختيار الإمبراطور بموافقة السناتو، إلا أن ڤسباسيانوس استطاع أن يفرض رأية وينتصر، وفعلا خلفه ابنه تيتوس فى ٧٩م بعد موته.

تيتوس: ٧٩ - ٨٠ م:

وإستمر على طريق ابيه من إصلاحات لأوضاع الإمبراطورية فأكمل بناء الكولسيوم وانشأ حمامات تيتوس فى روما، وقضى على نظام المرشدين والمخبرين السريين، وإعتنى بشبكة الطرق الرومانية، وإهتم بالمشروعات العمرانية والمرافق العامة. وقد عاصر تيتوس كارثة بركان ڤيزوڤ الذى دفن مدينتى بومبى وهيركولانيوم تحت حممه فى ٧٩م، كما عاصر حريق روما الثانى فى ٨٠م والذى إستمر ثلاثة أيام متصلة.

ومات تيتوس فى سن الثانية والأربعين نتيجة إصابته بالحمى بعد أن حكم لمدة عامين وبضعة أشهر فقط[1].

---

(1) MacMullen, op. cit., p. 70 ff.

دوميتيانوس : ٨١ - ٩٦م :

وتولى العرش بعد موت اخيه تيتوس بعد موافقة الحرس البرايتورى حتى يضع السناتو أمام الأمر الواقع، وحرص منذ البداية على الإستحواذ على كافة السلطات، وبدأ واضحاً أنه يتجه بالحكم إتجاها أوتوقراطيا، كما حاول دائماً ان يحد من سلطات مجلس السناتو التشريعية والتنفيذية ويحوله إلى تابع للسلطة العليا التى يتولاها.

وشرع دوميتيانوس بمجرد توليه الحكم فى تنفيذ برنامج عملاق للبناء والتعمير فى الإمبراطورية الرومانية، فأكمل ما لم يكمله أبوه وأخوه من منشئات معمارية، وربما كان يهدف من هذا إلى الدعاية السياسية لنفسه، كما حرص على كسب رضاء الجماهير وكسب ولاء الجيش، فعمل على رفع مرتبات الجنود، وإعتنى بالزراعة كوسيلة لإصلاح الإقتصاد الرومانى. ومن الناحية العسكرية إستمر دوميتيانوس فى الفتوحات حتى إنجلترا وسكوتلندا، كما عمل على تأمين حدود الإمبراطورية الرومانية.

وإزاء حرص الإمبراطور على فرض سلطاته المطلقة، ورفض السناتو لهذا الإتجاه، بدأ دوميتيانوس يتجه نحو الإرهاب والمحاكمات الصورية والإعدام بالجملة بتهمة الخيانة العظمى، مما شكل رأيا عاماً مضاداً له، حتى أن المحيطين به لم يروا بداً من اغتياله، وفعلا تم اغتيال دوميتيانوس فى ٩٦م على يد زوجته واثنين من قادة الحرس البرايتورى، لينتهى به عصر الاسرة الفلافية ويبدأ عصر الأباطرة الصالحين وأولهم نيرڤا Nirva، وأشهرهم تراچانوس Trajanus وهادريانوس Hadrianus .

عصر الإباطرة الصالحين :

وهى الفترة التى تبدأ بموت دوميتيانوس عام ٩٦م وتولى نيرڤا العرش وتنتهى بموت ماركوس اوريليوس Narcus Aurilius عام ١٨٠م وهى فترة العصر الذهبى للإمبراطورية الرومانية[1].

---

(1) Joseph Voget, The Decline of Rome, p. 25 ff.

نيرڤا: ٩٦ - ٩٨ م:

وهو ماركوس كوكيوس نيرڤا، تولى العرش وعمره ٦٦ سنة، وبدأ فوراً فى محاولة إستعادة ثقة الشعب الرومانى عن طريق توزيع الأراضى الزراعية على المحتاجين، ورعاية الدولة للفقراء ومدهم بالمعونة وتعليمهم، كما أوقف عمليات الإنتقام من انصار الإمبراطور السابق دوميتيانوس حتى لا تسبب رد فعل دموى.

وبدأ نيرڤا مرحلة جديدة فى نظام تولى العرش، عن طريق التبنى من خارج الأسرة، فأختار خليفة له من أحد قادة الحرس البرايتورى الحازمين وهو تراجانوس حاكم المانيا، وقبل ان يعود تراجانوس من المانيا مات نيرڤا متأثراً بمرضه، فاعترف السناتو بتراجانوس إمبراطوراً.

تراچانوس: ٩٨ - ١١٧ م:

وهو أول إمبراطور يتولى العرش من أصول غير رومانية، فقد كان من سكان الولايات الإمبراطورية، وبالتحديد إسبانيا، إلا أنه كان هو الشخص المناسب للمرحلة، فقد كان رجلاً عسكرياً حازما صارما قادراً على تحمل المسئولية،وبالتالى منحه السناتو لقب «أفضل الآباطرة» Optimus Princeps. وقد توسع تراچانوس فى سياسة المعونة الغذائية والرعاية التعليمية لأبناء الفقراء، وحرص على تحسين شبكة الطرق الرومانية، واهتم بالزراعة وشجع توطين الجنود المسرحين فى إيطاليا لإستصلاح اراضيها، واهتم بتجميل روما، فأقام فوروم جديد زينه بعمود ضخم معروف بإسمه.

ومن أهم اعمال تراچانوس على الإطلاق هو عودته لسياسة روما التوسعية، فأضاف مملكة داكيا إلى الولايات الرومانية، ووسع من حدود ولاية نوميديا، كما توسع فى الشرق فضم مملكة الانباط فى شرق الأردن، وأكد على التواجد الإمبراطورى فى بلاد ما بين النهرين وارمينيا، وضم منطقة الخليج الفارسى، وقد شهد عصره ثورة اليهود الكبرى فى ١١٥م، والتى بدأت من قورينا فى برقة وامتدت إلى قبرص ومصر وفلسطين، إلا أنه قمعها بكل عنف، ورغم ذلك إستمرت الأحداث الدامية فى الإسكندرية، حتى

بعد موت تراچانوس فى الستين من عمره فى ١١٧م. وقبل موته قام تراچانوس بتبنى أحد اقرباءه ليخلفه، وهو هادريانوس.

هادريانوس: ١١٧ - ١٣٨ م:

وفور موت تراچانوس صدق السناتو على تعيين هادريانوس إمبراطورا، وقد كان هو ايضا من مواطنى الولايات الرومانية وإسبانيا بالتحديد. وقد بدأ هادريانوس فى المحافظة على الحدود التى وصلت إليها الإمبراطورية بديلا عن التوسع الذى قام به تراچانوس، واحيا سياسة «السلام الرومانى» Pax Pomana وأيده مجلس السناتو في هذا، كما إستمر فى محاولة كسب ود الفقراء الرومان، واثناء رحلته لزيارة آسيا الصغرى والشرق الأوسط ومصر، زار أورشليم وأمر ببناء معبد للإله چوبيتر فوق اطلال معبد سليمان الذى دمره تيتوس، مما أطلق ثورة يهودية جديدة فى ١٣٢ م، إلا أنه سحق هذه الثورة فى ١٣٥ ودمر اورشليم تماماً وهجرها سكانها من اليهود وتفرقوا فى شتى بقاع العالم.

كما إهتم هادريانوس بالجيش وبتنظيم الإدارة فى الولايات الرومانية وإنشاء المدن الجديدة مثل انتينوبوليس فى مصر، واعاد تنظيم الجهاز الحاكم فى الإمبراطورية، وقام بالعديد من الإصلاحات القانونية والتشريعية - وعندما مرض هادريانوس اختار اوريليوس انطونينوس خليفة له، وفى ١٣٨م مات هادريانوس وخلفه انطونينوس[١].

انطونينوس بيوس: ١٣٨ - ١٦١ م:

وتولى العرش تحت إسم انطونينوس بيوس Antoninus Pius أى «التقى أو الورع»، وقد سار على سياسة سلفه هادريانوس وحكم لمدة ٢٣ سنة مرت هادئة دون حروب أو ثورات، ولم يكن له اعداء بسبب وداعته وتقواه، وقد جنى انطونينوس بيوس ثمار مجهودات تراچانوس وهادريانوس دون أى تحركات عسكرية من جانبه، بل بدأ فى التراخى فيما يخص الجيش، فبدأت

---

(١) سيد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٢٣٥ وما بعدها.
CF. Anthony Birley, Hadrian, p. 35 ff.

روح التسيب تسود فى الجيوش الرومانية مما أثر بالسلب على سلطة الإمبراطورية.

وفى ١٦١م مات انطونينوس بيوس بعد أن أعلن ماركوس اوريلبوس Marcus Aurilius خليفة له(١).

ماركوس اوريليوس : ١٦١ - ١٨٠ م:

وقد كان كأسلافه من اسرة إسبانية من الولايات الرومانية، وفى البداية اشرك معه فى الحكم اخوه بالتبنى لوكيوس ڤيروس، وبالتالى أصبح يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية إمبراطوران من أصل إسبانى كل منهما يحمل لقب قيصر أوغسطس. وفور توليه الحكم واجهته ثورات ضد الحكم الرومانى، فحارب ضد البارثيين كما حارب فى الدانوب، وفى هذه الحرب مات شريكه فى الحكم لوكيوس ڤيروس بأزمة قلبية، فإنفرد ماركوس اوريليوس بالحكم، كما ثار بعض قواده فى الشرق واعلن احدهم نفسه إمبراطورا، إلا أن هذه الثورة انتهت بسرعة لصالح ماركوس اوريليوس.

وقد حرص ماركوس اوريليوس على الإستمرار فى سياسة من سبقوه من الإهتمام بفقراء روما وإحترام القانون ومجلس السناتو، وكان نزيها وعفيفاً لا يميل إلى البذخ، خاصة وأنه قد اعتنق الفلسفة الرواقية. وفى اواخر أيامه أعلن ماركوس اوريليوس ابنه كومودوس خليفة له على العرش، وبذلك خرج عن التقليد الذى سنه من سبقوه من الأباطرة(٢).

كومودوس : ١٨٠ - ١٩٢م :

وكان عكس ابيه تماماً غير قادر على تحمل مسئولياته متخبطاً فى قراراته السياسية ومغامراته العسكرية الفاشلة، وترك مهام الحكم ليتفرغ لنزواته، كما اصطدم بمجلس السناتو واعدم الكثيرين من اعضاءه، ولهذا فقد

---

(1) Michael Grant, The Antonines, p. 9 ff.

(2) J. Romaine, Marc-Aurele, ou L'Empereur de Bonne Volonté,p. 18.

كرهه الجميع، ولم يتعاطف معه إلا الحرس البرايتورى بسبب ما كان الإمبراطور يدفعه لهذا الحرس.

وبدأت الفوضى الداخلية تدب فى الإمبراطورية وتدهور الإقتصاد، وفرغت الخزانة الإمبراطورية، فعاد كومودوس إلى العادة القديمة، فظهر المخبرون السريون والوشاة، وعادت مصادرة أملاك اثرياء روما وساد الرعب ارجاء الإمبراطورية، حتى تم إغتياله فى ١٩٢م، وبموته تنتهى فترة إستقرار الإمبراطورية الرومانية والتى بدأت بتولى نيرڤا العرش، وبدأت فترة صراع القادة العسكريين على العرش[١].

فترة صراع قادة الجيوش علي العرش :

بيرتيناكس : ١٩٣م :

تولى بيرتيناكس Pertinax العرش بعد إغتيال كومودوس وكان أقدم أعضاء مجلس السناتو، ولذلك وافق السناتو فوراً على تعيينه امبراطوراً، إلا أن كبر سنه جعله العوبة فى ايدى من اتوا به إلى العرش، ولما حاول ان يضيق الخناق على قادة الحرس البرايتورى قاموا بإغتياله بعد أقل من ثلاثة أشهر من توليه العرش، ولم يكن برتيناكس قد عين خليفة له، لذا سقطت الإمبراطورية فى فوضى عامة، وبدأت الجيوش فى ترشيح قادتها اباطرة، فتم ترشيح جوليانوس وجايوس نيجر وكلاوديوس البينوس وسبتيموس سڤيروس Septimius Severus، وبالطبع كانت قوة الجيوش هى التى ستحسم الصراع على العرش، وقد كانت المؤشرات كلها تشير إلى أن نيجر هو الذى سيفوز بالعرش، إلا أن سبتميوس سڤيروس حسم الأمر بأن دخل روما بجيشه وأعلن نفسه إمبراطوراً. وعرف هذا العام بعام الأباطرة الأربعة[٢].

سبتميوس سڤيروس : ١٩٣ - ٢١١ م :

وفور توليه العرش بدأ فى مهادنة مجلس السناتو حتى استطاع أن يكسب تأييده، ثم بدأ فى التخلص من منافسيه. وكان سڤيروس من مواليد لبتس

---

(1) H. M. D. Parker, A History of the Roman World, p. 26 ff

(2) Kenneth Wellesley, The Year of the Four Emperors, p. 15 ff.

ماجنا بطرابلس ليبيا، ومن أصل فينيقى، وكان طموحاً متعطشاً للقوة والسلطان، لذلك عمل على كسب الجيش إلى جانبه بكل الوسائل، واخذت كافة إدارات الدولة واجهزتها الطابع العسكرى، ورغم هذا فقد ازداد التدهور الإقتصادى والسياسى فى عصره، حتى أن الولايات الشرقية لم تعد تعترف بالعملة الرومانية الإمبراطورية. وفى ٢١١ م مات سبتميوس سڤيروس بعد أن أعلن ابناه كاركلا وجيتا وريثين له على العرش.

كاركلا وجيتا : ٢١١ - ٢١٨ م:

وبعد موت الاب بدأ الصراع بين الأخوين وإنتهى بعد عام واحد بمصرع جيتا فى مؤامرة دبرها له كاركلا، واستطاع كاركلا أن يكسب الحرس البرايتورى إلى جانبه بسبب المكافآت التى غمرهم بها. إلا أن كاركلا لم يضف جديداً فى مجال السياسة والحرب، ما عدا الدستور الأنطونينى، أو قانون كاركلا بمنح كل الأحرار من ساكنى الإمبراطورية الجنسية الرومانية، فى ٢١٢م، والذى لازالت الدراسات حتى الأن تختلف فى شأنه، بل على العكس ازداد التدهور السياسى والإقتصادى والعسكرى.

وفى أواخر عام ٢١٧م تم اغتيال كاركلا على يد ماكرينوس Macrinus وهو موريتانى الأصل، وتولى الحكم لمدة سنة واحدة ثم اغتاله الجيش وولى بدلا منه الإمبراطور الجابالوس Algabalus[١].

الجابالوس : ٢١٨ - ٢٢٢ :

وكان كاهنا لإله الشمس الفينيقى الجابال فى حمص، وبالتالى سمى الجابالوس، إلا أنه لم يهتم بالحكم والسياسة، وإنما تفرغ لنشر عبادة إلهه، فثار عليه الجيش واغتاله، وتولى بدلا منه الكسندر سڤيروس Alexander Severus وحكم من ٢٢٢ إلى ٢٣٥م، إلا أنه كان ضعيفا وفشل فى مواجهة الفرس والألمان، واغتاله جنود جيشه لتقاعسه عن محاربة الألمان وولوا بدلا منه قائدهم ماكسيمينوس Maximenus.

---

(١) سيد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٣١٠ وما بعدها.

وبتولى ماكسيمنوس من تراقيا العرش فى ٢٣٥ تبدأ فترة من الفوضى والتفكك والحروب الأهلية والانهيار الإقتصادى فى الإمبراطورية الرومانية استمرت ٥٠عاما وحتى ٢٨٥م حين يظهر الإمبراطور دقلديانوس Diocle-tian ليتولى العرش ويعيد إلى الذهن عهد الأباطره الصالحين، فى محاولة منه لإنقاذ الإمبراطورية من الإنهيار، إلا أن الوقت كان متأخراً للغاية فقد بدأ الانهيار العظيم ولن يستطيع كائنا من يكون أن يوقفه[١].

---

(١) المرجع السابق، صفحات ٣٤٥ وما بعدها.

وعن الموضوع بشكل عام راجع :

Cf. Chris Scarre, Chronicle of the Roman Emperors, Passim.

المبحث الثالث

المتغيرات السياسية والعسكرية في العصر الإمبراطوري

ملامح السياسة الرومانية في عصر الامبراطورية :

تعلمت روما فى هذه الفترة الهامة والخطيرة فى تاريخها دروس عديدة خاصة فيما يسمى بحرب الصحراء فقد أصبحت الحاجة ملحة لمعلومات أكثر عن دروب الصحراء لتجنب خداع المرشدين العرب كما أنهم تعلموا من أشارات القادة العسكريين أن الهزائم العسكرية فى هذه المناطق كانت سببها بعض الأمراض مثل الدسنتاريا والملاريا والتيفود والكوليرا والطاعون كما كان هناك تأثير ضار وخطير خاص بدرجة الحرارة التى كانت شدتها تؤثر على الكتائب الرومانية الثقيلة والتى لم تمكن الجندى الرومانى من أداء مهمته، أو أن يحمل درعه أو قدميه على الأرض وصعوبة ذلك أثناء المواجهات العسكرية فى الاشتراك مع رماة السهام والأقواس العرب من البدو والمتمرسين فى هذه المناطق، كل ذلك كان فى مخيلة قادة الحملات العسكرية المستقبلية على الشرق.

لم تشعر روما فى أى فترة بأمان من الأمم العسكرية المواجهة لها على الحدود، لذلك فقد عملت روما على أضعاف مقدرة الأمم التى ترتبط معها بحدود ولقد أعتمدت النظرية على أن البحر فقط وكذلك الأمم الغير مسلحة هى التى يجب أن توجد على حدودها، ومن أجل ذلك سعت لأقامة ما يسمى بالممالك الصامته Silent Kingdoms أو ما يسمى بالمصطلح المهذب ممالك صديقة وتكون أفضل من الحدود المحصنة، ولقد اشتهرت روما فى استخدام ولايات حاجزة تحت أمرة ملوك تقوم بتنفيذ سياسة روما، وهذا الأمر نفذ فى عدة أشكال على سبيل المثال تعليم أولاد الملوك فى روما أو أعطاء المواطنة للعائلات الكبرى، وكذلك أعطاء مساعدات سياسية وعسكرية ومن أمثلة هذه الممالك الصامتة نجد مملكة كوماجين Commagene ومملكة بوسبوران Bos-poran المعروفة بمملكة هيرودوس فى يهودية.

وكانت أرمينيا هى أكثر مشاكل روما والتى كانت لها حدود مباشرة مع فارس ولقد استمرت عملية استقرار مواطنين رومان فى أرمنية عدة أجيال.

لقد كانت الامبراطورية محاطة بعدد من الانهار العظيمة مثل الراين والدانوب والفرات وكانت الحدود السورية لها أهمية أستراتيجية خاصة وكان من الصعب السيطرة على الاتى والذاهب الى الصحراء[1].

قام فسبسيان بمعاملة الممالك الصامتة مثل كوماجين وأرمنيا كولايات تابعة لروما أما تراجان فقد عرف أن السيطرة على الفرات لابد وأن تبدأ من بلاد ما بين النهرين وذلك ما حفز الامبراطور لاحتلال الشرق مع وجود أسباب أخرى مثل حماية التجارة وأتباع أثر الاسكندر الأكبر ورغبة منه فى المجد والشهرة، ولقد تطلب ذلك خلق مملكة حاجزة خلف الحدود الرومانية على حدود الفرات تعمل كدرع ضد الهجمات المعادية وان روما يجب أن تسيطر على الطرق المؤدية اليه، لذا فأن تراجان أعطى إشارة البدء بدفع جيوش روما نحو الفرات وقام بحملة جديدة ضد بارثيا، وفى عام ١٠٦ قام تراجان بضم بنطيا ثم قام بعدها بضم أرمنيا ١١٤ ومملكة أجريبا فى يهودية ومملكة Bosporan وممالك Caucnsus ورغم ضم بالميرا منذ فترة سابقة فيبدو أنها ضمت رسميا هذه الفترة، لقد أتبع تراجا نوس (٩٨/١١٧م) نفس سياسة والده بالنسبة للمكوس الحدودية والجمارك على دجلة والفرات وكذلك فى اقامة طريق عبر الصحراء[2] أن نجاح بالميرا فى القرن الثانى ونتيجة للمشاكل التى يسببها البدو، فأن روما قد أستفادت من زيادة قوتها العسكرية فى سوريا لذا فقد أقيمت الحاميات فى بالميرا وممالك أخرى وتعددت الكتائب ومنها الكتيبة السادسة عشر فلافيا فيرما XVI Flavia firma فى ساموستا، والكتيبة الثالثة جاليكا III Gallica فى رافنا بالقرب من أباميا، كما أضيفت الكتيبة العاشرة فريتنسيس Fretensis ونقلت الى القدس والكتيبة الرابعة

---

(1) Richard Stoneman. Palmyra & its Empire, Zenobia's Revolt Against Rome, Michigen 1992, p. 35.

(2) Stoneman, op, cit., p. 88.

سكيثيكا Scythica والتى تبعد ٢٠ ميل عن زوجما Zeugma وبهذه القاعدة سار تراجان الى طيسفون، أن النتيجة الحقيقية لحملة تراجان لم تفلح الا فى السيطرة على ١٠٠ ميل من داخل الساحل (الفرات) كما أن الأرض خلالها مع طبيعتها الصخرية لم تكن مفيدة بشكل كافى، كان تراجان يحاول اقامة حدود خاصة خلف النهر وهو الطريق الممكن الوحيد الذى يمكن أن يمثل عمقا إستراتيجياً مناسباً ومنطقة أمنية هامة.

كان الغرض الاقتصادى هو أتباع طريق نهر الخابور الى القمة الغربية لجبل سنسار ثم الاستمرار شرقا عبر الارض المتسعة فى اتجاه دجلة ثم شمالا مرة أخرى داخل أرمنيا، هذه السياسة كان يمكن أن تنجح لو استمرت أرمينيا كمملكة حاجزة لذا فأن حرب تراجان من المحتمل أنها لم تكن عملا واقعيا بالشكل السليم [١].

كانت المساحة شاسعة ولم يكن لروما المقدرة الكاملة للسيطرة عليها رغم الدفاعات الرومانية المذكورة لقد كانت الجنود الفارسية لديها القدرة على التحرك بسهولة عبر الفرات وبعدها استطاعت روما أن تسير اليها شرقا عبر الصحراء العدوانية، لذلك كان قرار السلم قرارا فى صالح الدبلوماسية الرومانية، لذلك قرر الامبراطور الجديد هادريانوس ١١٧ – ١٣٨م وقف النزيف الاقتصادى والبشرى الذى أصاب الامبراطورية من حروب تراجان التوسعية فأصدر قراراً بوقف التوسع شرقى دجلة والفرات وأصدر أوامره بالانسحاب من ولايتى أشور وبلاد النهرين اللتان ضمهما تراجان الى الامبراطورية كما أعاد أرمنية الى وضعها القديم وهو الاستقلال الذاتى بشرط أن تسير فى فلك الامبراطورية، كما عقد معاهدة سلام مع البارثيين كل هذا من أجل الدفاع عن حدود الامبراطورية وحمايتها، وفى سبيل أحياء سياسة السلام الرومانى[٢].

ولم تتعلم روما الدرس رغم فترة القوة والمجد التى شهدتها الامبراطورية

---

(1) Stoneman op. cit. p. 88.
(2) Stoneman op. cit. p. 89.

عصر هدريانوس وعصر ماركوس اوريليوس وكرر سبتميوس سيفيروس (١٩٣/٢١١م) نفس الدرس القديم لكى يمد الحدود داخل الأراضى البارثية فى حروب انهكت الامبراطورية دون فائدة وجاءت المحاولة الأخرى من جانب كاراكلا (٢١١/٢١٧م) الذى واصل فتوحات أبيه فى بارثيا ولكنه طلب يد ابنة الملك البارثى ارطبنوس الخامس وفى خطابه للملك أدعى أنه يرغب فى الزواج من أبنة الملك العظيم لتنظيم القوتين وتمثل قوة واحدة عظيمة تستطيع أن تحكم العالم تحت تاج واحد، من أجل الحصول على التوابل الفارسية وكذلك الملابس الرائعة وكذا المنتجات المعدنية الرومانية وبضائعهم الصناعية الثمينة، ولم يوافق ملك بارثيا على هذه الصفقة وتورط كاركلا فى حرب فرضت عليه ضد بارثيا[١].

الفوضي العسكرية في القرن الثالث:

مقدمة عن الاسرة السيفيرية:

منذ عهد الأسرة السيفيرية بدأت الدولة فى الاعتماد على الجنود فى الحكم مما هز أساس الامبراطورية حيث أصبح الإمبراطور يختار من قبل الجيوش مقابل رواتب وعطايا باهظة وأصبحت القوات العسكرية هى التى تسقط الامبراطور وتدفع آخر للعرش دون عقاب أو خوف من السناتو الذى لم يكن سوى هيئة صورية تقليدية.

وكان الشعب هو الضحية وهو الذى لم يعد فى مقدوره أن يفعل شئ وسط الاتوقراطية العسكرية الفوضوية، لقد أهملت الاسرة السيفيرية الاشراف على المقاطعات ورعايتها فكادت هذه المقاطعات أن تكون ولايات مستقلة جاء منها الخطر فى أحلك الأوقات.

وقد كانت للمأساة جذور قديمة عبارة عن مزيج من مشاكل اجتماعية واقتصادية وعسكرية بدأت تنمو شيئا فشيئا فقد فقد الجندى روح الجندية المخلصة نتيجة أنغماسه فى طلب العطايا وزيادة الرواتب، كما أن الاقتصاد

(1) Stoneman. op. cit. p. 90.

بدأ يتدنى نتيجة العجز عن العمل والانتاج والابداع، كما فقدت الارض مزارعيها وفقدت الإمبراطورية أهم مواردها لما اعتمد الجيش على عناصر من الفلاحين الايطاليين والولايات الأخرى[١].

ولم تظهر نتائج هذه الاخطار وقت الاباطرة العظام فقد بدءوا يعتمدون على القوة العسكرية وبدأ التسلط العسكرى بسيطرة قوات الحرس البريتورى الذى قام بقتل عدد من الاباطرة وكللكَ ظهر نفوذ القوات المرابطة على الحدود خاصة فى المانيا والدانوب والولايات الشرقية، ورغما عن أنهيار الحالة الاقتصادية الا أن الرواتب قد ضوعفت للجنود كما منحوا حق الزواج فى أثناء الخدمة العسكرية وكذلك زراعة الاراضى الواقعة على حدود الامبراطورية فزاحموا بذلك الفلاحين فى زراعة الأراضى وكذلك زاحموا المدنيين فى حياتهم[٢].

لقد تبين سبتيموس سيفيروس حجم وخطورة الاخطار التى ينطوى عليها المستقبل وأدرك الأهمية الحيوية البالغة التى ترتبط بتكوين جيش كبير يدين له بالولاء ولم يزد فى رواتب جنده فقط بل سمح للجندى فيما يرجح بعقد قران رومانى شرعى أثناء مدة خدمته وبأن يعيش خارج الثكنات، ومن ثم يصبح أبناؤه مواطنين رومانيين يتمتعون بكافة حقوق المواطنة الرومانية[٣].

فترة الأزمة:

كانت نواقيس الخطر قد دقت خلال السنوات الأولى من القرن الثالث وزيدت طرق وسبل الهبات والمنح التى تدفع للبرابرة الى حد أن كاراكلا أعلن أنها قد أصبحت تساوى نفقات الجيش بأكمله، وفى ٢٤٠ م وصلت الأمور السيئة لذروتها وتدفقت حشود البرابرة على الحدود كالسيل الجارف من كل جانب ففى الغرب تدفق البرابرة الى سويسرا وفرنسا بعد أن عبروا

---

(1) Rostovtze ff. A History of the Roman World. p. 310

(2) Edward Gibbon, Decline & Fall of the Roman Empire. p. 120.

(٣) تشارلز وورث، الامبراطورية الرومانية، ص ١٨٢.

الراين وقاموا بسلب ونهب الولايات وسفك الدماء وأخذ الفرنجة طريق البحر وأغاروا على الشاطئ الشرقى لاسبانيا، أما فى الجهة الشمالية الشرقية فقد وصل القوطيون الى البحر الاسود وأوقعوا الهزيمة بالجيوش الرومانية بل قتلوا الامبراطور ديكيوس ثم أغاروا على شاطئ بونتوس وازدادوا جرأة وجسارة وشقوا طريقهم فى بحر ايجة وسارعت ميليتوس وأفسوس وأثينا (وغيرها من المدن القديمة الشهيرة التى لم تشهد أى صدام مسلح منذ قرون) الى أعادة بناء أسوارها وأرتجال التحصينات ووسائل الدفاع، أما فى الشرق فقد واجهت روما الاسرة المالكة الساسانية الفتية التى أطاحت بحكم بارثيا وهددت الولايات الواقعة على الحدود الشرقية بالخطر ولم يوقع ملكهم سابور الأول الهزيمة بالجيوش الرومانية فحسب بل أنه أسر فى عام ٢٦٠ الامبراطور الرومانى فالريانوس[١].

الفوضي العسكرية:

قضى سبتيموس سيفيروس على منافسيه اللدودين نيجر والبينوس بقوة السلاح حيث دمر مدينتى بيزنطة ولوجدونوم Lugdunum وأنطيوخ (انطاكية) واكره السناتو على قبوله ووافق السناتو على مضض تحت ضغط قوة الجيش وأراد سفيروس أن يورث أبنائه الحكم رغما عن أنف المجلس والطبقة الأرستوقراطية، كما أنشأ فرقة بالقرب من روما وأكثر من فرقة فى أيطاليا يمكنه الاعتماد عليها وقت المحن وحشد القوات العسكرية الآلبانية ليقفوا فى وجه الحرس البرايتورى كما فتح باب الترقية للجنود وسمح للجنود بالزواج والهجرة الى أكواخهم الزوجية Canabae ومع ذلك لم يسعى سفيروس لأقامة نظام الطغيان العسكرى على النسق الشرقى حيث كان حكمه رومانيا فى جوهره ولكنه يعد أول من خرج عن تقاليد الحكم الأنطونينى، وأدرك أنه بنسبه الشرقى غريب عن الأصل الرومانى فحاول الالتصاق بالاباطرة الصالحين حيث أعلن أنه أبنا بالتبنى لماركوس اوريليوس كما بدأ فى تقليل أمتيازات ايطاليا والغى أحتكار تجنيد القوات البرايتورية من الرومان

---

(١) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ١٨٣.

والايطاليين وكذلك لعضوية السناتو، ورغم وعده بأنه لن يتخلص من أى خصم له دون محاكمته فى السناتو الا أنه بعد التخلص من البينوس تغير الحال وقضى على الكثير من أعضاء السناتو، ولقد أشرك فى الحكم أبنه كاراكلا وحصل لجيتا على لقب قيصر ولكن الاخوان كانا يكرهان بعضهما البعض وأوصاهما قبل موته ألا يعتمدا على أحد الا على الجنود ولذا زاد من رواتب جنوده وزادت المواجهات العسكرية بين الجنود والحرس البرايتورى وبين الجنود والسناتو(١).

ورغم محاولات كاراكلا للاستئثار بالحكم وحده رشح الجيش أخيه جيتا ليصبحا شريكين فى الحكم وحاول الأول التخلص من أخيه المفضل بالنسبة لهم وقام الاثنان بتقسيم الامبراطورية بينهما وتولى الأول الجزء الغربى فى أوربا وتولى الآخر حكم آسيا ومصر وقام بتقسيم الأماكن مثل الساحات والمعسكرات، حتى الآفراد أنقسموا لفريقين وأن تمتع جيتا بحب الجيش نظرا لحبه وأنسانيته وميله للثقافة عكس أخيه المتوحش الفظ كاراكلا ورغم محاولات الام جوليا دومنا فى التوفيق بين الأخوين اللذان لم يستقرا فى قصر واحد ولم يتناولا الطعام سويا خوفا من أن يدس أحدهما السم للآخر، وأصطحبا معهما حرسهما الخاص فى كل مكان. وكان كاراكلاا ضعيفا فاسقا عنيفا شرسا لا يختلف فى ذلك عن كاليجولا ونيرون وكومودوس(٢).

وفى عام ٢١٢ تخلص كاراكلاا من أخيه جيتا بعد غدره به وأسرع لمعسكر الجيش والتقى بالجنود وخطب فيهم بأنه واحد منهم وسيعتمد عليهم وحدهم وأنه أراد التخلص من أخيه ليقضى على محاولة أخيه بقتله كما وعدهم بزيادة رواتبهم وأنه سيوزع عليهم كل الكنوز التى جمعها والده.

واضطر الجنود إلى قبول الوضع على مضض انتظارا منهم أملاً فى الحصول على المكافأة وأصبح كاراكلاا الإمبراطور الأوحد، وذهب للسناتو

---

(١) رستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، ص ٥٢٠.
Carry M. & Scullard. H. H., A History of Rome, p. 492.
(2) Gibbon, op. cit., p. 127.

ليقضى على حالة الغضب لديهم وتحدث عن أخيه بكل تبجيل ووضعه بين مصاف الالهة، لكنه قام بعد ذلك بالتخلص من أتباع أخيه حيث أنهال أتباعه على رئيس الحرس البرايتورى بابينان Papinan وقطعوا رأسه بالفأس وعاقبهم كاراكلا على ذلك بأنه كان عليهم أن يقتلوه بالسيف، كما تخلص من فاديلا أبنة ماركوس أوريليوس لما تجرأت وقامت بتعزية الامبراطورة الام لوفاة جيتا وبكت عليه، وعمت البلاد الفوضى ونال كاراكلا سخط الطبقات المثقفة التى أعتبرته أسوأ طاغية فى التاريخ الرومانى الذى أعلن مراراً أنه سيبنى ملكه على الطبقات الدنيا وممثليهم من الجنود الذين زاد من رواتبهم وكان يردد «ليس لأحد أن يملك المال فهو لى وحدى لأوزعه على جنودى»[1] ولقد اضطر لمواجهة كاراكلا لمواجهة الزيادة فى العطايا والرواتب أن يزيد من ضريبة التتويج (هى ضريبة اضافية على الدخل تتحملها الطبقات الارستوقراطية) وزاد من الاتاوات والتبرعات وضاعف من ضريبتى الايلولة والعتق على الطبقة الثرية.

وأثناء مغامراته العسكرية فى الدانوب قام ببعض المناوشات مع البرابرة واشترك فى حروب مع قبائل الكاربى وحاول تقليد الاسكندر الأكبر فى كل شئ فى الملبس وتحضير الكتائب وزاربرجامه وطرواده والاسكندرية والتى عامل أهلها بقسوة بحجة استهزائهم به وقتل كثير من شباب المدينة وعاد الى انطاكية ليتحرش بملك البارثيين أرطبانوس وطلب يد أبنته ولما رفض سار على رأس قواته لمقاطعة ميديا ٢١٦ وبينما كان يستعد للهجوم والحرب فى أكثر من مكان كانت هناك مؤامرة تدبر له للاطاحة به وبحكمه كان يقودها قائد الحرس البرايتورى Adventus أدفنتس ثم ماكرينوس ومارتيان الذى يقال أن كاراكلا أودى بحياة أخيه، وعندما كان الامبراطور ذاهب لتقديم الاضحية بمعبد أديسا إلهة القمر قفز مارتيال وقام بطعن الامبراطور الذى خر صريعا وحاول مارتيال الفرار لكنه يرمى بواسطة سيف من الحرس[2].

---

(1) Henery Smith. Historians, History of the World, pp.390-392.

(٢) رستوفتزف، المرجع السابق، ٥٢٦ – ٥٣٠.

Parker, A History of the Roman World Empire, p. 94.

ماكرينوس (٢١٨/٢١٧ م) :

ظلت الامبراطورية بعد مقتل كاراكلا ١٤ يوماً دون أمبراطور حيث لم يترك كاراكلا وصية وكان الجيش فى حيرة من يكون الامبراطور فى حين قام أتباع ماكرينوس بالتأثير على قواد الجيش بالأموال والهدايا واضطر السناتو إلى قبول ماكرينوس نزولا على رغبة الجيش وأنعموا عليه بالالقاب والمجد، لقد كان الامبراطور الجديد فقيها قانونياً حيث كان المستشار الرسمى للإمبراطور سبتميوس سيفيروس ثم تسلم قيادة ڤيلافيلامينا ومؤسسات وضياع الامبراطور، ثم شارك أدفنتس فى قيادة الحرس البرايتورى ثم تولى فى ٢١٦ قيادة حملة الامبراطور كاراكلا فى الشرق ثم نال درجة القنصلية وأن لم يحصل على عضوية السناتو ولم يكن من الطبقة العليا ويعد أول من حكم من موريتانيا من بلدة قيصرية Caesarea ووعد بحكم صالح مثل ماركوس أوريليوس وكان محبا للسلام وأعتمد على قائده بلاوتنيوس فى تصريف أموره[١].

وبعد موت جوليا دومنا كان لاختها جوليا مايسا أبنتان هما جوليا سواملياس Soamias وجوليا ماميا Mamia وكانت للأولى أبن صغير لايتعدى السابعة عشر من عمره يدعى باسينوس Bassinus رفع لدرجة كاهن معبد اله الشمس فى حمص تحت أسم إيلاجابال وقامت جوليا مايما بأدعاء أن الصغير يعد أبنا غير شرعى لكاراكلا وقامت بتحفيز الجنود ضد الامبراطور الضعيف وأعجبت القبائل الرومانية الموجودة بالشاب الوسيم الكاهن وأنحازوا له رغبة منهم فى الهدايا والعطايا التى وزعتها جوليا مايسا وعن طريق أحد القادة ويدعى جانيوس Ganys وصلت العائلة الى المعسكر بمساعدة الجنود ونال باسينوس لقب ماركوس اوريليوس وأنحاز لجانبه الجنود وأرسل ماكرينوس قائده أولبيوس جوليانوس للقضاء على حركة التمرد إلا أن الجنود تقوم بذبحه ويصل ماكرينوس الى أباميا وأدعى لابنه الصغير الذى لم يتعدى عشر سنوات لقب أوغسطس وحفز الجنود بالأموال وكتب للسناتو ولحكام

---

(1) Henry, op. cit., p. 124 & Gibbon. op. cit., p. 138.

الولايات ولكنه لم يواجه الاعداء وفر الى أنطيوخ وتتبعه جنود باسينوس وأظهر القائد جانيوس مهارة فى القتال لكن جنود ماكرينوس دافعوا ببسالة وبات النصر حليفا لماكرينوس الذى هرب هروبا مخجلا وسط المعركة وحين لم يجد الجنود أمبراطورهم قاموا بتولية باسينوس ويتم القبض على ماكرينوس وابنه ويقتلا بعد حكم دام ١٤ شهراً[1] نال ايلاجبال لقب ماركوس أوريليوس انطونيوس وتولى الحكم تحت لقب ايلاجابالوس «اله الشمس السورى» ونالت جوليا دومنا لقب أوغسطا هى وابنتيها مايسا وسومياس ووصلوا الى روما خريف ٢١٩ مع حلفائهم من سوريا وقام قائد الحرس البرايتورى «كومازون» بقيادة الحكومة مع الامبراطورة التى قادت حملة دعائية ضخمة لرفع شأن الفتى الصغير الذى أنشغل عن الأمور السياسية والعسكرية بأهتماماته الدينية حتى أصبح أيلاجبال اله الشمس السورى مركزه فى روما فوق جوبيتر نفسه[2].

لقد كان ديوكاسيوس عضوا فى مجلس السناتو فى نفس الفترة وقرأ على السناتو خطاب ماكرينوس أحتجاجا على ادعاء ايلاجابالوس العرش، كما كان فى السناتو وقتما أرسل ايلاجابالوس خطابه للسناتو والذى وعدهم فيه بأنه سيعمل لصالحهم وسيقضى شبابه فى خدمتهم وأنه سيتبع مثال أوغسطس وماركوس أنطونيوس وأنه لن يعاقب حلفاء ماكرينوس ورغما عن ذلك شهدت فترة حكمه العديد من حالات العنف والانتقام ففى سوريا قضى على ناسطور وفابيوس أجريبوس حاكم ولاية سوريا كما قضى على قوات من روما وقبرص وتراقيا، وسرعان ما ضاق الجيش بالامبراطور الصغير الذى انشغل عنهم بالموائد العامة وحفلات المصارعة وعروض الحيوانات وعبادة اله الشمس بشكل شغله عن الأمور السياسية والعسكرية كما ضاقت الإمبراطورة الأم من ذلك وحولت اهتمامها لابنتها الأخرى جوليا ماسيا وأبنها الكسانوس Alexianus الذى لم يتعدى الثالثة عشر من عمره وأقنعا ايلاجبالوس بمنحه لقب أوغسطس الذى يناله بالفعل تحت أسم الكسندر

---

(1) Micheal Grant., Op. Cit, p. 123.
(2) Micheal Grant., Op. Cit., p. 126.

وعندما حاول ايلاجبالوس تقليص نفوذ الشاب الصغير كانت الامبراطورة الام قد أعطت أوامرها للحرس البرايتورى ليقول كلمته وبالفعل يذبح ايلاجبالوس سنة ٢٢٢م هو وأمه فى المعسكر وتتناثر أشلائهما فى التيبر ومعهما كثير من أعوانهما ويطرد اله الشمس لسوريا(١).

ونظراً لصغر سن الامبراطور الجديد وقلة خبرته فقد كانت القيادة الفعلية فى أيدى السيدتان جوليا مايسا وجوليا ماميا أمه التى سيطرت على الأمور بعد موت الجدة ويبدو أن عصر الكسندر يمثل عودة لمبادئ الملكية المستنيره ومحاولة التقليص من نفوذ الجنود وامتيازاتهم لكن يبدو أنهم لم يكونوا ليسمحو بعودة السلطات لمجلس السناتو وعارضوا بشدة تخفيض مرتباتهم، وكان القنصل أولبيان دومتيوس هو المصرف الفعلى للدولة وتم أختيار ١٦ عضواً من السناتو للاشتراك فى مجلس العرش وسيطر الإسكندر الأكبر على خيال الامبراطور الصغير وأنتشرت تماثيله فى كل مكان، وقد أمسكت الإمبراطورة الام بزمام الأمور بكثير من الحكمة والعدل وشيئ من حب القيادة والمال والاقتصاد وحاول الصغير أن يتحاشى الحروب الخارجية وبحث فى شكاوى ومظالم الشعب وكان محبا للثقافة والرياضة وبعيدا عن التكلف وعاش مع السناتو فترة حب ووئام(٢).

يضيق الجيش بتصرفات الإمبراطورة الأم التى أشترت سلاما من القبائل الاليمانية، ويستاء من ضعف إمبراطوره فإندلعت الثورة فى معسكر الجنود بقيادة جايوس فيروس ماكسيمنوس الضابط «التراقى» وقبض الجنود على الامبراطور وأمه وأعدموهما وأعلنوا أرتقاء ماكسيمنوس العرش فى عام ٢٣٥م وقد كانت هذه الثورة بداية لخمسين عام من الفوضى أشتعلت فيها الحروب الأهلية وساد التفكك والانهيار الاقتصادى وبدأت الامبراطورية الرومانية تنهار شيئا فشيئا ففى خلال هذه الفترة أرتقى العرش أكثر من ٢٦ قائد حصلوا على لقب أوغسطس بما فيهم المشتركين معهم فى الحكم ولقد

---

(1) Gibbon, op. cit, p. 144 & Grant. pp. 127-128.

(٢) رستوفتزف، نفس المرجع، ص ٥٣٠ Henry, op. cit., p. 399.

قتلوا جميعا إلا واحداً هو (ديكيوس) وخمسة منهم فقط نالوا أعتراف السناتو، كما شهدت هذه الفترة سيطرة الجنود الاليريين «يوغسلافيا» والبانونيين «المجر» وقاموا بفرض قادتهم على عرش الامبراطورية[١].

وفى نفس الوقت ظهر عدد من القوميات وهددت أمن وكيان الامبراطورية حيث ظهر تحالف جرمانى قوى من قبائل الساكسون والفرنك والاليمان وهددوا الولايات الأوربية بقوة كما هددت قبائل الصرمات والمكارومانى ولايات الدانوب، كما شهدت فارس ظهور أسرة جديدة هى الأسرة الساسانية الطموحة القوية التى بدأت منذ عهد الكسندر سيڤيروس فى تعطيل قوة وحيوية روما وأدعت أحقيتها بكل الولايات الشرقية الرومانية لقد أصبحت الامبراطورية مرتعا للجنود من الجيوش المختلفة وأنتشرت محاولات أغتصاب العرش بالقوة والذين أستخدموا كل الوسائل للوصول لغايتهم[٢] تعتبر فترة ماكسيمنوس بداية لعصر المؤامرات وحركات العصيان والانفصال والتى وصلت للذروة فى عصر جالينوس، ويعد ماكسيمنوس هو الامبراطور الأول من البرابرة الذين يصلون للعرش، ولقد ولد ماكسيمنوس بالقرب من الدانوب وترقى من مجرد جندى تراقى حتى وصل لدرجة القيادة ويبدو أنه تسلم قيادة الحامية المصرية فى ١٣٢م ثم أصبح حاكم ولاية ما بين النهرين ثم أصبح مسئولا عن جيش بانونيا[٣] لقد كان الامبراطور صارما مخيفا وكان ضخما وقاسيا وكان جنديا متمرسا نال كره السناتو لخوفهم من أسلوبه العنيف كما أنه لم يكن واحداً منهم وكان غير متعلم ينطلق اللاتينية بصعوبة كما أظهر مقدرة ضعيفة فى التعامل مع التقاليد الخاصة بالطبقات العليا، وأول ما قام به الامبراطور هو تخلصه من أقارب وحلفاء من سبقوه وأودى بحياة الكثير من المتآمرين ضده، وأثناء حروبه ضد الجرمان فى ٢٣٨ وكان فى سيرميوم جاءته الأنباء بتمرد يقوده جورديانوس حاكم أفريقيا حيث قام

---

(1) Gwynne, E. H., A Political History of the Roman Empire. p. 111.

(2) Rostovtzeff, A History of the World.

(3) Parker, op. cit., p. 141 & Henery, op. cit., p. 410.

بعض الضباط بقتل مبعوث الامبراطور والمسئول عن جمع الضرائب بالولاية وأعلن جورديانوس أمبراطورا لكن الاخير يرفض لكنه يعود ويقبل وينال لقب أوغسطس وأشرك أبنه جورديان الثانى معه فى الحكم وأعتبر ماكسيمنوس وابنه عدوان للامبراطورية والشعب وأعلن جورديانوس برنامجه ووعد بأخماد الثورة والقضاء على العنف ووافق السناتو على جورديانوس صاحب الـ ٨٠ سنة وصاحب المال وسليل الطبقات العليا ونال تأييد الشعب الذى كره الامبراطور القاسى الذى زاد من الضرائب، وسار جورديانوس لمقابلة ماكسيمنوس وأشتعلت الحرب الأهلية[1] وتم تشكيل مجموعة من عشرين من السناتو لمحالفة الامبراطور الجديد لمواجهة ماكسيمنوس ولكن كابلينوس حاكم نوميديا رفض الاعتراف بسلطة جورديانوس وحول جنوده ضده هو وأبنه وقتل جورديانوس الصغير وشنق جورديانوس الكبير نفسه حيث أستمر فى الحكم هو وأبنه ٢٢ يوماً، أما كابلينوس فقد نهب قرطاجة ومدن أخرى وعمت الفوضى، وأضطر السناتو لتعيين القنصلين الموجودين لمواجهة ماكسمينوس وهما بوبينسوس ماكسيوس وديكيموس بالبينوس امبراطورين مشتركين ونال جورديانوس الثالث لقب قيصر وسمى العام بعام الاباطرة الثلاثة تولى الأول قيادة الجيش ومعه جورديانوس الثالث لمواجهة ماكسمينوس أما الثانى فبقى فى العاصمة[2] أستعد ماكسمينوس فى ربيع ٢٣٨ وأجتاح ايطاليا بجنوده الذين جمعهم من غزواته فى جرمانيا وبهم عديد من المرتزقة وزحف لاكويليا والتى أوصدت أبوابها أمامه ولكنه يحاصرها بشدة لكنه يقتل هو وإبنه بواسطة جنوده وترسل رأسيهما الى روما وأنتشرت الاخبار السعيدة فى أرجاء الامبراطورية وسار بابنيوس لاكويليا وهدأ الجيش ووزع الأموال عليهم وهنأ السناتو نفسه[3] ولكن يبدو أن الحرس البرايتورى كان له كلمة أخرى حيث ضاقوا بنفوذ السناتو وتدخله فى الحكم فانتهزوا فرصة احتفالات الألعاب الكابوتولينية وأصطحبوا الامبراطورين

---

(1) Parker, op. cit., p. 144 & Sturat, op. cit., p. 280

(2) Grant, op. cit., p. 141.

(3) Henry Williams, op. cit., p. 411.

للمعسكر بكل رفق وقتلاهما وتركوا جثتهما فى الشارع وأصطحبوا جورديانوس الصغير للمعسكر وأعلنوه إمبراطوراً وتعد فترة حكم جورديانوس الثالث (الذى لم يتعدى الثالثة عشر من عمره) فترة متوترة زادت فيها الاخطار البربرية وخاصة القوط والقى الامبراطور الصغير المسئولية على صهره جايوس فوديوس ثيمستيوس قائد حرسه البرايتورى والذى أستطاع أن ينظم صفوف الجيش لكنه يلقى حتفه أثناء الحروب فى فارس ويترك الصغير وحده الذى يضطر أن يلجأ لمساعدة أحد القواد العرب وهو فيليب العربى والذى لم يرضى بمجرد المشاركة فى الحكم وحرض الجنود ضد الامبراطور الصغير وبالقرب من زايس Zaith بالقرب من الفرات قتل جورديانوس الثالثة[١].

فيليب الأول (٢٤٢/٢٤٩):

ويعد فيليب أول عربى يتولى حكم الامبراطورية وكان قائداً للحرس البرايتورى فترة حكم جورديانوس الثالث، ولقد أضطر أن يوقع صلحا مع شابور على أن يرفع الاخير يداه عن ما بين النهرين وأرمنيا مقابل تنازل روما عن أرمينيا الكبرى ودفع ٥٠٠٠,٠٠٠ دينار غرامة حرب وفدية للاسرى الرومان، ولقد حقق الامبراطور نصراً هزيلاً على قبائل الكاربى فى داكيا واحتفل فى ٢٤٧ بمرور ألف سنة على تأسيس روما فى حين كانت قبائل الكاربى والقوط يجتاحون حدود الامبراطورية[٢].

وقد أنتشرت فى عهد فيليب حركات التمرد والعصيان أخطرها التى قادها جوتابانوس وفى موسيا أدعى مارينوس العرش مما أضطر الامبراطور أرسال أحد قواده وهو جايوس ديكيوس لإعادة الأمن للدانوب وبالفعل يستطيع القائد ديكيوس ذلك ويلاحق القوط وتعجب به الجنود وتحفزه على العرش ولكنه يراسل الامبراطور مؤكدا له حسن نواياه واضطر الاخير ترك روما تاركا أبنه الذى حصل له على لقب أوغسطس كشريك له فى الحكم وسار لمواجهة

(1) Grant., op. cit., p. 149.
(2) Grant., op, cit., pp. 150 - 151.

ديكيوس وتقابلت الجيوش بالقرب من فيرونا فى معركة هزم فيها فيليب وذبح ونادت الجيوش بدكيوس إمبراطوراً[١]. لقد تلى موت فيليب عشرين سنة من تاريخ روما مليئة بالعار والخزى وسوء الحظ، ولقد أستفادت سوريا من نجاح فيليب ونادت بأكثر من مدعى للعرش وكان الأول هو جوتبيان Gotabian والذى يبدو أنه ينتسب لاسرة سامبسجيرام Sampisigeram من حمص (كاهن ملوك الشمس) وكان سقوطه سريعا حيث قتل أثناء حكم ديكيوس وكانت الحالة الثانية أكثر خطورة والمتمثلة فى شخص أدعى العرش يدعى اريانوس بحمص ولقد أدعى نسبه من أسرة الكاهن الأعظم بحمص وفى عام ٢٥٣ جمع ما أستطاع من قوات وأجتاح بارثيا من حمص وسك عملة ذهبية ٢٥٣/٢٥٤م مدعيا لنفسه العرش ويبدو أن أريانوس وجد فى مواجهته لبارثيا فرصة لادعاء العرش واراد أن تعود السيادة العربية من جديد وتكون سوريا هى الحكومة المركزية، أما التهديد الاخطر فكان فى شخص الخائن مارادياس Mareades سناتور أنطيوخ الذى يطلق عليه كتاب Historia Augusta كردياس Cyriades ولقد غدر مارادياس ببلدته أنطيوخ وأهداها للبارثيين فعند وصول شابور حتى نصيبين فى ٢٥٦ عدل عن رأيه وقاد جيشه الى انطيوخ، على العموم يبدو أن الثلاثة الذين أدعوا العرش لم يمثلوا خطورة واضحة على حكام روما والتى أصبحت قوة فارس (الاسرة الساسانية) هى التى تمثل الخطر الحقيقى على كيان روما والتى سيكون أوديناتوس هو المنقذ لها فيما بعد[٢].

ديكيوس (٢٤٩ - ٢٥١م):

ولد بسيرميوم Sirmium بالقرب من الدانوب ولقد تدرج بالمناصب حتى وصل لدرجة سناتور وفاز بالقنصلية ثم نال قيادة أدنى أسبانيا ولقد مالت اليه الجنود ورفعته للعرش ونال الالقاب والاحترام واعتراف السناتو ونال لقب تراجانوس ولقد مر عامه الأول على العرش فى هدوء وقام بشغل الجنود ببناء

---

(1) Carry, op. cit., p. 508.

(1) Stoneman, op. cit., pp. 102 - 103.

عدد من الطرق وأعاد النظام للحياة العسكرية وأطلق عليه «معيد النظام للجيوش» Reparata disciplire Militaris وعمل الامبراطور على اعادة تحصينات الدانوب، وأثناء حروبه ضد القوط قتل أبنه لكنه أخذ يحفز الجنود الذين هلك معظمهم حتى مات الامبراطور وسط ساحة القتال ولم يعثر على جثته بعد ما أعطى هو وأبنه مثلا عظيما للتضحية والمجد[١].

جالوس (٢٥٠ - ٢٥٣م):

هو حاكم موسيا Mosia الذى رشحه السناتو والجيوش وأشترك مع ديكيوس فى حروبه مع القوط ولقد تبنى الابن الثانى لدكيوس (هوستليانوس وقلده لقب أوغسطس لكن الصغير يموت بالطاعون) ويشرك جالوس أبنه فولسيانوس معه فى الحكم، ولقد عقد جالوس صلحا مخجلا مع القوط ولم يستطع وقف زحف الفرس وواجه أمليانوس حاكم موسيا القوط وحده وأحرز عليهم بعض الانتصارات وأسرع لروما وهناك دارت حرب أهلية بين جنود الامبراطور وجنود أميليانوس وبالقرب من «أنترمينا» أنحازت الجنود الى أمليانوس نظرا لقوة جنوده وطمعا فى الوعود التى وعدهم بها وقتلوا الإمبراطور وأبنه ورفعوا أمليانوس للعرش[٢].

أميليانوس:

مغربى المولد أختارته الجنود للعرش وكان حاكما لموسيا أرسل فالريانوس للغال حتى يضمن ولاء الجنود الغالية والجرمانية وبالفعل يستطيع فالريانوس تجميع الجنود التى نادت وقتها بفالريانوس أمبراطورا والذى سار بهم الى ايطاليا ووقتها خشت جنود ايمليانوس من كثرة أعداد الجيش التابعة لفالريانوس وقتلوا الامبراطور فى موقعة دموية بعد حوالى ثلاثة أشهر من الحكم[٣].

---

(1) Gibbon, op, cit., p. 250.
(2) Henery Wiliams, op. cit., p. 414.
(3) Grant., op. cit., p. 154.

فالريانوس:

تعد فترة فالريانوس من أحلك فترات التاريخ الرومانى حيث تعرضت الحدود الشمالية للهجوم البربرى والذى وصل كذلك ايطاليا والغال وأسبانيا، كما أغار الفرس على بلاد ما بين النهرين وسوريا وعادوا الى بلادهم وفى حوزتهم الامبراطور فالريانوس نفسه مكبلا بالاغلال، وعمت القرصنة فى البحار ونهبت سواحل بونتوس وآسيا الصغرى، وانتشر الطاعون فى مصر وأمتد الى الغرب وراح ضحيته الاف من السكان، ويبدو أن السبب الرئيسى وراء هذه المأساة العسكرية والسياسية والاقتصادية هى الظروف التى مرت بها البلاد أثناء حكم الاسرة السيفرية حيث انخرط البرابرة بالجيش الرومانى وتقلدوا مناصب رفيعة، وفقد الجيش نظامه وهيبته كما دفع البرابرة قادتهم الى العرش بقوة السلاح وكانت كارثة الاقتصاد نتيجة للتكلفة الباهظة التى تحملتها الحكومة لسد احتياجات الحملات العسكرية والحروب الاهلية والعطايا ورواتب الجنود التى شكلت عبئا ثقيلا على كاهل الميزانية واضطرت الحكومة بدلا من ايجاد مصادر أخرى للدخل أو الحد من الحملات العسكرية أن تثقل كاهل السكان بأنواع جديدة من الضرائب وزادت الحكومة من الخدمات الاجبارية، ولقد انتهز البرابرة الفرصة التى سنحت لهم وهددوا كل حدود الامبراطورية وفازوا بالاسلاب وتخريب المدن ونهبها وصارت الامبراطورية مرتعا للحروب الاهلية والحركات الانفصالية[١].

أما فالريانوس فقد أختاره ديكيوس لوظيفة الكنسور لاعادة النظام للعاصمة وتولى الحملة ضد القوط وتولى قيادة الجيوش فى الراين والتى بايعته للعرش بعد موت ديكيوس، وعند تقلده للعرش أشرك أبنه النشط جالينوس معه فى الحكم والذى تولى قيادة الجيوش على الحدود الغربية لملاقاة الجرمان بينما سار هو لملاقاة الفرس فى الشرق[٢] وعند أديا تأزم الموقف وأنتشر الطاعون بين الجنود وحاول فالريانوس الحصول على سلام مع فارس وهناك حدثت

---

(1) Parker, op. cit., p. 163.
(2) Gibbon. op. cit., p. 252.

خيانة للامبراطور فى ٢٦٠م حيث وقع فى الاسر لدى شابور الملك الفارسى (الساسانى) ليسجل أكبر وصمة عار فى تاريخ روما وليبقى فى ذلك الاسر حتى يموت[١].

جالينوس:

منذ ٢٦٠ م وحتى ٢٦٧م أصبح الامبراطور الوحيد بعد أسر والده بعد أن كان حاكم الامبراطورية المشترك من ٢٥٣/ ٢٦٠م ووقتها كانت القبائل البربرية تهدد حدود الامبراطورية واضطر جالينوس أن يعقد صلحا مع قبائل الماكرومانى مقابل أن يتنازل لهم عن جنوب الدانوب بولاية بانونيا العليا حتى يتفرغ لقبائل الاليمانى ثم الجرمان عند الراين ثم قبائل الكاربى وعند أنشغاله بحروبه عين السناتو أحد قادة الحرس البرايتورى وهو «بلبايوس» Plebaivs حتى يدافع عن العاصمة ضد هجمات البربر وبالفعل تحقق القوات بقيادة بلبايوس نجاحا على الاليمان، لكن الامبراطور عند عودته أصدر قرارا منع فيه أى عضو من أعضاء السناتو أن يقترب من معسكر الجنود وأن لا يتدخلوا فى شئون الجيش ويتفرغوا لشئونهم الخاصة[٢].

الطغاة الثلاثين:

هم مجموعة من القواد الذين قاموا بحركات انفصالية وهددوا عرش جالينوس وأطلق عليهم مؤلفوا Historia Augusta هذا الاسم ولا نعرف المغزى من هذا الرقم فالعدد الحقيقى لا يتعدى الـ ١٨ مدعى للعرش أهل كانوا يقصدوا المقارنة بينهم وبين الطغاة الثلاثين بأثينا ؟! ففى الشرق لم تخضع الجنود لسلطة جالينوس بل خضعت لقادة الحرس البرايتورى أمثال كريداس وماكرينوس وباليستا وأوديناتوس وزنوبيا، ولا نعرف لماذا أنضم أوديناتوس وزنوبيا للقائمة حيث أنهم فى هذه الفترة كانوا بمثابة صديقين

---

(1) Gibbon, op. cit., p. 260.

(2) Grant. op. cit., pp. 168 - 169.

لروما بل أنقذ أوديناتوس الامبراطورية من خطر الفرس ومن مدعى العرش، حتى وأن تمتع أوذينة وزنوبيا بالحكم الذاتى والاستقلال عن روما الا أن ذلك تم من خلال اعترافهم بسيادة روما وصداقتها، أما بالنسبة لماكرينوس فقد لقى حتفه على يد أحد قادة جالينوس.

وفى الغرب والغال تمرد كل من بوستوموس ولوليانوس وفيكتوريانوس وأمه فيكتوريا وماريوس وتوتيكوس.

وبالنسبة لبوستوموس فقد أدعى لنفسه العرش وقام بسك عملة باسمه ويبدو أن سلطته أمتدت لاسبانيا وبريطانيا وقد أحبته الجيوش لأنه تمتع بالعدل ودافع عن الحدود ضد الجرمان واستطاع أن يثبت نفسه رغما عن محاولات جالينوس لكنه يذبح فى ٢٦٧م أثر عصيان قام به الجنود حين رفض سلب مدينة موجانتاكيوم Mogontiacum وخلفه فيكتوريانوس الذى كان بوستوموس قد أشركه فى الحكم قبل موته وأستطاعت أمه فيكتوريا أن تثبته على العرش وكانت تلقب بأم الجيش لكن أبنها يذبح بعد فترة ثم يتولى العرش جندى عادى يدعى ماريوس ولكه يقتل بعد يومين فقط وبعدها يستأثر كلوديوس ترتيكوس بالعرش لنفسه وأستمر لمدة عشر سنوات، وفى اليريا والدانوب تمرد ريجاليانوس وانجينوس وفى بونطوس تمرد أوريليوس، وفى أيسوريا تمرد ساتورنوس وفى ثيسالى تمرد تريليانوس بيسو (قضى عليه فالنز وتمرد هو نفسه فى أخيا ويقتل بعد قليل) وفى أفريقيا أدعى أيمليانوس العرش لنفسه لكنه يهزم ويؤخذ أسيرا لجالينوس، والذى يدعو للدهشة أنه أمام كل هذه الحركات الانفصالية التى أنتابت الامبراطورية قابل جالينوس الموقف بشئ من السخرية فحين تمردت مصر قال جالينوس «حسنا ماذا عسانا نصنع دون صوف مصر» ولما تمرد بوستوموس فى الغال قال «هل تستطيع الدولة العيش دون ملابس أراس Sattas» لقد سار جالينوس بنفسه لمواجهة يوستوموس وانجينوس فى بانونيا وقضى عليهما وأستعمل القسوة معهم ليرهب الاخرين، هذا وبعد أن قضى على تمرد أوريليوس فى ايطاليا بالقرب من ميلانو، سقط قتيلا نتيجة لانقلاب قادة ضباط اليريا والذين

أعلنوا غضبهم من الإمبراطور نتيجة لاهماله حماية موطنهم الأصلى بالدانوب[1].

القادة الإليريين واحياء الأمل :

وكان من حسن الطالع أن كان هناك أباطرة لم يقطعوا الامل فى أنقاذ الامبراطورية وجنود مدربون متمرسون فخورون بالفضائل الرومانية وبذلك تمكنوا بجهود بطولية تحت امرة قواد أفذاذ مثل أوريليانوس وكلوديوس الثانى وبروبوس ودقلديانوس والذين استطاعوا أن يوقفوا فى النهاية تيار الغزو وأن تستعيد الامبراطورية المتداعية وحدتها وكان الجنود والقواد يفرون من اليريا بأرض البلقان وكان هؤلاء الجنود الريفيون يشعرون بأن بسالتهم وشجاعتهم تماثل الجنس الرومانى وأنهم جديرون بالذود عن مدينة صمدت عشرة قرون[2].

تطلبت الأحوال الجديدة تعديل نظام الجيش الرومانى تعديلا كليا وتغيير خططه وأسلحته وكان جالينوس أول من أدخل تعديلات أساسية على الجيش فقد أنشأ جالينوس سلاحا للفرسان من منطقة دلماشياً يخضع لقيادته مباشرة مقره ميلانو كما أخذ عن الفرس نظام الفرسان الذين يحملون الاسلحة الثقيلة والذين ظهر خطرهم واضحا أمام أعين القواد الرومان وقت صراع روما مع بلاد فارس وكذا كون جالينوس جماعات جديدة من الحرس الخاص أنتقاهم من بين كبار الضباط للقيام بالخدمة فى مقر قيادة الامبراطور، كما أصبح من الضرورى اقامة الاسوار الجديدة من أجل اقامة التحصينات ووسائل الدفاع اللازمة من أجل حماية المدينة من الغارات البربرية ولعل أشهر الامثلة لهذه الاسوار هذا الذى بلغ طوله ١٢ ميلاً حول مدينة روما والذى بنته أيدى مدنية لا أيدى عسكرية كما أستطاع المهندسون الرومانيون تطوير أنواع مختلفة من آلات اطلاق القذائف المعتمدة على قوة الحبال، ولقد تألف

---

(1) Henery Williams. op. cit., p. 419.

(1) Carry. op. cit., p. 510. &

تشارلز وورث الامبراطورية الرومانية، ص ١٨٧.

سلاح المدفعية من المجانيق التى باستطاعتها أن تقذف أحجاراً يبلغ وزنها ١٠٠ رطل فضلاً عن مداها الذى يصل إلى ٨٠٠ قدم، كذلك أصبح من الضرورى اعادة أسوار القلاع المتاخمة للحدود كى تسمح باقامة قواعد تستطيع أن تحمل ثقل هذه الالات وقوة ارتدادها، ولقد أستطاع الاباطرة المقاتلون العظام أمثال كلوديوس الثانى ٢٦٨/ ٢٧٠م وأوريليانوس ٢٧٠/٢٧٥م بهذه التشكيلات وبالاضافة للروح العالية وعدم اليأس أن يردوا الغزاة على أعقابهم وأن يستردوا الاراضى التى أجتاحها العدو وأن يسترجعوا كيان الامبراطورية من جديد[1] وبصعود أوريليانوس للعرش واتخاذه للقب أوغسطس بدأت الامبراطورية تتجه نحو استعادة هيبتها جزئيا، فأن القوط قد بدءوا بالفعل يستقرون بالبلقان وآسيا الصغرى نتيجة لما قام به أذينة وجالينوس وكلوديوس، لذا فقد تفرغ اوريليانوس بحملاته ضد الجوسجانى والماكرومانى داخل ايطاليا والوندال داخل بانونيا، كما أخذ قراره بأخلاء داكيا واقامة عاصمته فى سيرميوم ونقل الجيش الرومانى والسكان عبر الدانوب لموسيا، وفيما بعد أتجه للشرق لحل مشكلة بالميرا بعدما أنفصلت زنوبيا زوجة أذينة عن الامبراطورية الرومانية وضمت أجزاء عديدة من ممتلكات روما وأعلنت العصيان فترة انشغال روما فى الغرب ووسعت ممتلكاتها من مصر فى الجنوب عبر فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى عند بيثنيا واستطاع أوريليانوس أن ينتصر عليها فى ثلاثة مواقع هى انطاكية وحمص وتدمر ويرجع بزنوبيا أسيرة لدى روما، وبعدها يسترجع بلاد الغال ٢٧٣ أو ٢٧٤ من يد ترتيكوس دون مجهود يذكر[٢].

الحروب مع فارس :

لقد اصطدم الرومان فى عصر الجمهورية بالبارثيين كما اصطدموا مع قوى شرقية أخرى فقد أصطدم معهم أولا بومبى كما حاول كراسوس أحتلال بارثيا دون فائدة مما كلفه حياته فى كرهاى Carchae، كما فشل مارك

---

(1) Gwynne, E. H. op. cit., p. 114.

(٢) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ١٩٣ – ١٩٤.

انطونيوس فى محاولته ويوليوس قيصر نفسه قضى شهوره الاخيرة فى أعداد لحملة بارثية لم تكتمل، وبقيت المشكلة فى أنتظار أوكتافيانوس والذى أختار السلام فقد فقدت روما رجالها الاقوياء ونبلائها لقد أدرك أوغسطس بفطنة نادرة صعوبة أجتياح الحدود البارثية الممتدة، لقد كانت بارثيا عسكرية وليست جمهورية عبارة عن عصبة واحدة من المقاطعات وليست مدنا صغيرة مسلحة بفرسان تسليحا ثقيلا وبجنود ماهرين شرسين، لذا فقد لجأ أوغسطس للدبلوماسية العسكرية لقد كانت بارثيا لا يمكن أن تحلم باستعمار حتى الاجزاء الشرقية من الامبراطورية كما أن روما قد هجرت حلم أحتلال بارثيا لذا فلم يكن هناك مانع حقيقى لأن يعيش الطرفان فى سلام، فأن الامبراطوريتان تستطيعان المتاجرة سويا بالمنطقة من أجل المنفعة الثنائية وحتى لو كان الرومان يحسدون بارثيا لسيطرتها على الطرق التجارية الشرقية لكنها لا يمكن أن تفعل شئ اذاء ذلك[1].

حروب الاسرة السيفيرية مع بارثيا :

بعد هزيمة نيجر أندفع سبتيموس سيفيروس الى الفرات لاعادة الولاية الرومانية Osroene مع عاصمتها نصيبين وعقد صلحا مع البارثيين ١٩٥م وحاصر بيزنطة التى كانت تحميها تحصيناتها القوية وموقعها الحصين[2] بعدها وفى ١٩٨م يعاود سفيروس اجتياح بلاد ما بين النهرين ووصل الى أديسا ثم نصيبين وحول اتجاهه الى الجزء الجنوبى الشرقى وسار للوراء حتى الفرات عن طريق مدينة الرصافة Rhesaeva الى نيكوفورم Nicephorium ومنها وبطريق الاسطول سارت الجنود جنوبا عبر ضفاف الفرات حتى القنال الملكية وهنا قسمت القوات حيث سارت إحدى الكتائب جنوبا فى بابلونيا والتى أخذت دون مقاومة تذكر حتى وصلت القوات الاخرى للقتال وكان الهجوم النهائى عند طيسفون والتى سقطت بعد مقاومة بسيطة ربما فى مارس ١٩٨م ووقعت المدينة فى قبضة الجنود ووقع ما لا يقل عن ١٠,٠٠٠

(1) Harold Mattingly, Roman Imperial Civilization, p. 103.
(2) Cary M. & Sallard H. H., A History of Rome, p. 493.

أسير وبعدها يبدو أن سيفيروس لم يقم بأية محاولة لتتبع الملك البارثى فولجسيس الرابع حيث توجه للشمال لاعادة نصيبين ونال نظير أنتصاراته لقب بارثاكوس ماكسيموس Parthicus Maximus وأثناء عودته قرر الهجوم على مدينة هاترا بالصحراء لأن أميرها بارسينوس Barsenius رفض الاعتراف بسلطة سبتيموس ورغبة من سيفيروس فى الاستيلاء على المدينة الغنية الواقعة بين طرق التجارة الهامة، وربما كانت الهجمة الأولى فى صيف ١٩٨ غير ناجحة وأرتد الامبراطور من طريق سينجارا Singara الى نصيبين ولكنه أضطر لهجرة المدينة فى صيف ١٩٩ نتيجة لقيام حركة عصيان بين الجنود وأثنائها أعطى الامبرطور حق المواطنة لمدينة بالميرا الصحراوية والتى نالت فى القرن الثالث مكانة مهمة وأصبحت بعد وقت قليل تنافس روما ذاتها[١].

وكانت هناك فترة من السلام كان يمكن أن تطول لولا ظهور مشكلة مملكة أرمينيا التى كانت تلاصق بارثيا من الشمال وتلاصق ولايات الامبراطورية الرومانية من الغرب وبسبب أرمينيا قامت معظم الحروب بين فارس وروما ولقد بذلت كل المحاولات لايجاد الحلول المناسبة، فالحل الأول أقترح ضم أرمينيا الى بارثيا وهذا الاقتراح لم يوافق روما لأنه يهدد قوتها فى المنطقة ويخل بنظام القوى فيها، وكان الحل الثانى أن يسيطر ملك من أرمنية تعينه روما على أرمنيا ولكن هذا الحل أيضا لم يكن ليرضى شعوب هذه المنطقة كما أن الملك البارثى كان ينظر الى أرمنيا على أنها حلقة من التاج البارثى وكان الحل الثالث تعيين أمير بارثى من قبل الملك وتعترف به روما وتقبله كان هذا الحل أنسب الحلول الممكنة لكنه لم يدم طويلا وأندلعت الحروب مرة ثانية. فقد سعى تراجان منذ البداية لاحتلال بارثيا وأرغمها على الاعتراف بالسيادة الرومانية أما ماركوس أوريليوس فقد أنتصر على أرسكيدس Arsacids فى حملة هامة وخطيرة، وأحرز سبتيموس سيفيروس إنتصارات عديدة ولكن بارثيا أستطاعت أن تغرقه فى الحروب الأهلية، أما

---

(1) Parker. A History of the Roman World, A D. 138-337 p. 70.

كاراكلا فقد عرض الزواج من أبنة الملك الفارسى أرطبان دون جدوى واضطر لمواصلة حرب خاسرة فى بارثيا ولقى حتفه كما والده فى حروبهما المجنونة، أما ماكرينوس فقد اشترى السلام مع فارس لعجزه عن مقاومتها(١) .

التطورات السياسية في فارس :

فى عهد سيفيروس الكسندر (٢٢٢/٢٣٤م) كانت الاسرة البارثية قد تغيرت وحكمت الاسرة الساسانية وتغير مفهوم الحرب لدى فارس لمفهوم دينى وأدعت الاسرة أحقية فارس فى الحدود الشرقية التى تستولى عليها روما كانت الاسرة الجديدة قوية وعنيفة وكانت فى وضع أقوى من روما وأصبحت فارس فى موقف الهجوم بعدما كانت فى موقف المدافع وكان على روما أن تواجه الموقف الجديد الخطير بحسم(٢) .

أن أسم ساسان أشتق من أسم والد أردشير والذى كان يدعى ساسان نسبة لما ذكره الطبرى ولقد تزوج ساسان بأبنة باباك (والذى يظهر فى الأعمال الفنية والعملات على أنه والد أردشير) وأقام ساسان عاصمة جديدة فى الجنوب الغربى دعيت أردشير العظمى وقام أردشير بعدة غزوات بالمنطقة رد عليها الرومان بأجتياح ما بين النهرين فى ٢٣١ - ٢٣٢م فقد قام الكسندر سيفيروس بارسال جيش لمواجهة فارس ولكن حملته باءت بالفشل وعاد مهزوما، وفى عام ٢٣٧ تابع أردشير سياسته الاستعمارية عبر دجلة وأستولى على نصيبين وكارهاى واستولى بعد ٣ سنوات على عاصمة البارثيين هاترا وأمتدت غزاواته لمملكة الكوش Kushars ووصل حتى كرمان Kerman وسيستيان Seistan لكنه فشل فى احتلال هاترا والمدن التى على الحدود الرومانية مثل بالميرا ودورا أوروبوس(٣) .

لقد كان الجيش الفارسى جيشاً مدرباً تدريباً عظيماً فقد تكون من جنود

---

(1) Matingly. op. cit., p. 105.
(2) Ibid., p. 105.
(3) Stoneman, op. cit., p. 90.

فلاحين والذين دعموا ما يسمى بسلام المشاة والطبقة العليا الارستوقراطية الذين أنضموا لسلاح الفرسان وكانوا عند نهاية كل حرب يعود كل شخص الى منزله من جديد بعد مشاركته فى السلب والنهب، لقد كان للفارسيين جنود مسلحة تسليحاً ثقيلاً ومحاربين متمرسين على حرب الجبال يلبسون الخوذة التى تغطى الرأس والجسم يغطى معظمه بحلة من الجلد والمعدن وكانت أقدامهم مغطاة بحذاء لا يترك جزء عار من القدم، كما كانت الخيول ترتدى رداء ثقيل عبارة عن حلة من المعدن الثقيل فى المقدمة وغطاء جلدى مغطى بسلسلة من المعدن حول بقية الجسم لا تعوقه عن الحركة، فى حين كان الملك يسير للحرب جالسا فى عربة ذهبية مرصعة بالاحجار الكريمة(١).

وفى ٢٤١م واصل شابور مسيرة والده أردشير الاحتلالية ووصل غربا حتى قونيا Konya اكونيوم القديمة فى وسط تركيا حتى شمال خوارزم وللشرق حتى كاندهار Kandahar وكأشجار Kashgar وطشقند Tashkent وربما وصل الى Quetta (الكويت) ومن كوكاسيوس Caucasus الى عمان Oman أنحنت الشعوب للملك الساسانى.

يقول شابور حول انجازاته فى نقش وجد بصخرة عند رسطان Rustan بالقرب من برسيبوليس بوسط بارثيا أنه فى البداية سار الامبراطور جورديان الثالث فى اتجاه بابلونيا على ايــران وعلينا وعلى الحدود البابلونية وعند Misikhe دارت موقعة كبرى قتل فيها القيصر جورديان نفسه ودمرت القوة الرومانية، وبعدها أتى إلينا الامبراطور الجديد فيليب ليفتدى نفسه بـ ٥٠٠,٠٠٠ دينار، بعدها وفى ٢٥٣م أجتحنا الحدود الرومانية وقهرنا القوة الرومانية عند بريااليوس Barballssos والتى بلغ عددها ٦٠,٠٠٠ جندى وأجتحنا المدن السورية وأحرقنا وسلبنا القرى وفى حملة واحدة احتللنا وحاصرنا حوالى ٣٧ مدينة منها أنسا Anath وصور وباربليسوس وهيرابوليس وحلب وقنسرين وأباميا ورافنا وزحما ويرما Urm وجيينداروس Gindaros

(1) Stoneman, op. cit., p. 91.

وأرمينزا Armenza وسيلوقيا وانطيوخ ٢٥٦م وكارهاى ٢٥٤م وسلوقيا الكسندرتا Alexandartta ونيكوبوليس وسيزار Sinzarc وحمد ورستان وديورا ٢٥٥م. وسيركيوم وفى كبادوكيا مدن ساتلا Satala ودومنا Domana وارتانجل Artangil وسندا Sinda وفارتيا Phreata وسوسا Suisa [1].

وفى الحملة الثالثة ٢٥٩م هاجمت القوات الفارسية كارهاى واديسا وحاصرتهما واضطر فالريان الخروج اليهم بنفسه وجمع قوة من ٧٠ ألف جندى من راتيا نوريكم Noricum وداكيا بانونيا وموسيا واستيريا واسبانيا وأفريقية وتراقيا وبثنيا وآسيا وبامفليا Pamphylia ولوكونيا وجالاتيا وليكيا وصقلية وقابودقيا وفرجيا وسوريا وفينقيا ويهودية وبلاد العرب وموريتانيا جرمانيا رودوس وبلاد ما بين النهرين[2] قام فالريان ببعض المناوشات الناجحة لكن جيشه واجه صعوبات بالغة منها تفشى وباء الطاعون بين الجنود، وحاول الحصول على سلام مع الساسان وارسل اليهم بالرسل لعقد الصلح فى ابريل أو مايو ٢٦٠م وعادت الرسل طالبة لقاء الامبراطور نفسه ووقتها غدر الفرس بفالريان وأخذوه أسيراً مع بعض من قادة جيشه ليقضى فالريان بقية حياته فى ذل الاسر حتى يموت ليسجل أكبر وصمة عار فى جيش الامبراطورية فى كل تاريخها[3] وبعد ذلك يواصل شابور فتوحاته فى الشرق فأجتاح طارسوس وبلاد ما بين النهرين وقيصاروس Caesarus فى كبادوكيا لكن ماكرنيوس حاكم أفريقيا يحقق على القوات الفارسية بعض النجاح بمساعدة كاليستوس ويواجه شابور عند كوريكوس Corycus بالقرب من سواحل كيليكيا واضطره للعودة للفرات، وبعدها لجأ جالينوس (الحاكم الأوحد للامبراطورية بعد أسر والده فالريان) بمساعدة أحد قواده فى الشرق وهو أذينة زعيم مدينة تدمر الذى جمع رجاله من البدو وخلال خمس سنوات استطاع أذينة القيام بهجمات ناجحة على القوات الساسانية عند ما

---

(1) Stoneman, op. cit., p. 93. & Gibbon, The Decline & Fall of the Roman Empire, p. 260.

(2) Stoneman, op. cit., p. 94.

(3) Gibbon, op. cit., p. 264.

بين النهرين وكاد أن يسحق العاصمة طيسفون ذاتها وأن يرغم شابور على اعتزال الحياة العسكرية، وينعم الامبراطور جالينوس على أذينة بلقب قائد القوات الشرقية وملك الشرق ومصلح الشرق Orientis Corrector totius وأصدر مرسوما بتعيينه القائد الأعلى لجميع القوات التابعة لروما فى الشرق(١).

خطر البرابرة :

ليس من الضرورى أن يكون البربرى شخصاً متخلفاً أو همجياً فيمكن أن يكون لديه قدر من الثقافة يتفهمها ويمكن أن يكون لديه ثقافته الخاصة به ولكنه يعرف القليل عن حياة المدينة ونظمها الاقتصادية والتى تكون لديه أقل تنظيما وتحديدا، كما أنه ليس بالضرورى أن يكون من البدو الفقراء ومن الممكن أن يسيطر على الحكومة ملوك أو أمراء مختلفون فى المولد والقدرة والغنى. كانت الحدود محل نزاع القبائل طمعا فى المزايا المحلية، كما أن المعادن القيمة لم تكن معروفة وكانت التجارة الخارجية تعنى لهم بعض المبادلات مع الامبراطورية الرومانية وبضائعها الكمالية مع بعض المنتجات الدارجة، من الممكن أن نسمى القبائل البربرية القريبة من الحدود المدنية بالبربر المتحضرون أما خلفهم فقد كان يعيش البرابرة المتخلفون البعيدون عن الحضارة كما أن العلاقات مع البرابرة لم تكن كلها علاقات عدائية، فقد كانت هنالك علاقات تجارية منظمة فى كثير من الأوقات بين الامبراطورية والبرابرة ونال البرابرة أحيانا أمتيازات تجارية خاصة فيذكر تاكيتوس أن قبائل الهيرميندورى Hermunduri نالت أمتيازات خاصة فقد كانت لهم حرية الدخول والخروج فى أجزاء الامبراطورية كما أن روما لم تقيم لها حامية عسكرية بين الطرفين على الحدود، وفى زمن السلم والهدوء كانت تنظم أمور التجارة من دفع الضرائب والتعريفة الجمركية واستيراد البضائع الهامة من الامبراطورية، كما كانت روما تعقد أتفاقيات بين الطرفين مثلما كان الحال مع قبائل الماكرومانى وغيرهم وكانت مثل هذه الاتفاقيات تنص

---

(1) Grant., op. cit., pp. 171 - 172.

على أن يتوقف البربر عن القيام ببعض الممارسات العسكرية على الحدود من أجل السلام وأحيانا كانت روما تدفع الأموال مقابل السلام كما كان الحال مع دوميتيان وديكابالوس Decebalus [1] ولكن ماذا عن البربر داخل الامبراطورية؟ فأولا يجب أن نعرف أن البربر قد يأتون عن طريق سوق العبيد أو أن يؤسروا فى موقعة من المواقع الحربية ويقادوا الى الاسواق ليباعوا، كانت طبيعة البربر القوية تروق للكثير من سادة الامبراطورية للقيام بالأعمال الشاقة كرجال أقوياء وكانوا كثيرا ما يلتحقون بالجيش الرومانى لقوتهم وشجاعتهم حيث أنضموا أولا الى الفرق المساعدة Auxilia ثم أنضموا بعد ذلك الى الكتائب Legiones.

أن عملية بربرة الجيش (صبغة الجيش بالصبغة البربرية واشتراكهم فى الجيش) قد بدأت بالفعل فى القرن الثالث حيث أشرك ماكسيمنوس (٢٣٥ – ٢٣٨) النصف بربرى كثير منهم فى وحدات الجيش المختلفة، كما أنهم دخلوا بكميات ضخمة كمستعمرين للولايات الرومانية على الحدود وشاركوا فى الدفاع عن وطنهم الجديد وكسب بهم الرومان أصدقاء جدد بعد أن كانوا أعداء، فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أسكن ماركوس اوريليوس (١٦١ – ١٨٠م) أعداداً كثيرة من البرابرة على الحدود الرومانية فى الدانوب[٢].

أهم القبائل البربرية:

اذا ما وصلنا الى الجزيرة البريطانية نجد أن أحتلال بريطانيا والذى بدأ فى عهد يوليوس قيصر قد تأخر حتى عهد كلوديوس (٢٦٨/ ٢٧٠م) والذى قام بذلك بكل همة كما أن تمرد بوديكا Boudica كان مؤقتا فلقد رضخت القبائل البربرية بالجزيرة للاستسلام فى حين كانت القبائل الجنوبية والشرقية الخاضعة لامراء البلجيك Belgic من الغال قد عرفوا بالفعل بعض الشئ عن الحضارة الرومانية، وفى الشمال كانت هناك بعض المشاكل مع قبائل الولش

---

(1) Harold. Matingly, Roman, Imperial Civilization, pp. 110-111.

(2) Matingly, op. cit., p. 113.

Welsh وسيلرز Silures والاوردوفكس Ordovices والبريجانت Bigautes فى الشمال كما أن احتلال روما لسكوتلاند لم يكتمل بعد، كما ظلت الاراضى العالية دون مساس حتى الأراضى الدانية لم تكن كلها رومانية، فأيرلندا قد سكنت بواسطة أناس من أسبانيا.

أما بلاد الغال فربما قد حصلت على درجة كبيرة من الحضارة بعد احتلال قيصر لها وأصبحت من أكثر الولايات غنى وثراء ونجاح وبالقرب من بلادهم نجد القبائل الجرمانية الذين أتوا من الراين التى كانت عبارة عن غابات ومستنقعات، أن جرمانيا لم تستعمر أبدا بواسطة الرومان وظلوا دائما أعداء شرسين للامبراطورية وظلت مملكة مارادوديوس Maradoduus فى بوهيميا مصدر قلق لأوغسطس وأنهارت المملكة فى عهد تبريوس ولجأ مارادوريوس الى رافنا تحت حماية الرومان وظلت المشاكل من حين لآخر فى الظهور مع بعض القبائل مثل قبائل الخيتى Chatti وسط الراين أثناء حكم دوميتيان، وأثناء حكم ماركوس اوريليوس قام الجرمان الشرقيين وقبائل الماكرومانى Macromani والكويدى Auadi باجتياح شمال شرق ايطاليا وقضى الامبراطور بقية حياته فى أبعادهم وإصلاح ما تهدم من الحدود الدانوبية فلقد تحولت الثروة من الغرب الى الشرق ومن الراين الى الدانوب.

ولقد بدأت المشاكل مرة أخرى خلال حكم فالريان وجالينوس بعد أن ظهر أناس جديدون لا تربطهم بروما روابط حدودية مثل الوندال Wandel والاليمان Alimani والفرنك Frank والجوسجانى Insgani (1).

أما بلاد البلقان فكانت على درجة بسيطة من التحضر وكان على أوغسطس أن يقضى على تمرد البانونيين والدلماتيين Dalmatians Pannonians وواجه خلفاؤه من بعده مشاكل جمة نظرا لحب الحرية لدى التراقيون Tracians ووصلت الجيوش الرومانية الى الدانوب التى ظلت لفترة طويلة الحصن الثانى فى الاهمية خلف الجرمان، ولقد تغيرت الموازين تحت حكم دومتيان الذى كان عليه مواجهة خطر الصرمات والسويفى Suavi

---

(1) Matingly, op. cit., pp. 107 - 108.

وكذلك تطلعات ملك داكيا ديكابالوس ولم يستطع دومتيان القيام بانجاز يذكر لكن تراجان استطاع القضاء على مسألة الداكيين بعدما دمر مملكة ديكابالوس فى موقعتين، وفى القرن الثالث كان على روما أن تواجه عدو جديد وخطير وهم القوط الذين جاءوا من أراضيهم بالقرب من الدانمارك وعبروا أوربا وأصبحوا الان بالقرب من البحر الاسود وقد أستطاع ديكيوس (٢٤٩/٢٥١م) أن يقضى عليهم بالقرب من ابرتيوس Abrittus بعدما كانوا قد توغلوا داخل الحدود الرومانية فى موسيا وتراقيا وغنموا كثيرا من الغنائم والاسرى، وأما آسيا الصغرى فقد كانت أرض السلام ولم تستمر كذلك بسبب غزوات القوط القرن الثالث عن طريق البر والبحر[1].

خطر البرابرة في القرن الثالث الميلادي :

هجمت قبائل الاليمان وهددت حدود الامبراطورية عند الراين والدانوب فى ٢٢٣ وأضطر الكسندر سيفيروس (٢٢٢/٢٣٥) إلى الرحيل مع الامبراطورة الام الى المانيا وبالقرب من مدينة مانيز Mainz عسكرت القوات وبدأت الجنود تستعد للقيام بهجوم على القبائل الجرمانية لكن الامبراطورة الأم تسعى للحصول على سلام دون دخول فى حرب مقابل دفع مبلغ للاليمان نظير ذلك وبالفعل يتم لها ما أرادت ويتم عقد سلام مع الاليمان أفقد الامبراطور احترام الجنود له والتى ضاقت بتدخل الامبراطورة فى شئون الحكم[2].

أما عهد الامبراطور ماكسيمنوس (٢٣٥/٢٣٨) فقد أضطر الامبراطور أن يعبر الراين حتى أعماق أراضى الجرمان وخاصة قبائل الاليمان أعداء الامبراطورية الخطرين وضم فى جيشه رماة السهام وكتيبة الجنود المسلحة تسليحا خفيفا والتى أحضرها الكسندر سيفيروس من قبل وقام ماكسيمنيوس بسلب قرى البرابرة وحرقها وأضطر السكان للفرار إلى الغابات والمستنقعات،

---

(1) Matingly, op. cit., p. 109 and Gwynne, A Political History of the Roman Empire, p. 106.

(1) Parker, op. cit., p. 144.

وبالقرب من ورتنمبرج Wurtemberg أظهر الامبراطور مهارة فائقة وحصل على لقب جرمانيكوس Germanicus ثم سار بعدها الى الدانوب وهناك حقق انتصارات ضخمة فى داكيا على الصرمات وحصل على لقب داكيكوس Dacicus Sarmticus [1].

القوط :

وهم من أخطر أعداء الامبراطورية فى القرن الثالث وهم شعب جرمانى من شعوب الشمال وموطنهم الأصلى سكندنافيا حيث هجروا فى القرن الثانى الميلادى موطن نهر الفيستولا واندفعوا الى أوكرانيا وسواحل البحر الاسود وتحالفوا مع قبائل الكاربى وأندفعوا الى موسيا Moseia شمال آسيا الصغرى وتراقيا وأضطر الامبراطور الصغير جورديان الثالث (٢٣٨/٢٤٤م) أن يلقى المسؤلية على عاتق صهره جايوس فوريوس ثيمستيوس قائد حرسه البرايتورى والذى استطاع أن ينظم القوات فى ٢٤٢م ويقود الجنود ناحية الدانوب ويعيد للمنطقة السلام[2].

فى ٢٤٧م يحقق فيليب العربى (٢٤٤/٢٤٩م) نصرا هزيلا على قبائل الكاربى بداكيا وعاد لروما ليحتفل فى نفس العام بمرور ألف سنة على تأسيس مدينة روما فى حين كانت حدود الامبراطورية مهددة من القوط وقبائل الكاربى، ويضطر الامبراطور أن يعهد لأحد قاداته وهو جايوس ديكيوس أمبراطور المستقبل بمهمة أعادة الأمن للدانوب وبالفعل يستطيع القائد أن يحرز انتصارات ملحوظة أثناء مطاردته للقوط وأن ينال احترام الجنود التى نادت به أمبراطوا[3].

استغل القوط فترة القلاقل التى مرت بها الامبراطورية فترة تولى ديكيوس (٢٤٩ – ٢٥١م) وهاجمت جيوشهم بقيادة ملكهم كنيفا التحصينات الرومانية عند الدانوب وأندفعت الى داكيا وموسيا وتراقيا واستولوا على المدن

---

(1) Parker, op. cit., p. 145.
(2) Gwynne, op. cit., p. 107.
(3) Ibid., p. 108.

الدفاعية هناك وفتكوا بالسكان وقبضوا على عدد كبير من الاسرى واضطر ديكيوس للخروج من روما لمواجهة القوط بمساعدة القائد جالوس امبراطور المستقبل الذى تباطئ فى مواجهة القوط ورغم أن ديكيوس أحرز النصر على أحد جيوش القوط الا أن اهمال جاللوس مكن ملك القوط من هزيمة قوات ديكيوس عام ٢٥١م الذى اضطر أن يلاقى القوط وحده وبالقرب من منطقة أبريتوس Abritus بالقرب من مدينة أدامكليس Adamclisi بمنطقة دبروجا Dobrudja بيوغسلافيا يلحق القوط بالرومان أكبر هزيمة منذ كارهاى وسقط ابن الامبراطور ديكيوس فى ساحة القتال لكن ديكيوس يصبح فى الجنود محفزا آياهم للنصر لكن سهام الاعداء تفنى الجيش ولم يعثر على جثة الامبراطور الذى يلقى نفس مصير أبنه الصغير[١].

أما الامبراطور الجديد جالوس (٢٥١ - ٢٥٣) فيضطر أن يعقد صلحا مخجلا مع القوط وفى العام التالى يتابع القوط زحفهم ويجتاحون الدانوب وموسيا ويقابلهم القائد اميليانوس بجنوده وحده واحرز عليهم بعض النجاح[٢].

أما فترة حكم الامبراطور فالريان (٢٥٣ - ٢٦٠) وابنه جالينوس (٢٦٠ - ٢٦٧) فقد شهدت تهديد كل من الفرنك والاليمان والقوط وأضطر فالريان أن يرسل ابنه جالينوس لملاقاة البرابرة بينما سار هو لملاقاة الفرس، وعند سواحل آسيا نجح القوط فى الوصول حتى شرق البحر الاسود حتى Trebi-zond ووصلوا حتى مدينة كولخيس وحاولوا الاستيلاء على المعبد الغنى عند مدخل نهر فاسيس لكن نظرا لقوة الحامية التى بلغت ١٠ الاف رجل ولقوة تحصينات المدينة صمدت المدينة دون أن تحصل على أمدادات لكن القوط يستطيعون التسلل عبر الأسوار ويفاجئون المدينة ويقوموا بأسر كثير من السكان والسفن بالميناء ويعودون للبسفور وهم محملين بالغنائم والاسلاب.

---

(1) Gwynne, op. cit., p. 108.
(1) Parker., op. cit., p. 163.

أما الحملة الثانية فقد شهدت حصار خلقيدونية بالقرب من معبد جوبيتر أورنوس Urnos وللمرة الثانية يعود القوط محملين بالاسلاب[1].

بعدها يقوم القوط بغزوة بحرية بأسطول قوامه ٥٠٠ سفينة حربية و ٣٢ ألف محارب وساروا الى سميريوم Cimmeriuan حتى تراقيا وخلال ممر الهللسبونت واصلوا رحلتهم خلال الجزر حتى بحر أيجة وأجتاحوا الجزر اليونانية حتى اقتربوا من أثينا وقاموا بعدة غارات على مواقع محصنة لكن المهندس اليوناني كليودامس Cleodamus يقوم بتحصين قناطر المدينة ضد سفن البرابرة كما أصلح أسوار المدينة القديمة وهوجمت سفنهم بمساعدة من ديكبيوس Dex ppus الذى هب لمساعدة كليوداموس مع مجموعة من الفلاحين والجنود للدفاع عن المدينة وبعد أن نهبوا أثينا وارجوس واسبرطة وكورنثة أتجهوا شمالاً عبر أبيروس Epirus الى مقدونيا حتى وصلوا لمدينة نايسوس الحالية فى موسيا Moesin (بين البانيا وبلغاريا) واضطر جالينوس للخروج اليهم عام ٢٦٨ ودارت هناك أعنف معركة فى القرن الثالث الميلادى تمكن فيها جالينوس من هزيمة القوط وقتل منهم ٥٠ ألف قتيل وبعدها يضطر للاسراع الى ايطاليا لقمع حركة تمرد قام بها حاكم ايطاليا أوريليوس وبالفعل يسحقه بالقرب من ميلانو[2] وعند رافنا كان الموقف خطيراً وحيث اتحدت قبائل الاليمان مع الماكرومان وغزوا بلاد الغال وأسبانيا ثم تدفقوا لشمال ايطاليا واضطر جالينوس أن يخرج لملاقاتهم وترك لولده مهمة ملاقاة الفرس فى الشرق وبالفعل يتمكن جالينوس من تطهير الغال والراين من قبائل الفرنجة والأليمان وطردهم لوراء نهر الراين وكذلك كان عليه معالجة الأمر فى شمال ايطاليا بعد أن استولى الأليمان على ميلانو عام ٢٥٨م واضطر جالينوس أن يعقد معاهدة صلح مع الماكرومانى تنازل بموجبها لهم عن الأراضى الواقعة جنوب الدانوب فى منطقة بانونيا العليا ليتفرغ هو لملاقاة الأليمان والذين سحقهم بالقرب من ميلان عام ٢٥٨ –

---

(1) Gibbon. The Decline & Fall the Roman Empire.

(2) Henry Williams, Historians The History of the World. p. 420.

٢٥٩[1] أما كلوديوس (٢٦٨– ٢٧٠م) فقد واجه الاليمان وهزمهم بالقرب من فيرونا بعد أن توغلوا فى شمال ايطاليا ووصلوا جنوبا حتى جاردا Garda [2]، وبعدها حاصر كلوديوس قوات القوط الذين افلتوا من جالينوس وطارد البقايا التى هبطت بالبلقان وعقد مع بعضها اتفاقيات سلام وجندهم فى خدمة الامبراطورية واسكنهم فى الأراضى الزراعية على حدود تراكيا وموسيا ومقدونيا وتخلص نهائياً من خطر القوط الذين لم يعاودوا تهديد الامبراطورية وحصل كلوديوس على لقب القوطى Cothicus [3] وفى عهد أوريليانوس (٢٧٠ – ٢٧٥) فقد خرج لملاقاة البرابرة الجرمان من قبائل الجوسجانى Jusgani والذين أخترقوا مضيق Brenner وساروا فى اتجاه ايطاليا لكنهم عندما علموا بقدوم أوريليانوس حاولوا تجميع ما سلبوه للعودة بالاسلاب لبلادهم لكن الامبراطور خيب ظنهم وباغتهم عند الدانوب وحاولوا الحصول على سلام مقابل الحصول على مكافأت مالية كما أعطاهم الرومان من قبل ولكن طلبهم هذه المرة قوبل بالرفض الشديد وسمح لهم أوريليانوس فقط أن يعودوا لبلادهم، بعدها كان على أوريليانوس أن يهب لملاقاة قبائل جرمانية أخرى هى الوندال اللذين عبروا الدانوب بعد أن أمروا حاكم ولاية بانونيا العليا والسفلى بنقل كل تموين الولاية للجيوش وعندما وصل أوريليانوس استطاع أن يخطف منهم نصرا سريعا وحصل الوندال على وعد بالسلام من الإمبراطور فانضم إلى جانبه حوالى ٢٠٠٠ رجل فى سلاح الفرسان وقضى بذلك على أخطر القبائل الجرمانية[4].

---

(1) Henry, op. cit., p. 420.
(2) Ibid., p. 421.
(3) Grant., op. cit., 178.
(4) Grant., op. cit., pp. 183 - 184.

المبحث الرابع
المتغيرات الإقتصادية والاجتماعية
في العصر الإمبراطوري

السلام الروماني:

إمتدت الحدود الرومانية من إسكتلندا إلى السودان ومن البرتغال إلى نهر الفرات وضمت مساحات من أوروبا وأسيا وأفريقيا لم تخضع قط مرة أخرى لحكومة واحدة، ولقد اتفقت الآراء بأن عدد السكان بلغ حوالى سبعين مليون نسمة، وبالنسبة للغة يبدو أن ثمة لغتين كانتا تحتلان مركز الصدارة وهما اللغة اللاتينية فى الغرب واليونانية فى الشرق، ولم تكن هناك أى حدود أو قيود جمركية داخل الامبراطورية ذاتها، أما السفر فقد كان يتميز بقدر كبير من السرعة بطريق البر يفوق كل وسائل الانتقال الاخرى، وكان مبدأ التسامح الدينى سائداً ولم تتعرض سوى ثلاث عقائد للاضطهاد على يد حكومة الامبراطورية وهى الدرويدية واليهودية والمسيحية، ولم تكن هناك تفرقة عنصرية على الرغم من وجود منازعات وصراعات بين بعض الشعوب إلا أنه لم يكن هناك تفرقة بين الاجناس وبعضها البعض وجملة القول أن الإمبراطورية خلال القرن الأول الميلادى كانت تمثل أقرب المحاولات لإقامة دولة عالمية، وكان السلام الرومانى يعنى الوصول لحدود ثابتة آمنة للإمبراطورية بما يعود بالنفع علي روما.

كان النصف الشرقى من الامبراطورية منطقة تتمتع بثقافات شخصية عظيمة وهى الثقافات اليونانية والسامية والشرقية وكانت عريقة فى تاريخها الحضارى ، أما الغرب ففيه تميزت مجتمعات كلتية وجرمانية وأيبرية وضمت جميعها إلى النمط الثقافى الذى يتميز به العالم اليونانى والرومانى.

وكانت الحدود الشرقية لولاية اليريا وولاية افريقيا هى الحد الفاصل بين هذا العالم الرومانى(١) .

---

(١) دونالد دولى، حضارة روما، ص. ٢٩٠ – ٢٩١ .

الولايات الرومانية:

١- مصــر:

كانت مصر أغنى ولايات الامبراطورية الرومانية وأهمها استراتيجياً وتجارياً فقد كانت هى وولاية أفريقيا تمد الامبراطورية بحوالى خمسة ملايين مكيال رومانى من القمح وهو ما يعادل ثلث الكمية التى يستهلكها الشعب الرومانى سنوياً، وقد أدى تدفق القمح المصرى الجيد والرخيص الى كساد زراعة القمح فى ايطاليا حيث لجأ الفلاحون الايطاليون إلى استبدال مزارع القمح بمزارع الكروم.

وبالنسبة لغيرها من الولايات كانت مصر ولاية هادئة، لم يحدث فيها ما يعكر صفو السلام الرومانى اللهم إلا بعض الثورات الصغيرة التى قامت فى الجنوب وبعض القتال قرب الحدود الاثيوبية حيث تعرضت مصر لبعض الغزوات من جانب الاثيوبيين خلال عام ٢٩، ٢٥، ٢٢ ق.م واستطاع الوالى كورنيليوس جاللوس التصدى لها وقام بحملة تأديبية ضد النوبيين الذين حرضوا مدينة طيبة على الثورة وبعد سحق الثورة فى طيبة قرر الوالى تأمين حدود مصر وحدود الامبراطورية فى افريقيا فسار حتى أسوان ثم إلى جزيرة فيلة، وتباهى الوالى بانتصاراته وسمح بإقامة التماثيل له وأن تنقش اعماله على واجهة المعابد والاهرامات مما أثار شكوك أوكتافيوس أوغسطس والذى قرر استدعاءه لروما وعزله من منصبه وصودرت ممتلكاته ثم نفى من البلاد، وقد بلغ الخوف باغسطس أن ترك فى مصر ثلاثة فرق رومانية واحدة فى الاسكندرية والثانية فى منف والثالثة فى طيبة، فضلاً عن عدد من فصائل الخيالة لحماية حدود مصر الشرقية والغربية وعند مدخل الفيوم وفى الاشمونين ولحراسة الطرق المؤدية لموانى البحر الاحمر، وبلغ عدد القوات ٢٢,٨٠٠ جندى وهذا الرقم الضخم يعكس القلق السياسى الذى سيطر على الامبراطور خوفاً من أن تستقل مصر، أو أن يستقل بها أحد ولاتها ومن ثم فقد حرم على رجال السناتو ومشاهير رجال طبقة الفرسان تولى الوظائف فيها أو دخولها دون إذن منه، ولم يشأ أوغسطس أن يدمج مصر ادماجاً كاملاً فى الإمبراطورية الرومانية نظراً لمشاكلها الكثيرة وخوفاً من أن تصبح مطمعاً

لجباة الضرائب من رجال الفرسان، وقد صاحب عملية تأمين مصر القضاء على الثورات فيها وتقسيم مصر لثلاثة اقسام ادارية كبرى هى الدلتا ومصر الوسطى واقليم طيبة وجعل على رأس كل منها نائباً للوالى لحكمها واشترط أن يكون هذا النائب رومانيا أو حاصلاً على الجنسية الرومانية مثل الوالى وقاضى القضاة وأمين الخزانة وأمين الحسابات وكانوا جميعاً يقيمون فى الاسكندرية، ولقد بدأ اغسطس ثورة زراعية وأمر جنوده بالعمل فى مشروعات الرى والصرف كما انشأ اسطولاً يعمل بانتظام بين الاسكندرية وايطاليا وربط بين التجارة القادمة من الهند وسيلان عبر المحيط الهندى إلى البحر الاحمر ثم تنتقل التجارة براً عن طريق القوافل سواء فى وادى الحمامات أو إلى الموانى النيلية لتنتقل بالمراكب الشراعية حتى الاسكندرية.

ولم يحاول اغسطس أن ينشر اللغة اللاتينية فى مصر أو يقيم فيها مدناً على النظام الايطالى كما فعل فى شمال افريقيا أو بلدان الشرق لإنه ادرك قوة المقاومة الحضارية سواء الفرعونية الخالصة أو المصرية الاغريقية واكتفى بان تكون العلاقة بين مصر وروما علاقة استغلالية ولهذا فرضت الضرائب بكل انواعها منها المباشرة مثل ضريبة حيازة الاراضى ومقدارها خمس المحصول تقريباً وضريبة الرأس أو الجزية على الفلاحين المصريين وخفضت للنصف لانصاف الاغريق واعفى اهل الاسكندرية منها ودفعها اليهود المصريين مخفضة ثم ضريبة المهن والحرف، أما الضرائب الغير مباشرة فهى ضريبة البيع والجمارك والمكوس والتى فرضت على التجار بنسبة ما بين ١٠ ، ٢٠٪ من قيمة البضائع المستوردة. لقد بقيت الاسكندرية ينبوعاً للحضارة والثقافة الاغريقية الراقية التى إمتدت حتى الى الكتابات الدينية التى كتبها اليهود وأباء الكنيسة فقد كتب فيلون باللغة الاغريقية الراقية وترجم التوارة بلغة اغريقية مبسطة، ومنذ اواخر القرن الثانى بدأت الاسكندرية تبرز كمركز للدراسات اللاهوتية، فضلاً عن هذا فقد ساهمت مصر فى كشف تاريخ الامبراطوية الرومانية بالالاف من الوثائق البردية[١].

---

(١) مصطفى العبادى، مصر – منذ عهد الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى، ص ص ١٥٣ – ١٥٤.

٢- شمال افريقيا:

لعبت افريقيا دوراً اقتصادياً هاماً فى الامبراطورية الرومانية، إذ كانت تمون روما بالقمح وازدادت هذه الاهمية منذ القرن الثالث الميلادى عندما بدأ المحصول المصرى ينحسر وتقل اهمية الاعتماد على القمح المصرى، وقد حرصت روما على صبغ ولاية افريقيا بالروح والثقافة الرومانية ونشروا العمران واقاموا المستوطنات للجنود الرومان وكذلك الطرق العسكرية التى اخترقت جبال الاوراس، ولقد انقسمت افريقيا إلى أربع ولايات هى افريقيا الاصلية والتى تشمل جزءاً من ليبيا وتونس وولاية نوميديا أو أفريقيا الجديدة ثم مملكة جوبا «الجزائر» ثم ولاية موريتانيا «بعض اجزاء من الجزائر ومراكش الحالية».

لقد كانت الحدود الرومانية فى افريقيا يمثلها اقصى طرف للاراضى الزراعية فى الجنوب ومنذ العصور القرطاجية كان عصب الزراعة الافريقية هى الغلال والتى امتدت لاجزاء من الجزائر وموريتانيا ولقد بلغ المحصول الافريقى من الغلال المصدرة إلى روما ضعف محصول مصر من القمح أى حوالى ٤٠ مليون مكيال Modii، وقد اشتهرت الولاية كذلك بزراعة اشجار الزيتون فى كل من تونس والجزائر، كما ذاع صيت الرخام الاصفر الذى كانت تنتجه سيمثيوس Simithus فى نوميديا وهو الرخام الاصفر التقليدى الذى كانت تتزين به كثير من المبانى الرومانية. لقد كانت الضياع الكبيرة من المعالم البارزة للزراعة فى افريقيا منذ العصور اليونانية ولقد جنى اعضاء مجلس السناتو منها ثروات طائلة فى عصر الجمهورية، وفى عهد نيرون صودرت الضياع الست الكبرى فى افريقيا وما أن حل عهد هادريان حتى سيطر الامبراطور على الجانب الاعظم للأراضى الزراعية فى الولاية، وأقام فسبسيان ادارة خاصة فى قرطاجة لتولى مهمة الإشراف على الضياع، ومن أشهر مدن افريقيا بجانب قرطاجة مدينتى هيبو Hippo وهادرومنتوم Hadrumentumon ومدينة طرابلس ومدينة قيصرية وهى المدينة الرئيسية فى موريتانيا الشرقية وهى ميناء يضم ١٠٠ الف نسمة[١].

---

(١) تشارلز وورث، الامبراطورية الرومانية، ص ١٤٩ – ١٥٠.

أسبـــانيـــا:

أما اسبانيا فهى تعد اقدم الولايات فى غرب أوروبا وقد ساهمت بنصيب كبير فى الحياة الاقتصادية الرومانية وكان يسكنها شعوب مسالمة وظل الهدوء يسود أسبانيا إلى أن قامت الحرب الاهلية وعمت الفوضى السياسية فى روما وعندها طمعت القبائل الاسبانية (قبائل مثل الكانتابرل والاستوريس والجالايكى) وأعلنت التمرد والثورة وبدأت تهاجم المستوطنين الرومان مما أضطر أوغسطس القيام بحملة لاخضاع هذه القبائل للحكم الرومانى لكى يسود السلام فى ربوع أسبانيا وتأكيداً للسلام أقيم عدد من المستوطنات والقرى العسكرية الرومانية فوق الجبال وفى المناطق الاستراتيجية الاخرى، ومن أشهر المستوطنات الرومانية مستوطنة أميرتا وقيصرة أوغسطا Caesara Augusta(١).

إشتهر النبيذ الاسبانى وكان يصدر إلى روما وإلى بريطانيا والغال وبلاد الراين وكان زيت الزيتون الاسبانى يأتى فى المرتبة الثانية وكذلك كان انتاج الغلال على جانب كبير من الأهمية، كما أتاحت مناطق الصيد العظيمة على شاطئ المحيط الاطلنطى قيام صناعة حفظ الاسماك، غير أن المعادن ظلت اعظم مورد اقتصادى بالنسبة لاسبانيا واستمر العمل فى استخراج الفضة من سيرامورنيا والنحاس من ريوتنتو Riotinto، كما افتتحت مناجم للحديد والذهب والفضة والقصدير، كما ذاع صيت صناعة الاسلحة، وكانت المناجم تخضع لملكية الدولة ولكن امتيازاتها تعطى لعدد قليل من الافراد حيث كانت خزانة الامبراطورية تستولى على نصف الانتاج(٢).

بلاد الغال:

منح اغسطس السناتو حق الاشراف على ولاية الغال القريبة Gallia Narbonensis، أما ولاية الغال البعيدة فقد قسمها إلى ثلاث مناطق ادارية هى اكويتنيا Aquitania ولوجدونيس Lugdunensis، وبلجيكا Belgica وقسمت

---

(1) Mattingly, The Roman Imperial Civilization, P. 60.

(٢) دونالد دوللى، المرجع السابق، ص ٢٩٢.

بلاد الغال لحوالى ٦٤ مقاطعة Civitates وكان النبلاء من مواطنين بلاد الغال يحكمونها وكان يدينون بالولاء الكامل لروما.

كانت بلاد الغال مصدر غنى للامبراطورية، وكانت منجماً للرجال الاشداء الاقوياء واعتبرت قاعدة عسكرية كبرى تخرج منها الحملات الكبرى[١].

وتعد ولاية ناربونسيس أعظم اجزاء بلاد الغال تشبعاً بالحضارة الرومانية واستغلت عاصمتها المعروفة باسم ناربو مراكب النقل الخفيفة فى اقامة علاقات تجارية مع افريقيا وسوريا واسبانيا وايطاليا وصقلية كما تميزت بثراء أمرائها الذين كانوا يشتغلون بالتجارة أما اكواى سكستياى Aquae Sextiae فاشتهرت بمياهها المعدنية واشتهرت جنيفا (جنيف) فكانت مصيفاً شهيراً.

كانت اوغسطا تريفيوروم Augusta Treverorum أعظم مدن الشمال وهى المستعمرة التى اسسها كلوديوس واصبحت مدينة زاهرة وتميزت بطرقاتها وضخامة مبانيها، وكما اشتهرت بلاد الغال بزراعة الكروم والجبن ولحم الخنزير قامت تجارة هامة فى الشمال هى تجارة الصوف كما استغل حديد اللورين واحجار البناء فى جبال البرانس وكان الطين الملون Terrase-gellata يحتل مركز الصدارة بين الصناعات العالمية.

وقد اشتهرت بلاد الغال بنظام نقل خاص بها من شبكة الطرق التى تتفرع من ليون وقد امدتها الطبيعة بشبكة رائعة من الانهار الصالحة للملاحة[٢].

بريطانيا:

أما فى سهول بريطانيا فقد بلغت حركة انتشار الحضارة الرومانية حداً بعيداً وقد عرف ما يقرب من ١٥ اقليم رومانى بريطانى مثل مدن لايستر وشيستر ودورشيستر وكانت هناك مستعمرات شهيرة مثل ليندوم Lindum

---

(1) Mattingly, op. cit., p. 58.

(٢) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص ٣٠١ – ٣٠٩.

«لندن» وجليفوم Glevum وكاملودرنوم Kamolodrunum وكانت ليندوم اضخم المدن البريطانية ومركز شبكة الطرق والميناء الرئيسى للتجارة مع القارة الأوربية، ولم تجتذب بريطانيا اليها المستوطنين عدا المحاربين القدامى الذين يحصلون على اقطاعيات مجانية من الأرض، ولقد احتلت المعادن المرتبة الأولى وبلغت عمليات استخراج الرصاص أوسع نطاق لها فى مندبس Mendebs وفلينشتر وشروبشير كما كان الحديد يستخرج من ويلزونورست وكان الرومان يستخرجون جميع انواع احجار البناء الرئيسية من بريطانيا، كما استخرجوا الملح من دروتوتش وتشيستر اما ولايتى المانيا العليا والسفلى فكانتا من خلق دومتيان وكانتا تعدان من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية امتداداً لبلاد الغال، واصطبغت هذه المنطقة من ارض الراين بالصبغة الرومانية تحت تأثير الجيش والمحاربين القدامى الرومان.

كان الزجاج يصنع فى بولونيا والحديد بالقرب من اشهين والفخار فى ماينز ولقد كانت هناك اعتبارات استراتيجية للسيطرة على أراضى الألب والدانوب من أجل الحاجة لطريق برى يربط بين الشرق والغرب.

كانت مملكة نوريكوم تعتمد على الحديد الوفير فى «ستريا» والذى كان يحظى بطلب واسع كما نالت مدن ناوبورتوس Nauportus وسيسكيا Siscia وسيرميوم وسنيجد وتوم (بلجراد حالياً) اهمية خاصة(١).

كما وصلت السفن التجارية فى رحلاتها البحرية للبحر الاسود وقامت على شاطئ الادرياتيك مدن هامة مثل بولا وترجيستا وسالوناى، ولقد اعتبرت القوى البشرية فى كل من بانونيا ودلماشيا Diamashia (هى المنطقة التى كانت تدعى البريكوم) بالغة القيمة بالنسبة للجيوش الامبراطورية والذين انقذوا ماء وجه روما قرب نهاية القرن الثالث وبداية الرابع، كما اشتهرت كارنتوم شمال الدانوب لكونها مقر قيادة الفرقة الرابعة عشر والقاعدة الرومانية الرئيسية، وكانت فينوبونا Vinobono قاعدة للفرق

---

(١) تشارللز وورث، المرجع السابق، ص ١٥٢.

الرومانية ومرفأ الاسطول فى الدانوب كما اشتهرت ولاية مويسيا Moisia وعاصمتها نايسوس(١).

أما دالامتيا Dalamatia وأسيا الصغرى فقد اسهمتا بعدد كبير من المستوطنين وجرى العمل فيها على نطاق واسع فى استغلال مناجم الذهب والملح وكانت بها ضياع شاسعة تتبع الامبراطور وكذا مستعمرات لقدامى المحاربين.

كانت كورنثة سوقاً بين الشرق والغرب وكانت تربية المواشى من الاعمال الهامة فى كثير من انحاء اليونان، أما سالونيكى والتى حلت محل العاصمة القديمة بيلا فقد اعتبرت اعظم مدينة فى شمال اليونان.

ولقد مدت شبكة رائعة من الطرق داخل اسيا الصغرى (وهى الارض الواقعة بين البحر الاسود وسواحل الشام المطلة على البحر المتوسط) هيأت سبل التغلغل فيها، وكانت افسس اضخم مدينة فى العالم اليونانى بعد الاسكندرية وانطاكية وكان كهنتها يشرفون ايضاً على واحد من اضخم المصارف المالية فى العالم الرومانى واشتهرت من مدن الساحل نيقيا، وبيسنيا ونيقوميديا وطرطوس(٢).

وكانت صناعات آسيا هى اكثر الصناعات تطوراً فى العالم وكانت المنسوجات تأتى فى المرتبة الأولى وتقوم صناعتها على اصواف سلالات شهيرة من الاغنام والماعز وبلغت صناعة الجلود فى آسيا مبلغ ازدهار ورواج عظيمان، كما كانت آسيا تنتج الأوانى الفخارية التى قدر لها أن تطغى على كل الاسواق الشرقية، وكانت بونتوس وكيليكيا تصدران الاخشاب التى تستخدم فى صناعة السفن.

ولقد اشتهرت بروكونسيوس بانتاج انواع كثيرة من الرخام الثمين والاحجار القرمزية وكان يصدر من كيزيكوس، كما كان البحر الاسود وخليج البسفور يعدان من أحسن مناطق صيد الاسماك فى العالم.

---

(1) Mattingly, op. cit., p. 62.

(٢) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص ٣١٠ – ٣١٢.

كانت الحركة التجارية مع الهند هى اعظم اوجه النشاط التجارى الرومانى وقد اكتسبت الطرق البحرية اهمية كبرى عندما اكتشف شخص يدعى هيبالوس كيفية الاستفادة من الرياح الموسمية فى القيام برحلات بحرية للساحل الشرقى للهند.

أما تجارة الامبراطورية مع أوربا الشمالية فتؤكدها مئات من الاثار التى عثر عليها فى المانيا وبولندا والدانمارك وجنوب السويد، وكان هناك طريق رئيسى يصل من اكويليا وكارنوم على الدانوب ثم يأخذ طريق الانهار حتى شواطئ بحر البلطيق وبهذا الطريق كان النبيذ والفخار والادوات المعدنية والزجاج والسلع الكمالية تصل لرؤساء العشائر والاغنياء فى الشمال، ويبدو أن القوط كانوا يقومون بدور الوسطاء فى حركة تبادل السلع بين البحر الاسود وبحر البلطيق على طول نهر دنيبر ونهر الفستولا(١).

سوريا:

أما سوريا فقد كانت لها أهمية اقتصادية خاصة فقد كانت انطاكية تمثل مركزاً اقتصادياً يقف على قدم المساواة مع روما والاسكندرية وكان لكل من دمشق وبيدوتوس وأباميا وبيبلوس وصور وصيدا ولاوديكة علاقات تجارية ترجع لقرون بعيدة، وكانت غابات لبنان الشهيرة مصدراً لخشب الارز الذى كان يخصص لبناء الاساطيل الرومانية وكان للريف ومحاصيله خاصة الفواكه والزيتون وحقول القمح والشعير اهمية خاصة كما كانت هناك مصانع لنسج الكتان السورى فى صورة عباءات وأردية فى لاوديكية وبيبلوس وبيروتوس وصور والتى اشتهرت هى وصيدا بصناعة الزجاج نظراً لنوع رمالها الفريد وكانت تحفها تصدر الى قبرص وروسيا الجنوبية وايطاليا وأسبانيا(٢)، وبرغم أن نشاط القوافل المتجهة الى البلاد الشمالية كان عظيماً الا انه يتضاءل أمام نشاط القوافل المتجهة من سوريا شرقاً عبر بارثيا إلى الصين والقوافل المتجهة من سوريا جنوباً عن طريق مصر ثم إلى البحر

---

(١) دونالد ددلى، المرجع السابق، ص ص ٣٣٠ – ٣٣٢.
(٢) تشارللز وورث، المرجع السابق، ص ١٥٠.

الأحمر والمحيط الهندى ثم إلى الهند وسيلان والملايو وتايلاند ومنها إلى الصين وكانت القوافل الضخمة المحملة بالبضائع تقطع الطريق بين دمشق وتدمر والخليج الفارسى وكانت الامبراطورية الرومانية تدفع مقابل هذه البضائع (ذهب وفضة) ورصاص وقصدير الواردين من أسبانيا والنبيذ الوارد من ايطاليا وآسيا الصغرى(١).

لقد كانت حركة مرور القوافل هى العامل الرئيسى فى اثراء سوريا بل المنطقة باسرها وكان على طول الطرق التجارية البرية توجد الفنادق والاستراحات.

العملـة:

لقد يسر حركة نقل البضائع من بلد لاخر النظام الواحد والمنظم للعملة الرسمية المشتركة بين كل أجزاء الامبراطورية بجانب العملات المحلية والمتمثلة فى قطعة ذهبية Aureus وقطعة فضية Denarius مع جزيئاتها ولقد كانت قيمة الاوريوس ٢٠ دينار.

ولكن ومنذ عهد ماركوس أوريليوس بدأت قيمة العملات الفضية فى الهبوط وبلغ مقدار النقص ما يقرب من ٤٠ ٪ تحت حكم سبتيموس سيڤيروس ولقد اضطر كاراكلا أن يدخل تعديلاً نقدياً بأن خفض وزن الاوريوس تخفيضاً خفيفاً وقرر التعامل بقطعة فضية جديدة تساوى دينارين تسمى انتونينيانوس، ويشهد منتصف القرن الثالث تدهوراً تاماً فى النظام النقدى فما أن حل عام ٣٥٠ م حتى كان الأنتونينيانوس قد هبط هبوطاً حاداً فقد اصبح مجرد قطعة نحاسية مغطاة بطبقة رقيقة من الفضة(٢).

لقد وصلت التجارة وقت السلام الرومانى لمعدلات ناجحة، فقد اصبح هناك قانون يحرم عبور الحدود السياسية، أما الحدود الاقتصادية فيمكن عبورها ولكن بعد دفع الضريبة سواء كانت حدود برية أو مائية، ولقد امتدح

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٦ – ١٥٧.
(٢) تشارللز وورث، المرجع السابق، ص ص ١٥٦ – ١٥٧.

جماعة من تجار الاسكندرية الامبراطور اوغسطس وكتبوا له قائلين «بفضلك انت استطعنا عبور البحر بأمان، ومن خلالك استطعنا تكوين ثرواتنا، ومن خلالك اصبحنا سعداء»[1]. كانت المدن تعتمد على الريف فى الحصول على الغذاء وبخاصة القمح ومن الريف كانت المدن تستنزف الطعام والرجال، كانت روما دون شك تجلب القمح من وراء البحار من مصر وافريقيا أما سائر المدن الاخرى سواء الكبيرة أو الصغيرة فكانت تعتمد على ما جاورها من المناطق الريفية ورغم أن اهتمام الجانب الاعظم من السكان كان منصباً على الزراعة الا انه قد قامت بعض الصناعات خاصة فى المدن الكبرى ولقد كانت صناعة الطوب من أهم الصناعات وكذا صناعات الفؤوس والادوات المعدنية والفخارية والتى كان يحتاجها الفلاحون، بينما كانت الطبقات الثرية تحتاج للزجاج والمصنوعات الفضية والاثاث، ويبدو أن ولاية كمبانيا قد تخصصت فى صناعة التحف والنفائس، ويبدو أن العمال الاحرار الذين عملوا فى الحرف المختلفة قد تمتعوا بمستوى معيشى لا بأس به وقد يسمح لهم بالاشتراك معاً فى رابطة تدعى Collegia والتى مثلت تهديداً للحكومة الرومانية التى كانت تخشى هذه الجماعات لعلمها انها يمكن أن تستغل فى احداث القلاقل والاضطرابات[2].

الضـــرائـــب:

كانت الضرائب المباشرة المفروضة على الموظفين الرومانيين قد الغيت فى عام ١٦٨ ق.م وقام أوغسطس بفرض ضرائب مباشرة جديدة وابتدعت كذلك ضرائب غير مباشرة فقررت ضريبة البيع والشراء بنسبة ١ ٪ ثم ضريبة التركات بنسبة ٥ ٪ (وجهت للخزانة العسكرية) وحصلت ضرائب تسمى Advdorem على الموانى والمرافئ بنسبة ٢,٥ ٪ على البضائع التى تعبر الحدود بين ولاية أو أخرى أو تجلب من الخارج.

أما السكان من غير الرومان فكانوا يدفعون بجانب الضرائب الأصلية

---

(1) Mattingly, op. cit.,p. 202.

(٢) تشارللز وورث، المرجع السابق، ص ٨٤.

ضريبة الارض Trubutum Capitis وأحياناً تحصل على انها ضريبة رأس Tributum Soli.

وتقع مسئولية تحصيل الضرائب على عاتق الموظفين المحليين Pub-licani وكانت بعض الولايات تدفع ضرائبها نقداً وبعضها تدفعها عينية فالفريزيون Frisians كانوا يؤدونها بجلود الثيران، وبعض المجتمعات الاسيوية كانت تؤدى الضريبة بالقار وشمع النحل.

أما بعد قانون كاراكلا سنة ٢١٢م والذى يقضى بمنح حقوق المواطنة الرومانية لجميع سكان الامبراطورية وتجمعهم لغة واحدة وقانون واحد وحاكم واحد أصبح كل المواطنون الرومان يؤدون الضرائب التى يتحملها كل رومانى يحمل المواطنة الرومانية(١).

أما عند نهاية القرن الثالث فقد زادت الامور سوءاً وأصبحت مسئولية جباية الضرائب تقع على عاتق الاثرياء الذين كانوا اعضاء فى مجلس الشيوخ وعرفوا بـ Decuriones Curiales والذين تطلب الدولة منهم أن يوفروا الكثير من أجل اخوانهم الفقراء فى مجال الترفيه والخدمات العامة والمدارس والاغذية(٢).

الاقتصاد في عصر الأسرة السيفيرية:

لا يمكن ان نقول ان عصر الاسرة السيفيرية عصر سلام أو رخاء رغم تحسن الامور بعض الشئ ورغم المحاولات التى بذلت من أجل انقاذ الحالة الاقتصادية من التدهور إلا أنه كانت هناك عوائق اثرت على محاولات الانقاذ منها الصبغة البربرية التى صبغت بها الامبراطورية والتى تمثلت فى الاوتوقراطية العسكرية وتحكم الجنود فى مظاهر الحياة المختلفة(٣).

لقد بذلت الاسرة بعض المحاولات قرب نهاية القرن الثانى الميلادى

---

(١) تشارللز وورث، المرجع السابق، ص ٩٣.
(٢) تشارللز وورث، الامبراطورية الرومانية، ص ٩٣.
(٣) رستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، ص ٥٧١.

وبداية القرن الثالث الميلادى من أجل تحسين الحياة بالنسبة للسكان من خلال تطوير وزيادة المصادر الطبيعية للريف، كما قامت الاسرة بتنظيم اصحاب الحرف والصناعات فى نقابات والزمتهم، تحمل المسئولية (مثلما فعل من قبل كلوديوس عندما الزم اصحاب السفن الخاصة بنقل القمح بمد المدينة بالقمح وقام بالتأمين على سفنهم وجعل لهم مقراً خاصاً)(١).

كانت الفوضى العسكرية وزيادة اخطار القبائل البربرية وكثرة مدعى العرش سبباً فى الدمار الاقتصادى حيث اهملت الزراعة نظراً لقلة العناية بالرى والصرف وعدم تحسين وضع المزارعين مما نتج عنه عجز فى الايدى العاملة نظراً لهجرة الفلاحين لاراضيهم التى لم يتبقى من دخلها ما يسدد حصتهم بعد دفع الضرائب(٢)، ولقد كثرت ظاهرة الهرب الجماعى نتيجة قسوة الضرائب بحيث لم يكن يكفى المتبقى للفلاح لسد رمقه فاضطر لهجرة أرضه ونزح إلى المدن دون عمل، أو أن يلجأ إلى الجبال والاغوار كقاطع طريق أو أن يضطر للسرقة، وتدلنا بردية لخطاب من كاراكلا يوجه فيها كلامه الى المصريين الذين فروا من ارضهم ولجأوا إلى الاسكندرية دون أن يكون لهم عمل محذراً اياهم بضرورة تركهم الاسكندرية وأن يعودوا إلى ارضهم(٣).

وتحول الفلاحين الباقين الى عبيد لاصحاب الاقطاعات وارتفعت نسبة الوفيات نتيجة لسوء التغذية وانتشار الاوبئة فضلاً عن خسائر الحرب ولقد أدت ظاهرة الهرب الجماعى للفلاحين من اراضيهم لفقد الاراضى لمن يعتنى بها مما أدى لزيادة نسبة الارض البور واختفت الملكيات الصغيرة وزادت الاقطاعات ولجأت الحكومة لزيادة الضرائب والمكوس من أجل التعويض لسد احتياجات الجيش التى تحملها الشعب مرغماً(٤).

---

(1) Parker, A History of the Roman World Empire. p. 116.

(٢) طه باقر، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، ص ٦٣١.

(3) Ibid., p. 193.

(٤) طه باقر، المرجع السابق، ص ٦٣١.

لقد تم انجاز القليل من اجل تضييق الهوة بين المدن والقرى حيث اعتمدت الحكومة على المدينة ولم تهتم بتحسين الاوضاع بالقرى، ففى الشرق فى الولايات الافريقية اكتسبت عدد من المدن حقوق المستعمرة والتى اعفتهم من دفع الجزية مثلما كان الحال مع مدن مثل نصيبين والرصافة ومثل صور وحمص ولوديكيا فى سوريا، كما اعطيت الحقوق الايطالية لقرطاجة وأوتيكا ولبتس ماجنا، فى حين يبدو أن الاسكندرية قد نالت حق تكوين مجلس شورى ونالت حكماً ذاتياً[١]، لقد حاول بعض الأباطرة إعادة تعمير المدن والقرى الزراعية ووضع معايير أكثر انسانية لكنها أمور ومحاولات لم يكتب لها النجاح حيث كان ينقصها المتخصصون والتخطيط السليم، كما أن الامبراطورية قد انشغلت فى صراع الدفاع ضد اعدائها البرابرة والفرس وازداد التضخم نتيجة النقص فى الذهب والفضة بالعملة ولجأت الدولة لنظام المقايضة وانخفض مستوى المعيشة وارتفع سعر القمح وازداد عدد المتعطلين خاصة فى روما[٢].

ومما يؤكد سوء الحالة التى وصلت لها القيمة النقدية للعملة وفقدها لقيمتها الشرائية هو احجام مالكى البنوك عن العمل وغلق بنوكهم والامتناع عن التعامل بالعملة الامبراطورية وذلك فى عديد من الولايات مثلما كان الوضع فى مصر بمقاطعة و أوكسيرنخوس حيث وصلت الاوضاع لدرجة خطيرة تجمع نتيجتها الموظفون واتهموا مالكى البنوك بغلق بنوكهم امام العملاء مما اضطر بالوالى ان يصدر مرسوماً يعالج فيه الامر ويأمر مالكى هذه البنوك بضرورة فتح بنوكهم أمام العملاء ويلزمهم بأن يقبلوا العمله الامبراطورية فيما عدا التى يكون واضحاً أنها مغشوشة وبلا قيمة والا سيتعرضون للعقاب[٣].

وقد تأثر الشعب بزيادة الضرائب التى فرضتها الحكومة مضطرة لسداد احتياجات الجيش دون ان يصحب ذلك أية زيادة فى الناتج الزراعى كما أن

(1) Cary, ahistory of Rome, p. 500.
(2) Rostovtzeff, A History of the Ancient world. p. 312.
(3) Ibid., p. 127.

الحكومة لم تلجأ لزيادة الضرائب فقط بل انها قامت بزيادة الضرائب النوعية مثل التموين والملبس ومعدات الحرب لتواجه احتياجات الجيش(١) .

وقد شكلت العطايا والهبات والرواتب العالية للجنود عبئاً على الميزانية مما أدى الى شلل فى النشاط التجارى واضعاف رؤوس الاموال والقضاء على طبقة الارستوقراط(٢) .

ولقد انعكس التدهور الاقتصادى على النظام النقدى بشكل ادى لزيادة الاسعار اكثر من اربعة وعشرين مرة مما كانت عليه فى بداية عصر الامبراطورية وقامت الحكومة بفرض وصايتها على نقابات اصحاب الحرف والجمعيات وحولتها إلى اجهزة تابعة لها، كما زادت من فرض الخدمات الاجبارية على الطبقة الوسطى مما أدى إلى تحويلها لطبقة معدمة(٣) .

---

(١) طه باقر، المرجع السابق، ص ٦٣٣.

(2) Rostovtzeff, op. cit., p. 313.

(3) Rostovtzeff, op. cit., p. 313.



المبحث الخامس

الجيش الروماني في العصر الامبراطوري

الجيش الروماني:

لقد وصلت روما لقمة عظمتها، لا بواسطة الفلاسفة ولا العلماء ولكن بواسطة السياسة الحكيمة والفتوحات العسكرية، لذا فقد كان الجيش الرومانى دائماً واحداً من العوامل الهامة لعظمة روما، وفى الايام الاولى كان الجيش من المواطنين والفلاحين والذين تركوا زراعة الارض من أجل ان يحملوا السيف لخدمة وطنهم، ولكن نتيجة لامتداد الامبراطورية خارج ايطاليا فان حياة الطوارئ لم تعد مناسبة لهذه المرحلة التى اصبحت فيها الحاجة ملحة للاحتفاظ بالجيوش فى حالة استعداد دائم للاشتراك فى الحملات المتتالية دون انقطاع، ووجد الزراع انه من الصعوبة ان يقسموا حياتهم بين المزارع والمعسكرات، وكان الحل الوحيد على يد ماريوس فى ١٠٠ ق.م عندما أمد الجيش بالمتطوعين دون النظر لوظيفتهم، لقد قام بوضع نظام كان بالفعل يلجأ اليه فى بعض الحالات الخاصة.

وخلال هذه الفترة امتلأ الجيش بمثل هؤلاء المتطوعين من مختلف طبقات المجتمع بالامبراطورية مخلصين لقادتهم وينتظرون منهم العطايا والهدايا بعد كل حملة وكان مشكوكاً فى اخلاصهم للبلاد(١).

لقد مر الجيش الرومانى بثلاث مراحل، الأولى كانت فيه حدود الامبراطورية لا تعرف حدوداً تقف عندها وكان الجيش هو درع الفتوحات والغزوات ولكنه مع ذلك كان عبئاً مالياً ثقيلاً، كما كان مصدر خطر نظراً لاطماع القواد وانتصاراتهم والتى هددت كيان الامبراطور نفسه، ولقد نمت الامبراطورية خلال الفترة التى اعقبت موت اوغسطس بشكل كبير حتى

---

(1) Mattingly, op, cit., p. 137.

ضمت منطقة الدانوب والجزائر ومراكش وحالف الرومان التوفيق فى احتلال بريطانيا وكذا ضم تراجان داكياً وارمينيا وبلاد ما بين النهرين.

وكان من الطبيعى أن يصحب هذا التوسع زيادة فى عدد الجيش من كتيبة إلى ثلاثين على الأقل. أما فى المرحلة الثانية فقد بدأت منذ عهد تراجان (١١٧ – ٣٨) فقد تخلى عن الفتوحات الشرقية ورأى أن الوقت قد حان لأن تبحث الامبراطورية عن خطوط ثابتة وحدود مرسومة وبدأ فى اقامة سلسلة من المواقع الدفاعية الحصينة وقام بنشر القوات بدقة وعناية على طول هذه المواقع، ورغماً عن ذلك فقد بدأت القوات البربرية فى اثبات وجودها خلال هذه الفترة لذا فقد قرر ماركوس أوريليوس انشاء مقاطعتين إضافيتين هما ماركونيا وسارماتيا ولكن بوفاته قضى على المشروع، وتنتهى هذه الفترة بتولى سبتيموس سيفيروس الذى خاض الحرب ضد بارثيا لحماية الحدود الجنوبية والشرقية وبات الامر كله فى يد الجيش لتوفير الأمن.

أما المرحلة الثالثة فتمتد من ٢٨٥/٢٢٠م وهى لم تعد فترة سعى وراء المغانم فقد كانت الامبراطورية تقاتل فيها قتالاً مريراً من أجل بقائها فقد عاث الجرمان فساداً فى الأرض الغنية بالشمال وتوغل القوطيون الغربيون فى اسبانيا، وأوقع الجوتيون الهزيمة بالرومان براً وانتشرت اساطيلهم تبث الدمار والخراب فى البحر الاسود وشمال بحر ايجه، واصبحت روما نفسها فى حاجة لتحصينات مثل السور الذى اقامه اوريليانوس (٢٧٠– ٢٧) كما نشبت الحروب الاهلية بين مدعى العرش بالولايات وبدا كما لو أن الامبراطورية علي وشك الإنهيار لكن قدر لروما البقاء بفضل الاباطرة المقاتلين واستماتتهم فى القتال وإلى الصفات الرفيعة التى يتحلى بها الجيش الرومانى[١].

الجيش في عهد اوغسطس:

لقد كانت وظيفة الجيوش تعتمد على تأمين الحدود، أن قوام ٢٥ – ٣٠ كتيبة كان حوالى ٢٠٠,٠٠ من المواطنين الرومان دعموا بعدد مماثل من الفرق المساعدة والجماعات المحلية والتى استقرت كلها فى الولايات الخطرة

---

(١) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٣٨ – ٤١.

التى ربما تشكل تهديداً على روما، خاصة وأن أغلب سكانها ليسوا من الرومان، لقد كان للجيش الرومانى تأثير حضارى بالغ ولكن أن أقل من نصف مليون رجل يعدون قوة قليلة للسيطرة والدفاع عن حدود تمتد أكثر من ١٠,٠٠٠ ميل تخضع لأوامر الامبراطور، ويمكن القول أن جنود الكتائب كانت ايطاليا هى عمادهم بشكل طبيعى، كما أن المواطنين الرومان من الولايات قد تطوعوا للخدمة لفترة عشرين أو خمس وعشرين سنة ونال ابنائهم المواطنة والامتيازات، وعن طريق الخدمة العسكرية حصلت جنود الفرق المساعدة على المواطنة الرومانية لهم ولاولادهم، كما كان يحق لابنائهم الالتحاق بالكتائب، أما المعسكرات القريبة من الحدود فقد جذبت المدنيين ومن ثم فقد نمت الضواحى واقيمت المكاتب الادارية ولقد كان لمثل هذه المعسكرات تأثيرات حضارية بالغة فقد كان الجندى الرومانى أكثر من مجرد جندى، ففى الحقيقة لقد كانت ادواته التى حملها اثقل من تلك التى عرفها العالم الحديث، فقد كان رجل محارب ومهندس يقيم المعسكرات ويبنى الطرق والكبارى ويقوم بتنظيمات ادارية وعسكرية، لقد كان يقضى أغلب حياته فى الولايات وقد لا يرى روما أو ايطاليا، وكان عندما يختتم حياته العسكرية يحصل على نسخة من شهادة تحفظ فى روما تسجل حقه فى المواطنة الرومانية وحق ابناءه(١)، وقد وجد أوكتافيانوس تحت يديه حوالى أكثر من ٦٠ كتيبة وجنود من النوعية التى يصعب ان تبقى دون حرب واحتار ماذا عساه يفعل تجاههم فقد كان هناك الكثير من الجنود اكثر من الحاجة بحيث يجب ان يتقلص عددهم وفى نفس الوقت يجب أن يحتفظ بالكثير منهم من أجل المحافظة على الحدود ومن أجل اقامة السلام فى الولايات، وفى بعض الحالات من أجل القيام بالهجوم وجاء الحل مناسباً فلقد قام أوكتافيانوس (اوغسطس) بتقليص العدد لحوالى النصف ولكن بشكل لا يتنافى مع احتياجات الامبراطورية، وفى نفس الوقت دعم الجيش بواسطة

---

(1) Barrow, R.H., The Romans, pp. 90 - 91.

الحلفاء من الولايات المختلفة والتى شكلت فرق مساعدة auxilia بعدد مساو للكتائب الاساسية ولقد قامت مثل هذه الفرق بعقد معاهدة مع الامبراطور بشكل مباشر ويتبعون قادتهم ويدينون لهم بالولاء ولكن تحت إمرة الامبراطور نفسه، لقد تأرجح عدد الجيش مرات عديدة وتساوى عدد الفرق المساعدة من الشعوب الحليفة مع الكتائب التى كانت تعسكر بالقرب من الحدود ولم يكن فى ايطاليا أو روما أو بعض الولايات الهادئة كتائب من الجيش ولكن كان لابد من الاحتفاظ بقوات فى هذه المناطق لذا فقد قام اوغسطس بدعم الحرس البرايتورى(١).

الجيش بعد اوغسطس:

ورغماً عن القواعد التى ارساها اوغسطس للجيش من أن الامبراطورية يجب أن تحتفظ بحدودها الا انه قد اضيفت حدود اخرى من وقت لاخر مثل بريطانيا وداكياً وارابيا Arabia (بلاد العرب) وكذلك زيدت عدد الكتائب مثلما حدث فى عهد تراجان وانتقل مركز القوة والاهتمام من الراين الى الدانوب وانشأت حامية جديدة فى بريطانيا وكبادوكيا وسحبت معظم الكتائب من إسبانيا عدا واحدة بعدما اصبحت ولاية هادئة وكذلك الغال(٢).

أما بالنسبة لتبريوس فقد اضطر لزيادة العطايا والهبات للجنود لضمان ولاء الجيوش له خاصة فى بانونيا جرمانياً، أما كلوديوس فقد ذهب لاحتلال بريطانيا وحفز جنوده للنشاط وبنى الطرق والكبارى وقت السلم وفاز برضا الكثيرين كامبراطور مثلما كان اوغسطس، أما فترة نيرون فلم تكن فترة امجاد عسكرية فقد انهى الحرب مع بارثيا باتفاق مرضى وانهى خطر تمرد قبائل البريتون Britons واليهود أما فترة ما بعد نيرون فان الحروب الاهلية اظهرت خطراً جديداً ومشاكل جديدة منها أن الامبراطور اصبح من الممكن أن يأتى من خارج روما بواسطة جيش الولاية ذاتها، وكذلك بواسطة الحرس البرايتورى الذى زادت سلطاته ونفوذه، فقد فاز اوتو برضا الحرس البرايتورى

---

(1) Mattingly, op. cit., pp. 138 - 140.
(2) Mattingly, op. cit., pp. 145 - 146.

الذى شاركه فى جرائم عديدة، أما جالبا فلم يحصل على هذا الدعم، أما «فيتولوس» وبحسن قيادته للكتائب الجرمانية فقد كافئ جيشه لانتصاره على اوتو واغرقهم بالهدايا، أما فسبسيان فقد اعتلى العرش بانتصاره على فتيلوس نتيجة لدعم قواته الشرقية وبعدما حقق انتصاراً نهائياً فى البر والبحر وتسلم الامبراطورية واراد أن يضمن ولاء الجيوش له بالعطايا، كما قام تيتوس باعادة هيبة الامبراطورية وكسب رضاء جنوده، أما دومتيان فقد كان محبوباً من الجيش وقد كان ذلك نتيجة لزيادته للعطايا ثلاثة أضعاف، أما نيرفا فكان عليه ان يخضع لقاتلى دومتيان المحيطين به ولكنه استطاع استرجاع كيان الامبراطورية من خلال صلته بالجيش، أما تراجان فقد دعم موقفه عن طريق القوة والفتح وحول موقف الامبراطورية للهجوم ورأى أن روما لاتزال قادرة على الفتوحات الضخمة، فنكث تراجان عهود السلام مع ديكبالوس Decebalus فى داكيا وضمت داكيا إلى الامبراطورية وضمت كذلك بلاد العرب دون مقاومة تذكر، وأخيراً فقد صمم أن يضع حداً لمسألة بارثيا ليصل بحدود الامبراطورية الى اقصى الشرق مثلما فعل الاسكندر الاكبر، واجتاح البحر الاحمر وسجل بقاعات السناتو انتصاراته على شعوب لم يسمع عنهم من قبل(١)، أما هادريانوس فقد كان رجل سلام وترك مشروع احتلال الشرق الذى قام به تراجانوس وعاد إلى ساسية السلم الذى يعتمد على المستوى العالى للتدريب والنشاط للجنود فقد اعتنى بجنوده واهتم بتدريبهم وأوجد سياسة الثواب والعقاب، ولقد ظل السلام الرومانى قائماً فترة حكم انطونينوس بيوس ولكن بدأت المشاكل بعد موته ربما كان بسبب طيبته الزائدة، فقد ظهرت المشاكل بخصوص فارس خلال الحملات التى قام بها لوكيوس فيروس شريك ماركوس اوريليوس فى الحكم، كما كان هناك خطر عظيم يهدد ايطاليا من قبائل الماركومانى Marcomani والكويدى Quodi على الدانوب ولقد اصبح لزاما على الامبراطور الفيلسوف أن يبقى بقية حياته فى المعسكر بجانب جنوده حتى يبعد الخطر، وربما لو قدر لماركوس

---

(1) Mattingly, op. cit., pp. 146 - 147.

اوريليوس أن يعيش سنة أو سنتين آخريين لكان من الممكن الحصول على انتصارات على الحدود والتى غابت عن الامبراطورية فترة طويلة، ولكن ابنه الصغير كومودوس اختار سلاماً مخزياً معهم، وعاد للمتعة فى روما وضحى بكل ما قام به ابوه من محاولات، أن ما قام به كومودس يذكرنا بكاليجولا ونيرون، لقد اصبحت سلطة الحرس البرايتورى ورجال القصر هى المسيطرة وهذا الاهمال الفظيع من جانب كومودس اثر بشكل سلبى على قوة الامبراطورية، ولقد بدأت جيوش الولايات فى التعبير عن رأيها بشكل عنيف وأصبحت الاضطرابات والثورات شائعة بشكل اصبح يهدد كيان الامبراطورية والامبراطور نفسه، وعندما لقى كومودس حتفه اصبح الطريق مفتوحاً للحروب الاهلية الثانية التى اضعفت من كيان الامبراطورية فلقد حاول «برتيناكس» Pertinax (القائد القديم لماركوس اوريليوس الذى استطاع الحصول على العرش) استعادة امجاد ماركوس ولكن الحرس البرايتورى يقتله فى قصره، واصبحت خيوط اللعبة الآن فى يد جيوش الولايات كما كانت بعد نيرون فلقد انتصرت جيوش بانونيا بقائدها سبتيموس سفيروس على السوريين وقائدهم نيجر على الغال والبريتون وقائدهم لكورديوس البينوس[1].

الجيش في عصر الاسرة السيفيرية:

قام سبتيموس سيفروس بتشكيل حرس جديد له من صفوة جنوده فقد كان قائداً عظيماً ذو مهارة فائقة واثق فى نفسه وفى قواته ولكن فترة حكمه تعد سيئة بالنسبة للامبراطورية فقد اضطر من أجل ان يضمن ولاء جنوده أن يزيد من العطايا والهبات كما سمح لجنوده أن يعيشوا مع زوجاتهم بعد أن كان ذلك ممنوعاً عليهم، ولقد نصح ابناه قبل موته أن يهتموا فقط بالجيش وبالجنود، وبعد أن قضى كاراكلا على اخوه جيتا وعلى كل رفاقه فى روما كان عليه أن يلجأ إلى الجيش ويزيد من العطايا والهبات وكان دائماً يردد أن: « ليس لأحد غيرى الحق فى أن يملك المال من أجل أن اعطيه لجنودى»، أما ماكرينوس رئيس الحرس البرايتورى فلم يستمر طويلاً وعادت الاسرة

(1) Mattingly, op. cit., pp. 148 - 149.

السيفيرية من جديد فى شخص الكاهن الصغير «ايلاجابال» ولكن الجنود تضيق بضعف شخصية امبراطورهم الذى إنصرف عنهم بطقوسه الدينية وتم ا لتخلص منه وانتقل العرش لابن عمه سيفيروس الكسندر الذى حكم لمدة ١٥ سنة لم تكن مجيدة بالنسبة لروما ولكن الجيش هو الذى فاز بالغنيمة كلها، وبعد أن قتلت الجنود الكسندر اعتلى العرش الجندى التراقى ماكسمينوس وتبدأ فترة الازمة الكبرى فقد كان بربرياً فظاً ولكنه كان جندى شجاع قاوم البربر واستولى على ثروات الاغنياء واعطاها لجيشه ولقد قام السناتو وقتها بتعيين جورديانوس ضد الامبراطور وعندما مات الاثنان قام السناتو بتعيين اثنان من الاباطرة بجانب جورديانوس الصغير ولكن ماكسمينوس يفاجئهم عند اكوليا لكنه يقتل على يد جنوده، وخلال حكم جورديانوس الثالث وفيليب يسود الامبراطورية نوع من الهدوء ولقد حاول ديكيوس فيما بعد أن يعيد زمن تراجانوس ولكن كانت الفوضى العسكرية هى المسيطرة نتيجة السياسة الخاطئة زمن سيفيروس واصبح من المألوف ان يقتل الامبراطور على يد جنوده الذين استأثروا بكل الثروات واصبحت حياة الجندى اكثر سهولة واصبحوا يتحكمون فى السياسة ويطالبون بمزيد من العطايا، ونظراً للحالة المضطربة التى وصلت اليها الامبراطورية فكان لابد من حدوث بعض الاصلاحات فى كيان الجيش وهذا ما بدأه جالينوس[١].

عناصر الجيش الروماني:

حرصت خطط الدفاع الرومانية منذ البداية على أن تجنى اعظم الفائدة من استخدام الطرق الداخلية وطرق المواصلات البحرية بالبحر المتوسط الذى تم تطهيره من القراصنة، ونظراً لأن مهمة اقامة جيش كبير تتطلب تكاليف باهظة فقد رأى أوغسطس أن يكتفى باقل عدد من القوات بالقدر الذى لا يعرض سلامة الدولة للخطر وكان عدد الفرق الرومانية أول الأمر ثمانية وعشرون فرقة زيدت إلى اثنين وثلاثين فرقة وصلت فى عهد سيفيروس إلى خمس وثلاثين فرقة.

---

(1) Mattingly, op. cit., pp. 150 - 151.

١- الحرس البرايتوري:

كانت صفوة الاسلحة بالجيش هى التسع كتائب للحرس البرايتورى والذى كان يمثل حرس الشرف الملازم للامبراطور ولقد روعى فى اختيارهم القوة والولاء وكانت هذه الفرق تقوم بالحراسة ليلاً ونهاراً على مقر الامبراطورية[١]، فقد واجه الاباطرة نفس مشاكل الحماية الشخصية التى يواجهها معظم الحكام فى العصر الحديث سواء وقت السلم أو وقت الازمات والتمرد العسكرى والتى قد يكون فيها الامبراطور معرضاً لمحاولات القتل بواسطة قادة التمرد، لذا فقد تحمل الحرس البرايتورى مسئولية حماية الامبراطور من الايذاء، ولقد فصل الحرس عن بقية اجزاء الجيش ويبدو أن أهم أوجه الفرق بينهم وبين العناصر الاخرى بالجيش كانت الرواتب، فقد نال الحرس البرايتورى زمن اوغسطس قدر ما يناله الجندى العادى ثلاثة اضعاف ولقد اختيروا من علية الفرسان، وفى عهد كاركلا تسلمت الكتائب حوالى ٣,٠٠٠ سيستريكس فى السنة، فى حين تسلم رجال الحرس البرايتورى حوالى ١٠,٠٠٠، كما كانوا ينالون نصيباً وافراً من العطايا والهبات التى يقدمها الامبراطور والتى بلغت فى عهد اوغسطس حوالى ٢٠,٠٠٠ سيستريكس فى عام، كما تمتعوا بهدايا خاصة من الامبراطور مثلما حدث فى عهد نيرون بعد مؤامرة «بيسو» حيث اغدق عليهم العطايا واعطاهم القمح مجاناً كعطية خاصة، ولقد كانت مدة خدمتهم ١٦ سنة فقط وكانت لديهم فرص عظيمة للترقى كما تميزوا فى الزى العسكرى واضيفت فى شهادة نهاية خدمتهم Diplomata عبارة «للجنود الذين اتموا الخدمة بشجاعة وولاء» تمييزاً لهم عن بقية شهادات عناصر الجيش الاخرى.

كان الامبراطور هو الذى يبلغ كلمة السر إلى قواد فرق الحرس البرايتورى بالقصر الامبراطورى أو المعسكر، وكان الحرس البرايتورى يخضع فى الأصل لقيادة ضابطين برتبة Proefectus بريفكتس وكانوا يتدربون على اعنف ما تقضى به تقاليد الحرب الرومانية واصبح الحرس البرايتورى خلال

---

(١) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٤٢٠.

القرنين الأول والثانى بمثابة ورشة أولية لتخريج الضباط(١). ولقد كان للشخص الذى يصل لدرجة قائد الحرس البرايتورى أن يتمتع بثقة الامبراطور وصداقته وأن يكون له قدرات خاصة تمكنه من قيادة رجال الحرس، ويبدو أن قائد الحرس البرايتورى لهدريانوس ويدعى ماكرينوس تربو Turbo كان من هذه النوعية، ومن المؤكد أن قادة الحرس البرايتورى كان لهم شأن عظيم وقت الازمات والتمرد فقد كان لهم يد فى تغيير وقتل وتعيين اباطرة كثيرين، فقد قام رجال الحرس البريتورى بقتل كومودوس وقت الحرب الاهلية، كما أن كاركلا قد قتل وسط جنوده الذين احبهم كثيراً وبواسطة قائد المائة واثنان تريبونان ومعهم قائد حرسه البرايتورى ماكرينوس، كما أنه من المؤكد ان عملية اغتيال دوميتانوس وجايوس وكومودس قد تمت خارج القصر وفى وقت ومكان كان فيه الاباطرة دون حماية، وكان قائد الحرس البريتورى قد حرص أن يحفظ الحرس البريتورى بعيد ولقد ظهر جلياً أن مقتل الثلاثة كان بواسطة اعضاء من الحرس نفسه، ولقد حرض سيفيروس على تغيير الحرس البريتوى وقام باختيار حرسه من جنود بالدانوب وقليلون من ايطاليا وحتى وقت ماركوس اوريليوس فان قائد الحرس البريتورى كان يقود الجنود فى ساحة الحرب فى بعض الحالات وكان وجود هؤلاء القادة بساحة الحرب راجع لرأى الامبراطور فيهم ومقدرة القواد الاخرين فى حماية الامبراطور، ويبدو أن قادة الحرس البرايتورى كانوا يتحملون مسؤليات خاصة وقت ماركوس أوريليوس نظراً لأن الامبراطور كان دائم الاشتراك فى الحملات وكان يواجه مواقف صعبة عديدة تطلبت وجود قادة من الذين يثق فيهم(٢).

٢- الكتائب الرومانية:

ويأتى بعد هذه القوات ذات الحظوة جنود الفرق الرومانية الفعليون وهم الذين كان يتم تجنيدهم بطريق التطوع ومدة خدمتهم عشرون سنة مع

---

(١) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٤٣.

احتمال اختيارهم لخمس سنوات اخرى وكانوا فى البداية يجلبون من ايطاليا وحدها حتى صدر قانون كاراكلا ٢١٢م الذى أمكن بعده جلب جنود الفرق من كافة الولايات بعدما اشترك الجميع فى حق المواطنة الرومانية، ولم يكن مسموحاً للجنود أن يتزوجوا اثناء الخدمة العسكرية أو على الأقل لم يكن فى مقدور الجندى أن يعقد قرانا رومانياً شرعياً تاماً من جميع الوجوه غير أن سبتميوس سيفيروس رفع هذا القيد فى عهده وأصبح من حق الجندى ان يحتفظ بزوجته فى دار قريبة من المعسكر مما أدى لأن تصبح الفرق اشبه بنقاط حراسة محلية(١).

٣- الوحدات المساعدة:

أما الوحدات المساعدة Auxillia فقد كانت عبارة عن قوات وطنية من الولايات وكانوا يختارون من الشباب الذين يستطيعون القيام بالاعمال الحربية والاقبال على حياة مليئة بالمغامرة والمجد، فضلاً عما تحمله من امتياز حقوق المواطنة الرومانية عند نهاية الخدمة التى بلغت حوالى ٢٥ سنة ولقد كانت هذه الوحدات المنتشرة على الحدود تساهم منذ عهد هادريانوس بقوى مقاتلة نافعة تنظمها وحدات تسمى «نوميرى» Numeri ولقد كانوا يحاربون بزيهم الوطنى الخاص(٢). وفى ساحة الحرب كانت المشاة فى المقدمة بالقرب منها.

وفى حالات الخطر كان الجيش يسير فى شكل مربع مرتدين دروعهم ومستعدين للحرب والاشتباك من أى جانب وكانوا ينظمون فى ثلاثة خطوط مرتدين الزى العسكرى من الجلد والمغطى احياناً بالمعدن ويرتدون الخوذة والحذاء العسكرى ومعهم سهامهم أو رماحهم وسيوفهم وجعبة الاقواس للاغراض الهجومية، ويبدو ان الجيوش الرومانية استفادت من عناصر بالجيش فى الولايات الشرقية والغربية فقد اتت المشاه الثقيلة من الشرق والقواسة من Osrhoene ورماه الرماح من المغرب ولم تظهر اية اختلافات

---

(1) Mattingly, op. cit., p. 143

(٢) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٤٣.

بين القوات الغربية والشرقية طالما اصبح الجميع يحارب من أجل روما[1] كان هناك حوالى تسع فرق تحرس الراين وسبع تحمى الدانوب واربعة عند دجلة والفرات وثلاثة فى بريطانيا، أما اسبانيا ودلاماتيا وافريقيا فلم تكن فى حاجة لاكثر من فرقة فى كل منها، كان الجندى يتدرب على السير والجرى والقفز والسباحة وركوب الخيل واستخدام الاسلحة فى الهجوم والدفاع واستعمال الفأس والجاروف والبلطة والمنشار وحصد القمح وقطع الاخشاب.

لقد تكونت الفرقة من حوالى٦٠٠٠جندى تحت قيادة ضابط برتبة Lega-tus ثم يندرج تحت منه آخر برتبة Tribuni أما القادة المئة Centuriae فكان كل منهم يرأس مائة جندى وكانت كل فرقة من الفرق تمثل وحدة متكاملة لها لواءها الخاص ورقمها واسمها وشارتها وكان القائد الاعلى يعينه الامبراطور وكان فى العادة من سلالة الاسر العريقة على أن يكون قد شغل بعض الوظائف المدنية والعسكرية، أما درجة التريبون فكانت غالباً من أسر الفرسان من الذين اثبتوا جدارة اثناء توليهم منصب قادة المائة[2]. وكانت أهم المشاكل التى كانت تواجه حكام الولايات هى الطريقة التى يوفرون بها المؤن ووسائل المواصلات والقلاع والثكنات للجيش لضمان قيامهم بواجباتهم على أكمل وجه، ومن أجل ذلك وجد نقيب للمعسكر والذى يقابله ضابط الامدادات والتموين فى الفرق الرومانية ويكون مسئولاً أمام حاكم الولاية Praefectus Castrorum وليس قائد الفرقة ولقد كان حكام الولايات يستعينون بمستشارين من ذوى الخبرة فى شئون الجيش واستطاعوا فى كثير من الاحيان الحد من نفوذ قادة الفرق والاشراف على الجهاز الادارى سواء المدنى أو العسكرى وفى وقت الراحة كان فى وسع الضابط والجنود التمتع برياضة الصيد وممارسة عدد من الرياضات مثل القفز والسباحة والجرى والمصارعة، وكان كل جندى يحاول اثبات مهارته أمام قواده كما كانوا يغتسلون فى الحمامات ويلعبون الميسر ويستمتعون بالمسرحيات والعروض الفنية[3].

---

(1) Mattingly, op. cit., p. 144.

(٢) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ص ٤٥ – ٤٦.

(٣) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ص ٤٧ – ٤٨.

أما الاسطول فلم يكن له الاهمية التى نالها الجيش لحد سمح للعبيد بتولى قيادته وكانت واجباته الحراسة والنقل وحفظ الامن فى البحار وكانت قاعدة الاسطول فى البداية فى دافنا لتأمين البحر الادرياتيكى وميسينيوم Misenum للبحر التيرانى، وخصص للبحر الاسود وحدة بحرية قوامها اربعين سفينة، وكان للنهرين الراين والدانوب الاساطيل الخاصة بهما ونظر لأن الاسطول لم ينظر اليه ليكون كوحدات مقاتلة فقد شكلت الهجمات البربرية للقوط سنة ٢٥٠م خطراً كبيراً للامبراطورية وكانت بمثابة انذار مبكر حيث قاموا بعدها بمهاجمة بثينيا وليديا ٢٦٧ ، وبعدها عاثوا فساداً فى مدن آسيا الصغرى وفى البحر الايجى بل ووصلوا إلى اثينا وهكذا جاء الدور على الأسطول ان يعاد تنظيم وحداته بصورة شاملة وكان ذلك على عهد دقلديانوس(١).

تكلفة ونفقات الجيش:

فى آخر عقد من الجمهورية الرومانية كان حوالى ٢٠٠,٠٠٠ ايطالى يخدمون فى صفوف الجيش وربما كان معظم هذا العدد مسجل فى الوثائق العسكرية، وكان على القيادة العسكرية التى كانت تأمل فى السيطرة على هذه الاعداد أن تعمل كل جهدها فى أن تقدم لهم كل احتياجاتهم قدر المستطاع، لقد كانت التكلفة عالية بالنسبة للمهايا الاعتيادية وكذلك العطايا والهبات سواء أكانت النقدية أو الأراضى، لقد قال كراسوس لا يجب أن يطلق أى شخص على نفسه أنه غنى إذا لم يستطع ان يتحمل نفقة اعداد جيش من حسابه الخاص.

وعندما تسلم اوغسطس الامبراطورية كان عليه أن يحتفظ بالجيش الذى يضمن له اقرار السلام واخذ على نفسه تنظيم الدفع وأمور الجيش، لقد كان هو وحده الذى يعلم اعداد قوة الجيش والاسطول والحملات التى يحتاجها وكان يضع خطته المالية للجيش، كما أنشأ صندوق Aeraium Militare من أجل الانفاق على الجنود والذى كان يعتمد على الضرائب حتى وصلت

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣٠.

حصيلته حوالى ١٧٠ مليون سيسترس Sesteres ولقد كان اوغسطس يدعم الصندوق الجديد من دخله الخاص، لقد كان المال لازماً لضمان ولاء الجنود وعدم تمردهم، وقد اختلفت معدلات الرواتب تبعاً لارتفاع الاسعار وكانت فى البداية تقل عن دينار فى اليوم للجندى الواحد مساوياً بذلك اجر العامل المتوسط، ويبدو أن الجندى كان يمكنه ادخار أكثر من نصف راتبه بالاضافة لحصوله على نصيبه من القيام بالحملات الناجحة.

قواد المائة Centurioni:

إن الترقى لقيادة المائة كان مفتوحاً لكل رجل من الكتائب ومن قيادات الحرس البرايتورى فبعد ١٦ سنة من خدمة الجندى يمكنه ان يترقى إلى درجة قائد مائة، كما أن الرجل خارج الجيش يمكن أن يصل لدرجة قائد مائة أو أن يصل لقيادة المائة البرايتورى والقوات المدنية Urban وعندما يصل لهذه الدرجة يفتح له الطريق إلى Primiordines ثم إلى Primuspilus وهى أعلى درجة مائة فى الكتيبة يستطيع من خلالها ان يصل إلى تريبون Tribunats وكذلك قائد الكتائب المدنية Urban Cohorts وقائد الحرس البريتورى، وكل درجة فى الترقى تعنى مزيداً من الفوائد والامتيازات(١).

كما انه قد يحصل على منح من الامبراطور بين الحين والآخر، وكان الجندى يحصل على معاش من الخزانة عند تقاعده، وكان جندى الفرق يتطلع للترقى لرتبة أعلى كأن يرقى لرتبة «قائد المائة» قبل بلوغه سن التقاعد، أو البريموس بيلوس الشبيهة بضابط أركان حرب عظيم، ولقد كان راتب قائد المائة يبلغ عشرة اضعاف الجندى(٢).

لقد كانت نفقات الجندى حوالى ٩٠٠ سيسترس فى السنة فى عهد أوغسطس زيدت إلى ١٢٠٠ فى عصر دوميتان وربما وصلت إلى ٢٠٠٠ فى

---

(1) Campbell, The Emperor & The Roman Army 31 BC. - AD. 235, p. 101

(٢) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ٥٢.

عهد سبتميوس سيفيروس و ٣٠٠٠ فى عهد كاركلا (ورغم أن الرقم مبالغ فيه إلا أنه من الواضح أنه قد طرأت زيادة على مرتبات الجندى فى هذه الفترة) لقد دفع أوغسطس لخمس وعشرون كتيبة سنة ٩م حوالى ١٥٠ مليون سيسترس، وإذا كانت الوحدات المساعدة Auxillia تأخذ حوالى خمس اسداس ما تأخذه جنود الكتائب يصبح الرقم حوالى ١٢ مليون سيسترس لحوالى ١٥٠,٠٠٠ جندى.

وكان قوام الكتيبة حوالى ٥٥٠ جندى أى حوالى ٦ مليون سيسترس سنوياً وإذا كان عدد كتائب الحرس البريتورى حوالى ١٠٠٠ جندى تكون الثلاث كتائب فى عهد اوغسطس قد تسلمت حوالى ٢٧ مليون سيسترس (٣٠٠٠ × ٩٠٠٠ سيسترس) يضاف إليهم ٢ مليون وربع سيسترس لـ ١٥٠ قائد مائة وحوالى ٦ مليون و٣٠٠ ألف سيسترس Vigl'es (٧٠٠٠ × ٩٠٠)[1].

وإذا نظرنا الى المعدل اليومى لراتب الجندى الرومانى نجده حوالى ٢,٥ سيسترس يومياً ولقد عانى كثير من الجنود من قلة الراتب اليومى لأن عليهم أن يدفعوا للملابس والاسلحة والخيام لذا فقد طالبوا مراراً بزيادة رواتبهم هذه الفترة إلى ٤ سيسترس، ولقد زاد دومتيان راتب الجندى الى ٣,٢ سيسترس يومياً فى حين حصل جنود القوات المساعدة على ٢,٧ سيسترس والحرس البريتورى ١١ سيسترس، فى حين زيدت المهايا فى عهد كركلا لجنود الكتائب الى ٨ سيسترس والحرس البريتورى إلى ٢٧,٣.

كان العامل فى روما فى بداية القرن الأول الميلادى يمكنه أن يكسب من ٣ – ٤ سيسترس فى اليوم وإذا قلنا أن الجندى يصرف أكثر من ٨٠٪ مما يحصل عليه فى أشياء اخرى غير الطعام لادركنا أن راتبه كان قليلاً للغاية هذه الفترة وأن امتاز بأن الراتب كان يعطى له بصفة دورية عكس العامل العادى الذى لا يمكنه أن يحصل على اجر يومى منتظم، كما أن الجندى كان يحصل من وقت لاخر على الهدايا والعطايا النقدية وكان معفياً من دفع

(1) Campbell, op. cit., p. 161.

الضرائب، ولقد تضاعفت الرواتب فى عـهد سبتميوس سيفيروس ولكننا يجب أن نحترس لأن القيمة الفعلية للعملة قد تدنت فى هذه الفترة، إلا أن مستوى الجندى هذه الفترة قد ارتفع نتيجة لاهتمام الاسرة السيفيرية بوضع الجندى وبخاصة ما كان يحصل عليه من عطايا حتى ان بعضهم كان يمتلك العبيد والاراض والضياع وكانوا يستطيعون أن يوفروا النقود، لقد استطاع ساتورنوس Saturnius أن يقوم بتمرده ضد دومتيان لما تمكن من التحفظ على بنك معسكر الكتائب فى جرمانيا العليا، لذلك فقد منع دومتيان أن يدخر الجندى أكثر من ١٠٠٠ سيستريس فى بنك المعسكر[١].

العطايا والهبات:

وكلما كانت تزيد المهايا كانت تزيد العطايا والهبات والمنح للجيش حتى وصلت زمن أوغسطس إلى حوالى ١٥ مليون سيستريس، ومن أجل توضيح ضخامة الرقم نستطيع أن نقول أنه عند نهاية عصر الجمهورية كان ٤,٨ مليون سيستريس كافيين لاطعام ١٠,٠٠٠ اسرة سنوياً، لقد اغدق بومبيوس على جنوده حوالى ٦٠٠ سيستريس لكل جندى عند انتصاراته ووعد اوكتافيانوس باعطاء ٢٠٠٠ سيستريس فى حين اعطى حوالى ١٠٠٠ سيستريس لـ ١٢٠,٠٠٠ من جنوده القدامى واعطى ١٠٠٠ لكل جندى من رجال الحرس البرايتورى و٥٠٠ سيستريس لجنود الكتائب المدنية و٣٠٠ للكتائب الاساسية، واتبع تبريوس نفس المنهاج.

ولقد وعد اوتو جنوده بـ ٥٠٠٠ سيستريس لحرسه البريتورى وصلت الى ١٥٠٠ سيستريس عهد كلوديوس ونيرون وربما أصبحت نموذجاً للعطايا التى يعطيها الامبراطور عند توليه العرش فى حين زادت هذه المكافأة أو العطية إلى ٢٠٠٠ سيستريس للحرس البريتورى، ولقد أدعى سيفيروس أنه اعطى اكثر العطايا لكتائبه فى بانونيا قبل وصوله لروما، وفى الحقيقة فانه قد اعطى حوالى ١٠٠٠ لكل رجل رغماً ان الجنود طلبت ١٠,٠٠٠، وفى عهد كاراكلا

---

(1) Campbell, op. cit., p. p. 177 - 179.

وبعد موت جيتا وصلت العطايا إلى ١٠,٠٠٠ سيسترس لكل جندى أما ماكرينوس فقد اعطى جنوده ٣٠٠٠ سيسترس عندما نال لقب انطونينوس وليضمن ولاء جنوده فقد عرض ٢٠,٠٠٠ سيسترس ولكن يبدو أن الرقم الحقيقى كان ٤٠٠٠ سيسترس، وقدم ايلاجابالوس ١٠٠٠ سيسترس لكل جندى عند احتفاله بزواجه لكورنيليا باولا Cornelia Poula أن معدل الهبات لم تكن مرتبطة بطبيعة الحال مع المعدل السنوى، للمرتبات[1]، ولقد وجد اوغسطس صعوبة حقيقية فى الوفاء بالمنح والعطايا لجنوده وقدم اقتراحاً للسناتو فى ٦م لانشاء خزانة لدفع هذه العطايا واقنع السناتو بتحصيل ضريبة ٥٪ على المواطنين و١٪ على المبيعات، كما كان الامبراطور يتقبل هدايا من الملوك الاجانب والمواطنين الرومان والجماعات، ودفع ١٧٠ مليون من نفقته الخاصة وهذا يكفى للدفع لحوالى ١٤,٠٠٠ رجل ووعد بالدفع سنوياً، لقد شكلت النشاطات والحملات العسكرية الطارئة اعباء مالية جديدة ورغماً عن الحالة المالية السيئة التى عانى منها ماركوس أوريليوس بعد فترة حكم انطونينوس بيوس إلا أنه لم يلقى بأعباء جديدة على شعبه نظراً لمقدرته على ادارة البلاد بشكل ممتاز، أما سيفيروس والذى زاد لجنوده فى العطايا فقد اضاف للبلاد اعباء ثقيلة بحملاته، أما كاراكلا فقد وعد جنوده بأن كل الأموال لهم قائلاً «لا يجب أن يملك المال احداً غيرى لاقدمه لكم»، وعندما لامته أمة على اسرافه على الجنود قال لها لا تقلقى يا أمى واشار لسيفه «المال لن يضيع بعيداً طالما لدينا هذا».

ولقد نال كراكلا انتقادات عنيفة من عليه القوم فى روما لاغراقة الامبراطورية بمشاكل مالية خطيرة، ولقد عانى ماكرينوس من هذه الزيادة فى المرتبات ولم يستطيع ترتيب الالتزامات المقررة للجنود خاصة التى منحت منذ عهد سبتميوس سيفيروس[2].

---

(1) Campbell, op. cit., p. p. 165 - 166.
(2) Ibid, p.p. 172 - 175.

امتيازات الجنود:

لم ينل الجنود الذين جاءوا من أدنى طبقات الشعب أى دعم قانونى لامتيازاتهم الشعبية فى المجتمع الرومانى، لذلك كان من الضرورى على الاباطرة وضع عدد من الامتيازات فى اطار قانونى وشرعى بشكل يؤمن مستقبلهم حتى يضمن ولائهم له وفى نفس الوقت بما لا يتعارض وامتيازات وأحوال الطبقات العليا واحتياجات الامبراطورية، ورغم أن الجنود قد نالت امتيازات حقيقية قد لا تتاح فى فئة أخرى من فئات المجتمع إلا أنها لم تنل التكريم والتبجيل الاجتماعى الذى نالته الطبقة العليا ومن وراء القانون كان الامبراطور هو مانح الامتيازات الشرعية للجنود، كما أن رغبة الاباطرة فى تحقيق اكبر فائدة لجنوده ولسماع شكواهم وحل جميع مشاكلهم ربما اعطى الجنود ميزة عظيمة لم تتوفر لأى فرد مدنى آخر.

وصايا الجنود Testamentum Militare:

لقد كان يوليوس قيصر هو أول من اعطى للجنود حق عمل وصايا دون أن يأخذ ذلك شكلاً شرعياً أو قانونياً وقد تم ذلك ولفترة محدودة، ولقد قام تيتوس بمنح هذه الرخصة مرة أخرى ومن بعده جاء دوميتيان، كما أن نيرفا قد قدم كذلك تسهيلات عظيمة للجنود وكذلك تراجان.

أما امتياز قيصر فيبدو أنه قد تم خلال فترة ديكتاتوريته ومن المؤكد أن ذلك قد تم خلال فترة حكمه لبلاد الغال كبرو قنصل ومنحها لجنوده الذين خدموا معه من أجل تأمين وتحقيق رغباتهم من خلال وثيقة رسمية يحررها الجندى وهو فى طريقه للحرب يكتب فيها وصيته الخاصة بخصوص املاكه ولمن تورث بعد موته[١].

ويعتقد أن فسبسيان قد منح امتيازات خاصة لجنوده الذين وقفوا بجانبه منذ البداية، ثم قام تيتوس ودومتيان بذلك من بعده، بعد ذلك منح معظم الجنود الامتياز الرسمى لعمل الوصية والتى لم يعفى منها حتى الرجل الذى

---

(1) Campbell, op. cit., p.p. 211 - 218.

أدين بالموت لخروجه على القوانين العسكرية Libera Testamcantun Fac-tio وهذا ما صرح به هادريان، وكذلك سمح للذين انتحروا نتيجة اسباب منطقية والذين اعفوا من الخدمة العسكرية لاسباب مرضية بأن يكتبوا وصية بخصوص ممتلكاتهم التى اكتسبوها خلال مدة خدمتهم. ولكن هادريان استثنى من ذلك كل اللذين طردوا من الخدمة أو أسروا[1].

ممتلكات الجنود:

تتكون أموال بنوك المعسكرات Castrense Peculium من ممتلكات الجنود التى حصلوا عليها خلال مدة خدمتهم العسكرية والتى لهم حق التصرف والانتفاع بها، ويعد اوغسطس هو أول من سمح لجنوده السيطرة على ممتلكاتهم التى اكتسبوها خلال مدة خدمتهم العسكرية وأنه هو الذى سمح بأن تذكر هذه الممتلكات فى وصية الجندى، وهى الحقوق التى اقرها كذلك نيرفاو تراجان وهادريان والأخير قد مد هذا الامتياز Peculium Castrense لجنوده القدامى، ولقد كان صداق «مهر» زوجة الجندى والتى تزوجها قبل تسريحه يعتبر خارج الصندوق فلا يمكن أن يكون من املاكه الخاصة يمكنه التصرف فيه خاصة أن الصداق يضم حقوق عائلة اخرى ولا يمكن ان يكون من أملاكه، كما ذكر بابيان أن أى شئ يترك للجندى بواسطة أحد أقربائه الذى خدم كجندى فى ولاية أخرى لا يدخل ضمن الصندوق حيث أن سبب الوصية عندئذ لا يكون من خلال الخدمة العسكرية ولكنه من خلال علاقة الدم.

ولقد كان الاباطرة حريصون على أن يوازنوا بين حقوق الاباء Pater Familias والامتيازات العسكرية حيث يوجد مرسومين لسڤيروس الكسندر يوضحان ذلك: «من الامبراطور الكسندر سيفيروس أوغسطس إلى فيلكس إبن العائلة Filius Familias لا يمكنه أخذ أى ممتلكات لنفسه دون تصريح من أبيه».

---

(1) Campbell, op. cit., p. 215.

«من الامبراطور الكسندر سيفيروس إلى فليكانوس Felicianus الجندى، أن الرجل الذى حدثك أنك حر من الروابط الاسرية كونك جندى قوى خاطئ لأنك كأى شخص تظل تحت سيطرة ابوك ولكن الذى هو من حقك كممتلكات خاصة بك هو مالك فى صندوق المعسكر وليس لابائك حقوق عليها»[1].

وفى ٣١ ق.م أصدر اوكتافيانوس منشوراً قرر فيه امتيازات للجنود جاء فيه «لقد قررت أن أمنح كل الجنود استثناء من الضريبة لهم ولابائهم ولاولادهم ولزوجاتهم كما أنهم مستثنون من الخدمات المدنية، كما أنه لا يجب على أى موظف أو حاكم أو بروكراتور Procrator أو أى جامع ضرائب أن يدخلوا منازلهم دون رغبة منهم من أجل الحصول على (ركوبة أو مطية) أو قضاء الشتاء».

أما منشور دومتيان (٨٨ / ٩٩م) لجنوده فقد إتبع نفس اسلوب أوكتافيانوس وقال فيه «لقد قررت أن يعفى الجنود من كل الضرائب المقررة والواجبات وكذلك بعض ابائهم واطفالهم وزوجاتهم اللائى تزوجهن يجب أن يكن مواطنين رومانيين يتمتعن بكل الحقوق الشرعية الممكنة» وربما كان تاريخ المنشورين يرجع لفترة ما بعد تمرد ساتورنوس لرغبة دومتيان كسب رضاء وولاء جنوده[2].

أما هادريانوس فقد كتب إلى حاكم مصر عام ١١٩ روموس مارتلياس بخصوص الحقوق الطبيعية للاطفال الغير شرعيين للجنود قال فيه:

أعرف يا عزيزى روموس أن الاطفال الذين يولدون للجنود خلال مدتهم العسكرية غير مسموح لهم أن يكونوا اوصياء لممتلكات والدهم ولا يعد ذلك قاسياً حيث أن هذا العمل يعد ضد النظم العسكرية (الزواج خلال مدة الخدمة العسكرية) ولكننى وبكل سعادة انتهز هذه الفرصة لاكون أكثر احساناً ممن

(1) Campbell, op. cit., p.p. 229 - 230.
(2) Ibid, p.p. 281 - 284.

سبقونى واقرر أن هؤلاء الاطفال مسموح لهم بالدخول فى الدعوى الخاصة بممتلكات والدهم كما أحب أن يعلم الجنود العاملين والمتقاعدين بهذا المنشور حتى يعملوا به».

هذا ولقد عبر هادريانوس عن سعادته تجاه هذا العمل والتى دلت على مدى حبه للجنود واحسانه لهم وتعاطفه معهم رغم أن هذه القرارات قد تتعارض مع النظم العسكرية، ويبدو أن هذا المنشور كان موجهاً للكتيبة الثانية Cyrenaiac والثانية والعشرين Detariana بمصر[1].

الدبلومات:

لقد كانت صيغة دبلومات التسريح التى كانت تمنح للقوات المساعدة بالولايات والبحارة بالاسطول والحرس البرايتورى تبدأ باسم الامبراطور وتذكر القابه وتحدد الجندى الممنوح له الدبلومة والذى تسلم المواطنة ثم تذكر وظيفته ومكانه بالجيش واسم فرقته.

«الامبراطور قيصر فسبسيان أوغسطس والكاهن الاعظم، حصل على قوة التريبون للسنة الثانية والمنتصر للمرة السادسة، والأب الروحى للوطن، قنصل للمرة الثالثة ويعد للرابعة، قد منح المواطنة للجنود المسرحين الذين خدموا فى الاسطول فى رافنا Ravenna تحت قيادة لوكيوس باسيوس Lucilius Bassus والجندى قد انهى ٢٦ سنة أو يزيد خدمة وقد استقر فى بانونيا والذى اسمه موضح اسفل، كما أنه قد منحت المواطنة له ولاولاده وذريته»[2].

العقوبات العسكرية:

لقد كان الجندى الرومانى حريصاً على أن يقضى فترة جنديته بسيرة حسنة حتى يحصل على الامتيازات عند تسريحه، لذلك فقد كان حريصاً على أن لا ينال عقوبات تقرها النظم العسكرية عند مخالفته للقوانين العسكرية.

---

(1) Ibid, P. 285.

(2) Campbell, op. cit., p.287.

لقد كان التخلى عن القيادة والهرب من المسئولية من أخطر الجرائم العسكرية خاصة وقت الحرب والذى كان نتيجته الموت أمام الجنود ليكون عبرة لاقرانه، كما أن الجندى الذى يتظاهر بالمرض نتيجة لخوف يعاقب بالموت، كما أن الهرب أثناء سير الجيش وعدم اطاعة الاوامر يؤدى لنفس العقوبة، فى حين يتعرض الجندى الذى يهرب من الجيش ثم يعود للعذاب ويترك للوحوش فى الغابة، ويبدو أن قسوة هذه العقوبات قد ردعت الجنود فلم يعانوا منها ولم تطبق عليهم كما أن الجندى الذى كان يرفض اللحاق بالجيش يعدم فى الحال، وكذا فإن فقد السلاح خلال الحرب يؤدى لعقوبة قد تصل للموت رغم أن هناك من يؤكد امكانية ان يلحق الجندى بجيش آخر ومن الطبيعى ان هذه العقوبات كانت تخفف وقت السلم.

وفى حالة فقدان الجندى أو بيعه لسترته أو سترة قدمه أو كتفه فإنه يعاقب بالضرب ولكنه يفصل فى حالة فقدانه لدرعه أو خوذته أو سيفه، ومع ذلك فيبدو أنه كانت توجد بعض الاستثناءات فى تطبيق هذه العقوبات(١).

لقد مارس كثير من الاباطرة كثير من العنف حتى يستتب النظام فقد قام اوغسطس على سبيل المثال بطرد الكتيبة العاشرة من الخدمة لعدم اطاعتها للأوامر.

كما أن كوربيليو قائد القوات السورية قام بمعاقبة الجنود الكسولة بالجيش السورى بقسوة وفى حالة الفصل فان الجندى يحرم من منصبه ومن الأموال وكل الامتيازات التى كان سيحصل عليها فى حالة نهاية خدمته نهاية حسنة، ويتساوى الفصل الفردى مع الجماعى(٢).

الامبراطور كقائد عسكري:

لقد كان الاباطرة الرومان قادة عسكريون دائماً استطاعوا بمقدرتهم العسكرية قيادة الجنود الذين كانوا ولائهم لشخص الامبراطور، لقد كانت مهمة تنظيم الجيش تنقسم الى توظيف سلاح المشاة الثقيلة والخفيفة وترتيب

---

(1) Campbell, op. cit., p.p. 303 - 304.
(2) Campbell, op. cit., p.p. 307 - 308.

القوات ووضع الخطط المناسبة واختيار المكان المناسب للحرب وللقيادة حتى يستطيع القائد أن يراقب الموقف عن قرب، فقد يكون من الخطر أن يلقى الامبراطور بنفسه مبكراً لساحة القتال، رغم أن هناك أمثلة عديدة لقادة تقدموا صفوف جنودهم من بداية الحرب لتحفيزهم لمواصلة الضغط على الاعداء، لقد كانت شخصية الامبراطور العسكرية الخارقة هى التى تضمن هيبة الامبراطورية وولاء الجنود، أن مصادرنا تؤكد أنه من الطبيعى أن يعلن الامبراطور عن مسؤليته الكاملة عن خطة الحرب واعداد وترتيب القواد والنقل والتفاوض مع الاعداء مثلما فعل ذلك أوغسطس أثناء حملاته فى اسبانيا فى ٢٥ / ٢٦ ق.م واثناء وصوله إلى سيجسيما Segisama، أما تراجانوس فقد كان شجاعاً وقائداً ماهراً لم يبالى بالاخطار اثناء حملته على داكيا وجازف بحياته بكل شجاعة، وأثناء الحرب الفارسية جرح خلال فترة اعداده لهجوم بالمشاة الثقيلة للهجوم على اسوار هاترا ولقد اثرت هذه الحملة كثيراً على صحة الامبراطور(١).

أما سيفيروس فلقد تضاربت الاقوال بخصوص هذا الشأن فيذكر لنا مثلاً «ديوكاسيوس» أن الامبراطور قد اظهر مهارة فائقة أثناء حملته على بارثيا كقائد عسكرى وظهر فى الزى العسكرى وشارك جنوده وقت اشتداد المعركة وفى موقعة لوجدونوم Lugdunum وأثناء الازمة التى لحقت بالجيش وعندما فقد الامبراطور فرسه أسرع بسحب سيفه وحفز جنوده فى ساحة الحرب، ولكن المؤرخ هيروديان يعترض على هذه الرواية مؤكداً أن الذين يكتبون الحقائق التاريخية يقرون أن سيفيروس فى هذه الحرب انسحب بشكل مخز وأنه نقر فرسه ليلوذ بالفرار، ويقول أن حكاية ديوكاسيوس تشبه الدعاية السيفيرية التى كانت من أجل حصول سيفيروس على العرش كقائد حربى، كما أنه ذكر أن الامبراطور اثناء حملته على بريطانيا كان محمولاً على محمل لانه كان يعانى من النقرس.

أما ابنه كاراكلا فقد أدعى أنه فى الحروب فقط يجب أن يموت الرجال

---

(1) Campbell, op. cit., p. 61.

فى حين انه كان يرسل مساعديه لقادة الحروب يدعوهم لتحدى فردى، أما ماكسمينوس فيبدو أنه اظهر مهارة عسكرية فائقة خاصة أثناء حربه ضد الجرمان وعندما كانت الجنود مترددة بشأن ملاحقة الاعداء فى المستنقعات القى الامبراطور بنفسه داخل الماء بفرسه وقتل كثيراً من الجرمان(١).

الخطب الامبراطورية للجيش:

فى وقت الازمات تصبح المقدرة على الكلام للعامة واقناع عدد ضخم من الشعب، على درجة كبيرة من الاهمية فى العالم القديم.

لقد كان على قادة الجيش أن يظهروا موقفهم العسكرى لجنودهم لتحفيزهم للحرب، وهذا ما فعله اوغسطس فى فارسالوس حين خطب فى الجنود ليحفزهم للحرب.

وربما كانت هذه الخطب مجرد شكل روتينى قديم ولكن كانت لها أهمية كبرى فى هذا المجال لأنه كان من الضرورى للامبراطور أن يتقابل مع جنوده ويرضيهم ويستميلهم إليه سواء أكان اللقاء مع الجيش وكتائبه أو مع حرسه البرايتورى الذى حرص الامبراطور أن يستميلهم إليه نظراً لاهميتهم فى روما خاصة عندما اصبحوا عماد القوة العسكرية التى يمكن أن تدعم موقف الامبراطور لقد كان تراجان ماهراً فى التحدث لمعظم الجيوش فى الولايات فقد اوضحت خطبته فى افريقيا بمعسكر Lanbaesis للكتيبة الثالثة اوغسطا III Augusta الطريقة التى يتحدث بها الامبراطور لعدد ضخم من الجنود.

لقد كان لقاء الامبراطور الأول لجنوده وشعبه لحظة مثيرة جداً خاصة ان معظمهم كان من الطبقة الدنيا قليلى التعليم والثقافة وكان على الامبراطور ان يتحدث اليهم عن أمانيهم ومخاوفهم وعن الوعود المالية وكذلك عن النظم العسكرية(٢).

---

(1) Campbell, op. cit., p.p. 67 - 68.

(2) Campbell, op. cit., p.p. 69 - 71.

لقد حفظت لنا بعض من خطب ماركوس أوريليوس فى المعسكر البرايتورى فى ١٦٨م فقد تحدث لهم عن المزايا التى ينالها الحرس البرايتورى وطالما شد انتباههم بكلمات محببة لقلوبهم مثل Novoprivligio و Veterani و So Licitabimus و Nostri .

لقد كان الجيش هو أول من يسمع الامبراطور فى وقت الازمات السياسية لانه يستطيع التعرف والتأكد من ولائهم له دون الاعتماد على تقارير الموظفين أو مستشاريه الخصوصيين فعلى سبيل المثال عند تمرد لفيروس كاسيوس اسرع ماركوس اوريليوس فى الحال لجنوده عند سيرميوم على حدود الدانوب وشرح لهم الموقف وانتقد خصمه نظراً لعصيانه وخديعته الشريرة وبين لهم أن النزاع ليس موجهاً ضده شخصياً ولكنه ضد كل الدول وتمنى أن تنتهى الحرب الاهلية بالبلاد دون اراقة دماء قدر الامكان[1] .

وفى خطبة هادريان لجنوده تحدث معهم عن قرراتهم العسكرية ومهاراتهم وتدريباتهم وقدرتهم فى بناء السور وأشاد بتدريبات الفرسان ورماة الرماح وقال لهم:

أن التدريبات العسكرية فى رأيى لها قوانينها الخاصة، اذا اضيف اليها شئ أو نقص منها شئ تصبح اما دون فائدة أو تصبح صعبة جداً، ولكنكم مع ذلك قمتم بمعظم التدريبات العسكرية الصعبة وتميزتم فى رمى الرمح لذلك فأنا فخور بكم وبروحكم.

وقال لكتيبة الفرسان:

«لقد انجزتم فى يوم واحد تحصينات يقوم بها الآخرون فى أيام عديدة لقد اقمتم سور والذى يتطلب بطبيعة الحال عمل ضخم فى وقت بسيط، وبأحجار ثقيلة والتى من الصعب على أى فرد أن يحملها أو أن يضعها فى مكانها، وعندما انجزتم عملكم دخلتم بسرعة إلى المعسكر وجمعتم اسلحتكم وتابعتم استعدادكم للحرب، أنا أهنئ قوادى لانهم قدموا لكم كل هذه التدريبات

---

(1) Campbell, op. cit., p. 84 - 86.

العسكرية التى ماثلت الحرب الحقيقية بشكل يدعو للفخر، لقد قام البريفكت Prefectus كورنيلوس بعمل يستحق الثناء»[1].

الألقاب العسكرية لفرق الجيش:

من الكتائب الـ ٢٨ للامبراطورية فى الخدمة حتى ٩ م ثلاثة فقط نالت لقب أوغسطس II، III، VIII، فى حين نالت الكتيبة XV الخامسة عشر لقب ابولوناريس Apollinaris اسم الهها الخاص، ولقد نالت الكتيبة XX فاليرافيكتريكس Valeria Victrix والذى يبدو أن أوغسطس اعطاها هذا الاسم ما بين ٤١ – ٣١ ق.م تكريماً لقائدها فالريوس ميسلينوس حاكم اليريا وقائدها خلال تمرد بانونيا فى ٦ م[2]. ولقد حكم فالريوس فترة وجيزة، ولقد اعطى كلوديوس بيافيدليس Clodia Piafidclis لكتائب فى دلماتيا، ولقد قام كلوديوس بذلك عن طريق الاقتراح فى السناتو.

وتؤكد النقوش الرسمية أن دوميتيان انعم على كتائب ادنى جرمانيا والتى ظلت على ولائها له خلال تمرد ساتورنيوس فى أعلى الولاية بالقاب مثل Piafidelis Domitiana وفى أثناء حكم كومودوس تغير اسم الكتيبة الثامنة اوغسطا اعلى جرمانيا إلى إسم Piafidelis Constans Commodiana ولقد كان كومودوس يرغب فى أن يطلق على كل كتائبه لقب كوموديانا.

وفى ٦٨ نالت كتيبة جالبا التى وصلت اسبانيا لقب جالبيانا Galbiana أما سيفيروس فقد انعم على الكتائب التى ساعدته فى الحرب الاهلية بألقاب عديدة فقد نالت الكتيبة الثالثة أوغسطا فى افريقيا لقب المنتقم المخلص Fe-lix Ultot Loyal Avenger فقد رفضت أن تساعد نيجر فى ١٩٣، وكذلك سميت الكتيبة السابعة جرمانيا فى اسبانيا Fidelis Felix فى ١٩٧م.

واصبحت الكتيبة الثانية Italica فى راتيا والكتيبة XXX الثلاثون اولبيا Loyel Trye فى ١٩٧ نظراً لدعمهم لسفيروس ضد كلوديوس البنيوس[3].

---

(1) Campbell, op. cit., p.78.
(2) Ibid, p. 89.
(3) Campbell, op. cit., p.p. 90 - 91.

وفى بعض المناسبات كان ينسب لبعض الكتائب باسم الامبراطور الذى انشأها فقد انشأ فاسبسيان كتيبتين هما الرابعة فلافيا فليكس Flavia Felix والسادسة عشر فلافيا فيرنيا Flavia Frina ربما فى ٧٠م وهما اللتان ساعداه فى بسط نفوذه على الامبراطورية.

وفى حكم نيرفا وهادريان نالت وحدات مساعدة لقب نيرفا وايليا Aelia لانهما انشأتا فترة حكمهما(١).

أما الكتيبتين اللتان اقيمتا فى ١٦٠ بواسطة ماركوس اوريليوس فقد دعيتا بلقب Italica ولقد اضاف سيفيروس لقب بارثيكا لثلاث كتائب Parthica بمناسبة انتصاراته فى بارثيا وأضاف الجنود لهم لقب سيفيريانا Saveriana أما كراكلا فقد اضاف اسمه لكل الكتائب والوحدات المساعدة حيث نالت ٢٢ كتيبة خلال حكمه لقب انطونينا Antoniniena وكذا فعل من جاءوا بعده مثل لقب Severiana و Minervia و Alexandriana و Gordians(٢).

يوجد كذلك عدد من الالقاب للكتائب تبين اتحاد الامبراطور بالجيش فقد ادعى جايوس لنفسه لقب ابن المعسكر Castrorum Filius وأبو الجيش Pater exercitum أما ماركوس أوريليوس فقد اطلق لقب ام المعسكر Mater Castrorum على زوجته فاوستينا ليقضى على الشائعات التى ادعت أن لفاوستينا يد فى مؤامرة افيروس كاسيوس، ولقد صار اسم أم المعسكر مالوفا فيما بعد حيث نالت جوليا دومنا زوجة سيفيروس نفس اللقب فى وثائق أرخت من ١٩٧ / ٢١٥ ونالت القاب اخرى مثل ام المعسكر وأم الامبراطور وأم السناتو وأم البلاد، وكذلك نالت جوليا ماميا أم الكسندر سيفيروس نفس الألقاب أما كراكلا فقد نال لقب أبو الجنود Militum Pater(٣).

امتياز الزواج:

إن الدليل على امتياز الزواج نستمده من الدبلومات التى تعطى قرب

---

(1) Ibid, p. 92

(2) Campbell, op. cit., p.p. 93.

(3) Ibid, p.p. 95 - 96.

نهاية الخدمة العسكرية للافراد المسرحين، وهذا الامتياز يمتد لجنود الفرق المساعدة Auxillia والاسطول والحرس البرايتورى وجنود الفرق المدنية،وتحدد البرديات بشكل حازم أن جنود الفرق Legionoris لم يتسلموا دبلومات والسبب فى ذلك غامض وملتبس.

إن منح الدبلوم للجنود فى روما عند نهاية الخدمة يمكن أن يفسر على أنه نوع من أنواع التبجيل، أن الشك وربما كان الشكل التقليدى للدبلومات التى تعطى للجنود المسرحين حتى ٤ : ١م كالتالى «للجنود المسرحين من الفرق المساعدة والاسطول والذين تسلموا المواطنة لانفسهم ولاطفالهم وذرياتهم دون أن يعنى ذلك المولودن قبل نهاية الخدمة أو الذين جاءوا وقت المنح» وإذا كانت زوجة الجندى مواطنة بالفعل فإن أطفالها سيكونون بشكل طبيعى مواطنين حيث أن الزواج سيكون شرعى عند التسريح، أما اذا كانت الزوجة غير حاصلة على المواطنة فانها ستمنح حق الـ Conabium (شرعية الزواج) وكذلك يعد اطفالها فى هذه الحالة اطفالاً شرعيين، ويعتقد كثير من العلماء أن الحرس البرايتورى والجنود المدنيين رغم استلامهم حق (الزواج الشرعى) بزوجاتهم وقت الخدمة فانهم لا يتسلموا المواطنة لاطفالهم الذين ولدوا خلال الخدمة(1).

ورغم عدم وجود دبلومات لدينا لجنود الفرق الرومانية فيبدو انهم نالوا نفس المعاملة التى نالها جنود الاسطول والفرق المساعدة والا سيكون شاذاً ان حصل الجنود البحارة والفرق المساعدة على امتيازات اكثر من جنود الفرق الاساسية والحرس البرايتورى وهم دعامة القوة العسكرية ومصدر قوة الاباطرة، ودون شك فإن جنود الحرس البرايتورى والفرق الأساسية وهما يتمتعان بالامتيازات المالية والتشجيعية لن ينالوا ما يناله اقرانهم من جنود الفرق المساعدة والاسطول.

ويبدو أنه قبل منشور دوميتيان ٨٨ / ٨٩م كان الاطفال الذين يولودون من خلال زواج شرعى هم فقط الذين ينالون حق المواطنة، ولكن منشور

---

(1) Campbell, The Emperor & Roman Army, p.p. 439 - 440.

دوميتيان سمح بالمواطنة لكل الجنود الذين لم ينالوا المواطنة من قبل وكذلك لزوجاتهم واطفالهم وابائهم(١).

فترة الحكم السيفيرية والجيش:

تعد الفترة السيفيرية والتى تبدأ من ١٩٣م هى بداية انهيار الامبراطورية وافولها ، لقد كان سبتميوس سيفيروس هو الامبراطور الذى اغرق الامبراطورية بالنظام العسكرى وفتح الباب أمام عامة الجنود لتولى المناصب العليا فى المؤسسات التنفيذية، لقد كان سيفيروس رجلاً عسكرياً وصل للعرش لكونه حاكم ولاية بانونيا وكان اقل خبرة ممن سبقوه من اباطرة ويبدو أن ظروف تنصيبه دعته لادخال تغييرات جذرية فى الحكومة والجيش، قام سيفيروس باغراق روما باعداد ضخمة من الجنود ووضع كل آماله فى قوة الجيش، ويبدو أنه لم ينل ثقة اعضاء السناتو، وفى عصره ساد العنف والارهاب من قبل جنود الجيش ولقد نظر إليه اعضاء السناتو على انه قاسى وعنيف جداً ولكنه مفيد للدولة، وفى خطابه فى السناتو بعد هزيمة كلوديوس البينوس سنة ١٩٣ مدح قوة ماريوس وسلا وأوغسطس وتعهد بعدم اعدام أى عضو من اعضاء السناتو ورغم ذلك قام باعدام ٢٩ عضواً من السناتو ونفى حوالى ٣٥ من روما ويبدو أن سيفيروس وجد مشقة فى التعامل مع اعضاء السناتو وكسب ثقتهم.

ويبدو أن فى عهده زاد من استخدام الفرسان فى مختلف المؤسسات والمناصب وهو دليل آخر على عداءه للطبقات العليا فلقد عهد سيفيروس لهذه الطبقة بقيادة ٣ كتائب استقرت فى ايطاليا وكتيبتين استقرتا فى بلاد ما بين النهرين، ويدعونا ذلك للتساؤل هل كان الامبراطور لا يثق فى ولاء الطبقة العليا، وإن كان هذا صحيحاً فبماذا نفسر سيطرة الطبقة العليا على قوات فى عدد من الولايات مثل:

١- سوريا كولى . Syria Cole

٢- سوريا فينقيا . Syria Phonenica

---

(1) Campbell, op. cit., p. 441.

٣- سوريا فلسطين Syria Palestina.

٤- كابادوكيا Cappadoica.

ويبدو أنه فى بلاد ما بين النهرين لم يجد سيفيروس اعضاء كافيين من الطبقة العليا لسد العجز فى هذه المناصب نظراً لابعاد الكثير منهم خاصة بعد الحرب الاهلية والاخطار التى كانت تهددهم وهناك سبع ولايات قام فيها الفرسان بحكم الولايات وهى ٢ فى داكيا، ١ فى افريقيا، ١ فى سوريا كولى، ١ فى آسيا، ١ فى جالاتيا(١).

التحالف بين الامبراطور والجنود:

لقد شهد الجنود فترة زاهية خلال حكم الاسرة السيفيرية اكثر من أى وقت مضى فقد تمتعوا ولأول مرة بحق الزواج اثناء الخدمة، وزاد التصاق الامبراطور بجنوده وزادت العطايا والتى كان لها تأثير سياسى خطير، وسار كاراكلا على نفس سياسة ومبادئ والده التى تمثلت فى زيادة امتيازات الجنود والحد من سلطة اعضاء السناتو الذين حملوا البغض والكره للامبراطور الفظ، أما منذ عام ٢٣٥ فقد تغيرت موازين القوى واصبح الجنود انفسهم مصدر الخطر على الامبراطور حيث تخلصوا من الكثيرين ورفعوا الكثير للعرش(٢).

الجيش في عهد اوغسطس:

اصبحت مهمة الجيش فى عهد اوغسطس هى المحافظة على الأمن فى الولايات وحماية الحدود، وكان جندى الفرق الرومانية Legionaris يخدم لمدة ستة عشر سنة اصبحت عشرين فيما بعد وكان يحصل عند تسريحه على مكافأة «معاش» من صندوق المعاشات المخصص لذلك Perarium Militare والذى موّل برأس مال من الضرائب المفروضة على الموتى أما عملية امداد الجيش بالجند فقد كانت غالباً من ايطاليا

---

(1) Campbell, op. cit., p.p. 401 - 406.

(2) Ibid, p.p. 410 - 411.

وناريوتسيس وباتيكيا وكانت الولايات الشرقية تعتمد على قواتها المحلية خاصة فى جالاتيا.

لقد كان جنود الفرق يمكنهم تولى المناصب الادارية بعد اعتزال الخدمة.

كانت كل فرقة توضع تحت امرة ضابط Legatus من اعضاء السناتو يعينه الامبراطور وكان الجندى يقسم يمين الولاء للامبراطور بوصفه القائد الاعلى.

ولقد قام أغسطس بتكوين قوة جديدة من أجل روما وايطاليا إلا وهى قوات الحرس البرايتورى الذين تألفوا من تسع كتائب يتكون كل منها من الف جندى يتمتعون بمميزات رائعة خاصة فى الأمور المادية ونظام الخدمة ويبدو أن معسكراتهم قد انشأت على عهد تبريوس.

وبالاضافة لذلك قام اوغسطس بانشاء جيش اخر مساو للجيش الأول الا وهو جيش قوات الولايات Auxilia والذين اعتبروا فيما بعد جزءاً هاماً من القوات الرومانية وكانوا تحت امرة قائد وطنى ينظمون فى وحدات كل وحدة ٥٠٠ جندى تسمى Cohortes و ٥٠٠ أو ١٠٠٠ من الفرسان.

ويبدو أن الهدف من تكوين هذه الفرق كان فى بادئ الأمر هو الخدمة المحلية للولاية فالغاليون يخدمون فى الراين وأهل بانونيا فى الدانوب، ثم سرعان ما اصبحت القوات المساعدة فيما بعد عاملا هاماً ومؤثراً فى نشر الحضارة الرومانية لانهم شاركوا فى الدفاع عن كيان الامبراطورية ومنحت لهم الجنسية الرومانية ويبدو أن ذلك كان بعد اوغسطس.

لقد كانت قوة الجيش الرومانى فى هذه الفترة تصل لحوالى ٣٠٠ ألف جندى وفى عصر تبريوس كانت المراكز الاساسية للفرق هى كالتالى:

٨ فى الراين، ٧ فى الدانوب، ٣ فى سوريا، ١ فى مصر، ٢ فى افريقيا، ٤ فى اسبانيا(١).

---

(١) دونالد دولى، حضارة روما، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٤.

المبحث السادس
تدهور الإمبراطورية الرومانية

ربما كان كتاب أوزوالد اشبنجلر الفيلسوف والمؤرخ الالمانى المعروف "Decline of the West" أو «تدهور الغرب» من أشهر ما صدر فى أوائل القرن العشرين (نهاية ١٩١٨)، وهو كتاب لا نستطيع أن نسبغ عليه صفة البحث العلمى المنظم المحدد لأنه متسع اتساعاً هائلا يدلل بوضوح على ثقافة مؤلفه الموسوعية، فهو يتحدث فيه عن جوته وبرنارد شو واينشتاين، كما يتحدث عن الفن الصينى أو النحت الاغريقى أو الموسيقى مثلما يتحدث عن علمى الاحياء والرياضيات.

ويعتمد اشبنجلر فى كتابه على مقارنة الحضارات بعضها بالبعض، وهو لا يبحث بالمعنى المعروف للبحث وانما يقرر فقط وكثيرا لا يهتم باعطاء أسباب معينة لما يقرره، وهو لهذا يعتبر نفسه مؤرخا حقيقيا حيث أنه يتمتع بمعرفة فطرية للمعانى الكامنة وراء الاحداث، ولذلك فهو مختلف عن المؤرخ العادى الذى أسماه «منظف الاتربة الاكاديمى».

ويجزم اشبنجلر أن حضارة العصر الحديث فى طريقها الى التدهور كما تدهورت حضارات سابقة، فالحضارة هى نشاط انسانى خلاق يرتبط بالانسان الذى يولد ثم ينضج فيموت، وبالتالى فلابد من أن تمر الحضارة بنفس المراحل، وهو لا يسير فى تقسيماته التاريخية على النهج المعروف من تقسيم التاريخ الى قديم ووسيط وحديث، وإنما يقسم التاريخ الى حضارات (حضارة أبوللو وحضارة السحر وحضارة فاوست) وبالتالى فأن عصرنا الحديث يقع ضمن حضارة فاوست بطل جوته الشهير.

ويتفق أرنولد توينبى فى كتابه "A Study of History" أو «بحث فى التاريخ» مع اشبنجلر فى كراهيته للمؤرخين الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج التاريخ. أما فكرة توينبى عن الحضارة فتتلخص فيما أسماه

"Challange and Reaction" أو «التحدى ورد الفعل»، فهو لايعتقد أن البشر يزدهرون فى أسهل الظروف، وإنما هم على العكس يزدهرون فى الظروف التى تتحداهم وكلما ازداد التحدى صار البشر الذين يواجهونه أشد عظمة.

هل من الممكن أذن أن نضع قانونا لهذا ونقول مثلا أنه كلما أشتد التحدى زاد الدافع المحرض قوة وبالتالى ازدهرت الحضارة؟ يبدو أن المسألة ليست بهذه البساطة لأن بعض الحضارات لا تستجيب للتحدى على حين تستجيب حضارات أخرى، فقد حيرت غابات شمال أوروبا الأنسان البدائى (انجلترا مثلا) على حين أن الرومان أسسوا مجتمعات مزدهرة وسط تلك الغابات، وقد تصدق تلك المقولة جزئيا على المستوطنين البيض فى شمال أمريكا والذين استجابوا للتحدى الذى لم يستجب له أهالى البلاد الاصليين.

إذن ما هو الفرق بين الحضارة الناجحة والحضارة الفاشلة؟ يرى توينبى أن الفرق يكمن فى (الاقليات المبدعة) وهذه الاقليات (التى قد تكون أحيانا رجلا واحدا فقط) هى التى قد تكون مزودة بالقوة القادرة على تحريض أفراد المجتمع للتغلب على التحدى.

ويرى توينبى أيضا أن تدهور الحضارة يرجع الى الكلمة اليونانية "Hybris" التى تعنى الزهو أو الغرور والتكبر والانانية، فاذا واجهت حضارة معينة تحديا معينا بنجاح فذلك يعنى أنها ستميل الى الراحة وتبتعد عن ظروفها السابقة بحيث يكون محتملا أن تفشل فى مواجهة تحد ثان (مثل العرب فى الاندلس).

وربما شكل رأى أرنولد توينبى عن الحضارات وتدهورها مدخلا مناسبا لمناقشة أسباب تدهور المجتع الرومانى وسقوط الامبراطورية الرومانية، فهو يرى أنه بعد التحول من النظام الجمهورى الى الامبراطورى بدأت الامبراطورية الرومانية فى النمو بسرعة حتى وصلت الى قمة نضوجها وقوتها، وهنا بدأت لا تستجيب تماما للتحديات الداخلية أو الخارجية بعد أن كانت فى مرحلة تكوينها قد استجابت لكل التحديات بنجاح كبير، فقد واجهت الامبراطورية الرومانية تحدى من البروليتاريا الداخلية أى الجماهير

العادية التى تحكمها أقلية تسيطر بالعنف، فقد أولت هذه الجماهير ظهورها للدولة متجاهلة أياها منفثة عن آلامها عن طريق اعتناق ديانات غيبية أو آلهة جديدة كالالهة الشرقية بعد أن اكتشفت أن الحضارة الرومانية الراقية لم تحقق لها أى مصلحة واقعية، وهكذا فشلت الحضارة الرومانية فى ترويض هذه البروليتاريا.

أما التحدى الثانى الذى رأى توينبى أن الحضارة الرومانية قد فشلت فى الاستجابة له فقد كان متمثلا فى الشعوب المحيطة بالامبراطورية مثل الجرمان والفرس والعرب وغيرهم ممن أسماهم توينبى البروليتاريا الخارجية والذين تربصوا دائما بالامبراطورية لتقويض مجتمعها لاقامة مجتمعات جديدة عليه.

وقد أدى عجز الحكومة الرومانية عن الاستجابة للتحديات الداخلية والخارجية الى أنهيار الامبراطورية[١].

ويبدو أن صورة المجتمع الرومانى خلال القرنين الرابع والخامس ترجح رأى توينبى حول أسباب التدهور، فقد كان هذا المجتمع ممزقا فكريا وسياسيا، مع التدهور الاقتصادى والظلم الاجتماعى والتسلط البيروقراطى كما اختفت فيه الطبقة الوسطى الضرورية لاحداث التوازن فى أى مجتمع مما جعل الصراع أمرا لا مفر منه بين الطبقتين الوحيدتين فى المجتمع، أى البروليتاريا الجائعة، والطبقة الارستقراطية الحاكمة المسيطرة على الاقطاعات الضخمة بمن عليها من فلاحين وعبيد. وربما كان هذا الصراع الطبقى بين هاتين الطبقتين من أهم الملامح التى شكلت المجتمع الرومانى خلال فترة القرنين الرابع والخامس وكنتيجة طبيعية للفقر والحرمان الاقتصادى الذى عانت منه طبقة عامة الشعب لجأوا الى الغيبيات والنظريات الفلسفية الجديدة كالعقيدة الميثرائية والافلاطونية الجديدة[٢].

---

(1) A. Toynbee, A Study of History, Abridged Edition, Oxford, 1962, pp. 402 - 412.

(٢) راجع سيد الناصرى، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، صفحات ٥٠٩ – ٥١٠.

وعودة الى سقوط الحضارة والامبراطورية الرومانية فلم يكن رأى توينبى هو الوحيد فى هذا الصدد وإنما تعددت الآراء من قدامى المؤرخين إلى محدثيهم، فلدينا على سبيل المثال من المؤرخين القدامى زوسيموس من القرن الخامس الذى رأى أن المسيحية هى السبب المباشر لسقوط الامبراطورية الرومانية فقد غضبت الالهة القديمة - وهى التى واكبت نمو روما وتعاظم قوتها - بسبب اعتناق الكثير من الرومان للديانة الجديدة ومن ثم اسقطت الامبراطورية. وبالتالى فقد كان طبيعيا أن يلقى زوسيموس باللوم على الامبراطور قسطنطين الذى ترك الالهة القديمة واعتنق المسيحية دينا جديداً للدولة.

وقد رد المؤرخون المسيحيون على هذا الرأى وفسروا سقوط الامبراطورية الرومانية بأنه عقاب من الله بسبب الخطايا التى ارتكبها الرومان وتزعمهم سالفيانوس، أما القديس أوغسطين فقد أرجع كل شئ الى ارادة الله التى تتحكم فى مصائر البشر، أما اميانوس ماركللينوس فقد أرجع الأمر الى انعدام الوازع الاخلاقى لدى الرومان[١].

ويبدو أن الجو المحيط ببداية استقرار المسيحية ثم ثباتها كديانة جديدة كان مسئولا الى حد كبير عن مثل هذه التفسيرات اذ على العكس نجد أنه مع بداية عصر الثورة الصناعية وظهور المذاهب العقلانية تبدأ تفسيرات جديدة فى الظهور نازعة نحو الطابع الالحادى والعقلانى الذى يهاجم المسيحية بسبب عدم توافق الكثير من جوانبها مع التحليل العقلانى، ومن أشهر من دعا لهذه التفسيرات الجديدة كان أدوارد جيبون صاحب الكتاب الشهير «أضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية» والذى رأى أن التسلط العسكرى قتل الفضائل التى تحلى بها الرومانى القديم ثم جاءت المسيحية وجذبت اليها الالاف من الرومان القادرين على العمل، فى وقت كانت الدولة فى حاجة الى طاقاتهم، هذا بالاضافة الى الصراعات الطائفية المسيحية والتى هى فى رأيه مسئولة عن تفكك الوحدة الوطنية مما أدى الى انقسام الامبراطورية وتفككها.

---

(١) سيد الناصرى، المرجع السابق، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

وبالاضافة الى هذه الآراء فقد ظهر بعض من نادوا بأهمية العامل الاقتصادى ومسئوليته عن سقوط الامبراطورية الرومانية أمثال سيمكوفيتش الذى رأى أن انهاك الأرض الزراعية وأهمال الحكومة لاية مشروعات لتحسين الزراعة وقلة الانتاج وزيادة التكاليف مع الضرائب الباهظة، كل هذا شجع الناس على ترك الزراعة التى كانت المقوم الاساسى لاقتصاد الامبراطورية الرومانية، هذا بالاضافة الى تدهور مركز روما التجارى الدولى بسبب فقدها السيطرة على الطرق الدولية للتجارة نتيجة لظهور الفرس كقوة جديدة وما استتبع ذلك من حروب جديدة استنزفت الموارد الاقتصادية للامبراطورية.

أما جونز فهو يقلل من أهمية العامل الاقتصادى كعامل مباشر فى سقوط الامبراطورية الرومانية، ويرى أن هجمات الشعوب المعادية كالجرمان والهون والعرب هى المسئولة مسئولية كاملة عن هذا الحدث عن طريق اضطرار الامبراطورية للاحتفاظ بجيوش ضخمة للدفاع عن نفسها طوال القرنين السابقين على سقوطها مما استنزف مواردها تماما، ويؤكد جونز نظريته بأن الجزء الغربى من الامبراطورية هو الذى سقط أولا لأنه كان أكثر تعرضا للخطر من الجزء الشرقى.

ويرجع روستوفتزف سقوط الامبراطورية الرومانية الى الصراع الطبقى بين البروليتاريا من سكان الريف التى أيدها الجيش وبين الارستقراطية الرومانية الاقطاعية التى أيدها طبقة كبار الموظفين البيروقراطيين، وما صاحب هذا الصراع من انقلابات عسكرية خلال القرن الثالث تولى خلالها قادة الجيش عرش روما لفترات قصيرة وأبطلوا كافة المؤسسات الديموقراطية وجعلوا العرش وراثيا، ويعتبر روستوفتزف عهد سبتيموس سفيروس الامبراطور الفينيقى هو نقطة التحول نحو فقدان العنصر الرومانى والايطالى السيطرة على زمام الامبراطورية خاصة فى الجيش الذى لم يعد فى القرن الثالث رومانيا خالصا.

أما دى بورج فيعتبر أن اصلاحات دقلديانوس – التى سبقت الاشارة اليها – هى نقطة التحول نحو التدهور والسقوط، فهو يرى أن اصلاحات

دقلديانوس قد جاءت بعكس المتوقع منها، فهو قد فصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ولكن ذلك أدى الى ارباك الوضع الداخلى وخلق ثغرة فى الجهاز الحاكم، كما أن تقسيم الامبراطورية الى أربعة أقاليم كل منها ينقسم اداريا الى عدد كبير من الوحدات خلق إرتباكا فى الادارة وساعد على تضخم البيروقراطية مما كبد الدولة نفقات باهظة وساعد على انهيار الامبراطورية الرومانية فى ٤٧٦ ميلادية[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٠٠ – ٥١٢.

القسم الثاني

مدخل إلي التاريخ الحضاري

المبحث الأول : عصر اوغسطس والانتقال إلي النظام الامبراطوري

المبحث الثاني : نظرة علي المجتمع الروماني

المبحث الثالث : الدين والاسطورة (الأصول الشرقية والأشكال الغربية)

المبحث الرابع : الدراما الرومانية

المبحث الخامس: الفلسفة والعلوم

المبحث السادس: الفن والمجتمع

المبحث الأول

عصر أوغسطس والانتقال إلي النظام الامبراطوري

مرحلة الانتقال

قبل البدء فى الحديث عن عصر أوغسطس لابد كى نتفهم أبعاد تلك الحياة الخصبة فى كافة المجالات التى ميزت عصر أوغسطس أن نلقى نظرة سريعة على جذور وأصول تلك المظاهر الاجتماعية والثقافية والفنية التى ربما عادت إلى زمن بعيد إلا أنها تظهر بوضوح خلال عصر الجمهورية وبالتحديد قرب نهايته.

بالنسبة للناحية الاقتصادية فلا يوجد تقرير واف عن الحياة الاقتصادية فى ايطاليا خلال القرن الأخير من عصر الجمهورية إذ لم يكن الرومان يحتفظون باحصائيات رسمية، وعلى هذا فمن الممكن اطلاق تعميمات معينة مثل الازدياد الهائل فى الثروة لدى روما بعد غزو عالم البحر المتوسط كما تكونت ثروات كبيرة أخرى عن طريق الأعمال المصرفية وعمليات الاقراض والضرائب وتجارة الاستيراد والتصدير. وتميز القرن الأول قبل ا الميلاد بظهور طبقة جديدة من أصحاب الملايين أمثال بومبى وكراسوس وسولا ولوكللوس.

وحوالى ٨٠ ق.م. أصبحت روما لأول مرة معتادة على اقتصاديات البذخ الفاحش وظهرت الفيلات الضخمة وما ترتب على ظهورها من حياة مترفة ذات مستوى معين. وزاد الانتاج الزراعى خاصة فى زراعة الكروم والزيتون وازدهرت صناعة النبيذ الايطالى. وقد عاد النفع أيضاً إلى حد ما على الحرف الصناعية من هذا الرخاء والرواج. فقد شهدت هذه الفترة بداية ازدهار صناعة الفخار الشهيرة.

وكان عدد السكان فى روما يزداد بسرعة وانتظام. وقد مدت قنوات جديدة لمواجهة الحاجة المتزايدة للماء، كما تمت عمليات توسيع الأسواق

العامة وفرضت الرقابة على الموازين والمقاييس ونظمت عملية المرور فى الشوارع، وحلت مشكلة الاسكان فى روما بانشاء مبان من نوع رخيص يتراوح ارتفاعها من ستة إلى عشرة طوابق كانت تؤجر شققاً واطلق عليها اسم (انسولاى) وكانت هى مساكن فقراء روما. ولم يكن التخطيط العام لروما يليق بها كعاصمة للعالم القديم، ولكن خلال هذه الفترة أجريت بعض التحسينات فقد رمم سولا عندما تولى منصب الدكتاتور كثيراً من المعابد وشيد التابولاريوم كما رمم معبد اسكليبيوس المقام فى جزيرة التيبر، كما أنشأ بومبى مسرحاً من الحجر فى روما يسع ٢٥٠٠٠ شخص وبعد الانتهاء منه أقام فوقه معبداً للآلهة فينوس كما بدأ يوليوس قيصر خطة واسعة النطاق لتنظيم تطور روما فى المستقبل ولكنه لم يعش ليكملها.

أما بالنسبة للحياة الدينية فلم تصل إلينا معلومات كافية عن الديانة الرومانية السائدة فى هذه الفترة بقدر ما وصلنا عنها فى عصر أوغسطس وأسباب ذلك واضحة وترجع إلى ازدياد عدد اليونانيين والشرقيين فى روما وإلى اتصالات روما بآسيا وسوريا وأهم من ذلك أنها ترجع إلى حاجة الشعب إلى الدين والآلهة خلال الفترات الرهيبة فى أواخر العصر الجمهورى وقد انتقلت عبادات باخوس واورفيوس الغامضة إلى روما فى بداية القرن الثانى ق.م. عن طريق المدن اليونانية فى جنوب ايطاليا أما العبادات الشرقية فقد كانت منتشرة بطريقة أكثر بطئاً لأنها كانت تقابل بعداء من جانب المسئولين، ولكن عبادة إيزيس وسيرابيس المصرية لاقت تأييداً شعبياً وأقيم معبد لسيرابيس فى روما فى عصر سولا، وقد أمر مجلس الشيوخ خلال الأعوام الأربعين التالية بتدمير معابد المعبودات الشرقية خمس مرات.

أما بالنسبة للنواحى الأدبية والفنية قد سادت ظاهرة واضحة للحياة الأدبية والفنية فى هذه الفترة، هى بقاء بعض الأعمال وضياع البعض الآخر والسبب فى ذلك هو اخفاء الأسماء الكبيرة للأسماء الصغيرة مثل اخفاء كاتوللوس لأسماء أصدقاؤه من الشعراء الجدد واخفاء شيشرون لأسماء منافسيه المشهورين فى الخطابة(١).

---

(1) Harold Matingly, Roman Imperial Civilization. p. 9. ff. Michael Grant, op. cit., p. 199 ff.

ومن الأسماء اللامعة فى هذه الفترة نجد :

١- **كاتوللوس:** شاعر ولد فى فيرونا عام ٨٤ ق.م. ثم تركها لاقتفاء أثر كلادويا زوجة حاكم الغال وكانت هى لسبيا التى طالما تغنى بها فى قصائده. ثم انفصل كاتوللوس عنها وذهب إلى آسيا ثم الجزر اليونانية ثم عاد إلى روما وتوفى فى سن الثلاثين وقصائده التى كتبها عن لسبيا هى أساس شهرته والتى تضعه فى نفس المكانة مع شعراء أمثال سافو.

٢- **لوكريتيوس:** شاعر عاش من ٩٤ – ٥٠ق.م. ويبدو أنه من أصل رومانى ومن الطبقة الارستقراطية وأشهر قصائده عن (طبيعة الأشياء) وكتبها ليعرض فيها فلسفة ابيقوروس. وفى شعره يدعو لوكريتيوس إلى دعوة فلسفية تشبه الدعوة إلى العدمية التى تظهر فى الأدب الوجودى فى مطلع القرن العشرين عند أدباء أمثال سارتر وكامو، فهو ينادى بأن الكون يتكون فقط من ذرات ومن فضاء تتحرك فيه هذه الذرات والعالم فى صورته المعروفة ما هو إلا صدفة نتجت عن تحرك الذرات، والآلهة (وإن كان يشك فى وجودهم كثيراً كما يتضح من شعره) لا ارادة لهم ولا قوة للتدخل فى عملية تسيير الذرات، وما أرواحنا إلا مزيج من الذرات التى ستحلل بعد الموت ولا يتخلف عنها شيء، وبهذا يمكن للبشر أن يتحرروا من الخوف من الآلهة فحيث لا عقاب أو ثواب لا يوجد محل لخشية الآلهة، ولوكريتيوس فى رأيى يشبه إلى حد كبير هيراكليتيس الفيلسوف الغامض كما يعرف والذى كان ينادى بأن كل شئ فى تغير مستمر فالنهر الذى تضع فيه قدمك اليمنى غير الذى تضع فيه اليسرى، ويعده البعض أول من بشر بالنظرية الذرية.

٣- **شيشرون:** وهو خطيب يسيطر تماماً على كل نثر العصر الأخير من الجمهورية ومجموعة مؤلفاته عبارة عن ٥٨ خطبة وسبع مؤلفات عن الخطابة وما يقرب من عشرين مؤلفاً عن الفلسفة بالإضافة إلى الخطابات. والسبب فى أن معظم مؤلفات شيشرون قد وصلتنا يرجع إلى تحكمه الذى لا مثيل له فى اللغة اللاتينية.

٤- **قيصر:** وقد حقق شهرة بوصفه خطيباً يلى شيشرون مباشرة ولم يبق

شيء من خطبه، وكل ما وصلنا منه هو (التعليقات) وهى سبعة كتب عن الحروب الغالية وثلاثة كتب عن الحروب ضد بومبى، ويقال أن قيصر كان قد كتب هذا الكتاب لتبرير موقفه فى الحروب الغالية.

٥- **سالوستيوس:** مؤرخ عاش فى الفترة من ٨٦ إلى ٣٥ ق.م. وإنتاجه الرئيسى هو «التأريخات» وهى تتناول فترة التدهور بعد عصر سولا، ولكن لم يتبق من عمله إلا شذرات، وكان لسالوستيوس تأثير كبير على الكتاب الذين أتوا بعده وبخاصة تاكيتوس وهو واحد من أعظم المؤرخين.

أما من الناحية الفنية فقد انتشر التأثير اليونانى عن طريق بلاد اليونان القديمة أو صقلية أو بير جاموم أو الاسكندرية، واكتسح أمامه الأسلوب القومى الايطالى تقريباً وكانت تماثيل النحت اليونانية التى تم الحصول عليها عن طريق السلب أو الشراء تزين الميادين العامة والفيلات الضخمة.

ومن أمثلة الفنانين فى تلك الفترة (باستيليس) وكان يونانياً من جنوب ايطاليا لكنه فى نفس الوقت مواطن رومانى وكان يعمل فى روما عام ٦٢ ق.م.، حيث قامت شهرته على القطع الفنية المصنوعة من المعادن، وخاصة المرايا الفنية ولكنه فيما بعد اتجه إلى فن النحت وقد كتب أيضاً كتاباً عن الأعمال الفنية الشهيرة فى العالم كله(١).

أوغسطس:

ولد أوغسطس واسمه الحقيقى جايوس اوكتافيوس ابن أخ يوليوس قيصر العظيم سنة ٦٢ ق.م. وعندما وضع قيصر وصيته اتخذه ابناً له بالتبنى تحت اسم اوكتافيان وأعلنه وريثاً لاقطاعياته، وبدأ نجم اوكتافيان يلمع فى سن الثامنة عشر وأصبح بطل مجلس السناتو فى حربه السافرة التى يشنها على ماركوس انطونيوس، وفى عام ٤٣ ق.م. زحف الشاب الصغير بجيوشه على روما لا على انطونيوس وأصبح قنصلاً لعام ٤٣ ق.م. وكان الصلح قد تم بين زعماء الحزب القيصرى واعترف بانتونى واوكتافيان ولبيدوس كأعضاء

---

(1) Michael Grant., op. cit., p. 199 ff.

لائتلاف ثلاثى لمدة ٥ سنوات ثم حدث شىء جديد على التاريخ الرومانى فقد أعلن تأليه يوليوس قيصر (بعد موته) لأن الرأى العام لم يكن يتحمل التعبد لرجل من البشر، وحمل أوغسطس لقب (ابن المؤله) وبالنسبة للامبراطورية الضخمة التى حكمها أوغسطس فكان لابد من بؤرة يتجمع فيها الولاء الشعبى وتمثلت هذه البؤرة فى عبادة الحاكم وهى وسيلة لجأت إليها الممالك الهللينستية منذ زمن الاسكندر فقد كان لملوك أسرة سليوقس معابدهم الخاصة وكهنتهم، كما ورث البطالمة منزلتهم المقدسة عن الفراعنة. وتعتبر فترة حكم أوغسطس لروما (والتى طالت إلى ٤٥ عاماً) من أهم فترات التاريخ الرومانى.

وبانتصار اوكتافيان على انطونيوس بوصفه قائداً لاتحاد يضم ايطاليا كلها، أصبح من الناحية الواقعية دكتاتوراً عسكرياً، وكذلك زعيماً لحزب سياسى هو حزب قيصر. وفى عام ٢٧ ق.م. استطاع اوكتافيان أن يحصل على سلطة بروقنصلية على بلاد الغال واسبانيا وسوريا لمدة عشر سنوات ومكنه هذا من تولى قيادة معظم القوات المسلحة وبذلك أصبح يسيطر على حكام ولايات مجلس الشيوخ المتمتعين بالسلطة البروقنصلية. وجمع اوكتافيان بين كثير من السلطات نتيجة لتوليه المناصب لمدد طويلة، وأطلق على نفسه لقب (برينكبس) وهو كما ذكرنا من قبل لقب احتمل الكثير من التفسيرات والتأويلات. وبهذا ومن الناحية العملية يكون أوغسطس قد أصبح امبراطوراً وإن كان لم يحمل هذا اللقب حتى هذا التاريخ.

ورحل أوغسطس عام ٢٧ ق.م. إلى الغال وقاد الحملة التى نتج عنها ضم الشعوب الكبرى إلى الامبراطورية الرومانية، وفى عام ٢٥ ق.م. منح أوغسطس (السلطة البروقنصلية العظمى) وهى السلطة التى تسرى على الامبراطورية الرومانية بأجمعها.

وقام أوغسطس فى أعوام ٢٣ – ١٩ ق.م. بحملة تفتيشية فى الشرق وأعقب ذلك فى عام ١٧ ق.م. برنامج للتشريع الاجتماعى كان الغرض منه الحد من تدهور الأخلاق الرومانية واعادة الفضائل القديمة التى كانت سائدة فى تاريخ روما القديم.

وفى عام ١٦ ق.م. رحل أوغسطس إلى الغرب ليقوم بآخر حملة تفتيشية من حملاته الواسعة. ففى بلاد الغال وضع خطة انشاء شبكة واسعة من الطرق، وفى اسبانيا أنهى الحرب الكنتربرية، ومن المحتمل أن أوغسطس حين كان فى الغرب قد أتم وضع تخطيط الحدود الجديدة الشمالية للامبراطورية الرومانية. ومن أجل تنفيذ هذا المشروع جند أوغسطس أكفأ الجنود والقادة طوال ربع القرن التالى. وعندما عاد أوغسطس من الغال عام ١٣ ق.م. كان منصب الرئاسة قد دام لمدة ١٢ عاماً قضى أكثر من نصفها متغيباً عن روما فقرر تخليد عودته هذه باقامة مذبح للسلام الذى قام بتأمينه فى كل أنحاء العالم الرومانى، وتم تدشينه فى ١٣ ق.م. وأوقف عليه عام ٩ ق.م.

وكان الإصلاح والتجديد الذى تم أبان حكم أوغسطس الطويل قد غير من أجهزة الدولة تقريباً ماعدا مجلس الشيوخ الذى استمر فى القيام بمهامه بل وأغدق عليه كل تبجيل واحترام، وبالمقابل جدد المجلس السلطات التى منحها للرئيس (البرينكبس أوغسطس) لفترة تتراوح بين خمس أو عشر سنوات ثم أيد وضع تيبيريوس كخليفة لأوغسطس.

وقد حاولت الجمهورية الرومانية من قبل أن تحكم العالم الرومانى بقوانين دولة المدينة، ولهذا فشلت، أما فى ظل حكم أوغسطس فقد تم وضع الخطوط الرئيسية لطريقة الحكم الجديدة. وتحديد كل الوظائف المدنية والعسكرية فى الامبراطورية وانشىء عدد كبير من المصالح الحكومية فى روما وايطاليا وأهمها إدارة القمح، وبالنسبة للجيش فمن المعروف أن الجمهورية لم يكن لديها أبداً جيش منظم، بل كانت هناك حملات تعبئ من أجل غرض معين، ولكن أوغسطس غير هذه الأوضاع ونظم الجيش الجديد وأنشأ فرقاً جديدة وأصبحت قوة الجيش الرومانى فى عصر أوغسطس تصل إلى ٣٠٠,٠٠٠ رجل كما أعاد أوغسطس تنظيم البحرية وكان الهدف الرئيسى منها أن تكون قوة دفاعية ضد أعمال القرصنة.

ومن الصعب أن نضع يدنا على الخصائص الشخصية لأوغسطس إلا أن نشأته الريفية ربما كان لها أكبر الأثر فى تعصبه الدينى وأمزجته الساذجة

وكراهيته للتكلف، ومما هو جدير بالذكر أن كل مشروعاته البنائية الهائلة فى روما لم يكن من بينها بناء قصر له كحاكم وانما اكتفى ببيت متواضع. لكن أوغسطس لم يتح له أن يتعرف على أهم حدث معاصر له وهو ميلاد المسيح ولو أن الأساطير المسيحية تؤكد عكس ذلك.

ومات أوغسطس عن ٧٦ عاماً بعد أن حكم العالم الرومانى أكثر من ٤٥ عاماً أحدث خلالها من التغييرات ما ظل بعده زمناً طويلاً وجعله فى عداد الخالدين(١).

الحياة الأدبية والفنية في عصر أوغسطس:

كان البرنامج الذى وضعه أوغسطس للاصلاح فى امكانه أن يمهد السبيل أمام مجالات أدبية وفنية تشتمل على المثالية والحماسة مثل السلام بعد الحرب ومصير روما وايطاليا وعظمة الماضى وغيرها. وقد ظهر التعبير عن كل هذه الأفكار فى انيادة فيرجيل، وأناشيد هوراس، وتاريخ ليفى، وأعمال فن النحت فى مذبح السلام. وكفل أوغسطس الظروف التى من الممكن أن يزدهر فيها الكتاب، وكان هو نفسه ذو طاقة وتذوق للأدب وتعتبر ضياع كتبه الثلاثة عشر عن سيرة حياته خسارة كبيرة. كما تميز هذا العصر بظهور حماة الأدب والفن مثل باليوميسالا ومايكناس صديق فيرجيل وهوراس وبروبرتيوس.

ومن الناحية الأدبية فقد ظهر فى هذا العصر عدد من الأسماء اللامعة مثل فيرجيل وهوراس وأوفيد وبروبرتيوس وليفى وفيتروفيوس بليو. وسنتناولهم بايجاز شديد فيما يلى :

١- **فيرجيل:** ولد عام ٧٠ ق.م. من بلدة مانتوا فى منطقة الغال القريبة ثم ذهب إلى روما ليدرس البلاغة، ويفترض البعض أنه قد خدم مع اوكتافيان وانطونيوس عام ٤٩ - ٤٨ ق.م. وفى عام ٤٨ ق.م. أصبح تلميذاً للمدرسة الابيقورية فى نابولى ثم تعرف بباليو ومايكناس وميسالا. وأول عمل نشر له

---

(1) Michael Grant, op. cit., loc. cit.

كان (الرعويات) عام ٣٧ ق.م. ويصف فيه الريف حيث يعيش رعاة لهم تقاليد قديمة تعود إلى صقلية، وعندما عاد اوكتافيوس من اكتيوم عام ٢٩ ق. م. قام فيرجيل بالقاء عمله الثانى وهو (الزراعيات) وهى أشبه ما تكون بقصائد هزيودوس التعليمية خاصة قصيدة (الأعمال والأيام). وبعد الزراعيات جاءت (الانيادة) واستمر فيرجيل يكتب فيها ١١ عاماً ومات فى ١٩ ق.م. ولم يكملها. ويصف ڤيرجيل فى الانيادة هروب اينياس بعد تدمير طروادة وتجواله بحثاً عن وطن جديد، ويرتبط مصير روما لفترة من الوقت بقرطاجة فى صورة حب اينياس لديدو ملكة قرطاجة ثم هجره لها وانتحارها وهى تتنبأ بمن سيأتى لينتقم لها من اينياس فى شخص روما. وقد وردت هذه القصة فى سيرة حياة هانيبال القائد القرطاجى. إذ يرجح البعض أن هانيبال هو هذا المنتقم الذى توعدت ديدو به اينياس، وفى الانيادة ترى تأثير هوميروس على فرجيل إذ ينزل اينياس إلى العالم السفلى كما فعل اوديسيوس عند هوميروس فى الاوديسية. وقد أثر فرجيل بالتالى على أشهر شعراء عصر النهضة وهو دانتى اليجيرى (فى الكوميديا الالهية) وذلك عندما نزل دانتى بدوره إلى الجحيم وكان اتخاذه لفيرجيل مرشداً له فى تلك الرحلة لهو أبرز اعتراف بمدى تأثره به.

٢- هوراتيوس: ولد عام ٦٥ ق.م. من جنوب ايطاليا وكان أبوه عبداً اشترى حريته إلا أن ابنه حصل على أرفع أنواع التعليم المتاح. واكتسب هوراتيوس صداقة فيرجيل وأوغسطس ومايكناس، وتخرج من مدرسة فى روما ثم ذهب إلى الجامعة فى أثينا. وكانت قصائد (الهجائيات) من ٣٥ – ٣٠ ق.م. أول عمل فنى يحمل ا سمه. وكان مكان أحداث القصائد عادة روما مع تصوير حى للحياة اليومية فى العاصمة. وفى عام ٢٣ ق. م. بعد ثمانية أعوام من العمل المتصل أخرج هوراتيوس (الأناشيد) والتى يعتبرها هو أعظم عمل شعرى له، وتتكون من ثلاثة كتب تحتوى ٨٨ قصيدة غنائية ذات موضوعات متعددة. وعندما خاب ظن هوراتيوس فى الاستقبال الذى قوبلت به أناشيده عاد مرة أخرى للهجائيات، ثم ظهرت له (الرسائل) وهى عبارة عن عظات حول الإنسان وأخلاقياته أخذت شكل الرسائل ثم نشر كتابه

(فن الشعر) ويعد عدة سنوات نشر الكتاب الرابع (من الأناشيد) بناء على طلب من أوغسطس. وتوفى فى ٨ ق.م.

٣- **بروبرتيوس:** ولد فى اقليم اومبريا، وقضى طفولته فى الحروب الأهلية ثم ذهب إلى روما ليتلقى العلم حيث استسلم هناك للحياة الصاخبة، وهو من أشهر شعراء الشعر الأوليجى (شعر الحب) نشر كتابه الأول عام ٢٨ ق.م. وكان يستمد إلهامه من عشيقته هوستيا، وعندما تركته جف ينبوع شعره إلا من بعض القصائد عن الأساطير.

٤- **اوفيد:** ولد عام ٤٣ ق.م. من أسرة ميسورة مهدت له السبيل لتلقى أرقى أنواع التعليم فى روما وأثينا وسرعان ما انتشرت أشعاره عن الحب والتى ظهرت عام ١٤ ق.م. وبعدها ظهر كتابه عن (البطلات) ويتضمن خطابات مرسلة من بطلات الأساطير اللاتى هجرهن عشاقهن. وفى عام ١ ق.م. ظهر كتابه الشهير (فن الحب) ثم كتاب (علاج الحب) ثم نشر مجموعة من القصص تدور حول تغير الأشكال وتسمى (التحولات)، لكن شعر أوفيد لم يسهم بشىء فى تحقيق برنامج أوغسطس للإصلاح، ومما زاد الطين بلة اقتران اسم اوفيد بفضيحة ما فى روما مما أدى بأوغسطس إلى نفيه إلى أقصى حدود الامبراطورية. وكتب اوفيد من المنفى (رسائل من بونتوس) و (الأحزان) لكن أوغسطس لم يعفو عنه ومات فى منفاه ونشر آخر أعماله (الأعياد) بعد موته.

٥- **ليفي:** ولد فى شمال ايطاليا عام ٥٩ ق.م. وذهب إلى روما حوالى ٢٩ ق.م. حيث بدأ عمله الضخم الذى استغرق السنوات الأربعين التالية فى حياته وهو سرد تاريخ روما منذ انشائها حتى موت دروسوس عام ٩ ق.م. فيما لا يقل عن ١٤٣ كتاباً. وقد وصلتنا ملخصات لهذه الأجزاء لكن بعد اخضاع ليفى للفحص العلمى، منذ بداية القرن بدأت تظهر فيه عيوب كثيرة أهمها استخدامه غير الدقيق لمصادره.

٦- **فيتروفيوس بليو:** وهو مهندس معمارى وأشهر أعماله كان (عن العمارة) والذى أوحت به إليه مشاريع أوغسطس المعمارية الواسعة فى روما.

وهو يتناول بالتفصيل النظرية الرومانية فى فن العمارة، ويشتمل هذا العمل على جزء شيق عن مؤهلات المهندس المعمارى. وقد أثر هذا الكتاب كثيراً على فن المعمار الرومانى خلال القرن الأول الميلادى.

أما بالنسبة للفن والمعمار فلدينا ٣ فصول من أعمال أوغسطس المجيدة (رس جستاى) تعطينا نبذة عن المبانى الرئيسية التى قام أوغسطس نفسه ببنائها، وعن الأبنية التى ترجع إلى يوليوس قيصر وغيره، وأكملها أوغسطس كما تلخص برنامج اعادة البناء والإصلاح الضخم الذى قام به أوغسطس والذى جعله يفاخر بحق أنه وجد روما مدينة من الطوب وتركها مدينة من رخام حتى أصبحت أجمل ما فى العالم كما يقول عنها فيرجيل.

ومن أهم الأعمال المعمارية والفنية فى عصر أوغسطس :

١- **كامبوس مارتيوس**: وهو عبارة عن منطقة واسعة كانت تصل السوق الرومانية بالكابيتول، وبالقرب من حافته الشمالية أقام أوغسطس المقبرة المخصصة للعائلة الامبراطورية والتى تحمل اسمه واقيمت فى أرض فضاء وعلى أعمدة خارج مدخلها نقشت نسخة من أعمال أوغسطس المجيدة على لوح من البرونز. وعلى بعد بضع مئات من الأمتار انتصب مذبح السلام الذى تعتبر أعمال النحت فيه أدق تعبير عن مثاليات العصر الأوغسطى. وإلى الجنوب انشئ رواق احتوى خريطة العالم التى كان قد جمعها اجريبا، وبجانبه رواق آخر بنى لتخليد ذكرى الانتصار فى موقعة اكتيوم.

٢- **المباني المقامة حول البانثيون**: وكانت تضم أول الحمامات الامبراطورية الفخمة وحمام اجريبا الساخن وقاعة رحبة وبحيرة صناعية للزينة، ومبنى البانثيون نفسه الذى تكون من غرفة ضخمة مستديرة تحمل فوقها قبة، ورواقا به ثلاث صفوف من الأعمدة كل صف به ثمانية أعمدة كورنثية ويرجع تاريخه إلى بداية عصر هادريان.

٣- **مسرح ماركللوس**: عند الكابيتول بجوار معبد ابوللو وقد افتتح هذا المسرح عام ١٣ ق.م. ويسع حوالى عشرين ألف متفرج.

٤– أما المشروعات التى قام بها أوغسطس فى السوق الرومانية فكانت فى

أغلبها ترميماً للمبانى القديمة واعادة تخطيطها. وأقام بناء واحد ضخم هو معبد (يوليو المؤله) بالقرب من مركز السوق، وأكمل بناء (قاعة جوليا) جنوب غرب السوق، وأعاد تخطيط (قاعة اميليا)، وأنهى ترميم قاعة مجلس الشيوخ الذى كان قد بدأه يوليوس قيصر.

٥- على الرغم من اعادة تخطيط السوق الرومانى (الفوروم) إلا أنه كان ضيقاً جداً بالنسبة لمتطلبات مدينة ضخمة كروما مما استدعى انشاء أسواق أخرى. فانشئ سوق يوليوس الذى وضع تصميمه قيصر وأكمله أوغسطس من بعده، كما أنشئ سوق آخر باسم أوغسطس.

٦- **المباني المقامة على تلك البالاتين:** أنشئ عليه معبد أبوللون وهو أول بناء ضخم يبنى فى روما من الرخام بكامله وفى هذا المعبد وضعت الكتب السيبلينية بعد أن نقلت من معبد جوبيتر على تل الكابيتول. وفى رواق المعبد أنشأ أوغسطس مكتبتين شهيرتين احداهما للكتب اليونانية والأخرى للكتب اللاتينية، وقد دمر هذا المعبد عام ٣٦٣م. ربما بسبب حريق ما. كما أعاد أوغسطس بناء المراكز المقدسة على تل البالاتين ومن المحتمل أن أهمها كان منزل رومولوس مؤسس روما، وأعاد بناء الكهف الذى يقال أن ذئبه قد أرضعت فيه رومولوس. لكن كان هناك مشروع أسقط من حساب أوغسطس وهو بناء مقر مناسب ليصبح مسكناً للرئيس (الامبراطور) الرومانى.

بالإضافة إلى هذا فقد بنى أوغسطس مرشحات للمياه وقاعات وأسواق ومخازن وغيرها. إلا أنه يؤخذ عليه أنه قد قصر جهوده على بناء المبانى العامة وترك تخطيط الشوارع القديمة فى روما دون تعديل ماعدا إنشاء فيالاتا.

أما بالنسبة لفن النحت فى العصر الأوغسطى، فقد شجعت حركة اعادة البناء التى قام بها أوغسطس على ظهور هذا الفن وتطوره إذ ظهرت الحاجة إليه فى المبانى أمثال مذبح السلام. وخرج أسلوب فنى جديد يجمع بين واقعية التراث الإيطالى ومثالية الفن اليونانى وهو الأسلوب الفنى الرسمى فى عصر أوغسطس. ومن أمثلته الواضحة تمثال لأوغسطس نفسه يرجع إلى هذه الفترة اقيم عند (بريمابورتا).

ومن أروع ما وصلنا من ذلك العصر الأعمال المنحوتة على مذبح السلام، وقد أقيم المحراب نفسه فى فناء مقدس واصطفت أعمال النحت الهامة فى مجموعتين خارج الأسوار التى تحيط به. أما المداخل فشقت فى الأسوار الشرقية والغربية، وهكذا أصبح يوجد أربعة جوانب ينفرد كل منها بموضوع معين بينما استمر القطاعان الشمالى والجنوبى بدون انقطاع، والقطاع الشمالى منها يوجد عليه موكب مجلس الشيوخ والشعب الرومانى والموظفون العموميون مما يعيد إلى الذهن موكب الآلهة على افريز معبد البارثنون.

والفارق بين النحت الرومانى فى عصر أوغسطس والنحت اليونانى فى عصر بركليس أن الفنان اليونانى كان يرسم صورة مثالية لجمال الشباب ووقار الشيوخ ولم يظهر الأطفال فى لوحاته وتماثيله إلا فيما ندر، أما الفنان الرومانى فهو يعبر عن أشخاص حقيقيين لا نماذج مثالية حتى أنه يمكن التعرف على أفراد الأسرة الامبراطورية فى الموكب المنحوت على مذبح السلام.

أما معلوماتنا عن فن الرسم الأوغسطى فهى قاصرة على قليل من الرسوم الحائطية وذلك لاختفاء الصور. وانتهى عصر أوغسطس بوفاته. وتولى خليفته تبريوس الحكم فى ١٤م. إلا أن تأثيره امتد إلى أبعد من ذلك بكثير(١).

---

(1) Kitty Chisholm & John Fergiuson, Rome. the Augustn Aage. p. 187 ff.



المبحث الثاني
نظرة على المجتمع الروماني

عانت روما كأغلب عواصم العالم القديم من التضخم السكانى وبخاصة مع أواخر العصر الجمهورى وبدايات الامبراطورية(١)، وهى الفترة التى شهدت قدراً لا يستهان به من التحلل الأخلاقى، رغم محاولات أوغسطس الإصلاحية فى محاولة اعادة بناء الإنسان الرومانى المثالى والتى سبق الإشارة إليها. وتعود هذه الزيادة السكانية فى الغالب إلى ارتفاع معدل الإنجاب عند الطبقات الفقيرة،والتى يقابلها انخفاض هذا المعدل عند الطبقات الأرستقراطية أو أثرياء روما، وكثيراً ما تحدثنا المصادر عن نساء هذه الطبقة ومحاولاتهن المستمرة للإفلات من متاعب الإنجاب وتربية الأطفال عن طريق موانع الحمل المنتشرة فى هذه الفترة، أو عقد زيجات صورية على رجال فقراء مشترطات ألا يطلب منهن أن يحملن وأن يكون لهن من العشاق بقدر ما يرغبن، وحتى الزواج بخصيان أصبح معروفاً كى تفلت نساء هذه الطبقة من القيود المفروضة على العزاب فى الوصايا والهبات(٢).

يضاف إلى ذلك أن روما فى أواخر القرن الأول ق.م. والقرن الأول الميلادى أصبحت مثلها مثل أثينا فى القرن الخامس ق.م مركز جذب سكانى فتوافد عليها اليونانيون والمهاجرون من مصر وسوريا وآسيا الصغرى، وكان أغلبهم من صغار التجار أو المستوردين،وكان منهم العلماء والكتاب والمعلمين

---

(١) يقدر بعض الدارسين عدد سكان روما فى بداية عصر الامبراطورية بثمانمائة ألف ويقدرهم البعض الآخر بمليون ومائتى ألف، وفى رأى ثالث مليون وستمائة ألف، كما يقدر البعض عدد سكان الامبراطورية بأربعة وخمسين مليوناً، والبعض الآخر بمائة وعشرين مليوناً، ومن الواضح أن الرأى الأخير مغالى فيه إلى حد كبير. راجع: ول ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، جـ ٩، صفحة ٣٠٤.

(2) Juvinal, vi. 367, 592; pliny, xxxiv, 11.

راجع أيضاً: ول ديورانت، المرجع السابق، صفحات ٣٠٣ – ٣٠٤.

والفنانين والموسيقيين والممثلين والأطباء والمشتغلين بالفلسفة والموظفين الإداريين وغيرهم. وكانت اللغة السائدة بينهم هى اللغة اليونانية، هذا بالإضافة إلى اليهود الذين أصبحوا يشكلون عنصراً واضحاً فى التركيبة السكانية لروما، وخاصة بعد أن أسر بومبى عدداً لايستهان به منهم فى٦٣ ق.م، إلا أنهم استطاعوا أن يفتدوا أنفسهم ويتحولوا إلى أحرار،وقد بسط عليهم يوليوس قيصر ومن بعده أوغسطس حمايتهم. وإذا ما أضفنا إلى هذه العناصر السكانية بعض العرب والأحباش والأرمن والوافدون من تراقيا ودلماشيا وألمانيا وإسبانيا وبريطانيا، لوجدنا أن روما مع مطلع القرن الأول الميلادى قد تحولت إلى مدينة عالمية أو ما يطلق عليه Cosmopolitan city(١).

وفيما يخص الحياة اليومية للرومان، كانت الفتيات والنساء خاضعات لرقابة شديدة خاصة فيما يخص النواحى الأخلاقية، أما الشبان والرجال فقد تعامل المجتمع الرومانى معهم – كما تعامل المجتمع اليونانى مع شباب ورجال اليونان – بقدر كبير من المرونة. فتغاضى المجتمع الرومانى عن اتصال الرجال بالعاهرات مثلاً، حتى أن القانون الرومانى نظم مهنة الدعارة، وكان من ضمن المهام التى يتولاها الإيديل تسجيل العاهرات فى سجل خاص بهم وتحديد اجورهن بحيث تتماشى مع كافة الطبقات.

ورغم أن اللواط كان محرماً بحكم القانون، إلا أن المجتع الرومانى تقبله بحكم العادة، فانتشرت ظاهرة حب الغلمان ومرافقتهم لمن هم أكبر منهم سناً من الرجال، وظهرت قصائد شعرية فى حب الغلمان، حتى أن احدى قصائد جوڤينال تتحدث عن شكوى النساء من منافسة هؤلاء الغلمان لهن فى حب الرجال(٢).

---

(1) Suetonius, Tiberius, 36; Ammianus Marcellinus, XXII, 5; Martial, VII, 30; Juvinal, III, 62; Tacitus, Annals, II, 85, 98; XIV, 60.

(2) Juvinal, II, VI, IX; Martial, VIII, 44, XI, 33. cf. Mary Harlow, Ray Laurence, Growing up and Growing Old in Ancient Rome, pp. 34 ff, 65 ff, 54 ff.

ورغم الرقابة الصارمة التى خضعت لها الفتيات والنساء إلا أن ذلك لم يمنعهن من التعامل بقدر كبير من الحرية فى المجتمع الرومانى، فعلى ما يبدو كانت القوانين الوضعية تجعل من المرأة خاضعة للرجل، إلا أن الواقع الذى يفرض نفسه جعلها حرة طليقة، فيحدثنا چوفينال على سبيل المثال عن امرأة تزوجت ثمانى مرات فى خمس سنين، ونساء أصبحن محاميات وطبيبات، وأصبح لبعضهن سلطان سياسى قوى(١).

أما الملابس التى استعملها الرومان فقد كانت بسيطة بساطة ملابس الاغريق، فلم تخرج عن كونها Tunica تونيكا داخلية، و Toga توجا خارجية، أى ملابس داخلية وخارجية استعملها الرجال والنساء، إلا أن المرأة أضافت البولا والستولا Polla, Stolla وهما اردية خارجية تشكل حسب الطراز السائد، وانتعل الرجال والنساء أحذية بسيطة تتدرج من الخف أو النعل البسيط إلى حذاء كامل من الجلد أو الجلد والقماش كان يستعمل فى المناسبات.

أما التوجا الرومانية الشهيرة ذات اللون الأرجوانى فقد استعملها يوليوس قيصر بشكل منتظم حتى أنها أصبحت شعاراً له، وقلده فى هذا العديد من السياسيين وكبار رجال الدولة، إلا أنه بالتدريج أخذ استعمالها يقتصر على الحكام حتى أصبحت فى النهاية خاصة بالأباطرة فقط.

وقد استعملت نساء روما العديد من أدوت التجميل من أدهان مختلفة وأصباغ وملاقط ومقصات وأمواس ومبارد وأمشاط ومكاشط وشباك للشعر وشعور مستعارة وقنانى للعطور، وأنواعاً كثيرة من الزيوت وحجارة الخفاف والصابون وغير ذلك. كما استعملت النساء أنواعاً متعددة من الحلى من خواتم وأقراط وعقود وأساور ومشابك، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة وبخاصة الزمرد واللؤلؤ(٢).

---

(1) Juvinal, VI, 228.

(2) Ovid., Ars., 160; Pliny, IX, 63, XXXVIII, 12. cf. Mary Horlow, Ray Lawrence, op. cit., p. 54 ff.

قارن كذلك: ول ديورانت، المرجع السابق، صفحات ٣٢١ – ٣٢٥.

أما المنزل الرومانى أو الدوموس Domus، فهو اصطلاح يعنى منزلاً خاصاً غير مقسم يعيش فيه مالكه وحده أو مع عائلته إن وجدت. وخلال العصر الجمهورى لم يختلف المنزل الرومانى عن المنزل اليونانى كثيراً، بل تشابه معه فى بساطته، فلم يخرج عن مدخل ضيق يؤدى إلى فناء غالباً غير مسقوف وتلتف حوله حجرات المعيشة والطعام، أما حجرات النوم فكانت غالباً فى الخلف وتليها المخازن والحمامات إن وجدت، ولم يكن المنزل الرومانى يرتفع عن طابق واحد فى الأغلب الأعم. وتأتى معلوماتنا عن هذه المنازل بالدرجة الأولى من فتروفيوس وكتابه الشهير «عن العمارة»[1]، ومن البقايا التى وصلتنا من بومبى وأوستيا وروما.

إلا أنه مع بداية العصر الامبراطورى ومع الثراء الهائل الذى أخذ يتدفق على روما، أخذ المنزل الرومانى يفقد بساطته التقليدية ويتحول تدريجياً إلى ما يشبه القصر الصغير الفخم الملىء بالتحف وبخاصة المستوردة من اليونان، واستعمل فى المنازل الامبراطورية الذهب والعاج والأخشاب الثمينة بكثرة، وامتلأت هذه المنازل بالعبيد للخدمة والحراسة حتى أن حياة الشخص الرومانى الثرى بدأت تفقد خصوصيتها التقليدية.

ومع ملاحظة أن روما كمدينة عالمية كان لها طابعها الخاص، فقد كانت أجزاء كبيرة من المدينة غير متاحة للسكن، فعلى سبيل المثال كان فى روما: ٢٨ مكتبة، ٨ جسور، ٨ حدائق، ١١ سوق، ١٠ بازيليكا، ١١ حمام ضخم، ٢ سيرك، ٢ صالة موسيقى، ٣ مسارح، ٣٦ قوس نصر، ٣٧ بوابة، ٢٩٠ مخزن، ١٣٥٢ نافورة، وغير ذلك من المنافع العامة[2].

ونظراً لارتفاع سعر أراضى البناء لقلتها وندرتها، فقد كان المنزل الخاص Domus غير متاح إلا أمام الأغنياء فقط، ويؤكد هذا أن القنصل ميسالا قد اشترى منزله الخاص بثلاثة آلاف وسبعمائة سسترتيا (ما يعادل حوالى ٨٢٥٠٠ دولار بسعر اليوم)، واشترى شيشرون منزل كراسوس بثلاثة آلاف

---

(1) Vitruvius, De Architectura, Passim.
(2) Timgay, G., Badcock, J., The Romans, p. 111.

وخمسمائة سسترتيا (ما يعادل حوالى ٧٧٥٠٠ دولار) وتكلف منزل بوبليوس كلوديوس ثمانية عشر ألف وثمانمائة سسترتيا (ما يعادل حوالى ٣٢٧٥٠٠ دولار)، وتكلفت ڤيلا سكاوروس مائة ألف سسترتيا (ما يعادل حوالى ٢,٢١٥,٠٠٠ دولار).

وقد انعكس هذا الوضع بالطبع على التركيبة المعمارية لمدينة روما، ففى احصاء تم فى عصر الامبراطور قنسطنطين اتضح أن روما لا يوجد بها سوى ١٧٩٠ منزلاً خاصاً فقط(١).

وعلى الجانب الآخر كانت روما مليئة بعامة الشعب من الفقراء والعاطلين وأشباه العاطلين الذين اعتمدوا فى حياتهم على ما تقدمه لهم الحكومات المتعاقبة من غذاء مجانى أو شبه مجانى، وبالتالى كان المنزل الخاص بالنسبة لهم أمراً بعيد المنال، من هنا أخذت ظاهرة معمارية جديدة فى الانتشار التدريجى بدءاً من أواخر العصر الجمهورى حتى تفشت تماماً خلال العصر الامبراطورى، وهى ظاهرة (الإنسولاى) أو مساكن محدودى الدخل. ويعنى اصطلاح إنسولا Insula (إنسولاى Insulae) مبنى ضخم من عدة طوابق ينقسم داخلياً إلى غرف منفصلة أو شقق صغيرة يسكنها مستأجرون لها. وفى نفس الإحصاء الذى تم فى عصر الامبراطور قنسطنطين اتضح أن روما بها ٤٦٦٠٢ إنسولاى مقابل ١٧٩٠ دوموس.

وكانت الإنسولاى تبنى بنظام الحوائط الحاملة، وترتفع رأسياً إلى خمس طوابق فى العادة، وأحياناً ما كانت تتجاوز هذا الارتفاع، إلى أن اضطر أوغسطس أن يصدر مرسوماً يمنع أى شخص من الارتفاع بأى بناء لما يزيد عن سبعين قدماً (حوالى ٢١ متراً) وذلك تجنباً لحوادث انهيارات المبانى التى أصبحت ظاهرة متكررة فى روما(٢).

---

(1) Cic., Ad Atticum, XIV. 9. 4, Ad. Fam., V. 6; Pliny, XXXVI. 24. cf. Timgay, G., Badcock, J., op. cit, loc. cit.

David Matz, Daily Life of the Ancient Romans, p. 3 ff.

(2) Livy, XXI. 6. 2; Cic., de leg. Agr., II. 96; Vitruvius, II, 8. 17.

وكانت هذه المبانى تشيد بشكل عشوائى دون مراعاة اشتراطات الأمان، واستعمل فى تشييدها الطوب المجفف والخشب، واستعمل الحجر فقط لتشييد الطابق الأرضى حتى يمكنه تحمل ثقل بقية الطوابق، ويتأكد هذا من بقايا الإنسولاى التى وصلتنا. وكان الطابق الأرضى يؤجر غالباً كحوانيت صغيرة أحياناً ماكان صاحبها يعيش فيها أيضاً. أما بقية الطوابق فقد امتلأت بالعائلات الفقيرة ذات الدخل المحدود والتى عاشت كما تصف لنا المصادر فى بيئة غير صحية تماماً(١).

ورغم أن الشكل الخارجى للإنسولا كان مقبولاً إلى حد ما بسبب كثرة النوافذ والشرفات التى صممت حتى تسمح بإضاءة وتهوية طبيعية، إلا أن داخل الإنسولا كما يتضح من المصادر الكتابية ومن البقايا الأثرية كان غير ملائم. وطبقاً لڤيتروڤيوس الذى كان شاهد عيان على نمو ظاهرة الإنسولاى وتفاقمها، فالعمارة الرومانية تقوم على خمس مبادئ أساسية :

١- اختيار المكان الصحى الملائم للمبنى.

٢- بسبب تأثير الظروف الجوية المحيطة على المبنى، يجب أن يتلائم المبنى مع هذه الظروف.

٣- مراعاة التناسب فى المبنى، أى طبيعة الموقع، والمنفعة والشكل الجمالى، حتى يمكن إحداث التوازن بين هذه العناصر المختلفة.

٤- متانة المبنى وقوة احتماله.

٥- يجب أن تتناسب نوعية المبانى مع احتياجات الطبقات الاجتماعية المختلفة(٢).

وإذا حاولنا تطبيق هذه المبادئ المعمارية ا لتى سادت روما أواخر العصر الجمهورى وبداية الامبراطورية على ظاهرة الإنسولاى، لوجدنا أن الحياة

---

(1) Carcopino, J., Daily Life in Ancient Rome, pp. 26 - 7. Petronius, 95; Vitruvius, I. IV.

cf. Timgay, G., Badcock, J., op. cit., p. 37.

(2) Vitruvius, I. IV.

داخل أحد هذه الإنسولاى كانت غير مريحة على الاطلاق، بل وخطرة فى أغلب الأحيان للأسباب التالية :

– لم يكن للإنسولا أساس يتناسب مع ارتفاعها، لذا فكثيراً ما كانت هذه المبانى تنهار، ونتيجة لذلك ظهرت طائفة من رجال الأعمال قاموا باستغلال هذه الكوارث أفضل استغلال، عن طريق شراء المبنى المنهار بأبخس الأسعار، ثم إعادة بنائه من جديد لاستغلاله بأعلى الأسعار.

– بسبب المواد المستعملة فى بناء الإنسولاى فقد كانت هذه المبانى تحترق بكل سهولة، وساعد على ذلك المشاعل المستعملة فى الإضاءة ومواقد التدفئة والشموع وغير ذلك من مسببات الحرائق.

– كانت هذه المبانى سيئة الإضاءة والتهوية، ولم يكن بها نظام ثابت للتدفئة أو الصرف الصحى، بالإضافة إلى عدم وجود مصدر دائم لمياه الشرب(١).

أما عن الطعام والشراب عند الرومان فيبدو أن الموائد التى وصفها لنا مارتيال وبترونيوس وبلينى يمكن أن تعطينا صورة شبه واضحة. وتؤكد هذه الموائد أن غذاء معظم الأفراد كان على درجة من الجودة، إن لم يكن بالضرورة مكلفاً، وأنه حتى الأثرياء كانوا يأكلون القليل فى المساء، إلا أنه عندما يستدعى الأمر فى مناسبة ما أو وليمة، كان يتم اعداد مختلف أصناف الطعام، مثل اللحوم المختلفة والأسماك المزينة بأوراق الخس والفلفل، والفواكه والفطائر المغطاة بالزعفران، وذلك بالإضافة إلى العديد من الأطعمة البحرية والتى ظهرت فى رسومات بومبى والباقية حتى الآن. وكان الخمر دون شك هو العنصر الدائم التواجد على الموائد الرومانية(٢).

وكانت وجبة الإفطار عند المواطن الرومانى Jentaculum بسيطة عبارة عن قطعة من الخبز تغمس فى الخمر أو العسل أو مع الجبن والفاكهة المجففة،

---

(1) Vitruvius, II. 8. 17; Juvinal, III. 190 - 196, VI. 332; Cic., Ad. Atticum, XIV, 9. 4; Tacitus, Ann., XV. 38, 43; Martial, IX, 17, 5 - 6, Plut., Vitae, Crassus, II. 5.

(2) Boardman, J., The Roman World, pp. 228 - 230.

وكانت وجبة العشاء Prandium بنفس البساطة. أما وجبة الغذاء Cena فكانت هى الوجبة الرئيسية، وكانت تؤخذ فى المساء بعد انتهاء العمل والحمام، وكانت الوجبة تتكون من الأسماك أو المحار أو أى نوع من المأكولات البحرية أو اللحوم المختلفة من الأرانب أو الخنزير أو اللحم البقرى أو الطيور كالدجاج والحمام، بالإضافة إلى أصناف كثيرة من الخضروات، ثم أنواع من الفاكهة التى غالباً ما كانت تضم التين والتفاح والكمثرى. وكان تناول هذه الوجبة يستمر لفترة طويلة - أحياناً لمدة ثلاث ساعات - لكن من الضرورى الإشارة هنا إلى أن الرومانى لم يكن يأكل إلا القليل قبل أو بعد هذه الوجبة[١] ووجبة الغذاء هذه بالإضافة إلى أهميتها الغذائية فقد كانت أيضاً تمثل نوعاً من الترابط الاجتماعى والأسرى، وأحياناً ما كانت تمثل حدثاً ثقافياً.

وقد عرف الرومان ثلاثة أنواع من الخبز هى: الخبز الأسمر المصنوع من الدقيق الخشن ويسمى Panis Acerosus، ونوع ثان أفتح نوعاً ما فى اللون لكنه يظل خشناً ويسمى Panis Secuderius، أما النوع الثالث فهو الأفضل ويصنع من الدقيق الأبيض الناعم ويسمى Panis Candidus[٢]. وكانت قائمة الخضروات الأساسية والبقول تضم الكرنب، الخس، الخيار، الكرات، البنجر، البصل، الثوم، العدس، الحمص، أما الخرشوف والهليون فكانا نادرين ولا يظهران إلا على موائد الأثرياء.

أما الفواكه فقد عرف الرومان الحمضيات مثل البرتقال والليمون اللذان دخلا روما عن طريق الشرق، بالإضافة إلى التفاح والكمثرى والكريز والعنب الطازج أو المجفف والمشمش والبلح[٣].

أما عن الشراب فقد كان النبيذ هو المشروب المحلى والمنتشر بين الرومان إنتشاره بين الإغريق وكان يخلط بالماء أو أحياناً بالعسل، وكان يستخدم كفاتح للشهية يتم تناوله قبل الوجبات وكثيراً ما كان يقدم بعد الوجبات[٤].

---

(1) Timgay, G., Badcock, J., These Were The Romans, p. 131.
(2) Ugo Ensico Paoli, Rome, its People, Life and Customs, p.88.
(3) Lesley Adkins, Roy Adkins, A Handbook to the Life in Ancient Rome, p. 342.

(٤) عن الموضوع بشكل عام راجع: السيد جابر محمد: الطعام والشراب فى مصر خلال العصرين اليونانى والرومانى. رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة الإسكندرية ٢٠٠٣.

العلاقة بين الطبقات

انقسم المجتمع الرومانى إلى ثلاث طبقات أساسية من حيث المواصفات الاقتصادية :

١- **طبقة النبلاء:** وهى طبقة الارستقراطيون، ومن الطبيعى أنها كانت ارستقراطية زراعية واعتبرت الثروة الكبيرة من أهم مقوماتها إذ كانت ضرورية لتسهيل الفوز بوظيفة عامة متميزة مما يؤهل صاحبها لمكانة اجتماعية مرموقة أو على الأقل يدعم من مكانته، وهذه الثروة اعتبرت ضرورية أيضاً للحفاظ على مظاهر هذه المكانة. وقد تميز مجلس السناتو الرومانى بغلبة أفراد هذه الطبقة على عضويته، ورغم أن القانون كان يحظر على أعضاء السناتو مزاولة التجارة والأعمال المصرفية، فقد كان لأفراد هذه الطبقة من أعضاء السناتو نشاطاتهم التى استغلوا فيها صفاتهم السياسية لتحقيق أكبر عائد مادى ممكن.

وكان تولى حكم الولايات الرومانية من أهم مصادر ثروة هذه الطبقة، لأن هذا الموقع كان يتيح لشاغله القيام بحملات عسكرية قد تمليها مقتضيات الأوضاع السياسية أو العسكرية وما يتبع ذلك من أسلاب وجزية سافرة أو مقنعة فضلاً عن فرص الابتزاز السافر فى شكل الهدايا التى كان الأهالى يقدمونها لحكامهم من أبناء الطبقة الارستقراطية[١].

ورغم أن الطبقة الارستقراطية – فى أى مجتمع – تستند بشكل أساسى إلى أصولها الثابتة المغرقة فى القدم وتنتسب فى النهاية بشكل من الأشكال إلى اله أو بطل من أبطال الأساطير أو التاريخ على أقل تقدير، إلا أن هذا العامل لا يعدو أن يكون مظهراً خارجياً مكملاً للشكل التقليدى للارستقراطية، أما القوة الحقة التى تستند عليها هذه الطبقة فهى الدعامة الاقتصادية والتى فيها تكمن قوتها الحقيقية.

---

(١) إبراهيم نصحى، التاريخ الرومانى، الجزء الثانى، ص ٧٣٣ – ٧٣٦.

هذه الدعامة الاقتصادية القوية التى تميزت بها الارستقراطية الرومانية استتبعت بالضرورة لوناً وطريقة مختلفة للحياة لم يعرفها المجتمع الرومانى من قبل إذ انتشرت القصور والضياع وأخذ أفراد هذه الطبقة فى التنافس حول اقتناء الأعمال الفنية المرتفعة الثمن وانتشرت أعداد هائلة من العبيد فى قصور هؤلاء النبلاء، وبالتالى فلم تعد الشئون العامة للدولة تعنيهم فى شيء مادامت ثرواتهم لم تمس، هذه الثروات التى يحدثنا بلوتارخوس عن واحد من أصحابها (كراسوس) الذى قدرت ثروته بحوالى ٧٠٠٠ تالنت[1] – وهو رقم هائل بمقاييس ذلك العصر – لم تأت من فراغ، وانما كانت ثمرة لعلاقة غير متكافئة بين الطبقات فى المجتمع الرومانى، وعندما يميل الميزان فى صالح الطبقة الارستقراطية، فهو من ناحية أخرى – بالضرورة – يميل فى غير صالح الطبقات الأخرى.

طبقة الفرسان: وهى الطبقة التى أثرت من نشاطها فى مختلف الأعمال المالية واستثمرت أرباحها فى شراء الضياع الكبيرة، كان لقب الفارس يطلق أصلاً على ملاك الأراضى الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ٤٥ عاماً ويخدمون فى الجيش على جياد تمدهم بها الدولة ثم تحولوا إلى استعمال جيادهم الخاصة ثم اتسع مفهوم اللقب ليشمل كل من كان لديه النصاب المالى الذى تميزت به طبقة الفرسان فى البداية. وحين بلغت هذه الطبقة من كثرة العدد ووفرة المال ما جعلها تؤلف طبقة اجتماعية بارزة، ولما كان أفراد هذه الطبقة حريصين على أن يكون لهم نصيبهم من الوظائف العامة والتى كانت مغلقة دونهم وقاصرة على الطبقة الارستقراطية فإن اصطدام هذه الطبقة الجديدة الغنية مع الطبقة الارستقراطية أصبح أمراً لا مفر منه.

هذا الموقف يعنى أن طبقة الفرسان – بحكم الظروف – أصبحت حليفة لطبقة العامة ضد استئثار الارستقراطيين بإدارة شئون البلاد، إلا أنه لم يقدر لهذه الطبقة أن تصبح عاملاً مؤثراً فى الدولة الرومانية إلا فى عهد جايوس جراكوس لأن اهتمامهم الأساسى كان منصباً على الأعمال المالية بالإضافة

---

(1) Plut., Vitae, Crassus. II. 3. 4.

إلى عدم وجود كيان سياسى محدد لهم يعبر عن اتجاهاتهم ومصالحهم، ولكن بعد أن قصر جايوس جراكوس ولاية القضاء على الفرسان وكون منهم هيئات المحلفين وأعطاهم حق جباية ضرائب ولاية آسيا – مما أتاح لهم فرصة عظيمة للثراء – اكتسبت هذه الطبقة كياناً سياسياً واضح المعالم وأصبحت تتمتع بنفوذ كبير فى الدولة.

وكانت أوجه النشاط المالى لهذه الطبقة تشمل التعاقد مع الحكومة على تزويدها باحتياجات الجيش والاسطول، واقامة المنشآت العامة، وجباية الضرائب والمكوس الجمركية، واستغلال المناجم فضلاً عن اقراض الأموال فى كل أرجاء الدولة الرومانية، هذا النشاط المالى المتعدد الأوجه كان له نتيجة طبيعية واحدة هى ازدياد الثراء المضطرد لهذه الطبقة مما استتبع بالتالى اشتراكها مع طبقة الارستقراطية فى طريقة حياتهم المترفة وتقليدهم حتى فى انحرافاتهم الأخلاقية(١).

وهكذا فإن تحالف طبقة الفرسان مع العامة لم يكن إلا تحالفاً مرحلياً للنيل من سيطرة الارستقراطيين لصالح الفرسان أما التحالف الحقيقى – وإن بدا ظاهرياً أنه غير موجود – فهو تحالف بين الارستقراطيين النبلاء والفرسان – من وجهة النظر الاقتصادية – ضد الطبقة الأخيرة فى المجتمع الرومانى وهى عامة الشعب.

٣- **طبقة العامة:** وانقسمت إلى قسمين هما :

عامة الريف، وعامة مدينة روما، وتكونت طبقة عامة الريف من ثلاثة عناصر أساسية هى: صغار ملاك الأراضى، أما الفئة الثانية فكانت تتألف من مستأجرى بعض أراضى النبلاء والفرسان وبالتالى كانوا يدينون بالولاء لهم. أما الفئة الثالثة فكانت الأجراء الأحرار الذين يقومون بأعمال زراعية موسمية فى الضياع الكبيرة ونظراً لأن طبقة العامة من الريف قد استقروا بعيداً عن روما وانهمكوا فى مزاولة أعمالهم فقلما وجدوا فرصة لمزاولة

---

(١) إبراهيم نصحى، المرجع السابق، ص ٣٤ – ٤١.

حقوقهم الدستورية أو الانشغال بالحياة السياسية إلا أنهم كانوا يؤدون الخدمة العسكرية كلما دعت الضرورة.

أما القسم الثانى من طبقة العامة وهو عامة مدينة روما فقد تألف أيضاً من ثلاث عناصر أولها كان اتباع النبلاء والفرسان الذين أعدهم سادتهم لممارسة حرفة معينة لحسابهم وبالتالى كانوا بمثابة صناع أو موظفين يعملون لقاء أجر محدد.

أما الفئة الثانية فشملت المواطنون العاديون الذين لا تربطهم رابطة التبعية لأحد ويكسبون قوتهم بجهودهم المتواصلة فى مجال أو آخر من الأعمال الدنيا.

أما الفئة الثالثة وهى الأكبر عدداً والأخطر تأثيراً فكانت تتكون من العاطلين أو أشباههم قاطنوا روما والذين لم يكن لهم مورد رزق محدد ومنتظم، وكان لديهم من الوقت ما يتيح لهم حضور أى اجتماع عام أو جلسات الجمعية الشعبية ورغم اعتمادهم بشكل أو بآخر على الدولة فى اعالتهم إلا أن كل منهم كان يتمتع بصوت انتخابى، وازاء فقر هذه الطبقة مع تزايد المنافسة على تولى الوظائف العامة واستعداد المتنافسين لشراء أصوات الناخبين أصبح أفراد هذه الطبقة عنصر مؤثر - ولو أنه بشكل سلبى - فى الحياة السياسية فى روما.

ومنذ ظهور تيبريوس وجايوس جراكوس حاول الزعماء الشعبيون معالجة حالة فقراء روما - فى محاولة لتأجيل ثورة شعبية بسبب سوء الأحوال الاقتصادية - وذلك عن طريق توزيع الأراضى العامة وإنشاء المستعمرات وخفض سعر بيع القمح لبيعه لهم بسعر أدنى من سعر السوق، ولكن دون جدوى إذ وقفت الطبقة الارستقراطية موقف العداء ضد كل محاولات الإصلاح الزراعى لتعارضه مع مصالحها الاقتصادية. وفى محاولة لإيجاد حل ظاهرى لجأت الطبقة الحاكمة فى روما إلى تحويل انتباه العامة عن جوهر المشكلة الاقتصادية - والمتمثل فى سوء توزيع الثروة - إلى أشياء أخرى مثل توزيع الخبز بالمجان على فقراء روما ثم الزيادة المستمرة فى

عدد الحفلات العامة غير العادية. إلى جانب الحفلات العامة الرسمية التى كانت تقام فى مواعيد ثابتة والتى وصل عددها فى العصر الامبراطورى إلى ١٧٥ حفلاً فى العام الواحد. وقد أتت هذه السياسة ثمارها، إذ أصبحت أعلى الصيحات فى عهد الامبراطورية هى المطالبة بالخبز المجانى - الذى اعتبره العامة حقاً مكتسباً لهم - وحفلات الترفيه المنتظمة(١).

تتبقى هنا نبذة سريعة أخيرة عن فئة لم تعتبر (من وجهة نظر المجتمع الرومانى) جزءاً من هذا المجتمع رغم أهميتها الاقتصادية له، وهى العبيد. إذ أن العبيد وفقاً لأحكام القانون ووجهة النظر الشائعة بين الرومان لم تكن لهم شخصيات معنوية لأنهم لم يعتبروا أشخاصاً وانما متاع رهن بأمر سادتهم. وقد ظل العبيد يؤلفون الغالبية العظمى من اليد العاملة فى الريف إلى أن قرر قيصر تحديد عددهم بثلثى العاملين فى كل ضيعة، أما فى المدن فلم يقتصر عمل العبيد على الأعمال المنزلية الوضيعة بل تعداه إلى أن أصبح المتعلمون منهم سكرتيرين ونساخاً وأمناء للمكتبات ومعلمين وأطباء لأبناء الأسرة، كما استخدموا بشكل منظم فى إنتاج احتياجات سادتهم فيما يشبه المصانع البدائية، بل وتعدوا هذا إلى المتاجرة بفائض هذه الاحتياجات(٢).

---

(١) المرجع السابق، صفحات، ٧٤٣ - ٧٤٦.

(2) H. Scullard. op. cit., pp. 185 - 439.

الأسرة والتعليم

يكاد يكون من المسلم به أن الجمهورية الرومانية قد تأثرت بشكل واضح بالعالم الهللينى التقليدى ومن بعده بالشرق الهللينستى فى شتى نواحى الحياة، وفيما يخصنا هنا عن النظام الأسرى كظاهرة حضارية فى المجتمع الرومانى فيمكن القول أن هذا التأثير قد ظهر بوضوح بداية منذ حوالى منتصف القرن الثانى ق.م وحتى قرب نهاية العصر الجمهورى مما أصبح يهدد بضياع القيم والتقاليد الرومانية الأصيلة التى حدثنا عنها كاتو على سبيل المثال والتى كانت بمثابة منهاجاً لسلوك الإنسان الرومانى قد يعوض أحياناً النقص الذى اتسمت به ديانته القديمة، حيث أن هذه الديانات سواء الرومانية منها أو اليونانية لم تكن سلوكاً أخلاقياً وطريقة تعاملات إنسانية بقدر ما كانت مجرد طقوس محددة يؤديها الفرد بأمانة لالهته. وربما كانت الكلمة اللاتينية Familia أشمل فى معناها القديم من المعنى الحديث لكلمة أسرة، فعند الرومان كانت الأسرة تضم بالإضافة إلى أعضائها الأساسيين كل من له علاقة بها كالخدم والصبية الذين بالمنزل وغيرهم، وعلى عكس اليونانى كان الشخص الرومانى مرتبطاً بأسرته وحياته الأسرية إلى حد بعيد، وفى داخل كل منزل رومانى كان يتوسطه الموقد أو الالهة فستيا «Vestia» رمزاً لتوحد الأسرة وتجمعها الدائم حول موقد المنزل وهو نوع من العبادة الخاصة بكل أسرة بالإضافة إلى الآلهة العامة أو الرسمية للدولة مما كان يعكس تحرراً دينياً واضحاً فى الخلق الرومانى.

ويبدو أن التركيبة الداخلية للنظام الأسرى الرومانى ووجود قوة واحدة واضحة ومحددة داخلية – هى الأب – قد ساعد إلى حد ما فى أن يكتسب الفرد الرومانى عدد من الفضائل أو الخصال التى اشتهر بها مثل :

– الفضيلة Virtus التى عنيت عند الرومان الرجولة والشهامة والشجاعة فى المعارك.

– الجدية والاحساس بالمسئولية Gravitas.

– التقوى والالتزام Pietas والتى عنيت احترام والتزام الرومانى بالسلطة الالهية والبشرية على حد سواء.

- البساطة والوضوح والواقعية Simplicitas.

وقرب نهاية العصر الجمهورى جسد فيرجيل فى بطله اينياس كل صفات وفضائل الشعب الرومانى كما كان يرغب فى أن يراها فقد كان اينياس فاضلاً جاداً مسئولاً نقياً ملتزماً بسيطاً واقعياً، وربما كانت هذه الصفات من أهم العوامل التى ساعدت الشعب الرومانى على تكوين أعظم امبراطورية عرفها التاريخ القديم، والتى كان مردها الأول يعود إلى الأسرة الرومانية وتركيبتها الداخلية.

وكما سبق القول فيبدو أن وجود قوة واضحة ومحددة داخل هذا النظام الأسرى الرومانى - أى الأب - كان له أبلغ الأثر فى نجاح مثل هذا النظام، فقد كان طبيعياً أن يتحول المجتمع الرومانى مع غيره من المجتمعات القديمة فى نفس التطور المتتابع إلا أن المجتمع الرومانى تميز بسيطرة الأب على أسرته سيطرة تكاد تكون كاملة وتصل به إلى حد امكانية الحكم بالاعدام على أحد أفراد الأسرة إذا ارتكب ما يستوجب ذلك. هذه السلطة المطلقة للأب والتى عرفت باسم Patria Potestas استمرت تقريباً حتى عصر قنسطنطين حين انتشرت أخلاق المسيحية لتحل محل الأخلاق الرومانية التقليدية مما يوحى بأن هذه السلطة رغم شموليتها لم تستغل استغلالاً سيئاً من قبل الآباء بدليل بقاءها مدة طويلة لأن هؤلاء الآباء كانت تحكمهم من جهة أخرى الفضائل الرومانية التى نبعت من الأسرة والتى لم تكن لتسمح بأى تجاوزات.

أما عن التعليم فقد كان التعليم الرسمى العام - بغض النظر عن التدريب والتثقيف الذى يتلقاه الطفل عن أبويه وبين أفراد أسرته - قاصراً على القادرين على القيام بنفقاته وكان بوسع النبلاء والأثرياء أن يتخذوا لأبنائهم مربين خصوصيين، وفى مقدورهم أن يرسلوا بأبنائهم إلى مدارس يديرها أشهر علماء النحو والبيان، سواء فى روما نفسها أو عواصم الأقاليم. وكان يتقاطر على المعلم فى مدن الريف أبناء ملاك الأراضى ممن يمثلون الطبقة الارستقراطية المحلية وأبناء صغار التجار وغيرهم ممن لديهم المال والرغبة فى توفير مستقبل أفضل لأبنائهم عن طريق التعليم.

وعندما ظهرت أهمية التعليم دخلت الدولة نفسها هذا المجال وأصبح «الصندوق الخيرى» الذى أنشأه الامبراطور تراجان يقوم بتدبير الأموال لتعليم الفقراء بالمدارس، وأسس الامبراطور فاسبسيان كرسيين للبلاغة اللاتينية والبلاغة اليونانية وعين كونتيليان أشهر مربى عصره فى روما كى يشغل كرسى اللغة اللاتينية، ومنذ البداية أدرك الأباطرة الحاجة إلى تلقين الشعوب المفتوحة التى ضمت إلى الامبراطورية الرومانية نظم الحياة الرومانية وأساليبها فأنشئت المدارس الرومانية فى هذه المناطق(١).

وقد كان التطور السريع فى نظرة الرومان للتعليم نتاجاً واضحاً لاحتكاكهم بالثقافة الاغريقية ووجهة نظرهم فى دراسة الفلسفة والفنون الخطابية التى رأوا أنها تؤهل للنجاح فى الحياة العامة والخاصة على حد سواء مما صادف قبولاً لدى الرومان بما جبلوا عليه من طبيعة عملية. ومع ذلك ظل الرومان غير ميالين إلى انشاء أى نظام عام للتعليم فكان كل أب يوجه تعليم أبنائه كيفما شاء. وبالتالى كانت المدارس خاصة وكان مدرسوا اللغة والمواد الأولية عادة من الاغريق. وكان بعضهم عبيداً والبعض الآخر من المعتقين.

وقد قوبلت هذه الاتجاهات الجديدة بمعارضة شديدة من شيوخ الرومان والمحافظين أمثال «كاتو الكبير» وهو الذى اعتبر أن المؤثرات الاغريقية سيئة الأثر على أخلاق الرومان، ولذلك فقد اقتفى العادة الرومانية القديمة وقام بنفسه بتدريب أبناءه وتعليمهم، بيد أن هذه المعارضة كانت محدودة الأثر، ولم يلبث كاتو نفسه آخر الأمر أن اضطر لتعلم الاغريقية ودراسة آدابها(٢).

وليس معنى تأثر الرومان بالحضارة الاغريقية فى مجال التعليم أنهم ضربوا عرض الحائط بكل مثلهم التقليدية، ذلك أنهم ظلوا يعتبرون الخبرة العملية والبيئة المنزلية أكثر أهمية من الدراسات الأدبية. وتبعاً لذلك فانهم استمروا يحافظون على عاداتهم منذ القدم بتكليف الأبناء بصحبة آبائهم أو

---

(١) شارلز وورث، الامبراطورية الرومانية، ص ١٢٠ – ١٢٢.
(٢) إبراهيم نصحى، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٤١٤ – ٤١٥.

غيرهم من كبار السن ذوى السمعة الطيبة ليتخذوا من تصرفاتهم فى الحياة العامة والخاصة قدوة لهم.

وكان الأساس الأول للتعليم هو النحو والهجاء والاملاء وحفظ بعض النصوص وإلى جانب ذلك تأتى بعض المناهج المبسطة فى الحساب والجغرافيا والتاريخ، غير أن هذه العلوم جميعها لم تكن تخدم إلا غرضاً واحداً وهو تلقين فن الحديث والاقناع وهو العيب الجوهرى الذى أدى فى النهاية إلى طغيان المظهر على الجوهر وتحول اللغة اللاتينية تدريجياً إلى لغة كتابة وأدب فحسب.

ويجرنا الحديث عن التعليم إلى قضية وضع المرأة فى المجتمع الرومانى[1]. باعتبار أن المقصود هنا بالتعليم هو الذكر، إذ لم يرد ذكر المرأة كثيراً فى النصوص الخاصة بطرق التعليم والتعليق عليه وخصوصاً عند «كاتو» فماذا كان عليه الحال مع المرأة إذن؟. كانت المرأة الرومانية تتمتع بمكانة محترمة فى المجتمع الرومانى. فقد كانت تحظى فى الأسرة بقدر من التبجيل، وكانت متحررة من قيود العزلة التى فرضت على المرأة الاغريقية. وتأكيداً لذلك يحدثنا «نبوس» فى مقدمة كتابه أنه كان أمراً مألوفاً فى المجتمع الرومانى مشاركة سيدة البيت لزوجها فى استقبال الضيوف ومصاحبتها اياه فى المآدب والحفلات[2]، وهذا يوضح بجلاء أن المجتمع الرومانى كان يسمح من حيث اختلاط الجنسين بقدر كبير من الحرية لم يكن المجتمع اليونانى يسمح به.

وكانت المرأة الرومانية تمارس نفوذاً كبيراً فى تكييف مجرى الشئون العامة إذا كانت تنتمى إلى أسرة كبيرة أو تربطها صلات قوية بذوى النفوذ.

---

(١) راجع دراسة أخرى عن التعليم ووضع المرأة فى المجتمع اليونانى للكاتب فى الجزء الأول من الدراسات، القسم الثانى.

(2) Nepos. Excell Oue Exter Crut Praedatio, 6

مقتبس من إبراهيم نصحى، المرجع السابق، الجزء الثانى، ص ٧٤٧ حاشية ٣١، وعن الموضوع بشكل عام راجع:

Jerome Carcopino. Daily Life in Ancient Rome, P.76 ff p.101 ff.

ومنذ أواخر القرن الثانى ق.م بدأت تظهر فى المجتمع الرومانى معالم التفكك فى الروابط الأسرية، وفى القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية تفاقم هذا التفكك كنتيجة طبيعية للحياة المترفة المحمومة وللانحلال الخلقى ولتحرر الزوجة من سيطرة الزوج وقدرتها على التصرف فى الممتلكات التى آلت إليها على هيئة صداق أو ارث، وفى ظل مثل هذه الظروف شاعت العلاقات غير المشروعة مثلما شاع الطلاق لأسباب خلقية أو غيرها وتكرر الزواج لدوافع مختلفة سواء سياسية أو حتى جرياً وراء الثروات، ومن أمثلة ذلك أن كلاً من سلا وبومبيوس تزوجا خمس مرات وأن قيصر تزوج أربع مرات، وأن توليا ابنة شيشرون تزوجت ثلاث مرات والذى تزوج هو نفسه مرة أخرى فى أواخر حياته من كفيلته الثرية ربما لتعويض الخسارة التى ألمت به بسبب الحروب الأهلية.

القانون الروماني

لكل حضارة من حضارات العالم القديم ما أضافته إلى الإنسانية، فمصر الفرعونية أضافت الدين وفكرة العالم الآخر والثواب والعقاب والخلود، وأضافت اليونان الفلسفة والمسرح، أما الرومان فقد أضافوا القانون الذى يمكن القول بأنه جوهر الحضارة الرومانية.

والقانون فى أساسه هو محاولة لتنظيم العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الدينية بين الأفراد وبعضهم البعض، وبينهم وبين السلطة الحاكمة ممثلة فى الدولة، وعادة ما يبدأ القانون فى شكل مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف تستقر بمرور الوقت، ثم تتدخل الدولة لفرضها بالقوة فتتحول إلى قانون(١).

وتبدأ معرفتنا الأكيدة بالقانون الرومانى بقانون الأخوين جراكوس للإصلاح الزراعى، ثم يظهر سكايڤولا Scaevola الذى تولى منصب القنصل فى ١٣٣ ق.م وابنه كوينتوس Quintus الذى تولى نفس المنصب فى ٥٥ ق.م، واللذان بذلا مجهوداً كبيراً فى محاولة صياغة القانون الرومانى بشكل يسهل فهمه. ثم يظهر شيشرون Cicero بمحاولاته القانونية الفلسفية.

إلا أن أواخر العصر الجمهورى وبداية الامبراطورية شهدت العديد من التناقضات القانونية،مثل قوانين ماريوس وسلا وبومبى، وتشريعات قيصر ثم أوغسطس مما جعل العديد من القانونيين يحاولون التوفيق بين هذه القوانين المتناقضة إلى حد التضارب مثل المشرع انتستيوس لابيو Antistius Labeo.

إلا أن الإنجاز الفعلى بدأ فى عصر الامبراطور هادريان، والذى جمع طائفة من فقهاء القانون وكلفهم بصياغة قانون جديد يلتزم به الجميع ولا يكون فيه هذه التناقضات. واستمرت هذه المحاولات حتى اكتملت فى عصر الامبراطور جستنيان Justenian (٥٣٣م) بموسوعته القانونية الضخمة التى أصبحت أساساً لقانوننا المعاصر(٢).

---

(1) Janet Huskinson, Experiencing Rome, Passim.
(2) Hans Julius Wolff, Roman Law, p. 206 ff.

مصادر القانون الروماني :

١- فى العصر الجمهورى كان مصدر القانون هو إرادة المواطنين أنفسهم فى الجمعية العشرية والجمعية المئوية والجمعية القبلية، ويعبر عنه بلفظ Leg-es ثم عندما تتم الموافقة عليه يعبر عنه بلفظ Plebisuta أى «أقرته عامة الشعب»، ولم يكن مجلس السناتو يوافق على أى Leges إلا إذا أقرته هذه الجمعيات، وهنا يعبر عنه بعد موافقة السناتو بلفظ Senatus Populusque Romanus.

٢- توصيات مجلس السناتو Senatus Consulta، والتى بدأت فى العصر الجمهورى كاستشارات ثم توصيات ثم تحولت إلى توجيهات حتى انتهت إلى أن تصبح أوامر كان لها فى نهاية العصر الجمهورى وبداية العصر الامبراطورى قوة القانون.

٣- الأوامر Edicta التى يصدرها موظفوا المجالس البلدية، وكانت تعرف أيضاً باسم الأوامر البرايتورية Edictum praetorium.

٤- قرارات الحكام Constitiones Principum، وكان يصدرها القناصل خلال العصر الجمهورى، ثم أصبح يصدرها الأباطرة فى العصر الامبراطورى، وكانت عبارة عن مراسيم أو قرارات أو ردود على استفسارات قانونية أو توجيهات تصبح لها قوة القانون بمجرد صدورها.

٥- الفتاوى القانونية Responsa Prodentium، وهى محاولة من فقهاء القانون للتوفيق بين المتناقضات القانونية، وتفسير القوانين القديمة بما يتلائم مع الحياة العصرية، وقد جعل أوغسطس لهذه الفتاوى قوة القانون إذا كان من يصدرونها قد حصلوا من الامبراطور على حق إصدار الفتاوى، وقد اعتمدت موسوعة جستنيان القانونية على العديد من هذه الفتاوى القانونية(١).

---

(1) Olga Tellegen - Couperus, A Short History of Roman Law, p. 3 ff.; p. 29 ff; p. 65 ff.

قانون الأحوال الشخصية :

الشخص فى القانون الرومانى Persona هو المواطن، وهو الشخص الذى تم ضمه إلى احدى القبائل الرومانية بحكم المولد أو التبنى أو العتق أو المنحة من قبل الحكومة، والمواطنون ينقسمون إلى ثلاث درجات:

١- مواطن كامل يتمتع بحق الانتخاب وحق تولى المناصب وحق الزواج من حرة، وحق إجراء تعاقدات قانونية يحميها القانون.

٢- مواطن لا حق له فى الانتخاب ولا فى تولى المناصب، ويحق له فقط الزواج من امرأة رومانية حرة، والتعاقد التجارى القانونى.

٣- المعتقون الذين لا حق لهم فى الزواج أو تولى المناصب وإنما يتمتعون فقط بحق الانتخاب والتعاقد.

وكان للمواطن الكامل حقوق يضمنها له قانون الأحوال الشخصية، مثل حق الأب على أبناءه Patria Potestas، وحق الزوج على زوجته Manus، والمالك على عبيده Dominium، كما ضمن هذا القانون للمواطن الحماية حتى من سلطة الدولة.

أما المرأة فقد أخذت تحصل تدريجياً على امتيازات قانونية بدءاً من نهاية العصر الجمهورى، مثل الامتياز الذى أعطاه أوغسطس لكل امرأة رومانية تلد ثلاثة أبناء شرعيين برفع الوصاية عنها، وفى عصر هادريان صدر مرسوم يجعل من حق المرأة التصرف فى أملاكها حسب رغبتها. ومع نهاية القرن الثانى رفعت الوصاية عند المرأة عند تجاوزها سن الخامسة والعشرين.

أما العبيد فلم يكن لهم حقوق قانونية على الاطلاق، فالعبد كان Res (شيئا) وليس Persona (شخصا)، فلم يكن له حق التملك ولا الميراث ولا الزواج الشرعى، وأبناؤه كانوا أيضاً عبيد، وكان السيد له حق ضرب العبد أو تعذيبه أو حتى قتله.

القانون الجنائي والمدني والمرافعات:

حدد القانون الرومانى الجرائم التى تقع على الأفراد أو الدولة أو الهيئات الاجتماعية والتجارية، مثل الرشوة والابتزاز والفساد المالى والإدارى،

والاعتداء على الديانة الرسمية، والسرقة والايذاء البدنى للأفراد أو القتل أو الزنا أو اللواط أو الانتحار، وكانت هذه الجرائم تعاقب بعقوبات تتدرج من الغرامة وحتى النفى والاعدام.

أما قانون الملكية فقد اهتم به المشرعون الرومان على اعتبار أن حق الملكية هو جوهر الاقتصاد الرومانى، وكانت الملكية تجىء عن طريق الشراء أو الميراث أو وضع اليد، فإذا مات الوالد دون ترك وصية كان ورثته هم أبناؤه بشكل تلقائى، إلا أن الابن الأكبر كان يرث حق الولاية على الأسرة، أما ترك وصية فقد كان من الأمور القانونية المعقدة، وحتى فى حالة ترك وصية كان يراعى ترك جزء من الميراث للأبناء. أما إذا مات شخص دون وريث أو وصية فكانت أملاكه تذهب إلى أقرب قريب ذكر له من العصب.

أما بالنسبة للمرافعات أو إجراءات التقاضى، فقد كان من حق كل مواطن رومانى أن يقوم بالادعاء ضد أى مواطن آخر، وكان طرفى النزاع يودعان لدى الحاكم مبلغاً من المال يضيع على من يخسر القضية ويصبح من حق الدولة. وكانت القضايا تنظر أمام البرايتور أو أحد القضاة الذين كان يصدر بأسمائهم سجل دورى.

ولما كانت الإجراءات القانونية معقدة إلى حد كبير، لذا لجأ المتقاضون إلى محامين يترافعون عنهم Avocati، والذين وصلت أجورهم إلى ١٠,٠٠٠ سستريكس للقضية الواحدة.

وقد وصلت ثروات بعض المحامين فى عصر الامبراطور قسباسيان إلى ٣٠٠ مليون ستريكس. وكان من حق البرايتور أن يستبدل بالقضاة مجموعة من المحلفين يتم اختيارهم بالقرعة، وكان عددهم يتراوح ما بين ٥١ إلى ٧١ محلف، وتصدر أحكامهم فى هذه الحالة بأغلبية الأصوات[1].

أما العقوبات فى القانون الرومانى فقد كانت تختلف باختلاف منزلة المحكوم عليه، فعقاب العبد غير عقاب المواطن الحر، وكانت أقسى العقوبات

(1) Hans Julius Wolff, Roman Law, p. 91 ff.

بالطبع من نصيب العبيد، فقد كان من الممكن تعذيب العبد أو صلبه، بينما لا يحدث هذا إطلاقاً مع المواطن الحر، وتفاوتت العقوبات من الغرامة المالية البسيطة، إلى الغرامة الكبيرة، ثم الحرمان من الحقوق المدنية، ومصادرة الأملاك، إلى النفى خارج حدود الدولة، ومع النفى كانت الدولة تصادر أملاك المنفى أو لا تصادرها أحياناً وذلك حسب العقوبة الموقعة عليه.

وكانت عقوبة الإعدام فى البداية قليلة، إلا أنها أخذت فى الازدياد خلال العصر الامبراطورى، أما عقوبة السجن فكانت نادرة واستعاضت الدولة عنها بإجبار المحكوم عليهم بالاشتغال فى الأعمال العامة أو فى مناجم أو محاجر الدولة.

تتبقى كلمة أخيرة عن موسوعة چستنيان القانونية حيث تتكون من أربع مجموعات تحمل اسم چستنيان هى :

١- مجموعة التشريعات Codex: وصدرت عام ٥٣٤م، وتحتوى كل التشريعات الامبراطورية Leges التى صدرت فى الفترة ما بين الامبراطور هادريان وحتى الامبراطور چستنيان، وتتكون من ١٢ كتاباً كل كتاب مقسم إلى أبواب وفقرات وبنود، وكل تشريع يرد ذكره فى هذه المجموعة ينسب إلى الامبراطور الذى أصدره.

٢- المتون Institutiones وصدرت فى عام ٥٣٣م وتحتوى على المبادئ الأساسية Elementa، وقد أخذت هذه المتون المادة الأساسية من الأعمال القانونية لفقهاء العصر الذهبى، والكثير هذه المادة يتكرر أيضاً فى مجموعة التشريعات وفى الموسوعة.

٣- الموسوعة Digesta أو الباندكتاى Pandectae وصدرت عام ٥٣٣م وسميت بالموسوعة لأنها احتوت على ما يقرب من تسعة آلاف نص قانونى مع عرض منظم للشروح الفقهية فى القانون المدنى والفتاوى القانونية، وتعد هذه الموسوعة بمثابة مختصر لكل الفقه القانونى الرومانى، وتقع فى خمسين كتاباً كل كتاب ينقسم إلى أبواب وفقرات وبنود، وكل فقرة أو بند

من البنود تحمل اسم مؤلفه ا الأصلى ولسم الكتاب الذى تم الاقتباس منه[1].

٤- المراسيم المستحدثة Novellae وتضم التشريعات التى أصدرها جستنيان نفسه والتى صدر أغلبها باللغة اليونانية فى الفترة ما بين ٥٣٤ - ٥٥٦١.

وقد أصدر جستنيان مرسوماً امبراطورياً يقضى بمنع التعليق على هذه المجموعات القانونية الأربعة أو شرحها أو التعرض لها بأى شكل من الأشكال وذلك خشية التحريف فيها أو مسخها، إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الشروح أهمها (شروح ثيوفيلوس على المتون) Paraphrasis Institutionum Theophili وقد صدرت باللغة اليونانية. وفى أواخر القرن التاسع أصدر الامبراطور ليو السادس مجموعة قانونية سميت «المجموعة البازيليكية Basilica، أى القوانين الملكية، إلا أنها لم تخرج عن مجموعات جستنيان القانونية مع بعض التنقيح والتنسيق وأحياناً بعض التعديلات البسيطة[2].

---

(١) عبد اللطيف أحمد على، مصادر التاريخ الرومانى، صفحات ١٠٠ - ١٠٢.
Cf. R. W. Lee, The Elements of Roman law, p. 46 ff.

(٢) عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق، صفحة ١٠٣. وعن تأثير القانون الرومانى على القوانين الحديثة بشكل عام راجع :
Peter Stien, Roman Law in European History, p. 38 ff.

المبحث الثالث

الدين والأسطورة

(الأصول الشرقية والأشكال الغربية)

مدخل:

كانت الأسطورة هى القالب الرمزى الذى تجمعت بداخله أفكار البشر وأحلامهم فى الفترة السابقة على ظهور المعرفة بمعناها الواسع. أو بعبارة أخرى الفلسفة والعلم. وادراكنا للأسطورة يحتم علينا أن نتمرس دائماً بالنظرة الاستبطانية للأشياء. تلك هى النظرة التى تكشف لنا صور هذه الأشياء وتعيننا على ادراك الوجود ادراكاً تأملياً ميتافيزيقياً. ولهذا ترى الفلسفة أن الأسطورة بكل ما تتضمنه من صور ورموز لابد وأن تحمل مضموناً فلسفياً عميقاً، وإذا أخفت الأسطورة هذا المعنى فمهمه الفلسفة أن تقوم بعملية التفسير لهذه الصور والرموز.

ولا شك أن الاسطورة هى عمل ابداعى انسانى محض، وأن ابداعها قد تم بطريقة لاشعورية، أى لم يكن العقل الذى أبدع الاسطورة واعياً بما يقوم به من خلق خيالى لتلك الاسطورة، ورغم هذا فقد نالت الاسطورة قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين، فلدينا «فرويد» الذى يرى أن كل صور الاسطورة ما هى إلا أقنعة لشئ واحد هو «الجنس» وبالإضافة إلى فرويد فلدينا فريزر ولانج وقارنل وغيرهم كثيرين ممن لا يتسع المجال لمناقشة آراءهم باستفاضة(١).

والحق أنه لابد وأن تعامل الأسطورة على أنها مادة انسانية لاتخضع لمناهج التقنين والتجريب، لأنه يوجد خلاف واضح بين المادة الاسطورية والمادة الفيزيائية، فالعالم الذى يستنبط القوانين من الواقع انما يقوم بعملية اختزال لهذا الواقع، أما الخلق الاسطورى فهو يقوم على أساس تكثيف لهذا الواقع، فالاسطورة لا تقبل التصنيف أو التعميم أو التبسيط لأنها لا تبحث عن

---

(١) سنعرض فيما بعد العديد من التفسيرات التى أحاطت بدراسة الأساطير وخاصة ما يتعلق منها بالأساطير اليونانية والرومانية.

خصائص الأشياء أو تحاول وصف ظاهرة طبيعية، وبالتالى فكل ما تعنى به الأسطورة هو محاولة تقديم رؤية استنباطية للأشياء أو رؤية حدسية لصور هذه الأشياء،ومن هنا يختلف الفكر العلمى عن الفكر الاسطورى، فالأول يقوم بوصف ظواهر الطبيعة والمسببات التى تكمن وراء هذه الظواهر وبالتالى يصفها وصفاً موضوعياً بحتاً يمكن اخضاعه لمناهج التقنين والتجريب، أما الفكر الاسطورى فيصف الطبيعة بأحاسيس الإنسان وتخيلاته وتصوراته[1].

وعلى الرغم من النظرة العلمية الموضوعية التى تعالج بها ظواهر الطبيعة فى وقتنا هذا فما زالت الصور الاسطورية تستهوينا لأننا نرى فيها الإنسان والطبيعة كلاً واحداً، فهنا يمتزج عالم الإنسان بعالم الطبيعة، ويتبلور هذا الامتزاج فى ظواهر عديدة، فخسوف القمر كان يعنى حرباً عسكرية وظهور مذنب كان نذيراً بالوباء وحركات الكواكب كانت دليلاً لاختيار الأوقات السعيدة واجتناب أوقات النحس وهكذا. إلا أن منطق الاسطورة ومنطق العلم كثيراً ما يلتقيان فيؤديان غرضاً واحداً هو جعل الكون مفهوماً، وهذا ما يبدو واضحاً حين تتعامل الاسطورة مع العناصر المادية المعروفة مثل الهواء والتراب والنار والماء التى يتألف منها الكون فتصور العلاقات فيما بين هذه العناصر تصويراً إنسانياً قد لا يخلو من الطرافة.

وفى عالم الاسطورة اعتقاد راسخ بوحدة الحياة، فالطبيعة تصبح مجتمع الحياة والإنسان جزء من هذا المجتمع.. وهذا الشعور بوحدة الحياة التى لا تتحطم هو شعور غاية فى القوة حتى أنه يتحدى حقيقة الموت وينكرها، فالموت فى الفكر الاسطورى لا يمثل ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين عامة. لأن الفكر الاسطورى أبى أن يسلم بفناء الإنسان، وهو ينكر ظاهرة الموت ولهذا كان مثل هذا الفكر أقوى وأشد تأكيداً للحياة[2].

---

(١) سعد عبد العزيز: الاسطورة والدراما، ص ٧ – ١١.

(٢) والمثال الذى يكاد يتطابق مع هذا الرأى هو موقف المصريين القدماء من الموت وفكرتهم عن العودة للحياة فى عالم آخر. وترجمتهم لهذا الموقف بشكل عملى يظهر فى طريقة بناءقبورهم وظهور فكرة التحنيط ودفن بعض المأكولات مع الميت مع رموز لكل ما كان يحيط به أثناء حياته العادية حتى تماثيل المجيبين الصغيرة الحجم، هذا الموقف تطور عن ما كان موجوداً فى بعض الحضارات القديمة من دفن أحد الأشخاص الأحياء الذين يحتاجهم الميت دائماً – كالزوجة – معه.

وكما كانت الاسطورة محاولة من الإنسان لتطويع الطبيعة وظواهرها المحيطة به، كان الدين – وهو التطور الطبيعى للسحر وما صاحبه من طقوس – محاولة من الإنسان البدائى لتطويع الطبيعة وتسخيرها لخدمته وتفسير ظواهرها تفسيراً وهمياً، وقد بدأ السحر مع الإنسان فى العصور الحجرية القديمة بشكل غير واع، ثم تطور إلى الشكل الواع على أساس خلق رموز ونماذج للطبيعة بحيث تتحول الطقوس التى تجرى عليها إلى أشياء تحدث فى العالم الواقعى، وكان الهدف الأول للإنسان هو اغراء الطبيعة بمساعدته فى مشاكله التى يعجز عن مواجهتها و بهذا تتأكد فرضيتنا الأولى من أن السحر قد نشأ كمحاولة من الإنسان لسد الثغرات الناجمة عن فقر التكنيك ومحدوديته.

وكانت هذه البدايات هى أولى الخطوات نحو ظهور (الطوطم) وهو الرمز الذى يمنح الإنسان القوة، وقد أخذ الطوطم شكل الحيوان أو النبات، وتدريجياً أصبح لكل عشيرة أو قبيلة طوطمها الخاص والذى تحول تدريجياً أيضاً إلى اله تعبده هذه القبيلة أو العشيرة، وأقيمت له الطقوس وقواعد العبادة التى هى فى الحقيقة صورة أخرى للسحر البدائى، وصحب هذه الطقوس أناشيد تحاول تفسير أصل العالم وتطوره، وهكذا ولدت الاسطورة التى هى فى الحقيقة شكل من أشكال العلم ولكن فى صورة بدائية، ومن مجموع هذه الأساطير نشأت الأديان البدائية وظهرت أولى نظريات العلوم التى حاول بها الإنسان أن يفسر العالم وظواهره.

وكمرحلة تالية لتأسيس الدين البدائى ظهرت فكرة الأرواح نتيجة لعجز الإنسان عن تقبل فكرة الموت، وفى البداية صور الإنسان الروح بشكل مادى إذ جعلها تحتاج إلى الغذاء والمأوى ومن هنا نشأت ظاهرة تقديم القرابين للموتى وبناء المقابر لهم وفى مرحلة تالية انفصلت الروح عن شكلها المادى الجسدى وتحولت إلى روح للبطل الاسطورى ومن ثم الإله أو المعبود، وهكذا تحولت الأساطير إلى لاهوت، أى أن الروح قد تحولت إلى قوة طبيعية غير منظورة كالريح مثلاً أو الروح التى تسيطر على العمليات الكيميائية، وهكذا ترتبط الاسطورة بالعلم مرة أخرى.

وبمجرد استقرار فكرة الأرواح أصبحت الطقوس الدينية البدائية أكثر انتظاماً فاكتمل الدين القديم والذى كان فى جوهره ديناً مادياً يرتبط بالحياة الإنسانية أكثر من ارتباطه بفكرة ما بعد الموت.

وكان طبيعياً أن تتعدد الالهة فى الحضارات القديمة فلكل عشيرة أو قبيلة أو مدينة الهها الخاص الذى يعبر عنها ويضمن لها كيانها واستمرارها وعندما تم التوحيد، السياسى والاجتماعى بين هذه الأقسام الأولى للمدينة كان لابد بالضرورة من ظهور أحد هذه الآلهة، وهنا ترسخت ظاهرة الآلهة المتعددة للمدينة الواحدة مع وجود كبير لهذه الآلهة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة «ثيوس» الاغريقية ليس معناها الله إذ لم توجد فى هذه الفترة العلاقة أو الصلة بين اللاهوت والمبادئ الأخلاقية فقد تعامل الاغريق مع الآلهة كما تعامل معها غيرهم من الشعوب البدائية فالقوة الطبيعية المحيطة بهم هى أربابهم، وكل ما فعلوه هو محاولة الابقاء على الصلة الطيبة بينهم وبين هؤلاء الأرباب بشتى الوسائل، وقد جعل شعور الاغريق المسرحى المرح الخلاق تصويرهم لهذه القوى يكاد يقترب من صورة الإنسان. ثم بدأ الدافع إلى الوحدة والنظام يؤثر تدريجياً، فقل عدد الآلهة وتجمعوا فى أسرة آلهية واحدة، ورغم أن بعض القوى الطبيعية لا تخضع لقانون، وهى أحياناً تكون فى صراع ظاهر مع بعضها، مما يعوق عملية الوحدة والنظام، إلا أن الكون يحتويه قانون منظم قد تحاول هذه القوى خرقه دون جدوى، وبمعنى آخر هناك قوة أخرى أقوى من الآلهة تدعى «أنانكى» أو «ما ليس منه مفر» أو أحياناً يدعى «مويرا» أو «القدر» وهى فكرة القوة العليا الغير مشخصة التى احتوت على العنصر الأول الذى نشأ منه الدين والعلم على السواء.

ثم بدأت عملية الجمع بين اللاهوت والأخلاق تدريجياً، فقد كانت عملية تقديم القرابين للآلهة على سبيل المثال تتطلب طهارة ظاهرية، وبمرور الوقت اقتضت أيضاً الطهارة الباطنية، كما أن ذنوباً أو خطايا معينة لم يكن قانون البشر يعاقب عليها أو لم يكن بالاستطاعة كشفها أصبحت أشياء تعاقب عليها الآلهة،ولهذا بدأ الدين يحتل مكانة متميزة كمصدر للتشريع الأخلاقى.

وعند هذا الحد أصبحت الآلهة أكثر روحانية وتحولت «أنانكى» لتصبح هى التعبير عن ارادة زيوس. ومثل هذه الفكرة عن زيوس لابد وأنها قد أحدثت نوعاً من التناقض – خاصة عند المحدثين – إذا قورنت بما عرف عن زيوس من عنف وتسيب أخلاقى وجموح جنسى وطبيعة الفكرة التى تقول بأن الآلهة تخطت مرحلة القوى الطبيعية لتصبح قوى أخلاقية أيضاً.

غير أن مستقبل التفكير الدينى عند الاغريق لم يكن رهناً بالأساطير ولا بآلهة الاوليمبوس ولا بديانات الأسرار. ولكنه كان رهناً بالفلسفة، فالعنصر الاغريقى فى المسيحية واضح تماماً وبعضه يعود إلى أفلاطون. أن زيوس الذى كتب عنه ايسخولوس كان معبوداً خاصاً بالمدينة الاغريقية المحدودة مما لم يسمح له بأن يصبح الهاً للجنس البشرى. كما أن اله اليهود لم يكن من الممكن أن يصبح اله الأمم الأخرى دون تغيير جسيم يلحق به أما الفلسفة الاغريقية وخاصة فكرة أفلاطون عن المعبود المطلق الباقى فقد كانت هى التى مهدت للعالم ظهور دين جديد(١) .

مصادر دراسة الأساطير:

فى مجال دراسة تاريخ الحضارات القديمة المراجع هى كتب كتبها مؤرخون أو كتاب محدثون تتكلم عنه أما المصادر فهى المنبع الأصلى الذى نستقى منه معلوماتنا،ونعتمد فى هذا على نوعين أساسيين من المصادر هما:

١- مصادر مكتوبة:

وتتناول كل ما خلفه لنا اليونان أو الرومان عن طريق الكتابة سواء شعراً أو نثراً، وتشمل كتابات المؤرخين والمفكرين والأدباء وغيرهم.

٢- مصادر غير مكتوبة:

أى الآثار وكل ما يدخل تحتها من البقايا المعمارية والنحتية والتصوير والأوانى الفخارية والفنون الصغرى والنقوش والعملة.

---

(١) كيتو. الاغريق، ص ٢٦٥ – ٢٦٧ .

وعادة عند دراسة الاسطورة ومحاولة التحقق من أصولها القديمة يكون التركيز على المصدر المكتوب انطلاقاً من الفرضية المنطقية التى تقول بأن موضوع الاسطورة يتخلق أولاً فى الذهن ثم يترجم رواية أو كتابة وفى النهاية يتجسد فى شكل مادى كتمثال أو معبد أو نقش أو ما شابه ذلك، ولهذا سيكون تركيزنا فى الصفحات التالية على المصادر المكتوبة شعراً أو نثراً.

أولاً: هوميروس :

وهو أعظم وأشهر شعراء الملاحم الاغريق على وجه الاطلاق تضاربت الآراء حول شخصيته وعلاقته بأعماله(١)، ومن المرجح أنه يعود إلى الفترة من القرن الحادى عشر إلى القرن السابع قبل الميلاد(٢)، وأشهر وأعظم أعماله كانت الالياذة والاوديسية. والالياذة عبارة عن ملحمة شعرية طويلة يسرد فيها هوميروس قصة حروب طروادة التى نشبت بين الاغريق وأهل طروادة، وهى مدينة تقع فى اسيا الصغرى كان لها موقع تجارى متميز نتيجة لاختطاف باريس أحد أمراء طروادة لزوجة منيلاوس أحد قادة اليونان وتدعى هيلين واستمرت هذه الحروب - كما يقص هوميروس - عشر سنوات انتهت بسقوط طروادة وانتصار الاغريق.

أما الاوديسية فتحكى فى قالب شعرى ملحمى أيضاً صراع أوديسيوس أحد أبطال حرب طروادة من الاغريق للعودة إلى موطنه ايثاكا والمغامرات التى يتعرض لها خلال رحلته الطويلة التى استغرقت - كما يقص هوميروس أيضاً - عشر سنوات أخرى وتنتهى بعودته سالماً إلى وطنه بعد عشرون عاماً واستعادته لعرشه الذى طمع فيه الطامعون أثناء غيبته الطويلة فى طروادة.

---

(1) G. Murray, Rise of Greek Epic, pp. 240. ff.

(٢) عبد المعطى شعراوى. أساطير اغريقية. ص ١٢.
راجع أيضاً: لطفى عبد الوهاب، يحيى، هوميروس تاريخ حياة عصر. راجع أيضاً (بتلر) فى دراسته الشيقة حيث يصل تضارب الآراء هنا إلى حد انكار الكاتب وجود هوميروس ويحاول التدليل على أن الاوديسية كتبتها شاعرة شابة من صقلية وليس هوميروس.
CF. S. Butler, The Authoress of the Odyssey, passim.

وعبر أربعة وعشرون كتاباً هى مكونات الالياذة ومثلها للاوديسية يحكى هوميروس المئات من الأساطير اليونانية تفصيلاً أو حتى باشارة موجزة ويصور لنا عالم الآلهة والبشر مختلطين إلا أنه يحدد العلاقات بوضوح مما دعا بالتأكيد مؤرخاً مثل هيرودوت إلى اعتبار هذين العملين بالإضافة إلى أعمال هسيودوس ثبتاً واضحاً للآلهة بأنسابها وعباداتها واختصاصاتها وأشكالها(١).

ثانيا: هسيودوس:

ويلى هوميروس فى الأهمية وإن كان يجنح إلى الشعر التعليمى كما يتضح من قصيدتيه الطويلتين «الأعمال والأيام» و «أنساب الآلهة».

وقصيدة الأعمال والأيام عبارة عن مجموعة من الأساطير والنصائح الأخلاقية وناتج خبرة عملية فى عدة مجالات وبخاصة الزراعة يربط بينها خيط بسيط هو المعاناة التى لقيها هسيودوس واحساسه بالظلم عندما غبنه أخاه برسيوس حقه فى ميراث أبيهما واستأثر به وحده.

أما أنساب الآلهة فيشرح فيها هسيودوس - كما هو واضح من اسمها - بداية تكوين العالم وظهور الآلهة وأنسابها والعلاقة بينها وبين البشر. وربما تفوق هسيودوس على هوميروس فى أنه كان يحاول من خلال أعماله تحليل بعض الظواهر والوصول إلى كنهها وذلك خلافاً لما اتبعه هوميروس من سرد للحوادث لا غير. والقصيدتين الطويلتين اللتين ترجعان - غالباً - إلى القرن التاسع قبل الميلاد تحويان العديد من الأساطير الاغريقية وبهذا يضاف كم جديد إلى ما وجد عند هوميروس(٢).

ثالثاً: بنداروس:

وهو من أشهر الشعراء الغنائيين عند الاغريق وعاش فيما بين الربع الأخير من القرن السادس حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وكتب

---

(1) Herod, II. 53. CF. Earp. the Way of the Greeks, 134.

(2) G. Murray, Ancient Greek Literature, pp. 53 - 54. C. M. Bowera, Landmarks in Greek Literature, pp. 61 - 62.

فيما يقال سبعة عشر كتاباً فى الشعر الغنائى وصلنا منها الأربع الأخارى فقط(١) وكانت قصائده ملأى بالأساطير إلى حد كبير ويقسمها مؤرخو الأدب إلى أربعة مجموعات من القصائد هى: مجموعات القصائد الأولمبية، مجموعة القصائد البيثية، مجموعة القصائد النيمية ثم مجموعة القصائد الاسثمية(٢).

رابعاً: الدراما الاغريقية:

وهى من أهم مصادر معرفتنا بالأساطير وبخاصة أن بداياتها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالاسطورة والدين وبالتحديد ديونيسوس حيث تطورت من رقصات الديثورامبوس التى كانت تقام تكريماً لذلك الاله، ولهذا تعامل كتاب التراجيديا الاغريقية أولاً مع أسطورة الاله ديونيسوس ثم اتجهوا لباقى الآلهة وأحياناً تعاملوا مع الأبطال الذين ارتبطت حياتهم وأعمالهم بشكل أو بآخر بأساطير الآلهة(٣).

فقد سجل تاريخ الأدب الاغريقى حوالى الأربعمائة اسم لتراجيديات يتناول معظمها الأساطير بطريقة أو بأخرى، فايسخيلوس أول كتاب التراجيديا العظام كتب حوالى تسعين مسرحية وصلنا منها سبعة فقط. وسوفوكليس ثانى هؤلاء الكتاب كتب حوالى مائة وعشرون مسرحية وصلنا منها سبعة أيضاً، أما يوربيديس ثالث هؤلاء الكتاب فقد كان أفضل حظاً إذ وصلنا من أعماله ثمانى عشر تراجيدية من أصل تسعين مسرحية كتبها.

ومن مجموع التراجيديات التى وصلتنا وهو اثنتين وثلاثين مسرحية لا توجد إلا مسرحية واحدة هى (الفرس لا يسخيلوس) تستمد موضوعها من حادثة تاريخية واقعية، أما الباقى فهو يتعامل مع العالم الأسطورى للاغريق. أما الكوميديا فلم تختلف كثيراً فقد وصلنا من أعمال اريستوفانيس أشهر

---

(1) Cf. Evelyn - White, Hesiod, pp. xvii - xix; Sinclair, History of Classical Greek literature, pp. 134 - 135.

(2) Lesky, History of Greek Literature, p. 109.

(3) Idem, Greek Tragedy, pp. 30 - 39.

كتاب الكوميديا اليونانية احدى عشر مسرحية من أصل أربع وأربعين عمل كتبه.

وكتاب الكوميديا وإن لم يتعاملوا مع الاسطورة بشكل مباشر كالتراجيديا إلا أن أعمالهم لم تخلوا أبداً من الإشارة للأساطير والمعتقدات الدينية بل وصل بهم الأمر إلى السخرية منها[١].

خامساً: النثر:

ويشكل النثر الاغريقى مصدراً لا بأس به للأساطير حتى من خلال كتابات قد تبدو للوهلة الأولى لا علاقة لها بالأساطير كالتاريخ على سبيل المثال، فنرى مؤرخاً شهيراً مثل هيرودوت الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد وكتب تاريخاً للحروب الفارسية اليونانية يؤخذ كمصدر لمعرفتنا بالأساطير لأن كتابته التاريخية امتلأت بالخرافات والتعميمات الساذجة والاستنتاجات الخاطئة المبنية على بعض الظواهر الفردية، إلا أن كل هذا لا يقلل من قيمته كأول اغريقى يحاول كتابة التاريخ بطريقة منظمة إلى حد ما[٢].

ويلى هيرودوت مؤرخ آخر هو ثوكيديديس وكتب فى أواخر القرن الخامس ق.م تاريخاً للحروب البلوبونيزية لم ينته منه واختلف عن سابقه فى أنه تميز بالدقة والتحليل العلمى فى كتاباته كما اهتم بالمجتمع الذى عايشه، إلا أن الاثنان يشتركان فى استعمالهما للأساطير بكثرة فى كتابتهما[٣].

هذا غير كتابات أفلاطون الفلسفية من خلال محاوراته الشهيرة التى امتلأت أيضاً بالأساطير سواء بغرض الاستشهاد بها أو النقد والتحليل، بالإضافة لكتاب باوسانياس فى «وصف بلاد اليونان» الذى كتبه فى القرن الثانى الميلادى ويصف فيه اليونان جغرافياً وتاريخياً من خلال رحلاته

---

(1) Cf. Haigh, Tragic Drama of the Greeks, Passim.

(2) G. M. A. Grube, the Greek & Roman Critics, p. 33.

(3) Horace, carmia, II, 3, 136.

المتصلة فى كل أرجاء اليونان وكان طبيعياً فى مثل هذا الوقت أن يمتزج التاريخ عنده بالأسطورة التى كثيراً ما تظهر فى كتاباته.

سادساً: كتابات الرومان:

يقول الشاعر الرومانى هوراتيوس أن الرومان هزموا الاغريق عسكرياً فى نفس الوقت الذى هزمهم فيه الاغريق فكرياً.

ويبدو هذا واضحاً (فى حدود الخط الذى يسير فيه هذا البحث) فى تأثر الأساطير والديانة الرومانية بالأساطير والديانة الاغريقية مما يجعل من الضرورى التعرض لكتابات الشعراء وكتاب النثر الرومان الذين يمكن اتخاذهم مصدراً لا يستهان به للأساطير الرومانية أو بمعنى آخر الأساطير اليونانية فى شكلها الرومانى.

وكما يقفز إلى الذهن مباشرة اسم هوميروس وملحمته الشهيرة «الالياذة» عند الحديث عن الشعر الاغريقى، كذلك يقفز إلى الذهن اسم «فرجيليوس» وملحمته الشهيرة (الانيادة) عند الحديث عن الشعر اللاتينى.

وأول عمل ظهر لفرجيليوس كان (الرعويات) عام ٣٧ ق.م ثم (الزراعيات) عام ٢٩ ق.م ثم جاءت (الانيادة) التى استمر يكتبها لمدة احدى عشر عاماً ومات قبل أن يتمم مراجعتها، وهى استمرار بشكل من الأشكال لالياذة هوميروس إذ تحكى قصة «اينياس» أحد أبطال طروادة التى سقطت بعد حصار الاغريق لها، ثم تجواله بعد ذلك بحثاً عن وطن جديد غير طروادة، ولذا فكان من الطبيعى أن تمتلئ هذه الملحمة بالأساطير خاصة الاغريقى منها(١).

وعند الحديث عن الشعر اللاتينى كمصدر للأساطير لابد من التعرض للشاعر «أوفيد»، وإن كان شعر أوفيد لم يسهم بشىء فى تحقيق برنامج الاصلاح الذى بدأه جايوس أوكتافيانوس المعروف باسم «أوغسطس» فى روما، مما دعا به إلى نفى أوفيد إلى أقصى حدود الامبراطورية، إلا أن أحد

---

(١) فرجيل: الإنيادة. ترجمة عبد المعطى شعرواوى وآخرون الجزء الأول، ص ٣١.

أعمال أوفيد وهو (التحولات)[1] يمثل لنا مصدراً هاماً للأساطير اليونانية والرومانية إذ هو يتعرض فيه بشكل مباشر لفكرة التغير الذى قد يطرأ على الكائنات سواء بشرية أو غير بشرية. هذا غير عدد آخر من أعماله يمتلئ كذلك بالأساطير مثل «فن الحب» و «علاج الحب» و «الأعياد».

كذلك يمكن استخراج بعض الأساطير من كتابات شعراء آخرين أمثال لوكريتيوس وقصيدته الشهيرة (عن طبيعة الأشياء) وهوراتيوس وكتاباته فى الهجائيات والأناشيد ورسائله الشهيرة. كما أن كتابات تاريخية مثل كتابات سالوستيوس وتاكيتوس وليفيوس رغم أنها تتعرض أساساً لموضوع تاريخى إلا أنها تسقط غالباً - كما حدث عند هيرودوت - فى مصيدة الخلط بين التاريخ والأسطورة وبذا تصبح ذات أهمية لنا كمصدر ولو غير مباشر للأساطير.

تفسير الأسطورة:

على العكس مما قد يبدو للوهلة الأولى فالتعامل مع الاسطورة يتم بحذر ودقة شديدين إذ أنه من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ الاسطورة بمعنى أول ظهور لها كنص مكتوب، ونفس الصعوبة تظهر عند محاولة تحديد المكان الذى نشأت فيه الاسطورة، وإذا استطاع الباحث تحقيق هذين المطلبين كخطوة أولى لدراسة الاسطورة يبدأ فى التعامل معها من خلال منهج يتلخص فى الجوانب الأربعة التالية:

١- الاسطورة هى رمز لحقيقة فلسفية قديمة يمكن الوصول إليها عن طريق دراسة الاسطورة وتحليلها مع مقارنتها بالظروف البيئية والتاريخية التى نشأت فيها.

٢- الاسطورة هى انعكاس لعمليات وظواهر طبيعية لم يستطع الإنسان القديم تفسيرها كظواهر الحمل والولادة ودورة النبات والزلازل والبراكين والفياضانات ومواسم القحط وغيرها مما دعا به لتقديسها ونسج العديد من الروايات حولها.

---

(١) ظهرت ترجمة عربية لهذا العمل تحت اسم (مسخ الكائنات) قام بها د. ثروت عكاشة.

٣- الاسطورة هى انعكاس للظروف النفسية التى يحياها الإنسان من خلال احتكاكه بالبيئة المحيطة به ومحاولته المستمرة للتواؤم مع هذه البيئة، وفى حالة فشله فى احداث هذا التوافق تظهر الاسطورة كنوع من التعويض عن هذا الفشل.

٤- الاسطورة هى وصف وسرد لحقائق ومواقف وأحداث تاريخية موغلة فى القدم وذات طابع فريد وبمرور الزمن تتحول هذه الحقائق إلى أساطير(١).

وإذا حاولنا تاريخياً تتبع المشتغلين بالتعامل مع الاسطورة ونقدها لوجدنا أن أول من نقد الاسطورة الاغريقية وهاجم ظاهرة تعدد الالهة فيها وتصويرها بشكل بشرى كان كسنوفون (٥٧٠ - ٤٧٩ق.م) يليه ثيوجينيس الذى رأى أن الاسطورة ما هى إلا قصة ترمز إلى الظروف البيئية التى يحياها الإنسان من خلال صراعه الدائم معها. فالاله هيفيستوس هو النار، وبوسيدون هو الماء وجيا هى الأرض وهيرا هى الهواء وهكذا. أما ايوهيميروس الذى كتب فى حوالى القرن الرابع ق.م فكان أول من نادى بأن الاسطورة ما هى إلا حادثة تاريخية قديمة حدثت بالفعل ثم بمرور الوقت ودخول العديد من الاضافات التى غالباً ما تحدث نتيجة لنقل الحادثة عن طريق الرواية الشفوية تحولت الحادثة التاريخية إلى أسطورة.

وقد انتشر هذا التفسير عند المسيحيين فى بداية ظهور المسيحية كمحاولة من أباء الكنيسة للالتفاف حول الاسطورة القديمة بشكلها الوثنى وتحويلها إلى حادثة تاريخية وربما كان ذلك محاولة للتخلص من الأشكال الوثنية التى سادت المجتمع فى ذلك الوقت رغم انتشار المسيحية أكثر من كونه قناعة أكيدة بفكرة ايوهيميروس حول الاسطورة والتاريخ.

أما فى العصور الوسطى فكانت سيطرة الكنيسة الواضحة والأكيدة فى كل نواحى الحياة وتكفيرها لكل ما هو ليس بمسيحياً سبباً فى عدم التعامل مع الأساطير باعتبارها رجس من عمل الشيطان وبالتالى لم تظهر - على حد علمنا - دراسة للاسطورة ترجع إلى هذه الفترة.

---

(1) Rose, Greek Mythology. p. 9 - 10.

أما عصر النهضة فيظهر لنا فيه فرنسيس بيكون فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ليعيد إلى الذهن نظرية ثيوجينس حول تشخيص الاسطورة وتفسيرها تفسيراً مجازياً فديونيسوس هو المعاناة فى الحياة وناركيسوس هو حب النفس وأبو الهول هو العلم وهكذا. وفى أوائل القرن السابع عشر أيضاً يظهر العالم الألمانى كروزر الذى رأى أن الاسطورة هى نوع من الدين نشأ نتيجة وحى ثم نقلت إلى الأجيال التالية فى شكل رمزى وقد ظهر هذا الدين أو الوحى فى الشرق ثم انتقل إلى اليونان ليصلنا بشكله الحالى.

أما فى العصر الحديث فيبدو أن الاسطورة قد استهوت العديد من العلماء فيظهر لنا فى أوائل القرن التاسع عشر العالم الألمانى موللر باول دراسة علمية جادة حاول فيها تنقية الاسطورة من الشوائب التى علقت بها والاضافات التى قام بها الشعراء وكتاب الدراما والفلاسفة وغيرهم فى محاولة منه لتتبع أصولها ومقارنتها بظروف الحياة التى نشأت فيها. وفى أواخر القرن التاسع عشر ظهر تايلور عالم الاجتماع والانثروبولوچى الشهير الذى درس الأساطير على أساس علاقتها بتكوين المجتمع وحاول تصنيفها فى مجموعات متشابهة رغم كونها تنتمى لثقافات مختلفة.

ويظهر فى نفس الوقت تقريباً هربرت سبنسر بنظريته حول عبادة الإنسان القديم للأسلاف ومحاولة تجسيد الظواهر الطبيعية فى أشخاص عن طريق التسمية كاطلاق أسماء رعد وبرق وشمس وأسد وفهد وغيرها من الأسماء على البشر ثم تحولت هذه الأسماء إلى أساطير بالتدريج وهى عادة لا زالت موجودة حتى فى مجتمعاتنا الحديثة.

وفى أوائل القرن العشرين يظهر اندرولانج الذى ربما كانت آراؤه هى الرد المناسب على آراء كروزر حول التزاوج بين الدين والاسطورة وانهما شيئان منفصلان تماماً، فالاسطورة ظهرت نتيجة لخيال مر به الادراك البشرى، أما الدين فقد ظهر نتيجة مرور نفس الادراك بحالة من الخضوع والتأمل الروحى الجاد. ثم يظهر جيمس فريزر بكتابه ا لضخم جداً (الغصن الذهبى) وهو واحد من أشهر الكتب التى تناولت الديانات البدائية وأضخمها.

ولكن ربما قيمته تكمن فى غزارة المادة العلمية التى جمعها وصنفها فريزر، أما تعامله مع هذه المادة فقد كان من منطلق لم يوافق عليه العديد من العلماء يتلخص فى أن دورة النبات هى التى تحكم الأساطير فى العالم القديم ما بين الموت ثم البعث مرة أخرى كما حدث فى قصة ايزيس وأوزوريس.

ثم فى منتصف القرن العشرين يظهر سيجموند فرويد عالم النفس الشهير وتلميذه يونج ومذهبهما حول التفسير النفسى فالاسطورة عندهما ما هى إلا رغبات وانفعالات بشرية مكبوتة تظهر فى صورة قصة يتحقق فيها ما لا يستطيع البشر تحقيقه فى حياتهم العادية(١).

أما النصف الثانى من القرن العشرين فلم يظهر فيه جديد فى مجال دراسة الأساطير رغم ظهور العديد من الأسماء مثل هاميلتون وروز وروبرت جرافز وغيرهم إلا أن كل منهم لم يخرج لنا بنظرية جديدة للأسطورة واكتفى فقط بمحاولة تبنى موقف أو جزء من النظريات السابق عرضها(٢).

الدين والأسطورة:

فى محاولة لفهم الاسطورة اليونانية القديمة واعطاؤها ما تستحق لابد وأن

---

(١) وقد انتشر استعمال هذا المذهب، وحاول البعض التطبيق فى مجالات أخرى كالدراما والتاريخ.

George Devereux, Dreams in Greek Tragedy, Oxford 1976.

Bennett Simon, Mind and Madness in Greece, cornell 1978. Rose, op. cit., pp. 1 - 14.

(٢) وعن التفسيرات المختلفة بشكل مفصل راجع أيضاً: عبد المعطى شعراوى – أساطير اغريقية. صفحات ٤١ – ٦٣ ومن الملاحظ هنا أن كل من هذه التفسيرات لم تتعرض للجانب الاقتصادى من حياة الإنسان القديم رغم أن بداية القرن التاسع عشر شهدت آراء موللر ونهاية القرن شهدت آراء تايلور اللذان اتفقا على ضرورة تفسير الاسطورة فى اطار المجتمع الذى تنتمى إليه، وبالتالى النشاط الذى يحدث فى مثل هذا المجتمع وهو بالضرورة نشاط اقتصادى لأن احتكاك الإنسان مع البيئة غالباً ما يتسم بالطابع الاقتصادى، وبينما لا يمكن تفسير أساطير مثل خلق العالم أو اكتشاف الإنسان للنار أو ايزيس وأوزوريس فى ضوء آراء فرويد على سبيل المثال، يمكن تفسيرها اقتصادياً لأنها غالباً ما تتعلق بمرحلة اقتصادية فى حياة الإنسان عند اكتشافه للزراعة، وإن كان التفسير الاقتصادى للتاريخ لا يزال يحظى بالكثير من القبول، فلربما أمكن تفسير الاسطورة من هذا المنطلق أيضاً.

نراها فى الشكل الذى عرفت به عند الاغريق والظروف التى أحاطت بمولدها، أى فى أشعارهم ومسرحياتهم وأعمالهم الأدبية والفنية الأخرى، أى دراستها فى اطار السياق الاجتماعى والتاريخى للعالم الاغريقى الدائم التغير فيزداد ادراكنا للاسطورة ومفهومها بمدى ادراكنا لتاريخ وحضارة الشعب الذى تنتمى إليه واتصالاته بالحضارات الأخرى من حوله.

وبصفة عامة فإن الأساطير الاغريقية كانت أكثر إنسانية وعقلانية من غيرها، فلم يؤكد الاغريق على القصص الشعبى المغرق فى الخيال كبعض الشعوب الأخرى وانما ركزوا على أعمال الإنسان الفانى ومتاعبه كما فى أشعار هوميروس التى تعد المنبع الأساسى لمعرفتنا بالأساطير.

كان الاغريق كغيرهم من الشعوب الهندواوربية قد دخلوا مجتمعات نشأت فيها من قبل مجتمعات متشابكة وتعلموا الكثير وعلى ذلك نجد أن أعظم الشخصيات الاسطورية تنتمى إلى التراث الهندواوروبى كما فى حالة زيوس أو جوبيتر، وبدأ الاغريق حوالى ٢٠٠٠ ق.م فى الدخول لأرض اليونان الرئيسية والاستقرار على السواحل الايجية للبحر المتوسط ومن ثم ظهرت الحضارات المينوية والموكينية، وتركت كريت أثراً عميقاً فى الخيال الاغريقى كأسطورة زيوس وايوروبا ابنة ملك صور الفينيقية التى أنجبت له مينوس، وملحمتى الالياذة والاوديسية وما حوته من أساطير تتصل بجميع النواحى الالهية والبشرية والبطولية.

تعريف الدين:

فى تعريف الدين ربما كان من الأفضل الابتعاد عن المناهج النفسية الاستبطانية التى استعملها سبنسر أو ماكس موللر أو المنهج الحدسى الذى استعمله برجسون لعدم جدواهما فى اخراج تعريف محدد مقنع، وربما كان المنهج الموضوعى المقارن أفضل إذ يقوم على المقارنة بين الأديان البدائية وغير البدائية لتعيين عناصرها العامة، وبمثل هذا المنهج نصل إلى تعريفات فريزر والذى يبدأ دراسة الدين بظهور فكرة الآلهة والذى حدد الدين بأنه الاحساس بأن هناك نفساً خفية تعترف النفس البشرية بما لها من سلطان على العالم وعليها يجب أن تكون على اتصال دائم بها ما أمكن.

لكن رأى فريزر ليس دقيقاً – كما يرى دوركايم – لأنه من الممكن ظهور دين بدون ظهور فكرة الاله بل يزيد عليها أن هناك بعض الديانات لم تتحقق فيها فكرة الدين مثل البوذية التى هى فى جوهرها أخلاق بغيردين أو حتى فكرة الطبيعة فهى تقوم على الاستقامة والتأمل والحكمة التى هى غاية الغايات. كما يرى دوركايم أن الظواهر الدينية تنقسم إلى قسمين: العقائد والعبادات، والعقائد هى حالة فكرية بينما العبادت هى نماذج وطرز من الأفعال الجسمية وغير الجسمية وكل العقائد الدينية تقسم الأشياء إلى قسمين: مقدس وغير مقدس، وهذا التقسيم هو الصفة الميزة للفكر الدينى.

بهذا يمكن تحديد العقائد بأنها الأفكار والتصورات التى تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة وما بين تلك الأشياء من علاقات من ناحية وما بينها من علاقات بالأشياء المقدسة من ناحية أخرى. أما العبادات فهى طرز السلوك التى ينبغى أن يمارسها الإنسان حيال الأشياء المقدسة[١].

نشأة الدين وتطوره:

حول نشأة الدين ظهرت العديد من الآراء تبلورت فى النهاية فى نظريتين عامتين هما: النظرية التطورية القائلة بأن فكرة الاله وجدت فى المجتمعات الأولى بشكل عقائد انبثقت اما من الأفراد أو الجماعة، وبالتالى ففى كلتا الحالتين يكون من عمل الإنسان. النظرية الفطرية القائلة بأن فكرة الاله فكرة فطرية وجدت فى عقل الإنسان وغرسها فيه موجود أعلى، وأن للدين حقيقة خارجية هى الاله منفصلة عن الجماعة والكون كله مباينة له وأن تلك الحقيقة الخارجية هى التى غرست فى الإنسان فكرة الاله.

وبما أن النظرية الفطرية من الصعب مناقشتها إذ أنها اما أن تؤخذ على علاتها أو تترك بكاملها لذا سنركز فى العجالة التالية على مناقشة النظرية التطورية من خلال ثلاثة مذاهب أساسية فى تطور الأديان هى المذهب الحيوى والطبيعى والتوتمى:

---

(١) على سامى النشار، نشأة الدين، النظريات التطورية والمؤلهة ص ٢١ – ٢٨.

١- **المذهب الحيوي:** وأشهر من نادى به كان تايلور واعتنقه سبنسر من بعده، ويقوم هذا المذهب على أن أقدم الأديان فى الوجود هو الاعتقاد فى الأرواح وعبادتها وبدأت فكرة الأرواح عندما اكتشف الإنسان الأول أن فيه كائناً آخر غير الجسم يستطيع – فى ظروف معينة – أن يترك هذا الكائن العضوى الذى يسكن فيه وأن ينطلق بعيداً. تلك هى النفس أو الروح التى اعتقدت الكثير من المجتمعات البدائية أن لها – بجانب قدرتها الأثيرية العجيبة. القدرة المادية على النفع أو الايذاء. ولما كانت الوسيلة الفعالة الوحيدة كى تترك النفس أو الروح الجسم المادى للإنسان هى الموت، وبمرور الوقت واستقرار المجتمعات البدائية وزيادة عدد الموتى وبالتالى عدد الأرواح، بدأ الإنسان يكون لنفسه عالماً آخر مليئاً بالأرواح التى حاول دائماً أن يطلب رضاها وعفوها ويتخلص من غضبها عن طريق القرابين والاضحية والصلوات، وكانت الطقوس الأولى طقوساً للموت، والتضحيات الأولى قرابين غذائية تشبع حاجات الموتى، وكانت أولى المذابح التى تقدم عليها القرابين هى القبور(١).

٢- **المذهب الطبيعي:** ومن أشهر أعلامه كان ماكس موللر وكوهن اللذان كتبا عنه فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ويقوم أساساً على أن الدين لابد وأن يبدأ بتجربة حسية أى أنه لا شئ يتحقق فى عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه وذلك من خلال الظواهر الطبيعية المتغيرة التى تحيط بالإنسان وتثير فيه مختلف المشاعر والأحاسيس. ومع ذلك فلم تتكون الأديان وتنشأ إلا حين انتفت عن القوى الطبيعية الصفة المجردة وتحولت بالتالى إلى كائنات مشخصة حية وعاقلة لها قوى روحية أى الالهة لأن العبادات عادة لا تتجه إلا لهذا النوع من الكائنات كالاله زيوس كتشخيص للشمس وهيرا للهواء وهيفايستوس للنار وبوسيدون للماء وجيا للأرض وغيرها.

ويعترض دوركايم على هذا التفسير من منطلق أن محاولات الإنسان

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣ – ٦٧.

البدائى للسيطرة على الطبيعة لم تكن كلها ناجحة وبالتالى سيكتشف هذا الإنسان عبث محاولاته ويكف عنها(١) إلا أن هذا الاعتراض مردود عليه إذ أن الإنسان غالباً ما يفسر عدم جدوى محاولته بعيب قد تخلل طقوسه هو والدليل على ذلك أنه لا زالت بعض المجتمعات حتى هذا الوقت تعرف رقصة المطر التى يحاول الإنسان من خلالها التحكم فى أوقات سقوط المطر خاصة فى أوقات الجفاف.

٣- **المذهب التوتمي:** وقد بشر بهذا المذهب دوركايم نفسه الذى نقد المذهبين السابقين، وهو يعتقد بأن عبادة التوتم هى أقدم الأديان على الاطلاق إذ أنها ترتبط بفكرة العشيرة التى هى حتى الآن أول وأبسط نظام اجتماعى تم اكتشافه وتوتم العشيرة هو رمز لها يتصل بحياتها أوثق الاتصال وتستمد منه القوة وقد تسمى العشيرة باسم التوتم، أما نوعية التوتم نفسه فعادة ما تتصل بأنواع من النبات أو الحيوان وأحياناً بعض الظواهر الطبيعية، يتم تقديسها ومن ثم عبادتها وقد يحرم أكلها إذا كانت نباتاً أو قتلها إذا كانت حيواناً.

والتوتمية عند دوركايم مذهب فى الوجود يفسر الكون وينسق بين عناصره المختلفة، وبهذا يقع فى نفس الخطأ الذى اتخذه وسيلة لنقد المذهبان الحيوى والطبيعى(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٨ – ٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٩٠ – ١٧٧.

أولاً: مصر القديمة:

أدى شعور الإنسان الغريزى بالخوف من المجهول إلى احترامه لكل القوى التى تؤثر فى حياته دون أن يتعرف كنهها، واعتقد الإنسان بوجود هذه القوى ثم كون فى ذهنه صوراً لها، وأخذ يعطى كل منها شكلاً معيناً واسماً خاصاً، بل أخذ يتمثلها على طريقته الخاصة فجعل من بعضها أصدقاء ومن البعض الآخر أعداء ومن هذا الشعور نشأت الديانة التى لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى خفية تحيط به وتؤثر عليه.

ومجد الإنسان الأول آلهته أما لخير يرجوه منها أو لخوفه ورهبته منها، ورغبته فى اتقاء شرها وابعاد أذاها عنه، أو لاعجابه بعظمة فيها لا يمكن ادراكها.

كان للبيئة المصرية التى تتميز بانتظام أمورها واستقرار أحوالها الأثر الكبير الواضح فى معتقدات المصريين وتفكيرهم الدينى فقد كانت مظاهر الطبيعة أول ما أشعر الإنسان المصرى بوجود الالهة، مثله فى ذلك الوقت مثل الشعوب الأخرى القديمة، فكانت الأشجار والينابيع والأحجار والتلال والحيوانات هى مخلوقات حلت فيها قوى طبيعة غريبة لا سلطان له عليها ومن ثم كانت الطبيعة أول مؤثر مبكر فى عقل الإنسان وصارت المظاهر الالهية الأولى فى نظره هى القوة المسيطرة على العالم المادى.

وأدى موقع مصر الجغرافى المحصن إلى أن يحيا أهلها حياة هادئة، لم يعكر صفوها إلا بعض الحروب التى حدثت من آن لآخر ولم يكن المصرى متعطشاً نحو الأخذ بالثأر، كما كان عليه الحال بين الشعوب الأخرى؛ ومن أجل هذا بقيت ديانته خلوا من الطقوس المخيفة ولم توجد فيها آلهة ظمأى للدماء، أو طقوس تسرف فى السرور أو الشراهة وأديت الطقوس الدينية بشكل هادئ رزين وعومل الاله معاملة الرجل القوى الذى يسعى الكل إلى تأكيد مظاهر احترامه فيقدمون له المأكل والمشرب والزهور والملابس والحلى، ويشيدون له مسكناً يحرصون على أن يكون جميلاً نظيفاً.

وكان للأحداث التاريخية أثرها الكبير فى الديانة المصرية فقد كانت البلاد تتكون قبل توحيد القطرين من عدة مقاطعات أو أقاليم، وكان لكل مقاطعة شارة خاصة تميزها عن سائر المقاطعات الأخرى، وكانت هذه الشارة أما صورة الاله الذى يعبد فى الاقليم أو نباتاً مقدساً أو جماداً له قدسيته فى نظر المجتمع الذى وجد فيه، وقد دلت شواهد الأحوال – كما يرى سليم حسن – على أن هذا الشارات قد اتخذها المصريون كرمز للآلهة فى الأقاليم التى تنسب إليها وهكذا كان فى مصر نوع من الآلهة الكبرى التى يمكن أن تسمى آلهة الأقاليم وهى تختلف عن غيرها من المعبودات بتسميتها منسوبة إلى المدن التى نشأت فيها. وحين اتحدت مناطق الأقاليم فيما بينها – سواء بالطريق الودى أو العسكرى – أدى هذا فى النهاية إلى وجود مملكتين منفصلتين احداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب، نشأت الديانة التى ربطت بين آلهة الأقاليم، فلم تبطل عبادة اله الاقليم المهزوم بل كان الهه يضم إلى معبودات القائد المنتصر مما أدى إلى وجود تداخل كبير فى الديانة المصرية القديمة.

ويرى شارف أنه إذا تعرضنا لتقديس الآلهة فلا نستطيع إلا أن نذكر نوعين منها وهما ما أظهرتهما الرسوم المصرية اما على هيئة بشرية برؤوس حيوانية ترجع إلى المركز الحضارى الخاص بمناطق شمال أفريقية الآهلة بالجنس الحامى الإفريقى، وأن مجموعة الآلهة ذات الأجسام البشرية الكاملة ترجع إلى المركز الحضارى الخاص بمناطق جنوب غربى آسيا الآهلة بالجنس السامى القديم.

ولقد كانت الآلهة تمثل فى صورها الأصلية فى بادئ الأمر كما ظهر فى الشارات والرموز الدالة على المقاطعات، وكثيراً ما اختار المصرى بعض الحيوانات مثل التمساح والثعبان ليرمز بها لبعض آلهته، كما اختار أحياناً بعض الحيوانات النافعة مثل الثور والبقرة، واختار كذلك أنواعاً أخرى من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كابن آوى. واعتقد المصرى أن هذه الحيوانات تحتوى شيئاً الهياً فى نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر. فإنه يختار حيواناً ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الاله من صفات ولكن من المعروف أن الاله لا يكون مجسداً فى كل

بقرة أو فى كل تمساح، وعلى ذلك فقد كان المصرى يقوم بذبح بعض هذه الحيوانات التى ترمز إلى الهه ولا يرى فى ذلك عملاً مشيناً، وفى بعض الأحيان تحتفظ مدينة ما بنموذج واحد من هذه الحيوانات كممثل للاله وذلك اعتقاداً أن جزءاً من الشخصية الالهية تسكن فيه بصفة مستمرة.

ونتيجة لاعتقادهم بأن لهذه الآلهة من المشاعر ما يحاكى مشاعر البشر من حب وكره وحماية وعقاب وعطاء وأخذ، فقد مثلوا بعض آلهتهم بأجسام آدمية ورؤوس حيوانية أو برأس أضيفت إليه علامة مميزة لذلك المعبود. ويرى بعض المؤرخين أن الانتقال إلى تمثيل المعبودات المحلية فى صورة انسانية يعد تطوراً كبيراً لم يصل إليه المصرى إلا بعد أن بلغ مرحلة معينة من الحضارة، فبداية تحكم الإنسان وسيطرته على الحيوان والعالم المادى من حوله من جهة وبداية التركيز على الجانب المعنوى من جهة أخرى، جعل الإنسان يقدر ما للبشر من مزايا، ومن ثم فقد صور آلهته بأجسام آدمية. ولا يلقى هذا الرأى قبولاً من بعض المؤرخين الذين يرون أننا نخطئ إذا اعتبرنا ذلك المظهر تطوراً ويرون أن السبب فى ذلك يرجع إلى رغبة الإنسان المصرى أن يضفى على معبوداته صفاته وعواطفه الإنسانية، فجمع بين الإنسان والحيوان الذى يعبده عند تصويره الاله بصورة تتفق مع واقعيته، ومن ثم كان يرسم الاله برأس حيوان وجسم إنسان، أو بأى جزء من الحيوان يشير إلى أصل معبوده أو أى إشارة تميز طبيعته.

ومن أهم الآلهة فى مصر القديمة كان:

أوزير أو أوزوريس اله الخصب والزراعة والعالم الآخر، الاله رع أو الشمس مانحة الحياةوالاله حور أو الصقر حورس وهو ابن الاله أوزير،والآلهة ايزه أو ازيس زوجة الاله أوزيروالاله ست اله الشر، والاله بتاح حامى الفنون والصناعات، والاله تحوت اله الحكمة،والاله انوبيس حامى الموتى، والاله من اله التناسلوالآلهة حتحور راعية النساء والحب والموسيقى وغيرهم كثير بالإضافة للاله آمون كبير الآلهة وخالق الكون عند المصريين القدامى(١).

---

(١) أحمد أمين سليم، دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٩٢، ص ١٠١ وما بعدها.

ثانياً: العراق القديم:

عند دراسة الفكر الدينى المبكر فى العراق القديم يتضح تداخله المباشر مع الفكر الدينى السامى فى بلاد الرافدين مما أى إلى ضرورة الرجوع إلى المصادر السامية لتتبع بعض الجوانب الأساسية فى الفكر الدينى السومرى. ومن ناحية أخرى ينبغى الرجوع إلى مراحل عصور ما قبل التاريخ لدراسة الجذور الأولى للفكر الدينى الإنسانى.

وعبر الإنسان العراقى عن فكره الدينى فى عصور ما قبل التاريخ بصنع تماثيل طينية صغيرة لآلهة الأمومة وربما كان ذلك راجعاً بشكل رئيسى إلى تقديسهم للخصوبة وكل ما يؤدى إلى وفرة الإنتاج فى الحياة، ويلاحظ كذلك وجود بقايا جثث أطفال دفنوا فى أوان فخارية، وكانت رؤوسهم متجهة نحو الشمال، ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة مقابر الأطفال بالذات تتصل بموضوع التضحيات البشرية استرضاء للقوى الالهية، وعلى رأسها الهة الأمومة.

وتأثر الفكر الدينى فى العراق القديم بالمقومات البيئية والبشرية الخاصة بهذه المنطقة ومن أبرزها البيئة العراقية، التى تتميز أحوالها بعدم الانتظام ووجود نوع من العنف فى بعض مظاهرها، فنهرا دجلة والفرات وإن كانا قد حققا للإنسان العراقى القديم قدراً كبيراً من الاستقرار المعيشى مكنه من صنع حضارته فى عصور مبكرة لا تبعد كثيراً عن العصور التى نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى، إلا أنهما فى الوقت ذاته قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام، فيحطمان السدود ويغرقان الأرض وقد يفيضان فى غير أوقات الحاجة الملحة إليهما.

وإذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم، إلا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائماً، وذلك لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما فى أجزائهما العليا، وبطء جريانهما وكثرة مستنقعاتهما فى أجزائهما الدنيا.

وبالإضافة إلى فيضانات دجلة والفرات، فالأمطار العاتية تحول الأرض

إلى بحر من الطين يسلب الإنسان حرية الحركة وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبوادى واسعة فقيرة فى مواردها الطبيعية من المعادن والأحجار وسببت هذه الصحراوات والبوادى للإنسان العراقى القديم الكثير من المتاعب والمشاكل، إلا أنها فى الوقت ذاته لم تكن شراً كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل فى قيام أسواق تجارية على أطرافها، كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت فى ضم شملهم وتوسيع حدودهم كما فعل الاكديون الساميون وقادهم بعد ذلك البابليون الساميون.

وإذا كانت المرتفعات الشمالية، والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الأولية وبخاصة الأحجار، إلا أنها فى الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لأهل العراق، إذ كثيراً ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة، وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم، وأدت هذه الظواهر البيئية التى يغلب عليها المتاعب والمشاكل ازاء المنافع إلى التحكم فى ارادة الإنسان ودفعته إلى الشعور بضالته تجاهها، كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر، وكان لذلك تأثيره على الناحية النفسية والدينية للإنسان العراقى القديم.

ولقد نبع الفكر الدينى السومرى من مجموعة التجارب التى واجهها الإنسان السومرى فى جنوب العراق القديم، فالإنسان السومرى بدأ حياته فى تلك المنطقة بانشاء القرى واقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها، ولكنه سرعان ما واجه منذ البداية بيئة أرضية وجوية ومائية نهرية وبحرية متغيرة لا تنعم بالاستقرار ولا تنعم بالطمأنينة بل تتصف بالتقلب والتغير المستمر إلى حد تهديد حياة ذلك الإنسان السومرى بالافناء والحاق مختلف الصعاب بحياته ومصيره.

وتعرض الجانب الاقتصادى فى حياته أيضاً للأضرار البالغة، وقد أدى ذلك كله إلى البحث والتعمق من جانب الإنسان السومرى فى دوافع تلك الامور البيئية ووسيلة التحكم فيها واحلال المنفعة العامة والطمأنينة مكان الجوانب الشريرة الضارة بحاضر الإنسان ومستقبله، ونتج عن ذلك مزيج من

الفكر الدينى الذى يبدو فيه بعض التناقض أحياناً، على الأقل بالنسبة إلى الفهم المعاصر الآن، كذلك فإن تعدد تجارب الإنسان السومرى قد أدى إلى عدم توافر وحدة فكرية دينية بل مجموعات من الأفكار الدينية المترابطة فى بعض الأحيان وغير المتكاملة أحياناً أخرى، وقد اتجه الإنسان السومرى إلى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التى اعتقد بتحكمها فى عالمه الدنيوى والأخروى، وبدأ فى محاولة تحديد مفهومها وتجهيز ما يلزم نحو اكتساب رضاها.

وقد اعتقد السومريون فى وجود تنظيم جماعى لكافة القوى الالهية وذلك فى جمعية عمومية الهية يسودها الحق والصدق، ويتجه بعضها إلى الظلم، وكان السومرى يعتقد أنها – أى الآلهة – كانت تأكل وتتزوج وتشرب وتنجب وتحارب وتقتل وغير ذلك من مختلف ظواهر التصرفات الإنسانية البحتة. والواقع أن الإنسان السومرى كان يهدف من وراء ذلك إلى تقريب الصورة الالهية من وجهة النظر الإنسانية حتى يستطيع الإنسان العادى الاعتقاد فيها دون صعوبة.

ومن أهم الألهة فى العراق القديم لدينا :

آنو اله السماء، انليل اله القوة والعواصف والفياضانات، انكى اله الحكمة، سين اله القمر، شمش اله الشمس، عشتار إلهة الحرب والحب والتناسل والخصوبة، والاله مردوخ والاله آشور وغيرهم كثير[1].

ثالثاً: الفينيقيون:

كانت ديانة الفينيقيين مجموعة من الطقوس والعبادات تقيمها المدن الفينيقية، وتختلف من مدينة إلى أخرى، وإن اشتركت جميعها فى نظرة القوم العامة، وفى الظواهر الكونية والطبيعية، وكانت طقوس العبادة منبثقة من حياة القوم الزراعية، وكان القحط يهددهم، والرياح الحارة التى تهب من الصحراء كانت تقضى على مزارعهم، كما كان القوم مهددين بقلة المطر، أو بسقوط البرد الذى يتلف الزرع والضرع.

---

(١) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص ٢٥٩ وما بعدها.

ومن ثم فقد لجأ القوم – حماية لأنفسهم – إلى أن يضفو على الطبيعة وظاهراتها، صفات إنسانية، وجعلها قريبة منهم، وأن يقدم لها المرء القرابين يسترضيها بها، ثم أوجد سلسلة من العبادات بغية التأثير على هذه الطبيعة.

وهكذا كانت المعبودات الفينيقية – شأنها فى ذلك شأن غيرها من معظم الديانات القديمة – تدور حول تقديس مظاهر الكون، وعبادة الطبيعة، ومن ثم فقد كان لكل مدينة فينيقية، «بعلها» – أى سيدها – وهو جد ملوكها، ومخصب أرضها، فكل الحبوب والخمور والتين والكتان من عمله.

هذا – وكما أن لكل مدينة الهها – أو آلهتها – فقد كان لهذا الاله – أو الآلهة – فى الغالب، مكان بين الآلهة التى يعبدها القوم جميعهاً، وكانت تمثل وظيفة معينة من وظائف الآلهة المشتركة – أو مظهراً معيناً من مظاهرها – ويتمثل هذا – على أحسن وجه – فى نصوص رأس الشمرا فهى انما تذكر الآلهة، ثم أحداثاً تتعلق بهذه الآلهة، لا تتصل دائماً اتصالاً مباشراً بعبادات تلك المدينة.

هذا وكان الاله – أو المعبود – انما يوصف بالمكان الذى يعبد فيه، مثل «بعل روشى»، أى «سيد الرأس»، و«بعل سافون» – أى سيد الشمال – و«بعل شمين» – أى سيد السماوات – و«زيوس كاسيوس جوبيتر» – الاله الذى يحمى «جبل كاسيوس».

وكان للحياة البحرية التى عاشها الفينيقيون أثرها فى نسبة صفات بحرية إلى آلهتها، وقد أضيفت تلك الصفات إلى الصفات القديمة، وقد كان يغلب على «بعل صور» فى العصور القديمة الصفة البحرية، كما كان «بعل داجون» الملقب «سيتون» (Siton) يوصف كذلك فى العهود القديمة بصفات بحرية.

ولعل أول ما يروع المرء فى «الدين الكنعانى – الفينيقى» أنه أدنى كثيراً من دين أرض الرافدين فى المستوى الحضارى، ويتجلى هذا بأجلى صوره فى قسوة بعض طقوسه فى نواح عدة، واهتمامه الغليظ بالعناصر الجنسية لدرجة تدعو إلى التقزز.

هذا فضلاً عن أن آلهة الدين الكنعانى الفينيقى، ذات طابع غير محدد أو ثابت، فهى كثيراً ما تتناوب صفاتها ووظائفها وصلاتها - بل كذلك جنسها - حتى ليصعب أحياناً أن نعرف حقيقة طبيعتها وصلات بعضها بالبعض الآخر.

لعل السبب فى ذلك انما يرجع (أولاً) إلى انعدام الوحدة بين القوم - أى بين الفينيقيين أنفسهم - ويرجع (ثانياً) إلى عدم وجود طبقة من الكهان منظمة تنظيماً كافياً، تستطيع أن تقيم تنظيماً دينياً سليماً كما فى مصر أو العراق القديم. ومن أهم الآلهة الفينيقية كان :

الاله ايل كبير الآلهة، والاله بعل أو السيد اله القوة والزراعة والاله اشمون اله الطب، والاله داجون اله البحر والأسماك، والاله رشف اله الضوء، والاله أدونيس اله العالم السفلى، والالهة عشتارت أو الزهرة الهة التناسل والخصوبة وغيرهم[1].

رابعاً: الفـرس :

لا يوجد لدينا فكرة واضحة عن طبيعة الفكر الدينى القديم فى إيران قبل ظهور زردشت والمعلومات التى بين أيدينا مستمدة من كتاب زردشت الدينى ومما ورد فى كتابات اليونان.

ويستدل مما ورد فى الاوستا أن القوم قد عبدوا الأجرام الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم، كما أنهم قدسوا عناصر الطبيعة من ماء ونار وتراب، وروى المؤرخ هيرودوت أن الفرس كانوا يعبدون الشمس والقمر والأرض والنار والماء والنجوم منذ أقدم الأزمنة، وقد بقى فى دين زردشت بقايا من الفكر الدينى السابق له تمثل فى تقديس الأجرام الطبيعية وتقديس عناصر الطبيعة، كما أن به دعوة حارة إلى نبذ السحر وعبادة الشياطين.

زردشـت :

يعتبر زر دشت المؤسس الحقيقى للدين الفارسى القديم فشخصيته وتعاليمه

---

(١) محمد بيومى مهران، المدن الفينيقية، بيروت ١٩٩٤، ص ٣١٣ وما بعدها.

قد صبغت هذا الدين بصبغة قوية ميزته عن غيره من الأديان الارية. ويختلف الباحثون حول زمان مولده ومكانه، وفيما يتصل بزمان مولده، فقد اتجه المؤرخون اليونان إلى القول بأنه قد ظهر قبل الميلاد بحوالى ستة آلاف عام وأكثر، بينما ترى الكتب اليهودية أنه ظهر قبل حملة الاسكندر بثلاثمائة عام، أما الروايات الزردشتية فتذكر أن زردشت قد ولد فى حدود سنة ٦٦٠ ق.م.

ويتجه العلماء المحدثين إلى تحديد تاريخ مولده فيما بين القرن الرابع عشر والقرن السادس قبل الميلاد، وإن كان معظم العلماء يتجهون إلى الأخذ بالرأى الذى نادى به وليامز جاكسون W. Jackson وهو أن زردشت قد ولد فى النصف الثانى من القرن السادس ق.م.

أما عن المكان الذى نشأ فيه، فكان الرأى القديم يتجه إلى أنه فى بلخ، ولكن الرأى الغالب أنه ولد فى منطقة أذربيجان وفى شيز على وجه التحديد، وهذا الرأى الأخير يطابق ما ورد فى الاوستا والكتب البهلوية، ويذكر بعض المؤرخين الإسلاميين كالبلاذرى وابن الفقيه والمسعودى وأبى الفداء أن زردشت من أذربيجان، وأنه ولد فى (أريه) وعلى ذلك فإنه طبقاً للروايات الزردشتية والإسلامية وأقوال غالبية المستشرقين يكون موطن زردشت فى غربى ايران، ومن هناك هاجر شرقاً إلى بلخ حيث قام بنشر دعوته.

وفيما يتصل بحياة زردشت، فقد ورد فى الاوستا فصل كامل عن حياته، ولكن هذا الفصل فقد، وقد حفظت أجزاء منه فى الكتابات الدينية البهلوية،ويشوب الكثير مما ورد عن حياته وبخاصة مولده الكثير من العجائب والخرافات، ومنها: أن أمه قد حملت به حملاً الهيا مقدساً ذلك أن الملاك الذى كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوماء، وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة، وفى ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة راسخة النسب، وتزوج الكاهن بالفتاة وامتزج الحبيبان الملاك والشعاع، فولد زردشت من هذا المزيج، وتروى الأساطير أنه حين ولادته لم يبك مثل سائر الأطفل، ولكنه ضحك

ففرت من حوله الأرواح الخبيثة، وفرحت الطبيعة بمقدمه فاهتزت الأشجار وانسابت الأنهار.

ولما بلغ سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل، وبدأ دعوته فى عمر الثلاثين، وتروى القصص أنه لم يستطع أن يقنع أحد بدينه لمدة عشر سنوات وبنهاية العشر نجح فى اجتذاب فرد واحد، ولكنه وبعد أن نجح فى اقناع أحد ملوك ايران بدعوته أخذ فكره فى الانتشار فى ايران ثم فى بعض أجزاء من الهند وآسيا الصغرى.

وكان الكتاب المقدس للدين الجديد هو مجموعة الكتب التى جمع فيها أصحاب زردشت وأتباعه أقواله وأدعيته، وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب باسم الاوستاق (الابستاق) وتجمع الروايات على أن ما وصلنا من صحف زردشت نزر يسير مما كتب عنه، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الموجود بين أيدينا من الاوستا القديمة هو ما يعادل ربعها فقط، وطبقاً لما ورد فى كتاب «دبيكرت» (أحد الكتب البهلوية المشهورة) فإن الاوستا التى كانت موجودة فى العصر الهخامنشى قد احترقت عندما أشعل الاسكندر المقدونى النيران فى قصر الحكم، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية وألقوها بعد ذلك فى النار، وفى العصر الساسانى تم جمع ما حذف من الاوستامن علوم الطب والفلسفة والنجوم والجغرافيا من اليونان والهند وأضيف إليها، وتم الاعتراف بهذه الاوستا رسمياً فى عهد سابور الكبير (٣١٠ – ٣٧٩م) واعتبرت قانوناً للدولة.

وتتكون الاوستا أو الابستاق حالياً من خمسة أجزاء هى :

١- يسنا، وهى أهم الأجزاء، ومعناها العبادة والتسبيح والصلاة والعيد، وتتكون من ٧٢ فصلاً كل منها يسمى «ها» أو «هات» ويعتقد أن الفصول الأولى من اليسنا أكثرها قداسة لأن الزردشتيون يعتقدون أنها من نظم زردشت نفسه.

٢- ويسبرد، ومعناها (كل السراة) وهو ليس كتاباً مستقلاً بذاته بل يمكن

القول بأن من ملحقات اليسنا، ويسمى كل فصل من فصوله (كرده) وتتراوح عدد فصوله ما بين ٢٧ و ٢٣ فصلاً.

٣- **ونديداد**: ومعناه (قانون ضد الشياطين) وهو يتكون من ٢٢ فصلاً، وتتصل فصوله بخلق الأرض والأقاليم والمرض والقوانين المذهبية والأحكام الدينية.

٤- **يشتها**: جمع كلمة «يشت» ومعناها العبادة والتسبيح فهى تسابيح للخالق والملائكة، وفيها العديد من الفقرات التى تشير إلى بعض الأحداث التاريخية التى صيغت فى قالب أسطورى والموجود الآن منها واحد وعشرون يشتا تتراوح فيما بين الطويل والقصير.

٥- **خرده أوستا**: أى الابتساق الصغير أو مختصر الابتساق، وهو كتاب للصلاة والأدعية الخاصة بكل وقت من اليوم والأيام المباركة من الشهر، والأعياد الدينية فى العام، والمراسيم الأخرى وأوقات الصحة والمرض، وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجة من الابستاق الكبير مع ادخال تعديل فى أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء فى كل مناسبة، وقد زيد عدد هذه الأدعية فيما بعد.

وبمرور الزمن أصبحت متون الاوستا من الغموض بحيث احتاجت إلى شرح وتوضيح ولم يكن فى وسع كل زردشتى أن يفهمها، فظهرت العديد من الشروح والتفاسير المختلفة والتى منها :

١- **الزند**: هو الشرح الأول للاوستا، وقد بدئ فى كتابته فى القرن الأول الميلادى وهو ترجمة حرفية للاوستا مختلطة بالمتن، وكثيراً ما يخلط القدامى بينهما.

٢- **البازند**: تفسير الزند وكتب بالبهلوية وقد ظهرت لغة البازند بعد الفتح العربى.

٣- **ايارده**: أو هى شرح شروح الاوستا فهى شرح للزند وسائر الشروح الأخرى، وهى أوضح التفاسير للاوستا.

ومن أهم خصائص دين زردشت، التثنية، أى الاعتقاد بوجود قوتين

تسيطران على هذا العالم هما قوة الخير وقوة الشر، أو اله الخير الذى يمثله أهورا مزدا يقابله الشر الممثل فى الشيطان أهريمين، وعالم الدنيا من خلق الله، ولكن الشيطان يفسد هذا الخلق ويتلفه ولولا هذا لكان عالمنا الدنيوى عالماً خيراً، لأنه من خلق اله الخير، أن هذا العالم الدنيوى هو نقطة الاحتكاك بين الخير والشر ومسرح الحرب بينهما، ومحور هذا العالم هو الإنسان إلا أنه يؤمن أن الشيطان فى النهاية سيهزم، وسيخسر إلى الأبد وبذلك تسود مملكة النور وهنا تقوم القيامة ويبعث الناس ويكافأ الخير، ويعاقب المذنب.

وتؤمن الزردشتية بالبعث، وكذلك بالحساب، ويكون حساب الإنسان يوم البعث منوطاً بما قدمه فى الدنيا من خير أو شر.

وكان أهورا مزدا اله الايرانيين القدماء، ومعنى اسمه «الاله الحكيم» وأهم صفاته العلم والحكمة، وهو حارس يقظ، يحمى ويقى ويكافئ ويعاقب، وهو أب لكل شيء حسن وهو خالقه، وعرشه فى السماء فى عالم النور والخلود، ويوجد حوله عدد من الملائكة يتلقون أوامره وينفذونها.

ويقف أمام عرش أهورا مزدا عدد من الملائكة الكبار يتلقون أوامره وينفذونها، وهؤلاء الملائكة الكبار شبيهون بالوزراء، والاسم الايرانى الذى اطلق عليهم يفيد الكائنات المقدسة الخالدة، وعدد هؤلاء الملائكة ستة وتتكون منهم مع أهورا مزدا قيادة مملكة النور وهم ليسوا كائنات حية، وانما هم أسماء تعبر عن مثل أو تصور فضائل مجردة مطلقة، وهذه الفضائل هى: (١) الفكر الخير (٢) الصواب (٣) الكون أولئك المرتجى، (٤) التقوى الخيرة، (٥) الصحة، (٦) الخلود.

وحسب الفكر الدينى الزردشتى، فلقد كان أهور مزدا هو خالقها وقد أوجدها لتعاونه فى عمله، وكل مالها من قوة خالقة أو منظمة يلائم وضعها بوصفها عمالاً عند أهورا مزدا الذى يملى ارادته ومشيئته عن طريقها، وهو يكلفها بكثير من الأعمال الدنيا، فالفكر الخير موكل برعاية الحيوانات النافعة، والصواب الأعظم موكل برعاية المعادن، والتقوى الخيرة لآلهة الأرض، والصحة المنجية موكلة برعاية الماء، وأما الخلود فموكل برعاية النباتات.

ويخصص لكل من هذه الملائكة شهر لتعظيمه، كما أن لكل من هذه الملائكة نوعاً من الزهور يناسبه ويقدم اليه كهدايا، فالياسمين يهدى لملك الفكر والخير. ويلاحظ أن حسب الفكر الزردشتى كان لكل من هذه الملائكة شيطان يعارضه ولكن كل ملك سوف ينتصر على شيطانه، وذلك حينما تقوم القيامة ويتم الحساب(١).

خامساً: شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام:

يتضح من النقوش التى عثر عليها أن العقائد والحياة الدينية فى جنوب الجزيرة كانت متماثلة على اختلاف الأدوار والبيئات. فقد كان القمر هو المعبود الرئيسى مع اختلاف فى تسميته وتطور فى اعتباره ثم يأتى بعده الشمس ثم الزهرة على اختلاف كذلك فى تسميتها. وكان لكل شعب أو قبيلة اله قومى خاص يعتبرونه حامياً لهم ورابطة تربط بين وحداتهم. وكان لهم إلى هذا وذاك آلهة ثانوية أخرى. وكانوا يصنعون لآلهتهم تماثيل يضعونها فى معابدهم ليؤدوا عندها طقوسهم ويقربوا قرابينهم(٢).

ولقد كانت المعبودات الرئيسية الثلاثة فى الدولة المعينية تسمى «ود» و «نكرح» و «عشتر» بالتوالى وكان القمر مذكراً والشمس مؤنثة والأول بمثابة زوج للثانية وكانت الزهرة تعتبر ابنة لهما. ولقد عثر على شاهد قبر امرأة معينية عليه صورة الميتة ورمز الزهرة فى وضع توسلى لانزال الويل على من يتجاسر على تغيير الحجر عن موضعه مما قد يكون فيه دلالة ما على ما قلناه(٣).

وكان الشعب المعينى يسمى نفسه أبناء ود ويعتبر هذا المعبود الهه القومى وحاميه والرابطة التى تجمع بين وحداته وفروعه.

ولقد كان ود فى أثناء قوة الدولة المعينية وسلطانها الأول الهاً رئيسياً عاماً

---

(١) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص ٣٤٣ – ٣٤٧.

(٢) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٨٦ – ١٠٧.

(٣) شوقى ضيف: العصر الجاهلى، ص ٨٩.

قارن: محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، صفحة ٥٥.

لجميع الامارات والمناطق الخاضعة لها، فمن المحتمل أنه كان اله المعينيين القومى قبل أن تصبح السيادة الشاملة لهم ثم ظل ذلك ملحوظاً عندهم مع ارتفاع منزلته وعمومية عبادته.

ولقد قرىء فى نقش معينى عبارات «ذت نشقم» و «معبد يثعم» واسم «يثل» فى جملة فيها تعداد لآلهة معين وليس فيها بيان ما. فاما أن تكون أسماء مدن فيها معابد لآلهتهم المعروفة واما أن تكون أسماء معبودات ثانوية ظلت هويتها ومركزها غامضاً.

وقد كانت أسماء الآلهة الرئيسية عند الحضرموتيين نفسها عند المعينيين. غير أنهم كان لهم اله قومى حامياً لهم يسمونه «سين» وكانوا يسمون أنفسهم «أبناء سين»، وقد عثر على نقش حضرموتى سجل فيه صاحبه «أن نفسه وروحه ومقتنياته ونور عينيه وما يفكر به فى قلبه هو لسين اله حضرموت». وقد وجدت آثار معبد ضخم لسين فى خرائب مدينة حضرموتية اسمها مذب. وقد قرئ فى بعض النقوش جملة «سين ذمذمب» أى «سين مدينة مذب» ولعلها كانت تشير إلى هذا المعبد.

وبعض النقوش يفيد أن اسم «سين» كان يطلق على القمر ويعتبر المعبود الرئيسى الأول فى فترة من الفترات. ولعل هذا كان حينما عدت حضرموت قوية متمتعة بسيادة شاملة نوعاً ما كما سبق القول[1].

وقد قرئ فى نقوش حضرموتية أسماء آلهين آخرين وهما «ذات حشوش و «ذات صميم» دون بيان عن هويتهما ومركزهما. وكلمة «ذات» كانت تعنى وصفاً للآلهة الرئيسية. وليس من المستبعد أن تكون هنا من هذا القبيل.

وقد قرئ فى نقش حضرموتى على لوح نحاسى موجود اليوم فى المتحف البريطانى أسماء سين وعلم وعشتر. وقد ورد فى نقش حضرموتى آخر جملة «سين ذ علم وسين ذ مشور وسين ذ علم ذ علق احن» وقد فسر جواد على

---

(١) رشيد الناضورى، المدخل فى التطور للفكر الدينى، ص ١١٣. جواد على، المرجع السابق، الجزء الخامس، ص ٢٢.

عبارة «سين ذ علم» بمعنى سين العالم أو العليم أى اعتبر العبارة وصفية وليست اسم معبود جديد. وقال أن معنى الجملة «معبد سين العليم فى مدن مشور وعلق واحن»[1].

وقد قرئ فى نقش حضرموتى اسم «حول» مع أسماء «سين» و «عشتر» و «شمس»، دون بيان ما، وهذا النقش سمى الآلهة الشمس باسمها العربى بديلاً عن اسم نكرح المعينى.

ولقد سمى القتبانيون القمر «ودا» كما فعل المعينيون والحضرموتيون وسموا الشمس عشتر على ما تفيده نقوشهم. وقد كان لهم إلى هذين المعبودين معبود قومى اسمه عـم ويعتبرونه حاميهم ويسمون أنفسـهم «أولاد عم». وكان لعم معابد فى المدن ينسب إليها مثل «عم ذو شقرن» و «عم ذو ريمت» و «عم ذو يسن» آى معابد عـم فى مدن شقرن وريمت ويسرن.

وقد قرئ فى نقوش قتبانية اسم اله آخر هو «انبى». وفى احداها أنه دون تقرباً للاله انبى ودعاء له ليمن على الأرض بالخير والبركات مما يمكن أن يدلل على أنه كان اله المطر والخصب أو أنه كان يشغل المركز الذى كانت الزهرة تشغله عند المعينيين وهو على هذا الاحتمال ثالث الثالوث.

وقد قرئ فى نقوش قتبانية عبارات «حوكم وذات صفتهم وذات ظهران وذات سنطم وذات رحبن» وقد خمن الأثريون أن جملتى ذات ظهران وذات رحبن هما صفتان توصف بهما الشمس ولم نرهم يعلقون على العبارتين الثانيتين. ولا يمكن القطع بما إذا كانتا جملتين وصفيتين أو اسمين لمعبودين ثانويين من معبودات القتبانيين.

وقد قرئ فى نقش لامرأة أوسانية جملة «معبد نعمان» دون بيان آخر. ولا يمكن الجزم بما إذا كانت نعمان تعنى اسم المدينة التى فيها المعبد أو اسم أوسانى لعله المعبود القومى للاوسانيين.

والسبئيون كانوا يسمون معبودهم القومى باسم «المقه» ولما صار لهم

---

(١) جواد على، المرجع السابق، الجزء الخامس، ص ١٢٠ - ١٢٣.

السلطان الشامل صار المقه الهاً عاماً للدولة مع بقائه معبودهم القومى على ما تفيده نقوشهم.

وقد كان اسم المقه يرمز إلى القمر. ولا ندرى هل كان هذا قبل أن يصبح معبوداً عاماً للدولة أو بعد ذلك(١).

وقد قرئ فى نقوش سبئية عبارات «عشتر وهوبس ذات حميم بالإضافة إلى المقه». ويخمن الأثريون أن جملة ذات حميم وصف للشمس، وأن السبئيين كانوا يصفونها كذلك بأوصاف ذات بعدن وذات خضرن وذات بران، وهكذا يكون ثالوث القمر والشمس والزهرة قد استمر فى عهد الدولة السبئية التى صارت شاملة السلطان بعد الدولة المعينية مع تبديل فى التسمية للشمس والقمر(٢). ولا تذكر النقوش شيئاً عن هوية هوبس، مع أنها ذكرته مراراً. ولعله من الآلهة الثانويين. ونقوش السبئيين تفيد أنهم كانوا يتوسلون بعشتر فى قضاء حاجاتهم ومطالبهم وهو ما كان يفعله المعينيون قبلهم.

وفى العهود الأخيرة من الدولة السبئية ظهرت أسماء معبودات جديدة وتدنت منزلة المقه. ومن الأسماء الجديدة التى ظهرت «ذو سموى» أى «رب السماء وتالب ريم» و «نتف بعلة ذى غفران» ويستفاد من النقوش أن «تالب ريم» كان معبود بنى مرثد القومى وحاميهم فتألق نجمة حينما صار العرش السبئى لأسرة منهم. وقد قرئ فى نقوش عديدة نسبة تالب ريم إلى المدن مثل «تالب ريام بعل مبين» و «تالب ريم بعل شعرن» و «تالب ريم بعل خضعتن» و «تالب ريم بعل مدثن» و «تالب ريم بعل كبدم» وقد وصف فى نقش بوصف شيحهمو أى حاميهم وراعيهم.

أما تسمية «ذ سموى» فمن المحتمل أن يكون أريد بها القمر أو الشمس وإن كانت تحمل معنى أبعد من ذلك وبكلمة أخرى تحمل معنى القوة التى وراء الشمس والقمر. وفى هذا تطور مهم فى العقيدة الدينية.

---

(١) ديتلف نيلسون، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الموضع.
قارن: جواد على، المرجع السابق، الجزء الخامس، ص ١٢١.

وليس فى النقوش ما يساعد على معرفة هوية ومركز نتف ولكن النقش الذى ذكرت فيه قبلها مباشرة كلمة «تمسهمو» ولا ندرى هل يعنى أن النتف هى اسم آخر للشمس أم أنها وصفت بالشمس[1].

وهناك نقوش تفيد أن عبادة وذكر ذى سموى كانت محصورة فى منطقة معينة، وكان ينسب إليه مدن معينة مثل «ذ سموى اله امرم» و «ذ سموى بعل بين ظعن» و «ذ سموى بعل وترم». فمن المحتمل أن يكون «ذى سموى» فى البدء الهاً قومياً لاحدى القبائل ثم اتسعت دائرته ومعناه.

وهناك نقوش سبئية متأخرة منها ما هو قبيل الميلاد ومنها ما هو بعده بقليل ذكر فيها أسماء المقه وعشتر وهوبس وذات بعدان وذى سموى معاً، وقرئ فى بعضهم اسم الشمس. حيث يدل هذا على أن الآلهة السبئية التى كانت ذات مكانة عالية فى عهد السبئيين الاول لم تتوار بالمرة مع تألق نجم تالب ريام ثم ذ سموى فى الوقت نفسه.

وهناك نقوش عديدة تفيد أنه كان فى المدينة الواحدة معابد متعددة للآلهة المتعددة، وأن الملوك والأغنياء كانوا يهتمون كثيراً بانشاء المعابد وترميمها وتجديدها وتزيينها[2].

وتفيد النقوش أنه كان للمعبودات مكانة عالية فى أذهان اليمنيين بحيث يذكرونها ويلحظونها ويتقربون إليها فى كل حادث ومناسبة وعمل ويربطون بينها وبين كل مناسبة وعمل وحادث غير أنه ليس فيها ما يساعد على معرفة أشكال الطقوس التى كانوا يؤدونها لهم. وليس فيها كذلك ما يدل على أنه كان عندهم فكرة عن حياة أخرى وثواب وعقاب فى العالم الآخر. وكل ما تفيده هو أنهم كانوا يعبدون معبوداتهم ويتقربون إليها ويذكرونها فى مختلف المناسبات ويربطون بينها وبين كل عمل وحادث لشئونهم المختلفة فى الحياة الدنيا وبكلمة أخرى لضمان مطالبهم وقضاء حوائجهم وتحقيق

---

(١) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٨٤ – ٨٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٦ – ٩١.

آمالهم ودفع الشر والأذى عنهم وجلب الخير والنفع لأنفسهم. ويلاحظ هذا فى مختلف النقوش المعينية والحضرموتية والقتبانية والسبئية على السواء وبالنسبة لمختلف الأدوار.

ولقد كان للكهانة وأوقاف المعابد وضرائبها حيز مهم فى المجتمع اليمنى على ما تفيده النقوش وكان الكهان نتيجة لذلك كأنهم دولة ضمن دولة بما كان يؤدى إليهم من ضرائب وموارد وما كانوا يسهمون فيه من أعمال ومشاريع عامة واقتصادية.

أما ظاهرة الملوك المكاربة فهى تمثل الكهانة فى ذروتها العليا حيث كان الملوك المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحضرموتيون فى البدء يتلقبون بلقب مكرب الذى كان يحمل معنى همزة الوصل فى الرئاسة بين الآلهة والناس. وكثير منهم احتفظوا بلقب المكرب مع تلقبهم بلقب الملك لهذه الغاية(١).

هذا، ومن الجدير بالذكر أن القمر والشمس والزهرة كانت معبودات رئيسية فى العراق والشام ومصر وسائر أنحاء الجزيرة فى مختلف أدوار التاريخ القديم وكانت الموجات العربية فى العراق تسمى القمر سين والشمس شمشا والزهرة عشتار، وكانت الموجات العربية فى الشام تسمى الزهرة عشتروت أى أنها كانت تتماثل بالتسمية وبالعبادة مع جنوب الجزيرة مما يسوغ القول أن العبادة السماوية أصيلة فى الجنس العربى وأن وحدة الفكرة الدينية قائمة بين فروعه وأن هذا مما يؤيد وحدة الارومه بين سكان الجزيرة.

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى أن عبادة القمر والشمس أتت إلى اليمن من بابل مع أن المفترض أن يكون العكس هو الصحيح ما دام البابليون هم موجة عربية الجنس تمت إلى جزيرة العرب، وعبادة المشاهد السماوية أشبه أن تكون من وحى طبيعة الجزيرة وسمائها ونجومها ولياليها كما هو ظاهر.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩١ – ٩٣.

وليس معنى تأخر دولة معين فى البروز عن دول العراق الأولى أنه لم يكن فى اليمن دول قبلها ولم تكن عبادة سماوية فى المهد الذى خرجت منه تلك الموجة كما لا يخفى. وللقمر خاصة أثر عظيم فى حياة الجزيرة العربية الشديدة الحرارة حيث يكون لليل وللقمر الذى ينير ظلماته الأثر الأكبر فى النفوس ولعل هذا هو سر جعل القمر المعبود الأكبر. وقد قال بعض الباحثين أن العربية الجنوبية أرسلت موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت إلى المناطق التى وصلت إليها واستقرت فيها. وهاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة وكان فيما حملته الاله القمر(١).

ويخطر بالبال فى صدد العبادة السماوية والتعددية فى اليمن ثم فى مهاجر العرب الأخرى فى التاريخ القديم أن العربى لا يعقل أن يكون قد اعتقد أن القمر والشمس والزهرة وغيرها من مشاهد السماء هى الخالقة المدبرة للكون. لأن ما اكتشف لهذا الجنس من مآثر فى اليمن ومهاجرها منذ أقدم الأزمنة يدل على أنه لم يكن بهذا القدر من السذاجة الذى يجعله يعتقد أن هذه المشاهد الكونية هى خالقة الكون ومدبرته، وأن كل ما فى الأمر أنه كان يراها كعيون لقوة خفية عظيمة تكمن فى الكون وتتجلى فى الدرجة الأولى فى السماء، وأنه كان يتعبد للقمر والشمس والنجوم كوسيلة إلى ما وراءها، لأن الذهن البشرى فى أدوار حضارته الأولى كان ينصرف دوماً إلى المشاهد المرئية ويتأثر بالمشاهد السماوية.

ومثل هذا يصح أن يقال بالنسبة للأصنام والأوثان والمعبودات المادية التى اتخذها العرب حيث لم تكن إلا رموزاً وهياكل مادية فى الأرض للقوى الخفية السماوية ليؤدوا عندها طقوسهم ويذبحوا قرابينهم جلباً لما يتوخونه من منافع ومطالب ودفعاً لما يخشونه من شرور وأضرار. وتعدد الآلهة السماوية والمادية مرده فى الغالب تعدد المطالب والحاجات واعتقاد العرب بضرورة

---

(١) جواد على، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ١٦٠ – ١٦١.
قارن: محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٨٦ – ٩١.

جعل وسيلة خاصة لكل مطلب وحاجة كما أن فيه ما يعود إليه شعور كل فريق أو عشيرة أو منطقة أو مدينة إلى حام خاص يحميهم ويكون لهم ملجأ ومرجعاً مع ملاحظة القوة الخفية العظمى وراء ذلك كله[١].

ولعل مما يدلل على هذا كلمة عربية الجنس كانت منذ القديم فى مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الاله وهى كلمة «ايل» التى تعنى الرب أو الاله فى المعينية والسبئية والبابلية والارامية والكنعانية والسريانية والعبرانية والتى يصح أن يقال أنها الأصل الذى تطورت عنه كلمة «الاله» أو «الله» فى العربية الفصحى حيث وجدت هذه الكلمة بهذا المعنى فى الآثار البابلية والكنعانية والفينيقية والسريانية والارامية والعبرانية كما وجدت فى السبئية والقتبانية والحضرموتية .. إلخ. فالذى يتبادل إلى الذهن أن هذه الوحدة فى اللفظ والمعنى لابد من أنها تعنى وحدة عامة فى الفكرة وتقوم دليلاً على وحدة الربوبية العليا عند الناطقين بها. ويجدر بالذكر أن هذه الكلمة كانت تلحق بالأسماء فى اللغات المذكورة جميعها ليكون فيها دلالة على الاعتراف بعبودية أصحابها للاله[٢].

سادساً: اليونـــان:

يبدو أن الاختلاف الأساسى بين الديانة القديمة والعقائد السماوية أن هذه العقائد تتجاوز حدود هذا الكون، إذ أنها تبشر من اعتنقها بالسعادة الأبدية فى العالم الآخر أو تهدده بالعقاب الصارم، على حين أن الديانة اليونانية كانت أكثر ارتباطاً بمجريات الحياة اليومية، فلم تكن الآلهة اليونانية أسيرة فى هياكلها أو سماواتها أو مملكتها السفلى، بل كانت تحيا فى طرقات المدينة وفى بيوت الناس وفى حقول الكروم والزيتون، ومع الأخذ فى الاعتبار كل

---

(١) محمد عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص ١٠٧ – ١١١.
قارن: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٤٠٩.
(٢) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٩٤ – ٩٥.
ديتلف نيسلون، المرجع السابق، ص ٢٠٩.
قارن: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٤٠٩ – ٤١٠.

أحداث الحياة اليومية كانت الآلهة ماثلة أمام الفرد اليونانى العادى فى كل مسالك حياته، بوسعه دعوتها فى أية لحظة لتكون شاهداً على قسم أو لحمايته من خطر معين أو لشفاء مرض خطير أو لتبارك عملاً ما، ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالات أن يراعى الفرد اليونانى قواعد خاصة فى تعامله مع هذه الآلهة نظراً لمرتبتها السامية عند مقارنتها بالبشر، لكن هذه القواعد كانت بسيطة خالية من التعقيد والرهبة، فكان اليونانى القديم يتعامل مع آلهته ببساطة شديدة لا تخلو من الاجلال.

وربما كان لانعدام فكرة العالم الآخر فى الديانة اليونانية بالشكل الذى وردت به مثلاً فى الديانة المصرية القديمة أبلغ الأثر على الطريقة التى اختار بها اليونانى القديم آلهته التى تعبد لها، فقد اعترف هذا اليونانى ببساطة بألوهية عدد من القوى مثل أورانوس (السماء) أو هاديس (ملك العالم السفلى غير المرئى) أو الشمس والقمر والنجوم إلا أنه لم يتعبد لها أو يقدم القرابين، فهذه الكائنات لا تبدى أى اهتمام بالبشر ومن ثم فلا حاجة بالبشر أن يهتموا بها، ويتضح هذا التناقض عندما يبدأ نفس الفرد اليونانى العادى الذى لا يهتم بأورانوس أو هاديس فى التعامل مع «زيوس» اله الطقس أو «كورى» اله المحاصيل أو (آريس) اله الحرب أو غيرهم من الآلهة التى تتدخل وتتحكم فى أحيان كثيرة فى حياة البشر ومن ثم فلابد فى المقابل لهؤلاء البشر أن يجدوا طريقة ناجحة وفعالة فى التعامل مع هذه الآلهة والتى تمثلت فى عبادتهم وتقديم القرابين لهم لكسبهم واستدرار عطفهم أو على الأقل لتلافى شرورهم وأحياناً عبثهم(١).

ومن الواضح أن العناصر المختلفة التى أسهمت فى تكوين الشعب اليونانى قد أثرت بالتالى على التكوين الكلى المعقد للديانة اليونانية فى العصر الكلاسيكى فقد انقسمت الآلهة اليونانية إلى ثلاث طبقات، الأولى منهم وهى

(١) هـ. روز الديانة اليونانية القديمة، ص ٨ – ١٤.

CF. Jane Harrison, Prolegomena to the Study of Greek Religion, pp. 257 - 362. p. E, Easterling, J. V. Muir, Greek Religion & Society pp. 4 - 32.

آلهة السماء التى سكنت جبل أوليمبوس فى شساليا، والثانية آلهة الأرض، والثالثة آلهة البحر، وتفسر احدى الأساطير القديمة ذلك بأنه عندما انتهت سيطرة الاله القديم كرونوس على العالم اقترع أبناؤه الثلاثة على اقتسام مملكته، فكانت السماء من نصيب زيوس والعالم السفلى من نصيب هاديس أما البحر فكان من نصيب بوسيدون. ومن المحتمل أن آلهة جبل أوليمبوس دخلوا إلى اليونان مع الغزاة الآخيين مع ملاحظة أن بعضهم كان موجوداً فى منطقة البلقان من قبل، أى كانوا أقدم من آلهة الآخيين الغزاة مثل هيرا، ورغم هذا نجد أن هوميروس قد أدمجهم فى أسرة واحدة أو مجمع الهى واحد (بانثيون)(١). أما آلهة الأرض فيبدوا أنهم كانوا آلهة أهل البلاد الأصليين فى مرحلة ما قبل دخول الآخيين لليونان.

ومع ظهور دولة المدينة وتحولها لتصبح الوحدة السياسية والاجتماعية المعروفة لدى اليونانيين كان ولابد أن يحدث تحول مواز لهذا فى كل الطقوس الدينية البسيطة، فلم تعد مهمة الآلهة حماية أو رعاية مجتمع زراعى بدائى وانما أصبحت مسئولة عن دولة واسعة معقدة البناء إلى حد ما. وعندما ظهر أن الآلهة القديمة أصبحت عاجزة عن القيام بهذا الدور كان من الحتمى أن يحدث الانهيار المتوقع فى كفاءتها ومن ثم فى عبادتها، ويتضح هذا تماماً فى كتابات الشاعر المسرحى الكوميدى أريستوفانيس.

سابعاً: الرومـــان:

رغم صعوبة الحديث عن الدين وما يحويه من أمور شائكة وخطر اطلاق تعميم أحكام قد لا تصدق كلياً أو جزئياً نظراً للتباين الشديد بين أقسام الدولة الرومانية واتساعها مما جعلها تحوى العديد من الثقافات وبالتالى المواقف

---

(١) وكان عدد آلهة هذا المجمع (البانثيون) اثنى عشر هم: زيوس كبير الآلهة، هيرا أخت زيوس وزوجته الشرعية، بوسيدون شقيق زيوس واله البحار، هاديس شقيق زيوس واله العالم السفلى، ديميترا شقيقة زيوس والهة الأرض والخصوبة، أثينا ابنة زيوس والهة الحكمة، أبوللو ابن زيوس، واله الموسيقى والضوء، ارتميس الهة الغابات والليل والقمر وابنة لزيوس، آريس ابن زيوس واله الحرب، هيفايستوس اله النار والحدادة وابن هيرا وحدها، هيرمس ابن زيوس ورسول الآلهة، افروديتى الهة الحب والجمال والجنس وولدت من زبد البحر.

الدينية المتباينة إلا أن هناك بعض القواعد أو الظواهر التى تشترك فيها أغلب الشعوب وهى اعتقادها فى الغالب فى آلهة غير مرئية عظيمة القوة أبدية خيرة، ولما كان الإنسان فى حاجة إلى معونتها الدائمة فى مجريات حياته اليومية فلابد له وأن ينال رضائها عليه بتكريمها، بالتعبد لها بانتظام واقامة الشعائر والطقوس الخاصة بها وتقديم القرابين لها. أى أنها بشكل من الأشكال محاولة من الإنسان للتوافق مع (أو تطويع إن أمكن) الظروف الطبيعية المحيطة به وتجنيدها لخدمة أغراضه الحياتية.

وفى خلال فترة توسع الامبراطورية الرومانية تغلغت التأثيرات الاغريقية فى الديانة الرومانية، وأخذ هذا التغلغل مظهرين واضحين تماماً هما: تشبيه الآلهة الرومانية بالآلهة الاغريقية المتماثلة فى الخصائص، أما المظهر الثانى فكان استعمال الأساطير الدينية الاغريقية، بكثرة بعد مزجها بالروح والجو الرومانى. وتدريجياً بدأ الرومان يعترفون رسمياً بمجموعة من الآلهة تماثل الآلهة الاغريقية الاثنى عشر التى كانت تشكل مجمع آلهة الاوليمبوس. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هى أن الآلهة ذات الأصل الاغريقى خلفت سريعاً الآلهة اللاتينية الصغرى وأن الآلهة الرومانية غير المشخصة اتخذت أشكالاً آدمية مثل الآلهة الاغريقية، مما أدى إلى كثرة الطلب على انتاج تماثيل للآلهة الرومانية على غرار تماثيل الآلهة الاغريقية.

ورغم هذا فقد تميزت السياسة العامة للطبقة الحاكمة فى روما بمحاولة الحد من التأثيرات الأجنبية على العبادة الرومانية، وإذا كانت هذه السياسة تدلل على حرص السناتو على الحفاظ على اتزان الديانة الرومانية التقليدية، فإن هذا المجلس كان يستغل الأعياد الدينية بالتأكيد لخدمة أهدافه السياسية، والدليل على ذلك أن هذه الأعياد قد تحولت إلى حفلات ترفيهية فى محاولة لكسب رضاء الجماهير وتدعيماً لنفوذ الطبقة الحاكمة وحفاظاً على مكانتها(١).

وكان بوسع الجميع بل وواجبهم أن يأخذوا بنصيب فى الطقوس الدينية

---

(١) ابراهيم نصحى، المرجع السابق، الجزء الأول، صفحات ٤٢٥ – ٤٢٧.

التى تقام فى الأعياد الكبرى، وكانت العبرة بالاشتراك الفعلى فى أداء الطقوس، فلم يكن هناك محل للدين الذى يقوم على اتباع نواميس معروفة أو تلاوة قوانين للإيمان، إذ أن مرحلة الوصل بين اللاهوت والأخلاق لم تكن قد بدأت بعد، فكان واجب المواطن الرومانى وعمله الدال على صدق إيمانه هو أن ينضم للمواكب الدينية ويشترك فى تكريم الآلهة وتقديم القرابين لها.

ورغم هذا الشكل الخارجى المتكامل للديانة الرومانية - والتى يمكننا الآن أن نطلق عليها لقب الديانة الرسمية أو ديانة الدولة - إلا أن الفرد الرومانى العادى كان لا يزال يمارس معتقداته الدينية التى ورثها عن آبائه وأجداده من عبادة للآلهة «فستيا» وهى النار مجسدة فى الموقد داخل المنزل وهى رمز للبيت والأسرة والحياة المنزلية الوادعة المطمئنة. ولا يعنى هذا أنه حدث تنافس بين هذين النوعين من الديانة إذ كان من السهل على المنطق الدينى القديم التوفيق بين أكثر من اله وأكثر من عبادة.

بقيت عقيدة أخيرة وهى «عبادة الأباطرة» ويقصد بها تكريم الأباطرة بعد موتهم وضمهم لصفوف الآلهة رسمياً بواسطة مجلس الشيوخ الرومانى وهو السلطة الدينية المختصة وذلك لعمل عظيم أنجزوه أو اصلاح جليل أو ما شابه ذلك. وعبادة الأباطرة هى عقيدة مضللة إذ لم يحدث كما قد يتبادر إلى الذهن أن اقيمت شعائر العبادة للامبراطور ابان حكمه على اعتبار أنه اله وانما دائماً بعد موته(١).

وفى شخص الامبراطور كانت تتجسد قوة روما الأبدية (بشكل مؤقت) وسطوتها وجبروتها وأيضاً وحدة هذه الامبراطورية المترامية الأطراف المختلفة بل والمتباينة النزعات والاتجاهات مما جعله رمزاً لروما ووحدة امبراطوريتها من يعتدى عليه فهو يعتدى على وحدة الدولة.

ويجرنا هذا إلى الحديث عن ظهور المسيحية كديانة سماوية جديدة وانتشارها فى العالم الرومانى وموقف أباطرة الرومان منها. فقد أخذ الرومان

---

(١) تشارلز وورث، المرجع السابق، ص ١٦٠ وما بعدها.

موقفاً عدائياً من الديانة الجديدة مما قد يوحى بتعصبهم الدينى وتخوفهم من الديانة الجديدة. وهذا الرأى لا يحمل من الصحة قدراً كبيراً إذ أن الرومان قد عرفوا بالتسامح الدينى وتقبلهم للعديد من الآلهة حتى أن عبادة ايزيس وسيرابيس المصريان. قد انتشرت فى روما نفسها وأقيم معبد لها فى المدينة، وانما سر هذا الموقف يكمن فى طبيعة الديانة الجديدة التى ترفض أية عبادة أخرى غير الاله الجديد (وهو الله) مما يعنى بالضرورة هدم فكرة عبادة الامبراطور رمز وحدة الامبراطورية الرومانية وبالتالى يتحلل الرباط الذى كان يجمع بين أجزاء الامبراطورية الرومانية المتنافرة عن طريق اشتراكها فى عبادة واحدة (ومن المعروف أن العقيدة الدينية هى أقوى سلاح يمكن عن طريقه تحقيق وحدة مجموعة من الشعوب) أى أن هذه العبادة الجديدة كانت تهدد الكيان السياسى للامبراطورية الرومانية نفسها ومن هنا أتت الروح العدائية ضدها والتى استمرت حتى اعترف الامبراطور قنسطنطين الأول بالمسيحية واعتنقها وأعلنها ديانة ضمن الديانات الرسمية للدولة فى بدايات القرن الرابع الميلادى[1].

---

(١) عن الموضوع بشكل عام راجع :

M. L Clarke, The Roman Mind. p. 115. ff.

CF. Jerome Carcopino, op. cit., p. 121. ff.

ديانات الأسرار والعبادات الغامضة

في العالم اليوناني الروماني

في تعريف الدين ربما كان من الأفضل الابتعاد عن المناهج النفسية الاستنباطية التى استعملها «هربرت سبنسر» أو «ماكس موللر»، أو المنهج الحدسى الذى استعمله «هنرى برجسون» لعدم جدواهما فى اخراج تعريف محدد مقنع، وربما كان المنهج الموضوعى المقارن أفضل، إذ يقوم على المقارنة بين الاديان لتعيين عناصرها العامة. وبمثل هذا المنهج نصل إلى تعريفات «جيمس فريزر» والذى حدد الدين بأنه احساس أن هناك نفساً خفية تعترف النفس البشرية بما لها من سلطان على العالم وعليها، ولذا يجب أن تكون على اتصال دائم بها ما أمكن.

لكن رأى «فريزر» ليس دقيقاً كما يرى «اميل دوركايم» لأن من الممكن – فى رأى دوركايم – ظهور دين بدون ظهور فكرة الاله كما فى الزرادشتية، بل ويزيد بأن هناك بعض الديانات لم تتحقق فيها فكرة الدين مثل البوذية التى هى فى جوهرها أخلاق بغير دين. ويقسم «دوركايم» «الظواهر» الدينية إلى قسمين :

– العقائد التى هى حالة فكرية تتعامل مع الأفكار، والتصورات التى تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة وما بينها من علاقات.

– العبادات وهى نماذج وطرز من الأفعال الجسمية وغير الجسمية يمارسها الإنسان حيال الأشياء المقدسة[1].

---

(١) على سامى النشار، نشأة الدين، النظريات التطورية والمؤلهة دار الثقافة، الاسكندرية ١٩٤٩، ص ٢١ – ٢٨.

والدين – فى اللغة – هو الجزاء، وهو الله، وهو الخضوع والطاعة، وهو العبادة والورع، وهو اسم لجميع ما يتعبد به لله عز وجل.

انظر: الفيروز آبادى: القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢، الجزء الرابع، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

والدين – فى نظر الإسلاميين – هو وضع الهى يرشد إلى الحق من الاعتقادات وإلى الخير من السلوك والمعاملات.

راجع: محمد عبد الله دراز، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٥ – ٢٦.

هذا رغم أن القرآن الكريم انما يسمى معتقدات الآخرين ديناً، حتي وإن كان هذا الدين هو الكفر ذاته، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون]

ويبدو أن الاختلاف الأساسى بين الديانات اليونانية والرومانية القديمة والعقائد الدينية السماوية يكمن فى أن الأخيرة تتجاوز حدود هذا الكون، إذ أنها تبشر من اعتنقها بالسعادة الأبدية فى العالم الآخر أو تهدده بالعقاب الصارم طبقاً لأعماله، على حين أن الديانة اليونانية القديمة على سبيل المثال كانت أكثر ارتباطاً بمجريات الحياة اليومية، فلم تكن الآلهة اليونانية أسيرة فى هياكلها أو سماواتها أو مملكتها السفلى، بل كانت تحيا فى طرقات المدينة وفى بيوت الناس وفى حقول الكروم والزيتون، ومع الأخذ فى الاعتبار كل أحداث الحياة اليومية، فقد كانت الآلهة ماثلة أمام الفرد اليونانى العادى فى كل مسالك حياته، بوسعه دعوتها فى أية لحظة لتكون شاهداً على قسم، أو لحمايته من خطر معين، أو لشفاء مرض خطير، ولتبارك عملاً ما.

ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالات أن يراعى الفرد اليونانى أو الرومانى العادى قواعد خاصة فى تعامله مع هذه الآلهة نظراً لمرتبتها السامية، لكن هذه القواعد كانت بسيطة خالية من التعقيد والرهبة، فكان يتعامل مع الهته ببساطة شديدة لكنها لا تخلو من الإجلال.

وربما كان لانعدام فكرة العالم الآخر فى الديانات اليونانية الرومانية بالشكل الذى وردت به مثلاً فى الديانة المصرية القديمة أبلغ الأثر على الطريقة التى اختار بها اليونانى أو الرومانى القديم الهته التى تعبد لها، فقد اعترف ببساطة بالوهية عدد من القوى، مثل أورانوس (السماء) أو هاديس (ملك العالم السفلى غير المرئى) . أو الشمس أو القمر والنجوم إلا أنه لم يتعبد لها أو يقدم القرابين، فهذه الكائنات لا تبدى أى اهتمام بالبشر، ومن ثم فلا حاجة للبشر أن يهتموا بها، ويتضح التناقض عندما يبدأ نفس الفرد اليونانى أو الرومانى الذى لا يهتم بأورانوس أو هاديس فى التعامل مع زيوس (جوبيتر) اله الطقس، أو كورى آلهة المحاصيل، أو آريس اله الحرب، أو غيرهم من الآلهة التى تتدخل وتتحكم فى أحيان كثيرة فى حياة البشر، ومن ثم فلابد فى المقابل لهؤلاء البشر من تحديد طريقة فعالة وناجحة فى التعامل مع هذه الآلهة والتى تمثلت فى عبادتهم وتقديم القرابين لهم لكسب ودهم

واستدرار عطفهم أو على الأقل لتلافى شرورهم وأحياناً عبثهم[1].

ديانات الأسرار:

شهدت القرون القليلة قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى عدة تغيرات سياسية واجتماعية فى العالم اليونانى الرومانى، فالولايات اليونانية ومقدونيا أسست امبراطوريات ثم فقدتها، وانتشرت القوة الرومانية فى حوض البحر المتوسط بالكامل تقريباً، فى نفس الوقت الذى كانت مؤسساتهم الجمهورية تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت ضغط الحروب الأهلية (١٣٣ ق.م – ٢٧ ق.م). اجمالاً يمكن القول أن هذه الفترة اتسمت بعدم الاستقرار والضياع والخوف من المستقبل، وانتشرت ممارسات التنجيم والسحر، وظهر الفلاسفة الشكاكون، وفى مثل هذا المناخ كان من الطبيعى أن تزدهر الديانات السرية الهللينستية لأنها توفر الحماية لمن يعتنقها وتمنحهم الأمل فى غد أفضل، بالإضافة إلى أنها قدمت بعض الاجابات والتفسيرات للشكاكين من الفلاسفة.

ويستعمل اصطلاح ديانات الأسرار للاشارة إلى عدد من الديانات ذات الأصول المتباينة والشخصية المختلفة، وحتى المسيحية فى بداياتها كانت أحياناً ما تعامل على أنها من ديانات الأسرار. وحتى بدايات الامبراطورية الرومانية كانت أكثر هذه الديانات انتشاراً عبادة ديميترا، ديونيسوس، ايزيس وسيرابيس، كيبيلى واتيس، والاله مثرا، كما تناثرت ديانات أخرى بنفس النوعية حول حوض البحر المتوسط.

وباستثناء ديميترا يمكن القول أن أغلب هذه الآلهة كانت تعبد أصلاً فى الشرق الأدنى كآلهة محلية، ولم تكن لها صفة الغموض. وكديانات محلية فقد كانت فى الأصل تقديساً لعناصر الطبيعة المختلفة المؤثرة فى حياة

---

(١) هـ. روز، الديانة اليونانية القديمة، ترجمة رمزى عبده جرجس، القاهرة ١٩٦٥، صفحات ٨ – ١٤.

Cf. Easterling. P. S., Muir, J. V., Greek Religion & Society, Cambridge 1985, p. 4 - 42; Jane Harrison, Prolegomena to the Study of Greek Religion, New York 1955, pp. 257 - 362.

الإنسان، وكان ضمان الخصب ونمو المحاصيل هدفاً أساسياً لأغلب هذه الديانات، وكان الجنس غالباً ما يحتل مكانة هامة فى هذه الديانات كتعبير عن استمرارية الحياة وتدفقها(١).

وفى العصر الهللينستى اتصلت العديد من ديانات الشرق الأدنى بالديانات اليونانية أثرت فيها وتأثرت بها,وكنتيجة لهذا الاتصال تحولت بعض الديانات المحلية إلى ديانات أسرار، ويبدو أن أولها كان الديانة أو الطقوس الاليوسية الغامضة، وهى عبادة ديميترا وكورى فى اليوسيس بالقرب من أثينا.

ويمكن تعريف الديانات السرية بأنها الديانات التى يقوم معتنقوها بأداء طقوس غامضة تقتصر عليهم فقط وذلك لضمان حياة سعيدة أبدية بعد الموت. ورغم الاختلافات العديدة بين هذه الديانات بسبب أصولها المحلية المختلفة، إلا أن العامل المشترك الذى ربط بينهم كان طقوس التكريس، وتلقين أوليات أو مبادئ الديانة، وهذه الأوليات كانت عادة ما تبدأ بطقوس التطهير، ثم يشارك المتعبد فى عدة طقوس غامضة اختلفت من ديانة لأخرى ويقصد بها التوحد مع الاله المقدس حتى يضمن لنفسه الخلود بعد الموت.

وعلى عكس ما كان يحدث فى الديانات اليونانية أو الرومانية التقليدية التى عنيت بمجريات الحياة اليومية، فقد كانت الديانات السرية تقدم لمن يعتنقها الخلاص الشخصى والسعادة الأبدية، ونتيجة لذلك كان من الطبيعى أن تنتشر هذه الديانات عن طريق الهجرات والرحلات والتجارة وحتى الجيوش(٢).

وكان لكل من هذه الديانات السرية أسطورة عبارة عن قصة مقدسة تتعلق بحياة أو بحادثة معينة فى حياة اله هذه الديانة، تعطى من يعبده فكرة عن مغزى وجوهر هذه الديانة بما تحويه الاسطورة من اشارات ورموز

---

(1) Edgar Krentz, the Mystery Religions, An Overview, Religion and Ethics Institute, Evanston. U. S. A. 1980. p. 1.

(2) Ibid., p. 1 - 2.

مقدسة. ومثال لهذا من الديانات السرية اليونانية كانت أسطورة ديميترا وابنتها كورى (برسيفونى)، فقد كانت ديميترا الهة الخصب والنماء، فلما اختطف بلوتو إلى العالم الآخر ابنتها كورى لتعيش معه، تألمت ديميترا فأجدبت الأرض، ولما سمح بلوتو لكورى بالعودة إلى أمها لمدة ستة أشهر من كل عام أخذت الأرض فى الازدهار مرة أخرى، أما نصف العام الذى تقضيه كورى فى العالم الآخر فكان رمزاً لجدب الأرض فى فصل الشتاء، أى هى محاولة لتفسير دورة المحاصيل الزراعية أو موت الأرض ثم عودتها للحياة مرة أخرى، وبالتالى فإن معتنقوا ديانة ديميترا موعودون بالعودة إلى الحياة مثلهم فى ذلك مثل الأرض.

ويصور لنا الشكل رقم (١) أكثر لحظات هذه الاسطورة درامية وهى لحظة اختطاف بلوتو لكورى بينما أحدى بنات أوقيانوس – وكانت تلعب مع كورى لحظة الإختطاف – تجرى مذعورة، وهو عبارة عن نحت من الرخام من واجهة الحرم المقدس فى اليوسيس، وغالباً يعود إلى العصر الارخى حيث أن ملامح الوجه رصينة ساكنة لا تحمل أية مشاعر[١].

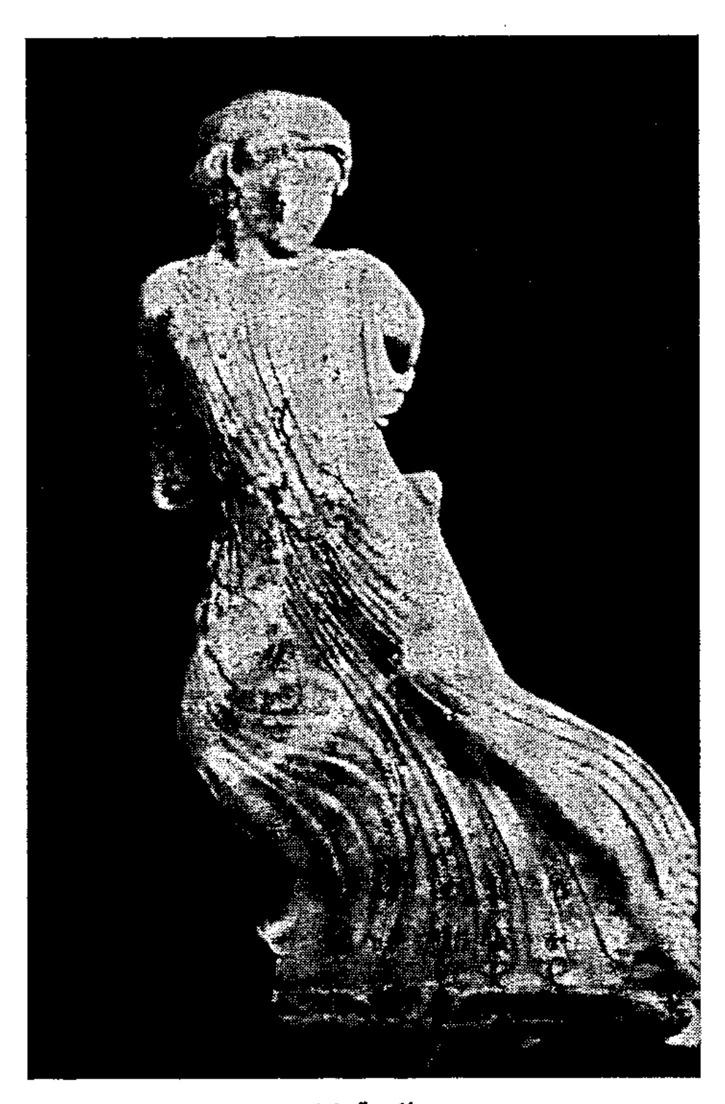
أما الديانات التى أتت من الشرق فقد جنحت إلى الاحتفاظ بآلهتها وأساطيرهم حتى بعد أن دخلت عليها الطقوس الغامضة وتحولت إلى ديانات سرية، والديانة الميثرائية أحد أبرز هذه الأمثلة. ويوضح لنا شكل رقم (٢) أحد معابد ميثرا من الداخل فى أوستيا ميناء روما القديم، والنحت الغائر على الحائط فى نهاية الغرفة جهة المذبح يصور أحد مشاهد أسطورة ميثرا، وهو هنا ذبحه للثور البدائى الاسطورى، وفى معابد أخرى كانت تصور مناظر متنوعة من سيرة حياة ميثرا الاسطورية بالنحت الغائر أو الفريسكو.

ولما كان ميثرا الهاً مرتبطاً بالشمس، لذا كانت معابده تبنى تحت الأرض حتى يتمكن كهنته من التحكم فى كمية الضوء اللازم للقيام بطقوسهم[١].

---

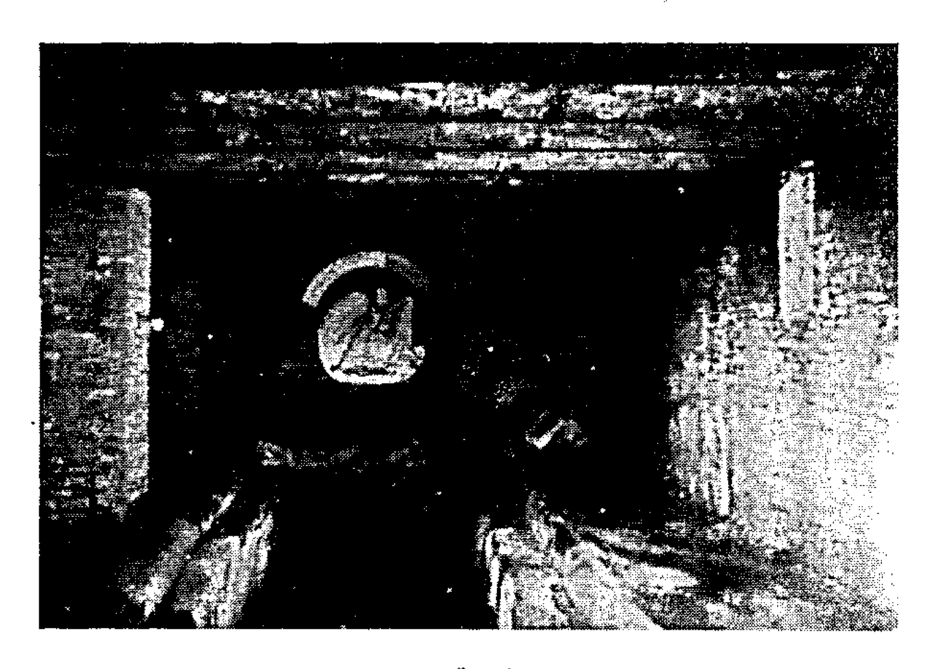
(1) Ibid., p. 2.

(2) Ugo Bianchi, the Greek Mysteries, Leiden: E. J. Brill, 1976. p. 27 ff.



شكل رقم (١)

إختطــاف كوري



شكل رقم (٢)

أحد معابد الإله ميثرا من الداخل (أوستيا)

وقد طوعت هذه الأساطير المحلية نفسها لتتوائم مع الديانات التى كانت فى طريقها لتصبح ديانات سرية ومن ثم تصبح جزءاً من الثقافة الهللينستية، حتى يمكن تفسير الطقوس والاعتقادات التى ظهرت فى الديانات الجديدة عن فكرة الخلود الشخصى. فأسطورة افروديتى وأدونيس لم تخرج عن كونها قصة الموت والبعث وهى بهذا تتشابه مع قصص أخرى فى عبادة كيبيلى وأتيس، فقد كان أدونيس هو زوج أفروديتى المرتقب، فقتله خنزير برى ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى. والشكل رقم (٣) يظهر لنا نحت رومانى بارز وجد فى شستر فى انجلترا، وفيه يبدو أدونيس وهو يحتضر تحت شجرة فى قبرص موطن أفروديتى، وبالتالى عدلت الاسطورة من نفسها لتتلائم مع الديانات السرية، لأن معتنقوها سيعيشون أيضاً بعد الموت(١).

---

(1) Edgar Krentz, op. cit., p. 2.



شكل رقم (٣)

أدونيس يحتضـــــــــر

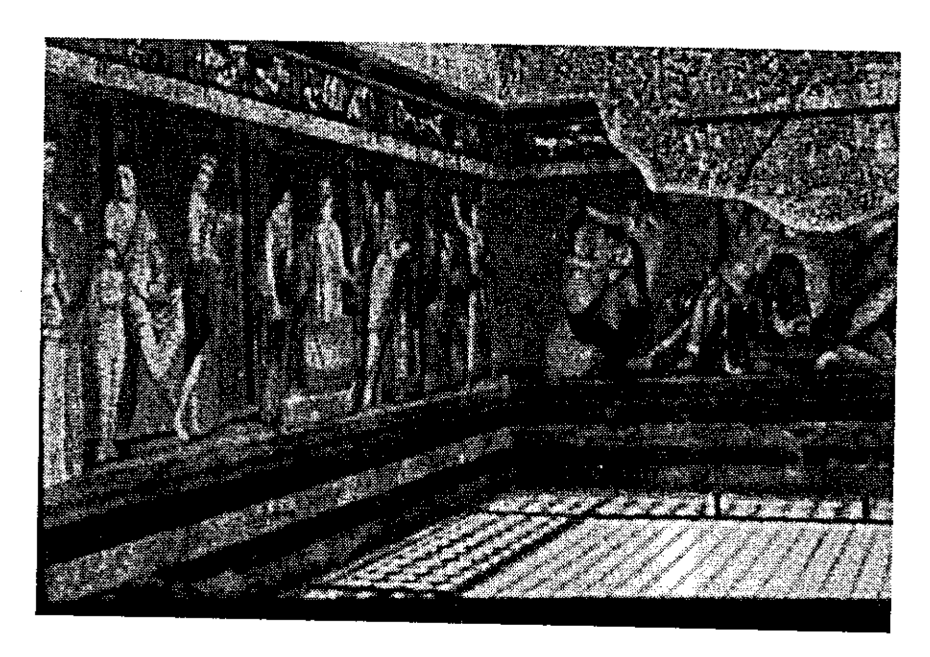
وفى شكل آخر للاسطورة نجد أن أفروديتى قد أودعت أدونيس عند الالهة كورى، وفيما بعد عندما طلبت عودته رفضت كورى، فتظلمت افروديتى للاله زيوس الذى حكم بأن يمكث أدونيس نصف العام عند كورى، ونصفه الآخر عند أفروديتى، وهذا الشكل هو بلا شك موائمة للقصة الآسيوية القديمة مع الاسطورة السائدة فى التراث اليونانى فى اليوسيس وربما كان هذا عاملاً مساعداً فى تأكيد فرضية أن الأساطير الاليوسية كانت قد أثرت فى الديانات الشرقية خلال فترة انتقالها إلى الغرب.

وفى ديانات الأسرار كانت الطقوس الغامضة تحمل قدراً لا بأس به من التناقض من ناحية الممارسة، أما من الناحية النظرية أو الفكر الكامن وراء هذه الطقوس فلسوء الحظ لا نعرف الكثير عنه، فقد سميت شعائر التكريس أو التلقين «الأسرار»، لكن لدينا بعض الرسومات على الفرسكو أتت من «فيلا الأسرار» بمدينة بومبى من المحتمل أنها تعود إلى الديانة الديونيسية، وكأغلب ديانات الأسرار فالموضوع الرئيسى لها هو تحقيق التوحد مع الاله(١).

---

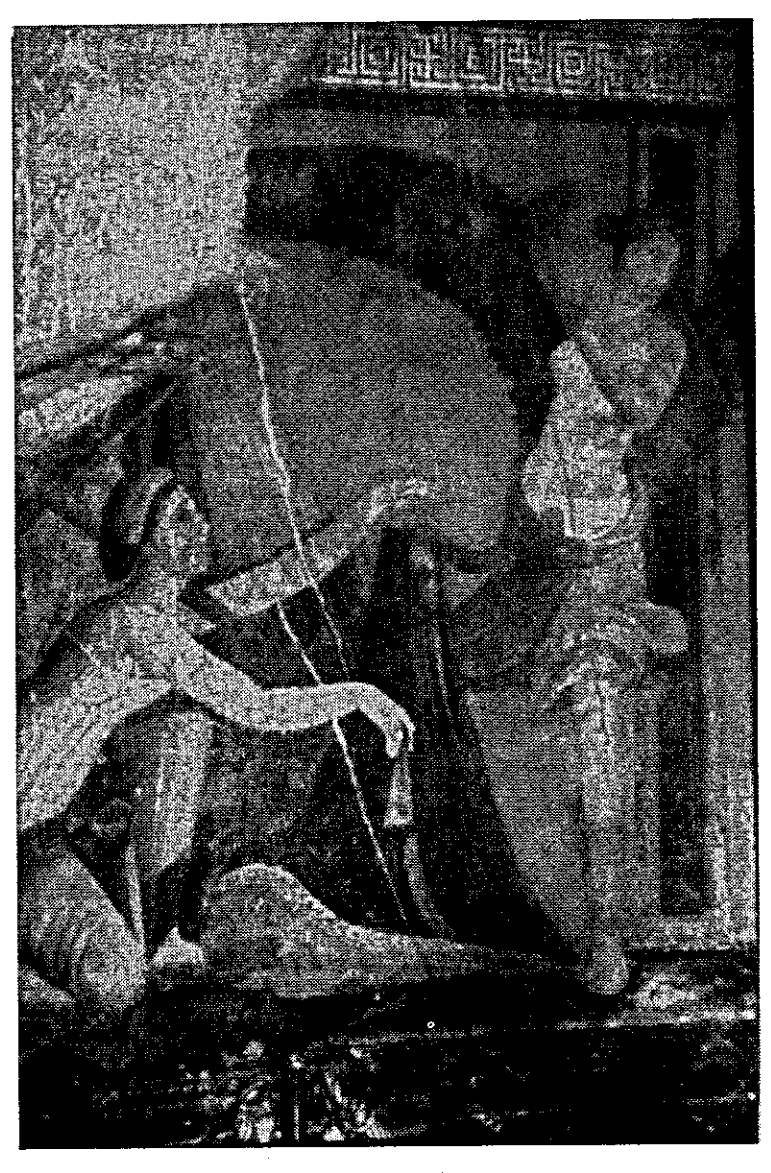
(1) Ibid., p. 3.

والشكل رقم (٤) يبرز لوحات الفرسكو على ثلاثة جدران لاحدى حجرات فيلا الأسرار فى بومبى، وهو يوضح شعائر تكريس تظهر فيها احدى الفتيات تستعد للزواج وهو تعبير رمزى للتوحد مع الاله وعلى الحائط الأخير ديونيسوس متكئاً على محظيته اريادنى.



شكل رقم (٤)
فرسكو من ڤيلا الأسرار (بومبي)

والشكل رقم (٥) عبارة عن لقطة مقربة تظهر العروس وهى تكشف الغطاء عن عضو ذكرى، وهى الطريقة القديمة لاظهار ما يرتبط بالزواج من حب حسى وخصوبة، التكريس لمثل هذه الديانات كان يهتم باظهار أشياء مقدسة ترتبط بطقوس العبادة الغامضة مثل الأعضاء التناسلية رمز الخصوبة واستمرارية الحياة. لكن من الصعوبة بمكان أن نأخذ من الأعضاء التناسلية رمزاً مشتركاً بين كل ديانات الأسرار، إلا أن ظاهرة كشف النقاب عن شىء مقدس أوله صلة بالطقوس الغامضة يمكن القول أنها كانت قاسماً مشتركاً بين أغلب هذه الديانات.



شكل رقم (٥)

لقطة مقربة لنفس الفرسكو السابق

كما كان القمح رمزاً للحياة والموت ثم البعث، فالقمح يمثل الحبوب للبشر الذين يولدون ثم يموتون ثم يبعثون فى حياة خالدة سعيدة بشرط أن يعتنقوا احدى الديانات السرية التى تتيح لهم فرصة التوحد مع الاله، هذا التوحد الذى كان يحدث بعدة طرق منها الزواج كما سبق القول، ومنها الاشتراك فى تناول الوجبات المقدسة، كما فى عبادة ايزيس وسيرابيس، ومنها الوصول للنشوة والغيبوبة أو الإنجذاب الروحى كما فى عبادة كيبيلى وديونيسوس، حيث يقوم عبدة ديونيسوس بشرب كميات من النبيذ حتى تتملكهم روح الاله المقدس ويصلوا إلى مرحلة الغيبوبة التى تؤهلهم للتوحد مع الاله[1].

أما عن الأماكن التى كانت تقام فيها شعائر هذه الديانات السرية فقد أقيم لها اما معبد أو محراب صغير، وكانت محتويات هذه الأماكن تختلف من ديانة سرية لأخرى، ففى ديانات دميترا وديونيسوس وكيبيلى وايزيس والالهة السورية أتارجاتيس كان لابد من وجود تمثال للاله فى المعبد أو المحراب، وهذا التمثال اما أن يكون معروضاً للمتعبدين، أو يخفى فى مكان خاص به حيث يقوم الكهنة أو الكاهنات بالعناية المنتظمة به. أما فى ديانة ميثرا فلم تتواجد مثل هذه التماثيل، بل كان يتم الاكتفاء بنحت بارز أو غائر على الحائط يمثل الاله ميثرا. وبالإضافة إلى التماثيل أو المنحوتات البارزة أو الغائرة فقد احتوت هذه الأماكن المقدسة أشياء أخرى لها علاقة رمزية بمعتقدات عبدة الاله.

وكانت أغلب هذه المعابد تكون جزءاً من المنطقة المقدسة التى غالباً ما كانت محاطة بسور يحميها، حيث كانت تجرى شعائر العبادات فى عدة أماكن داخل نطاق هذا السور، ففى اليوسيس مثلاً كان كهف بلوتونيوم يمثل المدخل إلى العالم الآخر الذى استعمله الاله بلوتو عند إختطافه لكورى.

ويثور هنا تساؤل حول الكيفية التى كانت تنظم بها هذه الديانات مع طقوسها الغامضة؟ وكأغلب الديانات الوثنية القديمة فقد كانت ديانات الأسرار تنظم بواسطة عدد من الكهنة أو الكاهنات أو كلاهما معاً، البعض

---

(1) Ugo Bianchi, op. cit., p. 16 ff.

منهم مسئول عن تلقين وتعليم معتنقى هذه الديانة الفكر الكامن ورائها أى شرح العقيدة الدينية، والبعض الآخر مسئول عن اقامة الطقوس الغامضة ومتابعة أدائها على الوجه الذى يحقق الغرض منها، أى متابعة شعائر العبادة. وكان لبعض هذه الديانات طقوس عبادة يومية، هذا بالطبع بالإضافة إلى الاحتفالات السنوية أو النصف سنوية والتى كانت تقام فيها مواكب الآلهة(١).

وكان من من الطبيعى أن تنتقل بعض الأفكار من ديانة إلى أخرى أو بعض الطقوس من عبادة إلى أخرى داخل نطاق ديانات الأسرار، وهو ما يسمى بالتوافق الدينى، ويظهر الشكل رقم (٦) تمثالاً برونزياً يعود للعصر الرومانى عثر عليه فى بعلبك (لبنان) يمثل الاله جوبيتر هليبوليتانوس أحد آلهة المدينة فى العصر الرومانى، ويبدو واضحاً أن معالم الاله جوبيتر الرومانى قد اختفت تقريباً تحت تأثير الرموز المحلية للآلهة الفينيقية، كغطاء الرأس المعروف باسم كالاثوس Calathosوالذى يرمز إلى الخصوبة.

وكانت أغلب هذه الديانات متاحة أمام الجميع، أحراراً وعبيداً، رجالاً ونساءاً، صغاراً وكباراً، ومن ثم أتيح لها قدراً كبيراً من الانتشار، وبالتدريج بدأت الفوارق الحادة بين هذه الديانات تذوب، حتى أن بعض الدارسين يعتقد أن ديانتين مثل كيبيلى وميثرا قد توحدتا فى ديانة مزدوجة فى ولايات الامبراطورية الرومانية الغربية(٢).

ديانة الأسرار الاليوسية:

تعود ديانة الأسرار الاليوسية إلى حوالى القرن السادس عشر ق.م، واستمرت حتى القرن الرابع الميلادى، أى حوالى الألفى عام، وربما تكون هذه الديانة قد نشأت أصلاً من الديانات الايجية القديمة، فالأدلة الأثرية توضح أنها من أقدم ديانات الأسرار اليونانية على الاطلاق(٣).

---

(1) Apuleius, Apol., 55; Metam., XI; Lucretius, De Rerum Natura, III 600 - 645.

(2) Edgar Krentz, op. cti., p. 6.

(3) David Aune, the Eleusinian Mysteries, Religion and Etheics Institute, Evanston, U. S. A., 1976, p. 1.



شكل رقم (٦)

الإله چوبيتر هليوبوليتانوس

وغالباً ما تعارضت ديانات الأسرار اليونانية مع الديانات السائدة فى دولة المدينة (ما يشبه الديانات الرسمية) ذات الطقوس العلنية، والتى تهتم أساساً بمظاهر الحياة الدنيوية، وبالتالى فلم تتحقق فيها فكرة العالم الآخر والتى كانت أقرب إلى الغموض والاهتزاز. وعلى العكس من ذلك فقد ضمنت ديانات الأسرار لمن يعتنقها مشاركة شخصية فى طقوس غامضة تضمن له حياة سعيدة مباركة فى العالم الآخر.

وقد أخذت هذه الديانة اسمها من مدينة صغيرة تبعد أربعة عشر ميلاً إلى الغرب من أثينا، ويربطهما طريق مباشر يسمى الطريق المقدس. ومن اليوسيس انتشرت هذه الديانة فى اليونان كلها، بل وصاحبت اليونانيين فى هجراتهم ومستعمراتهم الجديدة فى آسيا الصغرى وصقلية وجنوب ايطاليا وحتى سواحل البحر الأسود. وفى العصرين الهللنيستى والرومانى أصبح من الممكن لغير اليونانى أن ينضم إلى هذه الديانة والتى كانت متاحة للجميع من الرجال والنساء والأطفال وحتى العبيد، حتى أن شيشرون يقول :

«لقد أصبح لدينا الآن المبرر كى نعيش فى حبور.

ونموت على أمل أفضل»[1].

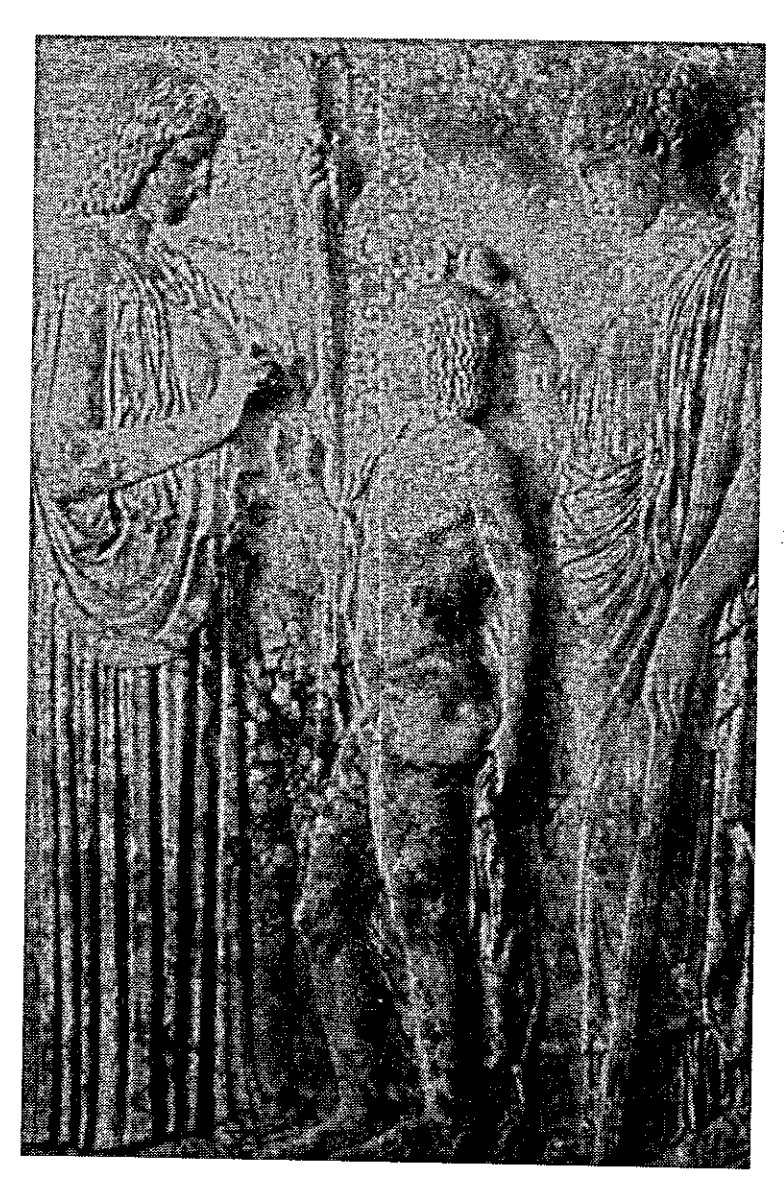
وكانت الالهة الرئيسية فى هذه الديانة هى الالهة ديميترا أو «الأرض الأم» مانحة الحياة والخصوبة، أما الشكل رقم (٧) فتظهر فيه الالهة ديميترا إلى اليسار مع ابنتها برسيفونى إلى اليمين.

أما الشكل رقم (٨) فيظهر فيه مدخل الكهف المسمى بلوتونيوم فى اليوسيس والذى اعتقد اليونانيون أنه المدخل إلى العالم الآخر الذى يستعمله الاله بلوتو.

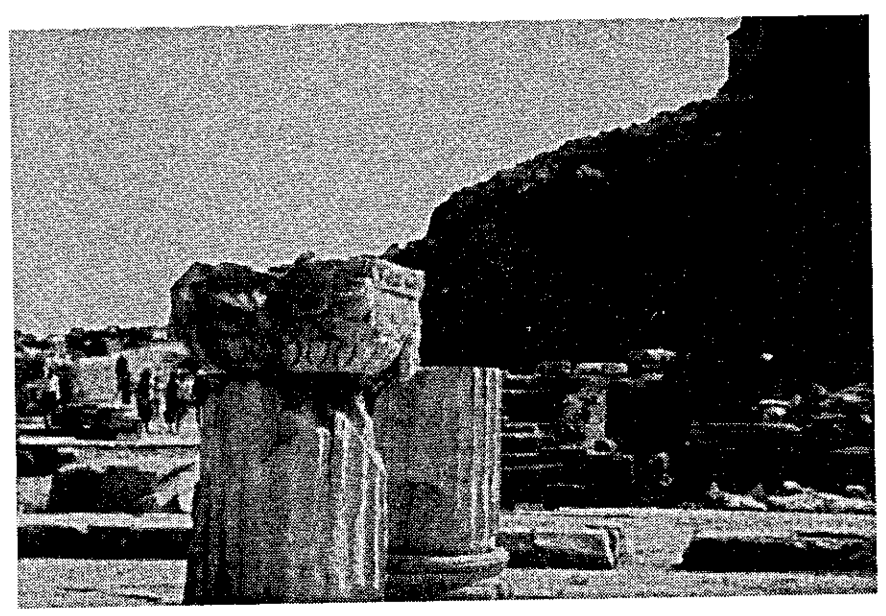
ويوضح الشكل رقم (٩) تمثالاً لديميترا يؤرخ بحوالى ٤٦٠ ق.م، وتستمر الاسطورة فى محاولة تفسير أصل هذه الديانة قائلة بأن الالهة ديميترا بعد أن اختطف بلوتو ابنتها أخذت تتجول باحثة عنها حتى وصلت إلى اليوسيس

---

(1) Cic., de Legibus, II. 14. 36.



شكل رقم (٧)
الإلهة ديميترا وابنتها برسيفوني



شكل رقم (٨)
كهف بلوتونيوم (إليوسيس)

متنكرة فى زى امرأة عجوز، وعرضت عليها ابنة ملك اليوسيس أن تعمل كمربية للابن الوحيد للملك، وفى محاولة من ديميترا لرد جميل الملك وحسن معاملته لها حاولت أن تهب ابنه الخلود، إلا أن الأم فزعت من الطقوس الغامضة التى تقوم بها ديميترا ورفضت، فكشفت ديميترا لهم عن شخصيتها، وطالبت أهل اليوسيس أن يبنوا لها معبداً ووعدتهم أن تعلمهم هذه الطقوس الغامضة التى ستضمن لهم الخلود بعد الموت[1].

وكان الاحتفال بالأسرار الاليوسية الصغرى والأسرار الكبرى يتم سنوياً، لكن لا يعرف الكثير عن الأسرار الصغرى ما عدا أنها كانت تتم فى الربيع، أما أسرار الاليوسية الكبرى فقد كان الاحتفال بها يتم فى الخريف خلال شهر «بويدروميون» (سبتمبر - اكتوبر) فى الوقت الذى تبدأ فيه الحقول فى الاخضرار. فى الثالث عشر من شهر بويدروميون (٢١/٢٢ سبتمبر) كان الكهنة يحملون تمثال ديونيسوس مع رموز أخرى مقدسة تتعلق بعبادة

---

(1) Hymm to Demeter. (Loeb), 478 - 79.



شكل رقم (٩)
الإلهة ديميترا

ديميترا من معبدها فى اليوسيس ليودع فى معبدها فى أثينا عبر الطريق المقدس فى موكب حافل. وفى اليوم التالى (١٤ بويدروميون) يعلن الكاهن الأكبر للالهة ديميترا فى أثينا بداية الاحتفالات. وفى اليوم الذى يليه (١٥ بويدروميون) يبدأ معتنقوا ديانة الأسرار الاليوسية فى إجراء طقوس التطهير فى خليج «فاليرون» إلى الشمال من أثينا حيث يقومون بالاغتسال، ويطهرون معهم خنزيراً صغيراً ثم يذبح الخنزير وينثر دمه على عبدة ديميترا، ثم يطلب منهم الصيام لثلاثة أيام، ويظهر فى الشكل (١٠) نحت غائر من القرن الخامس ق.م تبدو فيه الالهة برسيفونى تقوم بهذه الطقوس لتطهر عدداً من المبتدئين الذين انضموا حديثاً إلى ديانة الأسرار الاليوسية[١].

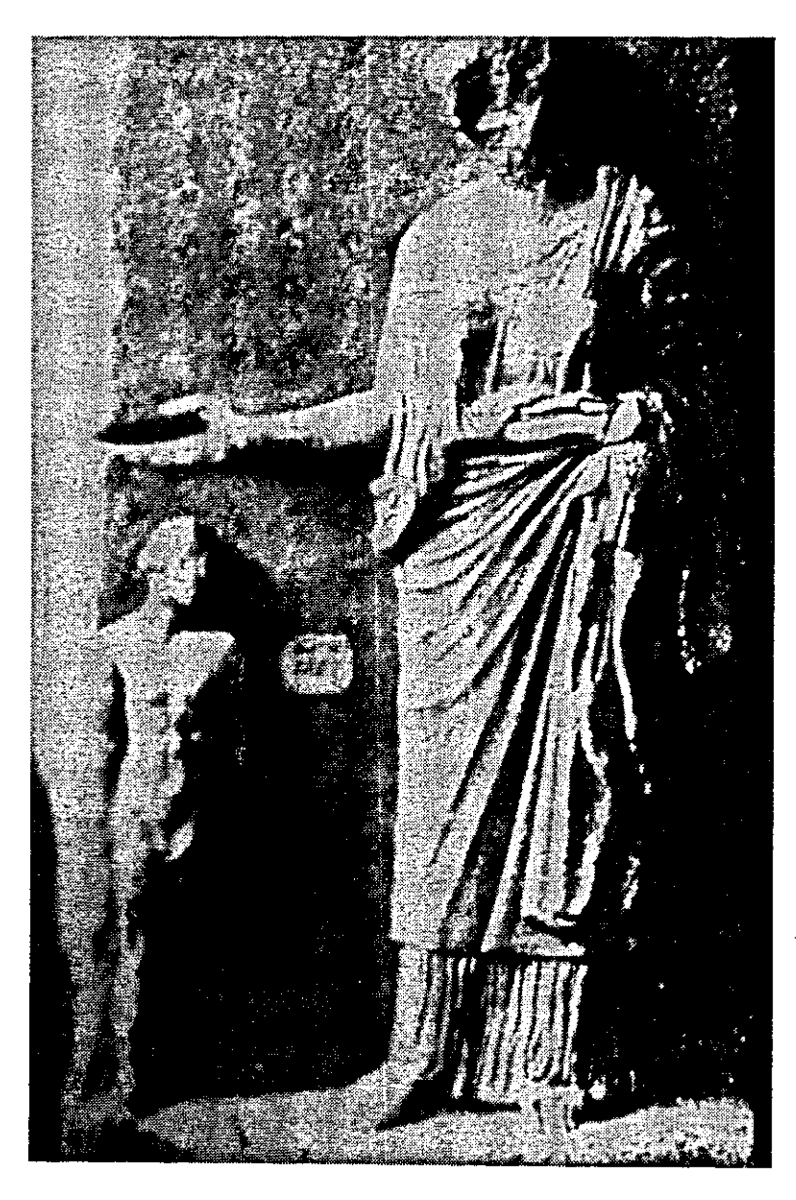
وفى التاسع عشر والعشرين من شهر بويدروميون يتجمع كهنة الالهة ديميترا مع عبادها الذين تطهروا حاملين أغصان وأوراق الريحان، ثم يتحركون من أثينا عبر الطريق المقدس إلى اليوسيس حاملين معهم تمثال ديونيسوس الذى كان قد سبق وأن أحضر قبل أسبوع إلى أثينا. وكان الموكب يتحرك ببطء شديد حيث كان من المفترض أن تقدم القرابين والأضاحى على كل المذابح التى يمتلئ بها الطريق[٢].

وأخيراً وحوالى اليوم الواحد والعشرون من الشهر يصل الموكب ليلاً إلى معبد ديميترا فى اليوسيس بصحبة المشاعل المضيئة، ويبدو أنهم كانوا يشاركون فى وجبة مقدسة من الخبز مع شراب مميز عبارة عن خليط من مسحوق الشعير والماء معطر بالنعناع يسمى كيكيون Kykeon ويشرب فى أوعية ذات شكل غريب تسمى كيرنوى[٣] Kernoi.

وكان الوعد بالخلود بعد الموت هو مكافأة المشاركين فى هذه الطقوس وهو الخلود الذى يرتبط بالبذور الميتة التى تعود إلى الحياة فى رحم الأرض الأم، وكان من المعتقد أن هذا الخلود سيتم تحت الأرض.

---

(1) David Aune, op. cit., pp. 3 - 4.
(2) Ibid., pp. 4 - 5.
(3) Clement of Alexandria, Prott., 2. 18.



شكل رقم (١٠)
طقوس التطهير في الأسرار الإليوسية

يقول بنداروس :

«مبارك هو من شارك فى هذا، سيجتاز طريقة تحت الأرض، فهو يعرف نهاية الحياة، ثم بدايتها مرة أخرى والتى سيهبها له زيوس»(١).

ويقول سوفوكليس :

«مباركون ثلاث مرات هؤلاء الفانون الذين شاركوا فى هذه الأسرار، قبل رحيلهم إلى هاديس، لأنهم فقط من سيحظون بحياة حقيقية هناك»(٢).

الأسرار الديونيسية :

يظهر الاله ديونيسوس فى صور عدة، فهو اله النبيذ، اله النبات المزهر، اله المسرح، اله الجنون المقدس، اله سطوة الجنس، وهو اله تمتد سطوته إلى ما وراء القبر. وحتى الستينات من هذا القرن كان الاعتقاد السائد هو أن ديونيسوس قد أتى إلى اليونان من تراكيا وفريجيا فيما قبل القرن السادس ق.م بقليل، واعتمدت هذه النظرية على أن ديونيسوس لا يظهر كواحد من آلهة الاوليمبوس فى أشعار هوميروس، بالإضافة إلى أن الاسطورة نفسها تتحدث عن اله جديد أتى من بلاد بعيدة ويصيب من يرفض عبادته بالجنون.

إلا أن مثل هذه النظرية لا تصمد طويلاً للمناقشة، فسندها الأساسى هو الاسطورة التى تتحدث عن اله جديد أتى من بلاد بعيدة، وربما كان هذا اشارة إلى فترة تاريخية كانت ديانة ديونيسوس فيها غير مقبولة بالدرجة الكافية، إلى أن تم انتشارها وتقبلها اليونانيون. أما عدم ذكر ديونيسوس فى أشعار هوميروس فهذا ليس بدليل مؤكد على عدم وجوده، ومن الغريب أن اسم ديونيسوس يظهر بشكله القديم مرتبطاً بالنبيذ على ألواح لنير ب (Linear B) بترتيب الأحرف التالى (Diwonusojo)، مما قد يرجح أن ديانة

---

(1) Pindar, Frag., 121 (Bowra).

(2) Sophocles, Frag., 753 (Nauck, T. G. F.).

ديونيسوس قد تأسست فى اليونان خلال فترة الحضارتان الايجية والموكينية[1].

وكانت ديانة ديونيسوس مفتوحة أمام الرجال والنساء على حد سواء، إلا أن النساء فقط كن يصبحن «مايناذز» Maenads، فكن يمارسن الرقص الذى اطلق عليه «رقص الجبال»، وهو طقس كان يتم شتاءاً فى أماكن مقدسة محددة وليس بشكل عفوى تلقائى كما تقول الاسطورة، وكان هذا الرقص يعبر عن حالة من الانجذاب المؤقت من المعتقد أن ديونيسوس هو الذى كان يسببه.

وقد ارتبطت ديانة ديونيسوس بأعياد عدة كانت تقام فى أثينا وغيرها من المدن اليونانية، منها عيد «الانثيستاريا» Anthesteria فى شهر فبراير ويستمر لثلاثة أيام، ففى اليوم الأول كان يتم فتح جرار النبيذ الجديد ويتم تقديم قربان منه إلى ديونيسوس، وفى اليوم الثانى كان يتم عرض تمثال ديونيسوس فى موكب حافل، وفى هذا اليوم كانت زوجة الحاكم والمسئول عن الشئون الدينية Archon Basileus تقوم بأداء طقس غامض ربما قرب أحد المستنقعات، ثم تعود إلى الأجورا الأثينية حيث كان يتم طقس آخر يرمز به إلى زواجها المقدس بديونيسوس نفسه أى توحدها مع الاله وربما كان زوجها يقوم بدور ديونيسوس فى هذا الطقس.

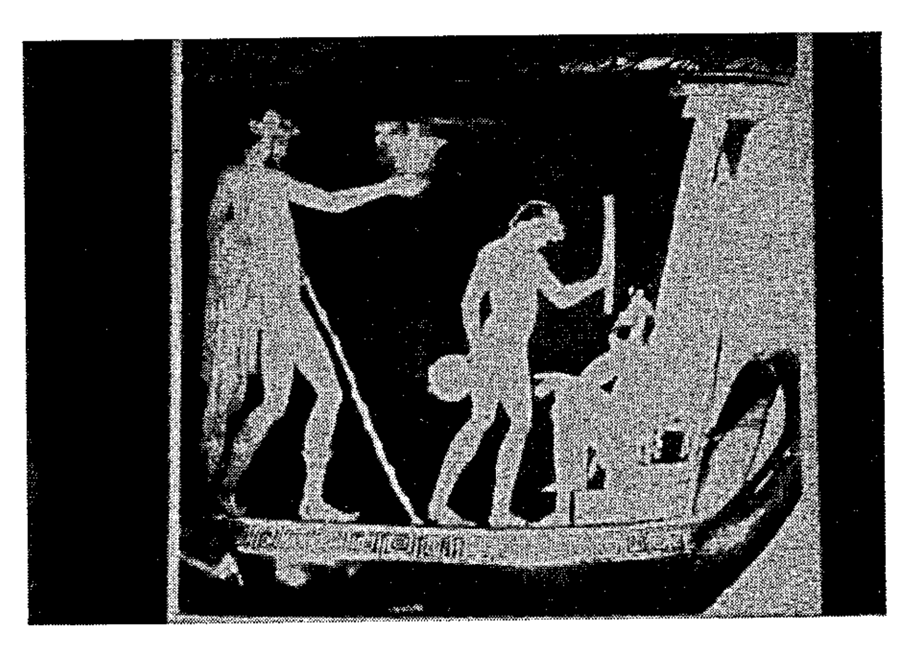
ويظهر الشكل (١١) اناءاً من القرن الخامس ق.م صورت عليه زوجة الارخون تنتظر ديونيسوس لاتمام الزواج، بينما صور ديونيسوس بصحبة أحد أتباعه من الساتير. أما اليوم الثالث والأخير فكانت تقدم فيه القرابين لأرواح الموتى[2].

---

(1) Susan Cole, the Dionysos Cult, Religion & Ethics Institute, Evanston, U. S. A., 1980, pp. 1 - 2.

Cf. Walter Olto, Dionysos, Myth & Cult, Indiana University Press, 1965, passim.

(2) Susan Cole, op. cit., pp. 2 - 3.



شكل رقم (١١)
الـــزواج المقـــدس

ويوضح الشكل رقم (١٢) اناءاً مطلياً بالذهب يعود إلى القرن الرابع ق.م وجد فى مقبرة فى «درفنى» Derveni وهى قرية صغيرة إلى الجنوب من تسالونيكى فى شمال اليونان، والاناء محلى بزخارف بارزة تمثل ديونيسوس مع محبوبته اريادنى، والساتير والمايناذز يرقصون. وربما كان هناك ارتباط بين معتقدات صاحب الاناء الدينية وبين ما هو ممثل على الاناء، فقد وجدت العديد من الأوانى المرسوم عليها مثل هذه المناظر فى مقابر يونانية بجنوب ايطاليا، ففى مقبرة فى «لوكروى» Lokroi وجد تمثال صغير لاحدى المايناذز فى يد امرأة ميتة، وفى مقبرة فى «هيبونيون» Hipponion وجد نقش يتحدث عن الطريق المقدس الذى سيسلكه من يعبد ديونيسوس إلى العالم الآخر.

وبحلول القرن الرابع ق.م ساد الاعتقاد بأن من يعتنق ديانة ديونيسوس السرية ويشارك فى طقوسها الغامضة فى محاولة للاتحاد مع الاله ستكون له حياة سعيدة خالدة بعد الموت. وبحلول القرن الثانى ق.م كانت ديانة



شكل رقم (١٢)

الـــزواج المقـــدس

ديونيسوس السرية قد انتشرت فى مدن كثيرة فى اليونان وآسيا الصغرى. وبحلول القرن الأول ق.م انتشرت عبادة «باخوس» كما كان يعرف ديونيسوس فى ايطاليا، من الجنوب صوب الشمال حتى روما، رغم أن ذيوع هذه الديانة قد قوبل بتحفظ شديد من قبل الجهات الحكومية فى روما، ربما لعدم الانضباط الذى تميز به عبدة باخوس، الا أن المؤرخ ليفيوس يخبرنا بأن الطقوس الغامضة لهذه الديانة السرية كانت تقام فى روما لمدة خمسة أيام فى كل شهر، وكان يشارك فيها الرجال والنساء معا(١).

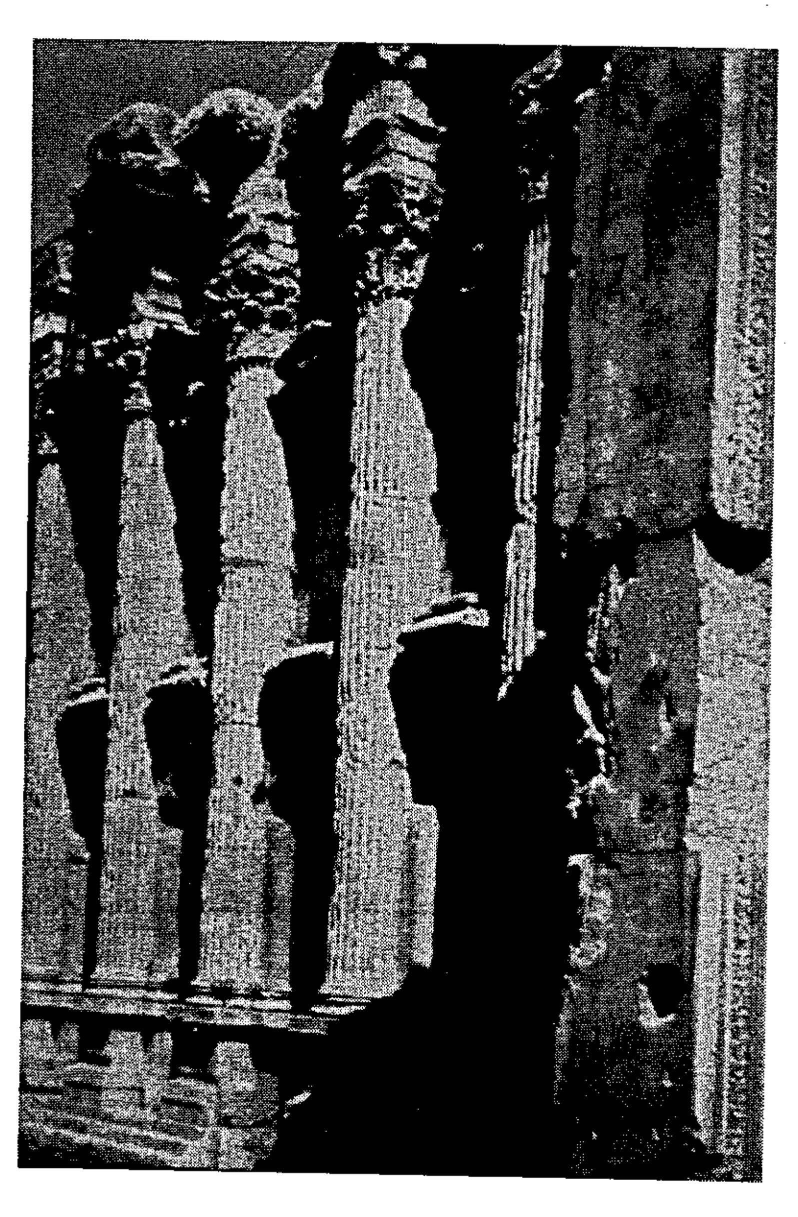
ويبدو أن هذه الطقوس كانت سيئة السمعة فى روما حيث ارتبطت غالبا ببعض الأعمال غير القانونية خاصة الجنسية منها، مما اضطر السناتو الرومانى لاصدار قرار يقضى بمنع أى شخص يعيش فى إيطاليا ويعتنق ديانة باخوس السرية أن يقيم طقوسها الغامضة أو حتى يلتقى بزميل له. ورغم هذا فقد استمرت الديانة السرية فى الانتشار(٢).

فقد استمر الاهتمام بهذه الديانة حتى القرن الثالث الميلادى كما يتضح من العديد من التوابيت الرومانية التى وصلتنا بالإضافة إلى عدد كبير من النقوش يعود لهذه الفترة. وربما يعود هذا إلى ازدياد الاهتمام بفكرة العالم الآخر والحياة بعد الموت، فقد مثل ديونيسوس لمن أعتنق ديانته – حسب الاسطورة – الانتصار على الموت بولادته مرة أخرى من فخذ أبيه زيوس بعد أن احترقت أمه.

وفيما قبل العصر الهللينستى لم تشيد معابد ضخمة للاله ديونيسوس، فالمبانى التى ارتبطت بعبادته فى اليونان كانت عادة مبان صغيرة الحجم. والأمثلة على المعابد القائمة حاليا قليلة وأفضلها هو معبد ديونيسوس فى هليوبوليس (بعلبك – لبنان) كما يبدو فى الشكل رقم (١٣)، وقد بنى خلال القرن الثانى الميلادى، وتحت الصالة الرئيسية للمعبد وجد كهف كبير يبدو أن الطقوس الغامضة لديونيسوس كانت تقام فيه(٣).

---

(1) Livy, Hist., XXXIX, 9-18.
(2) Susan Cole, op.cit., p. 5
Cf. Walter Otto, op. cit., Passim .
(3) Susan Cole, op.cit., pp. 6-7.

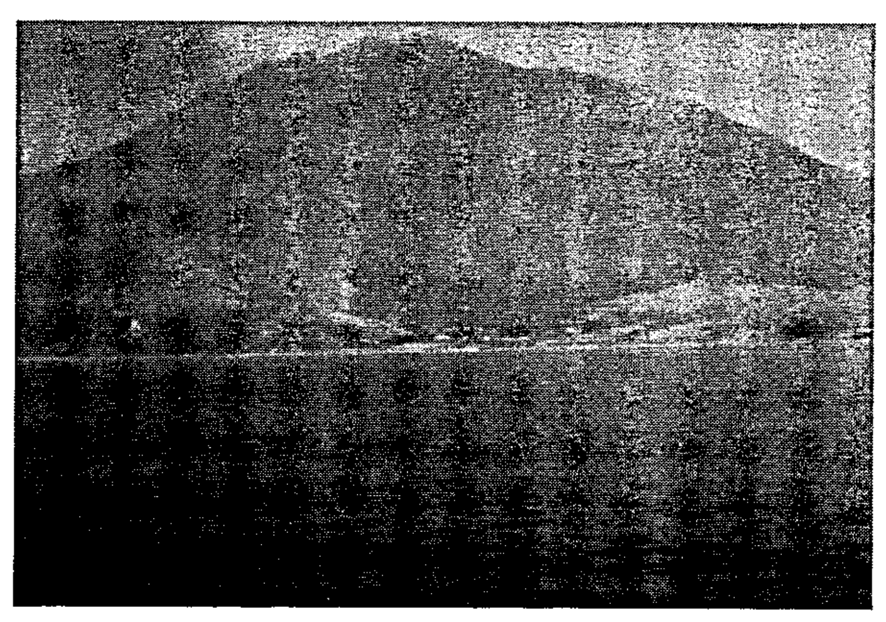


شكل رقم (١٣)

معبد ديونيسوس في هليوبوليس (بعلبك - لبنان)

الأسرار الساموثراكية:

كانت جزيرة ساموثراك شكل رقم (١٤) موطنا لواحدة من أشهر الديانات السرية اليونانية الا وهى الديانة الساموثراكية. ومعلوماتنا عن الأصول التاريخية للديانة الساموثراكية قليلة، بل تكاد تكون منعدمة، وتوجد مؤشرات إلى احتمال استعمال لغة غير اللغة اليونانية فى أداء طقوس هذه الديانة، مما يبرز احتمال أن تكون أصول هذه الديانة غير يونانية. وبحلول أواخر القرن الخامس ق.م أصبحت هذه الديانة مألوفة لليونانين حتى فى أثينا نفسها[1].



شكل رقم (١٤)
جـــزيرة ساموثراك

ومن العسير اضافة شئ آخر للأصول التاريخية للديانة، فالمصادر الادبية متأخرة وغامضة وغالبا متناقضة. ورغم أن الحرم المقدس للديانة الساموثراكية قد تم التنقيب فيه الا أن الكثير من اللقى الأثرية أصبحت تشكل مشكلة.

---

(1) Herodotus II 51.

ويبدو أن الالهة الساموثراكية لم تكن لها أسماء منفردة بل أطلق عليها Theoi Megaloi أى الالهة العظيمة،و Theoi Samothrakes أى الالهة الساموثراكية كما أطلق عليها فى مناطق غير جزيرة ساموثراك نفسها[١].

وتقع جزيرة ساموثراك بالقرب من الجزء الجنوبى الغربى لساحل آسيا الصغرى وهى ذات طبيعة جبلية، تبدو جبالها وكأنها ترتفع مباشرة من البحر، ويعتبر جبل ساوس Saos أو فنجارى Phengari كما يسمى حديثا أعلى نقطة فى منطقة بحر ايجة بين جبلى أثوس وايدا، وبسبب هذا فقط سيطر الجبل على المنطقة المحيطة به والتى كانت دائما ماتجتاحها العواصف، ولهذا لم يكن غريبا أن يسود الاعتقاد بأن الالهة الساموثراكية تسيطر على البحر والرياح والعواصف. وحتى عصر اريستوفانيس كان يسود الاعتقاد بأن هذه الديانة تحمى من يعتنقها من العواصف وتحطم السفن وما إلى ذلك[٢].

ويبدو أن الحرم المقدس للديانة السموثراكية ويسمى Temenos قد تم اختياره بناء على الموقع نفسه، فهو عبارة عن منطقة مجوفة بين تلين تشرف على الجبال والبحر، وفى هذا التجويف وجد جدولين للمياه وعدة طبقات من الصخور الملونة. وتقع البوابة التى تقود إلى الحرم المقدس جهة التل الشرقى تليها مساحة دائرية لاداء الشعائر الأولية عليها ممر ذو درجات يقود إلى أسفل قليلا حيث توجد عدة مبان استخدمت لاداء الطقوس الغامضة. ففى الوسط يوجد «الاناكتورون» Anaktoron وبعده وجد «الارسينويون»Arsinoeion ، ثم يليه «الهيرون» Hieron. كما بنيت خمس غرف على الجانب الغربى للتل مقابل البوابة استعملت لتناول الطعام. وفى أقصى الحرم المقدس وجدت عين ماء استعملت غالبا فى طقوس التطهير. وربما يعود الفضل فى بناء هذه المبانى إلى فيليب الثانى وولده الاسكندر المقدونى ومن بعدهم ملوك البطالمة والسليوقيين، وقد كان لرعايتهم هذه الديانة أثر كبير فى تطورها وانتشارها خلال القرن الثالث ق.م[*].

---

(1) Susan Cole, The Samothracian Mysteries, Religion & Ethics Institute, Evanston, U.S.A., 1978, p. 1.

(2) Aristophanes, Pax. 1276 - 86.

(*) Suan Cole op.cit., p.2.

وتبدأ الطقوس الغامضة عادة بتقدمة للاسرار المقدسة يقوم بها أحد الكهنة لمن يرغبون فى تكريس أنفسهم لديانة ساموثراك السرية، كما يقول لنا ليفيوس(**) "Praefatio Sacrorum"، ثم تستمر الطقوس بعد ذلك على مرحلتين: الأولى تسمى Myesis وتجرى فى المبنى المسمى Anaktoron والثانية تسمى Epopteia وتجرى فى المبنى المسمى Hieron، ويبدو أن المرحلة الثانية كانت تقتصر على عدد محدود ممن اعتنقوا هذه الديانة لأسباب غير مؤكدة حتى الآن، ربما كان من بينها أن من أتموا المرحلة الثانية كانوا أكثر تدينا وأفضل سلوكا من بقية اقرانهم(١). ويبدو أن هذه الطقوس كانت تجرى ليلا بسبب كثرة آثار المشاعل والمصابيح التى عثر عليها فى الموقع.

أما ماهية هذه الطقوس فهذا غير مؤكد،لكن على مايبدو فقد كانت تشتمل على رقص وموسيقى وقرابين تصب فى بئر مخصص لذلك يقع إلى الجانب الشمالى الشرقى لمبنى الاناكتورون(٢). وغالبا فقد كانت الطقوس تنتهى بتقديم وجبة مقدمة فى عدة غرف بنيت على الجانب الغربى للتل(٣). ويبدو أنه رغم انتشار هذه الديانة فى العالم اليونانى خاصة فى العصر الهللينستى، الا أن عملية التكريس لم تكن تتم الا فى جزيرة ساموتراك نفسها(٤).

يثور الآن تساؤل هام حول الالهة الساموثراكية، من هم؟ وماهى طبيعتهم؟ وتوجد لدينا مقولة لمن يسمى مناسياس Mnaseas الذى ربما عاش فى القرن الثالث ق.م والذى يسمى الهة ساموثراك بالأسماء التالية:

Kasmilos ،Axiokersos ،Axiokersa ،Axieros ، ويبدو أنها كانت

(**) Livy, 45, 51 - 6 , 11.

(1) Doid . Sic. V. 48, 4-50; Plutarch, Moralia, 217 C-D, 229 d.

(2) Strabo, X 3, 7 (466C).

(3) Susan Cole , op.cit, p. 5

(4) Ibid, p. 6.

القابا للالهة أكثر منها أسماء لهم، وربما أشارت إلى الهين من الذكور، والهتين من الاناث(*).

ورغم عدم معرفتنا الكافية بأصل هذه الديانة السرية ولاكيفية اجراء طقوسها الغامضة الا أنها من حيث الشهرة والانتشار تأتى فى المرتبة الثانية بعد ديانة اليوسيس السرية، فقد كان حرم ساموثراك واحدا من أهم وأشهر الاماكن الدينية فى العصرين الهللينستى والرومانى، وقد بدأ الرومان فى اعتناق هذه الديانة حوالى القرن الثانى ق.م، ويبدو أنهم قد استمروا فى ذلك حتى أصدر الامبراطور ثيودوسيوس مرسومه الشهير بتحرم عبادة الالهة الوثنية فى ٣٩١م(١).

ديانة ميثرا السرية:

يصور الاله ميثرا دائما وهو يقتل ثورا، هذا التصوير وجد على العديد من قطع الفرسكو والميداليات وبعض التماثيل فى أغلب أماكن التنقيب الاثرى فى الامبراطورية الرومانية، ويسمى هذا النوع من التصوير Tauroctone أى «ذبح الثور»، وهو شعار الديانة الميثرائية.

أما عن أصول هذه الديانة فقد اختلفت فيها الآراء، وأقدم هذه الآراء يقول بأنها ديانة مزدية من فارس القديمة أخذت شكلها النهائى فى آسيا الصغرى خلال العصر الهللينستى(٢). وعلى العكس يوجد رأى آخر يقول بأنها ديانة غربية أخذت الطابع الشرقى بعد إضافة بعض الملامح التى تتميز بها ديانات الشرق الأدنى(٣) أما الرأى الثالث فيقول بأنها ديانة يونانية شرقية الأصل نشأت فى سوريا أو بلاد الاناضول فى فترة متأخرة من العصر الهللنيستى، ثم انتقلت إلى ايطاليا حيث تطورت وأخذت شكلها الرومانى.(٤)

(*) Preserved by the Scholia Laurentianna to Apollonius of Rhodes, Argonautica, 1, 9, 7. apud Susan Cole, op.cit., p.7 note(1).

(1) Susan Cole, op.cit., pp. 6-7.

(2) Franz Cumont, the Mysteries of Mithra, Chicago,1903, p.15.

(3) Howard Teeple, the cult of Mihras, Religion & Ethics Instute, Evanston, U.S.A., 1988, p.3.

(4) Ibid. Loc. cit.

والرأى الأول له الكثير من نقاط الضعف، فالديانة الفارسية (المزدية) تفتقد لكثير من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية، بالإضافة إلى أنها لم تكن ديانة أسرار كديانة ميثرا الرومانية.

أما الرأى الثانى فبالرغم من أنه لاقى بعض القبول ألا أنه يحوى أيضا العديد من نقاط الضعف مثل:

- كل ديانات الأسرار التى احتوت على عناصر شرقية وغربية معا، تكونت عن طريق انتقالها من الشرق إلى الغرب وليس العكس، كما أن ادخال عناصر شرقية على ديانة رومانية لم يكن بالتصرف المنطقى الذى يقوم به الرومان.

- الديانة الميثرائية الرومانية معقدة بدرجة تجعل من الصعب القول بأنها قد انبعثت فجأة من لاشئ، فلابد وأنها قد تطورت عبر فترة طويلة من الزمن.

- مشكلة أخرى تواجه نظرية الأصل الغربى للديانة الميثرائية حيث أن دعاتها يفترضون أن هذه الديانة قد بدأت حوالى ١٠٠م، وهو تاريخ أقدم اكتشافات أثرية تتعلق بهذه الديانة، لكن دعاة هذا الرأى يقعون هنا فى مصيدة تفسير الاكتشافات الاثرية تفسيرا تاريخيا خاطئا، فبهذا المنطق يمكن لنا القول بأن المسيحية لم تبدأ الا فى التاريخ الذى تعود اليه أقدم الكنائس التى عثر عليها، وهذا يعنى اسقاط قرنين على الأقل من التاريخ الحقيقى لبداية المسيحية، فالميثرائيون الأول يمكن أن يكونوا قد عقدوا اجتماعاتهم فى منازلهم مثلهم فى ذلك مثل المسيحيون الأول الذين لم تترك منازلهم التى استعملوها ككنائس أية بقايا أثرية. وأكثر من ذلك يمكن القول أن اجتماعات عبدة ميثرا الأول كانت تعقد خارج المنازل ليلا، وذلك اذا ما أخذنا فى الاعتبار أن الميثرائية الرومانية كانت تهتم فى الأساس بالسماء والأبراج والشمس والقمر.[1] أما الرأى الثالث فيبدو أنه أقرب الاراء إلى المنطق حسبما سيتضح من العجالة التالية.

---

(1) Ibid., pp. 3-4.

وإذا ماتتبعنا ظروف الاله ميثرا فى الامبراطورية الفارسية للتحقق مما اذا كانت ديانته تحمل قدراً من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية لوجدنا أن ميثرا قد ظهر فى ديانة عبادة الطبيعة الهندواوربية القديمة قبل أن يحاول زرادشت تطويرها. وقد استبعد زرادشت ميثرا من دعوته الدينية، ورغم ذلك وردت بعض الاشارات إلى ميثرا فى كتابه المقدس «الأڤستا» Avesta وخاصة فى الاناشيد ٣٥-٤٢ Gathas، الا أن أغلب الدراسين يميلون إلى الاعتقاد بأن هذه الأناشيد دخيلة على الكتاب المقدس «الافستا» ولم يقم زرادشت بكتابتها، بل كتبها بعض كهنته بعد موته حتى يحققوا قدرا من الموائمة بين الزرادشتية والديانات القديمة الموجودة(١).

وتنقسم «الأفستا» الزرادشتية إلى ثلاثة أقسام:

١- ياسنا Yasna ويحتوى على الأناشيد Gathas.

٢- ياشت Yashts وهى عبارة عن ابتهالات وأدعية للالهة ومديح لها.

٣- فيديفدات Videvdat وهو عبارة عن شرح لطقوس الديانة الزرادشتية.

وفى الابتهال العاشر من «الياشت» يظهر ميثرا كاله متطور عما ظهر عليه سابقا فى الاناشيد "Gathas"، مما يمكن أن نسميه عودة إلى عناصر الديانة القديمة التى كانت ماتزال موجودة جنبا إلى جنب مع الزرادشتية مع تطعيمها ببعض عناصر من عبادة رموز الطبيعة القديمة جدا. وفى هذا الابتهال يظهر ميثرا كاله للحرب، يدمر الاعداء ويمنح النصر لمن يعبده، وهو يحمى الفقراء والضعفاء ويجرى الماء وينضج المحاصيل، وهومانح الحياة نفسها الذى يسكن فى السماء. يعبده من يبحث عن الحقيقة بجانب عبادة «اهورا مزدا» Ahura Mazda (الاله الأكبر الحكيم)، وهو ليس الشمس ولكنه النور الذى بداخل الشمس والقمر والنجوم، واجمالا هو اله النور أرسله الاله الأكبر «اهورا مزدا» كى يعتنى بالكون أجمع(٢).

---

(1) R.C. Aaehner, the Dawn & Twilight of Zoroastrinism, London, 1981, p. 62.

(2) Ibid., p. 110.

أى أن الاله ميثرا فى الديانة الفارسية القديمة لم يكن هو الاله الرئيسى بل كان واحد ضمن عدة آلهة، ويقول هيرودوت أن الفرس لم يكن لديهم تماثيل أو معابد أو مذابح لآلهتهم(١)، لكن يبدو أنه قد حدث بعض التطور، فيلاحظ سترابون بعد ذلك بحوالى أربعة قرون ونصف أن التضحيات كانت تقدم فى معبد النار، حيث كانت توقد نار يراعى أن لاتنطفىء أبدا، وكانت الصلوات تؤدى نهارا حيث يؤدى عبدة ميثرا مجموعة من التراتيل لمدة ساعة تقريبا وهم ممسكون بحزمة من العصى ويرتدون على رؤوسهم غطاء رأس من اللباد ليسدل من الجانبين ويغطى الفم حتى لايطفئوا النار ولو بدون قصد(٢).

وقد أكدت الاكتشافات الأثرية وصف سترابون، فقد عثر على نحت بارز يعود للقرن الخامس ق.م فى داسكليوم Dascylium فى غرب الاناضول يصور اثنان من المجوس الفرس (Magus, Magi) يقومان بتقديم اضحية، وكل منهما يمسك بحزمة من العصى (ربما كانت جذوع نبات ما) وأمامهما رأساً كبشين بينما يتدلى رأس الثور المذبوح (شعار ديانة ميثرا) من أعلى المذبح، وكانا يرتديان نفس غطاء الرأس والقناع الذى وصفه سترابون(٣).

هذا الشكل من الطقوس يمكن القول بأنه بعيد كل البعد عن الميثرائية الرومانية.

وإذا كان للديانة الميثرائية الرومانية بعض الجذور فى ديانة ميثرا الفارسية، فمن المستبعد أن يكون الرومان قد استعاروا هذه الملامح مباشرة من الزرادشتية، بل غالباً ما أخذوا عن الشكل الهللنيستى للديانة، والذى فيه تحولت الميثرائية إلى ديانة اسرار ثم اخذت شكلها الرومانى النهائى.

فعندما اتخذ ملوك فارس من الزرادشتية ديانة رسمية لهم اضطر كهنة الديانة القديمة المجوس (Magi) إلى الهجرة الى مناطق جديدة مثل بابل وسوريا، حيث نشروا عبادة ميثرا.

---

(1) Herod., I., 131.
(2) Strabo, XV, 3 - 15.
(3) M. Vermaserem, Mithras, The Secret God, New York, 1963, p. 21, Fig. 1.

وفى الفترة ما بين فتوحات الاسكندر الى بداية الامبراطورية الرومانية (٣٣٠ ق.م – ٢٧ ق.م) حدث تطور كبير فيما يخص ديانة ميثرا، فقد تحول ميثرا إلى اله لا يخضع لآله آخر أو حتى يتساوى معه كما فى حالة «اهورا مزدا»، وأصبح هو الآله الرئيسى لملوك الاناضول وجنوب سوريا، حتى أنهم اطلقوا على انفسهم اسم ميثرا نفسه بما يحمله من اشارة إلى الحرب والنصر على الاعداء. وتحت حكم الملوك الميثراداتيين التقت الثقافات اليونانية والفارسية فى الاناضول، وقد اتبع آخر ملكين ميثيراداتيين وهما ميثرا داتيس الخامس والسادس – اللذان حكماً وسط الاناضول فى الفترة من ١٥٠ – ٦٣ ق.م – سياسة مفادها التشبه والاقتراب من الحضارة الهللينستية والرومانية، ولذا فان العديد من ملامح الديانة الميثرائية الرومانية تظهر تأثيراً يونانياً، وحتى الصيغة اللاتينية لاسم الآله Mithras غالباً ما أخذت عن الشكل اليونانى له(١) MLOPES.

ويوجد دليل أدبى على أن الديانة الميثرائية كانت ديانة سرية حتى فيما قبل الرومان خلال القرن الأول ق.م فى الاناضول، فيخبرنا بلوتارخ أن قراصنة كيليكيا الذين هاجمهم بومبيوس فى ٦٧ ق.م يضحون بأضحيات غريبة ويقومون بطقوس تكريسية غامضة للآله ميثرا على جبل يسمى Olympos فى ليكيا(٢).

كما يوجد دليل ادبى آخر على ان ديانة ميثرا فى الاناضول كانت ديانة أسرار، فعندما زار تريداتيس Tiridates ملك ارمينيا روما فى ٦٦م ليقسم على الولاء للامبراطور نيرون، يقول بلينى بأنه قد اشرك معه الامبراطور فى وجبة مقدسة، كما يقول ديوكاسيوس بأنه اقسم بالهه ميثرا(٣).

ولا تثير فرضية أن الاناضول هى مهد ديانة ميثرا السرية الدهشة، لأن الاناضول وسوريا كانتا مهد ديانة كيبيلى وأتيس، والآلهة السورية اتارجاتيس Atargatis، وقد أصبحتا ديانتان سريتان.

---

(1) Howard Teeple, op. cit., p.p. 5 - 6.
(2) Plutarch. Vitae, Pompy, 24 - 7.
(3) Pliny, N. H., 30, 1. 6; Dio Cassius, 62 (63). 5. 2.

وهكذا فقد انتقلت ديانة ميثرا السرية من الامبراطورية الفارسية إلى ملوك الاناضول، ومنهم إلى الامبراطورية الرومانية حوالى ١٠٠م حيث انتشرت انتشاراً واسعاً.

أما عن الفترة الزمنية التى استغرقتها ديانة ميثراً، فيبدو أنها قد استمرت حوالى الألفى سنة، فأقدم ذكر لميثرا وجد فى قصر حيثى فى آسيا الصغرى على أحد الالواح التى تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م، حيث سجلت معاهدة بين الحيثيين وجيرانهم الميتانيين، وكان ميثرا هو حامى المعاهدة.

ثم انتقلت هذه الديانة إلى روما عن طريق الاناضول وحظيت بانتشار واسع خاصة من القرن الثانى الميلادى وحتى الرابع، حتى انها اصبحت منافساً خطيراً للمسيحية وتحولت إلى الديانة المسيطرة على الامبراطورية الرومانية(١).

ويظهر الشكل رقم (١٥) خريطة موضح عليها اكثر من اربعمائة موقع فى العالم الرومانى وجدت بها معابد لميثرا أو أشياء مقدسة ترتبط به، ولا شك أن العدد الاصلى يفوق ذلك بكثير، ففى روما وحدها كان يوجد حوالى مائة مكان مقدس لميثرا، وعلى الأقل خمسة عشر مكان فى اوستيا ميناء روما القديم(٢).

وطبقاً للمصادر القديمة والتى تؤكدها الادلة الاثرية، فقد كان هناك سبع مراحل يمر بها من يعتنق ديانة ميثرا، ولكل مرحلة كوكب يحميها من الكواكب السيارة السبعة التى ارتبطت بالاله ميثرا، وهذه المراحل حسب تطورها من اسفل إلى اعلى هى:

١- غراب ويحميه كوكب عطارد.

٢- عروس ميثرا ويحميه كوكب الزهرة.

---

(1) Lowis Hopfe, the Cult of Mithra, Religion & Ethics Institute, Evanston, U.S.A., 1976, p. 1.

(2) Ibid., p. 2.



شكل رقم (١٥)

معابد أو أماكن مقدسة للإله ميثرا في العالم الروماني

٣– جندى ويحميه كوكب المريخ.

٤– اسد ويحميه كوكب المشترى.

٥– فارس ويحميه القمر.

٦– رسول الشمس ويحميه الشمس.

٧– الأب (أو كاهن ومعلم الديانة) ويحميه كوكب زحل(١).

ويبدو أن كل واحدة من هذه المراحل كان لها طقوس تكريسية معينة تغلب عليها صفة السرية كأغلب ديانات الاسرار، لكن يمكن القول انها كانت تبدأ بتجرد عبدة ميثرا من ملابسهم ثم تطهير انفسهم بحرارة النار حتى يولدوا – رمزياً – من جديد، وغالباً ما كان هذا الطقس يتم مع شروق الشمس حتى يولد الشخص مع أول ضوء. وربما كان الدخول لمرحلة «جندى ميثرا» على سبيل المثال يتم عن طريق اختبار شجاعة الشخص ومدى كفاءته اذا ما تم لمسه بالنار.

---

(1) Lewis Hopfe, op. cit., p. 5.

وبعد ذلك يشارك المتعبدون فى تناول وجبة مقدسة تتكون من الخبز والنبيذ الممزوج بالماء ترمز الى دم وجسد الثور المقدس والتى ستضمن لهم حياة ابدية سعيدة بعد الموت. ويبدو أن هذه الوجبة اعتبرت طقساً سرياً، لذلك فنادرا ما صورت فى الفن، إلا أن الشكل رقم (١٦) يظهر لنا نحتا غائرا يعود للقرن الرابع الميلادى من معبد لميثرا فى يوغوسلافيا السابقة (مفترض أنه محفوظ بمتحف سارايفو) يوضح هذا الطقس: الاشخاص الواقفون يرتدى كل منهم قناعاً يوضح رتبته فى الديانة وهم من اليسار إلى اليمين: الغراب،الفارس، الجندى والأسد، أما الاثنان المصوران فى الوسط مضطجعان على اريكة ومغطيان بجلد الثور المقدس فربما كانا رسول الشمس والأب(١).

ومن الواضح أن الميثرائية كانت شائعة بين عدد من اباطرة الرومان، فقد نالت تأييدهم ودعمهم المادى والمعنوى مثل: كومودوس، سبتميوس



شكل رقم (١٦)
الوجبة المقدسة للإله ميثرا

---

(1) Ibid., p. 6.

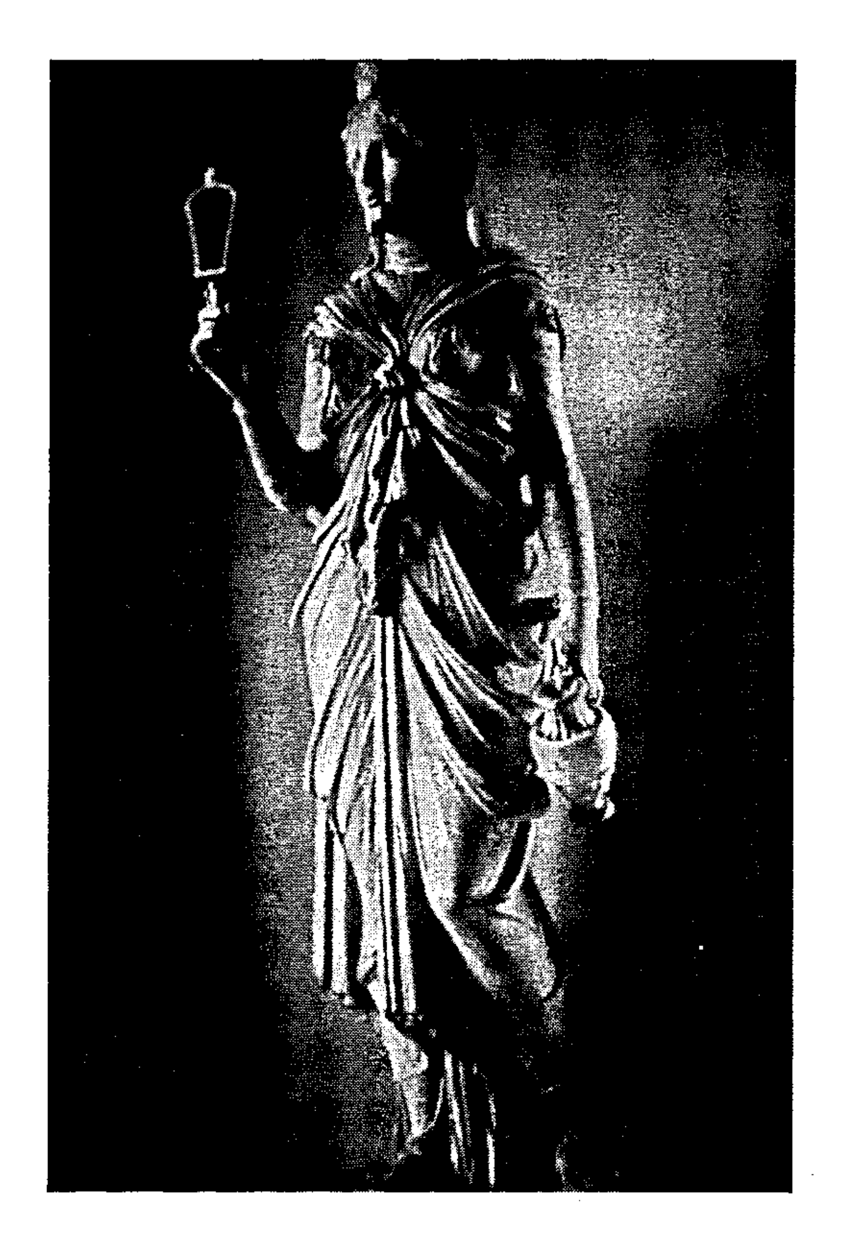
سفيروس، كاركلا وديوكليتيان. وعندما تولى قنسطنطين العرش فى ٣١٢م تبنى المسيحية كديانة للامبراطورية الرومانية وأبطل عبادة ميثرا. إلا أن جوليان عندما تولى العرش (٣٦١ - ٣٦٣م) أعاد هذه العبادة، إلا أنها لم تعد بنفس قوتها السابقة، وشهدت السنوات التالية بعض تقدمات لميثرا، إلا أن الديانة السرية كانت من الناحية العملية قد ماتت وهدمت معابدها وبنيت فوقها كنائس جديدة.

ايزيس وسارابيس:

نشأت ديانة ايزيس وسارابيس بشكلها اليونانى الرومانى فى مصر مع بداية حكم ملوك البطالمة، وكانت عبارة عن توليفة من ديانات الاسرار اليونانية مع مزجها بعناصر من الديانة المصرية القديمة، ومن مصر انتشرت هذه الديانة فى حوض البحر المتوسط حتى وصلت شمالاً الى المانيا وبريطانيا. وقد أصبح نفوذها من القوة - خاصة خلال بدايات الامبراطورية الرومانية - إلى حد أن اصبحت منافساً خطيراً للمسيحية الوليدة. وفى الديانة المصرية القديمة التى انبثقت عنها ديانة ايزيس وسارابيس وجدت ثلاثة آلهة هامة هى: ايزيس وأوزوريس وحورس.

وكانت الالهة ايزيس هى المعبود الرئيسى فى هذه الديانة، ويظهر الشكل رقم(١٧)تمثالها الموجود بمتحف الكابيتول فى روماوالذى احتفظ بالكثير من خصائصها المصرية مثل تاج اللوتس وعقدة ايزيس على الصدر والشخاشيخ "Sistrum". أما الاله الثانى فكان سارابيس الذى لم يلعب دوراً هاماً فى الديانة المصرية القديمة، ومن الواضح أن بطلميوس ومستشاروه لم يخلقوا هذا الاله من العدم، لتحقيق اهدافهم السياسية، وانما فى الغالب كان هو الاله المحلى لقرية راكوتيس التى بنيت مكانها الاسكندرية، وقد اشتق اسمه من الصيغة Osorapis أو Osiris - Apis التى توحى بصلته بالاله اوزوريس من جهة، وبالاله ابيس من جهة اخرى، وهو الثور المقدس لمدينة منف(١).

(1) Robert Wild, The Isis - Sarapis Cult, Religion & Ethics Institute, Evanston, U.S.A., 1978, p.p. 1 - 3 Cf. R. E. Wilt, Isis in the Ancient World, Ithaca, Cornell University Press, 1971, passim.



شكل رقم (١٧)
الإلهة إيزيس

أما ثالث الالهة فكان حورس الذى انتشرت عبادته فى مصر الفرعونية خاصة فى الدولة الحديثة،ووصلت إلى اقصى انتشار لها فى العصرين اليونانى والرومانى.

ويوضح الشكل رقم (١٨) خريطة لأماكن انتشار ديانة ايزيس وسارابيس السرية فى العالم اليونانى الرومانى، وهى اماكن انتشرت من يورك فى بريطانيا وأمبورياس فى اسبانيا غربا إلى انطاكية والاقصر شرقاً.

أما عن العبادة أو طقوس هذه الديانة السرية فهى تبدأ كل صباح حيث يجهز الكهنة تمثال الالهة للطقوس الصباحية، ويصف لنا ابوليوس تجربة واحد من عبدة ايزيس قائلاً:

«ذهبت إلى المعبد، وعندما انكشف الستائر البيضاء وظهر تمثال الالهة، بدأت فى الصلوات أمام وجه الالهة المقدس، وفى هذه الاثناء كان الكاهن



شكل رقم (١٨)

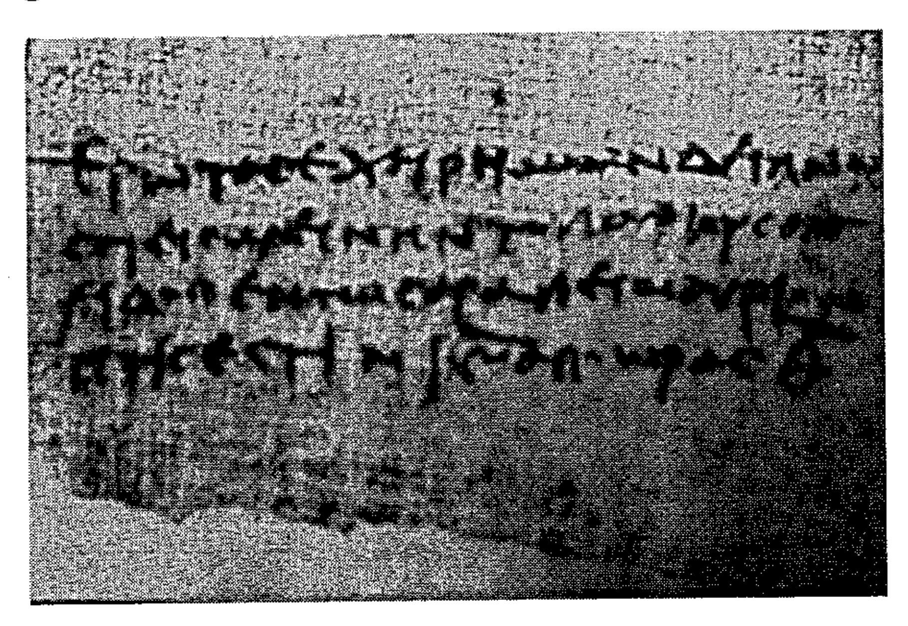
معابد أو أماكن مقدسة للإلهة إيزيس في العالم اليوناني الروماني

يقوم بالطقوس المقدسة على كل المذابح الموجودة، مع تلاوة صلاة خاشعة مهيبة، ثم احضر الماء المقدس من الحجرة الداخلية للمعبد، وقدم تقديمات[1].

ومثل كل الديانات السرية عرفت ديانة ايزيس وسارابيس الوجبة المقدسة، حيث كانت تقدم لمن يعبدهم أمام تمثال الاله أو الالهة أو امامهما معاً، والشكل رقم (١٩) يظهر بردية من القرن الثانى الميلادى عبارة عن دعوة لحضور احدى هذه الوجبات، وتقول الدعوة:

«خايريمون يدعوك للعشاء على مائدة سارابيس المعظم فى السيرابيوم غداً، الخامس عشر، فى الثالثة بعد الظهر»[2].

فى النهاية يمكن القول بأن ديانة ايزيس وسارابيس قد تطورت من ديانة مصرية محلية، إلى ديانة عالمية، وكديانة اسرار يونانية استمرت حوالى



شكل رقم (١٩)

دعوة لحضور إحدى الوجبات المقدسة للإله سارابيس

---

(1) Apuleius, Metamorphoses, 11. 20.

(2) P. Oxy., 110, Cf. Robert wild, op. cit., p. 5.

السبعة قرون (٣٠٠ ق.م – ٤٠٠م)، لكن كما سبق القول فقد كانت جذورها المصرية أقدم من ذلك بكثير. وساعد على انتشارها نوعية الفكر الدينى الذى قدمته، فقد أمنت هذه الديانة لمن يعتنقها الرفاهية والحماية والخلاص الابدى، وبذلك نافست العديد من ديانات الاسرار الاخرى، بل ونافست حتى المسيحية فى صورتها الأولى(١).

الاسرار الاورفية:

الاورفية هى حركة يونانية ذات طابع فلسفى دينى، تأسست اصلاً فى اليونان وكريت وجنوب ايطاليا، فأورفيوس لم يعبد كاله، ولم تكن لهذه الديانة معابد، ورغم هذا فقد كان لها معتقدات دينية محددة وطقوس للتطهير والتكريس كما كان لها مبشروها الجوالون. ورغم أن الاورفية لم تكن منظمة بشكل جيد، إلا أن أغلب الدارسين يصنفونها ضمن ديانات الاسرار(٢).

واورفيوس كما يظهر فى الاساطير هو موسيقى من ثراكيا، حصل على الخلود، واقدم اشارة له تعود إلى القرن السادس ق.م، أما الديانة الاورفية فقد كانت ديانة المنطق والنظام والزهد والتصوف، وهو اتجاه معاكس تماماً للفجاجة التى ظهرت فى ديانات سرية أخرى، مثل ديانة كيبيلى وديونيسوس، وهذا ما ميز الموسيقى والشعر والطقوس الاورفية، فقد كانت تعارض سفك الدماء وتدعو إلى السلام.

وكان للديانة الاورفية السرية اساس فلسفى، كما كان لها اساس دينى، فمثلهم مثل الفيثاغوريين، آمنوا بفكرة تقمص الروح، وأن الارواح تقبر أو تحبس داخل الجسد (الجسد ما هو الا مقبرة الروح)، كما آمنوا بالثواب والعقاب فى حياة أخرى، ودعوا الى الطهارة والامتناع عن أكل اللحم، حتى يعيش الانسان والحيوان فى سلام.

ويبدو أن احتمال تأثر الفيثاغورية بالديانة الاورفية هو احتمال قائم

---

(1) Robert Wild, op. cit., p. 7.

(2) Larry Alderink, Orphism, Religion & Ethics Institute, Evanston, U.S.A., 1980, p. 1 & note 1.

فبالاضافة إلى هذا التشابه، فقد نزح فيثاغورس فى اواخر القرن السادس ق.م إلى شمال ايطاليا حيث كان للديانة الاورفية تواجد بارز ومحسوس(١).

وربما تعود شهرة اورفيوس كموسيقى ومغنى إلى أن التعاليم الاورفية كانت قد وضعت فى شكل قصائد شعرية تغنى بمصاحبة الموسيقى وتنسب الى اورفيوس بشكل تقليدى، وقد كان افلاطون أول من اقتبس من هذه القصائد(٢).

وتلعب حادثة موت اورفيوس كما وردت فى الاساطير دوراً هاماً فى ديانته، حيث مزقت عابدات ديونيسوس من المايناذز Maenads جسم اورفيوس وهن فى حالة من الجنون المقدس الذى ينتابهن أثناء أدائهن لطقوس ديانة ديونيسوس السرية، ويفسر بعض الدارسين هذه الاسطورة بالموقف العدائى الذى اخذته الاورفية من النساء، فقد رفض كهنة اورفيوس انضمام النساء إلى هذه الديانة، بالإضافة إلى ان اورفيوس نفسه كان قد شجع الرجال على هجر نسائهم(٣).

وطبقاً للاسطورة فقد قطعت النساء رأس اورفيوس، فطفت الرأس على سطح الماء حتى وصلت الى جزيرة لسبوس، وتم وضعها على مذبح هناك حيث استمرت تغنى وتنظم الاشعار وتتنبأ بالمستقبل لمن يستشيرها. ويظهر الشكل رقم (٢٠) رسماً على اناء فخارى يعود إلى اواخر القرن الخامس ق.م، ويظهر الاله ابوللو هنا ممسكاً بقيثارته وهو يستشير رأس اورفيوس التى تقوم بالتنبؤ له، مما يوحى بأن هذا المكان قد اصبح مركز للتنبؤ مثل دلفى، ويوضح تطور الديانة إلى ديانة اسرار.

لقد حقق اورفيوس الخلود لنفسه – كما تقول الاسطورة – وهكذا فهو سيحققه لمن يتبعه، ويظهر هذا واضحاً من الاشياء التى كانت تدفن مع من

---

(1) Ibid., p.p. 1 - 2.

(2) Plato, Symposium, 179, D., Eurpides, Alcestis, 357; Cf. Larry Alderink, op. cit., p. 2 & notes 3 - 5.

(3) Lary Aldernik, op. cit., p. 3.

اعتنق الاورفية. فقد كانت فكرة الاورفية عن الروح انها تأتى من الهواء وتستقر فى الجسد[1]، فالجسد هو عقاب الروح، وإذا ما عاشت الروح حياة اخلاقية طاهرة ومارست التعاليم الاورفية، فسيتحقق لها الخلود وتحيا سعيدة فى العالم الآخر، بعكس الارواح الاخرى التى قامت بأفعال دنسة فتعاقب إلى الابد.



شكل رقم (٢٠)
الإله أبوللو يستشير رأس أورفيوس

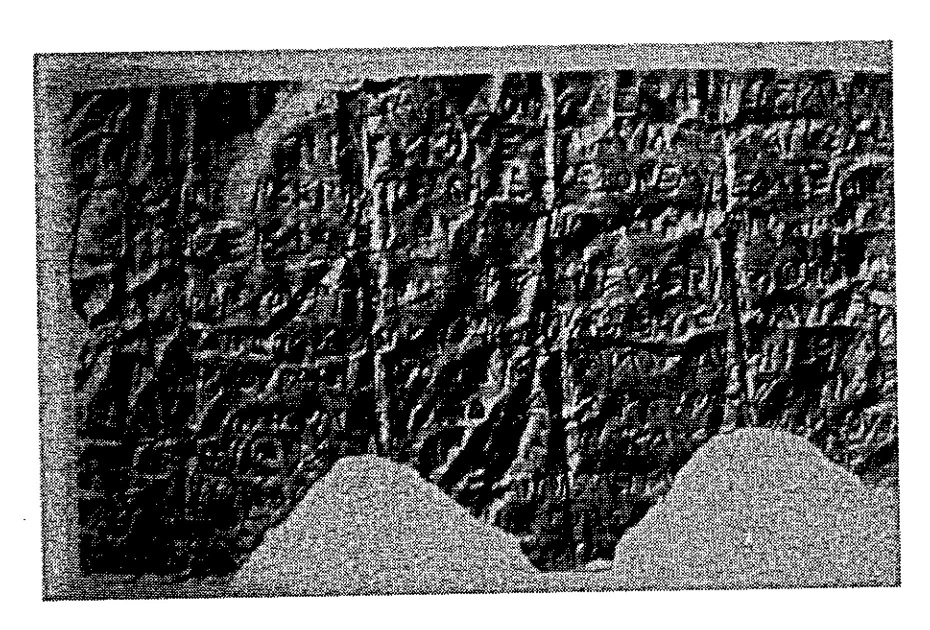
ولما كانت الروح فى حاجة الى من يرشدها فى العالم الآخر، فقد كان يدفن مع من اعتنق الاورفية الواح أو رقائق من الذهب مكتوب عليها بعض التعليمات للروح، وقد تم اكتشاف العديد منها فى كريت وشمال ايطاليا، وتعود الى الفترة ما بين القرن الرابع ق.م وحتى القرن الثانى الميلادى[2].

---

(1) Aristot, De Anim, I. 5. 410 B. 28; Cf. Apollonius Rhodius, Argonautica, I., 494 - 502.

(2) W.K., C. Guthrie, Orpheus & Greek Religion, Methuen 1952, p. 173.

ويظهر الشكل رقم (٢١) احدى هذه الرقائق من بيتيليا Petelia بجنوب ايطاليا وتعود إلى القرن الرابع إلى الثالث ق.م وهى تحذر الروح من ان تشرب من نبع النسيان لدى دخولها الى هاديس بل يجب أن تشرب من بحيرة الذكريات حتى تظل على صلة بوجودها السابق، وهذا يؤكد مرة أخرى فكرة تقمص الارواح فى الديانة الاورفية.



شكل رقم (٢١)

رقيقة نقشت عليها بعض النصائح للأرواح الأورفية

أما عن العبادة نفسها وطقوسها الغامضة فيبدو أن اتباع الاورفية كانوا يجرون طقوسهم وهم عراة، رمزاً للطهارة والنقاء، فالانسان يدخل العالم عند ولادته عاريا ويتركه عارياً، ثم يولد من جديد كروح طاهرة عارية ايضاً[١].

ويبدو أن الاورفية قد اثرت الى حد ما فى اليهودية والمسيحية، وبخاصة فكرة العيش بسلام على الأرض. والشكل رقم (٢٢) يظهر لنا قطعة من

---

(1) Larry Alderink, op. cit., p. 6.

الفرسكو تعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادى وجدت فى معبد يهودى بمدينة ديورا – أيوروبوس Dura - Europos بالعراق مثل عليها المسيح بملابس بارثية يجلس على عرش وأمامه اثنان من الكتبة، وفى اسفل اللوحة يجلس ابناء يعقوب الاثنى عشر (رمز الكواكب الاثنى عشر فى السماء عند الاورفيين) وإلى اعلاهم صور اورفيوس ممسكاً بقيثارته وبجانبه اسد وبعض الحيوانات الاخرى التى جلست فى صمت وسلام تستمع الى غنائه[1].

أما شكل (٢٣) فيمثل قطعة من الموزاييك وجدت فى طرطوس تعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الميلادى، وغالباً كانت جزءاً من ارضية كنيسة، والموزاييك يمثل اورفيوس ومعه الحيوانات المفترسة التى اصبحت وديعة تماماً، وكونه يظهر فى كنيسة دليل واضح على اقترانه بالمسيح.

ديانة كيبيلي واتيس السرية:

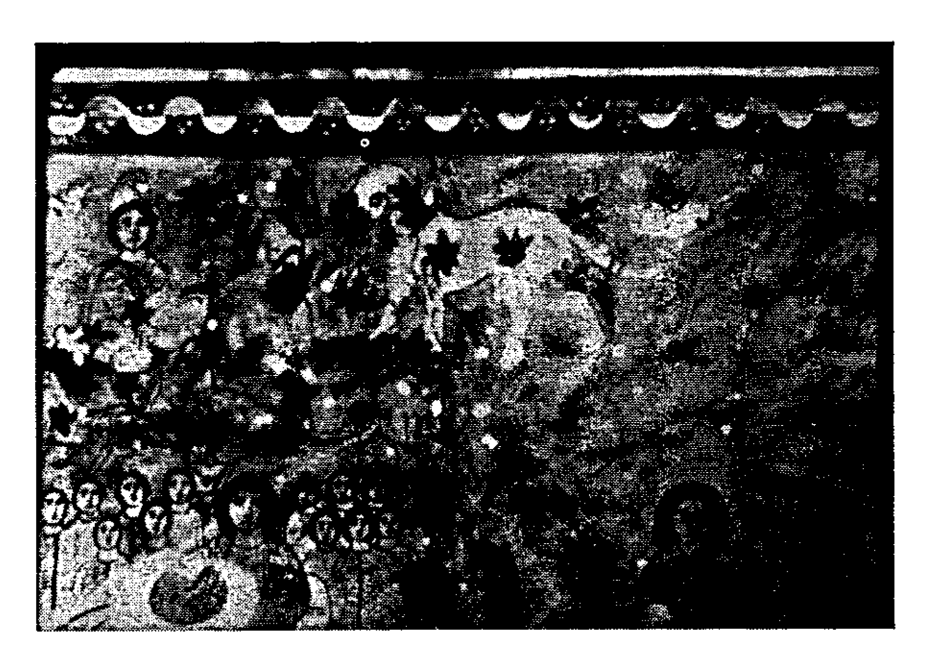
كيبيلى الاناضولية هى إلهة الجبال والغابات خاصة فى فريجيا (وسط تركيا حاليا)، وكانت تصور غالباً بصحبة عدد من الأسود التى اشتهرت بها منطقة فريجيا. وقد انتشرت ديانة كيبيلى فى مدن مثل ساردیس، فوكايا، وسميرنا وبيرجامون، وهى مدن استوطنها اليونانيون الايونيون، والذين بالتالى حملوا معهم كيبيلى الى مختلف اجزاء حوض البحر المتوسط. وبحلول القرن السابع ق.م أصبحت كيبيلى معروفة تماماً لليونانيين.

وكان رفيق كيبيلى فى الأساطير هو أتيس وهو راع للاغنام من فريجيا وحسب الاسطورة فقد قادته كيبيلى الى الجنون، فقام بقطع اعضاؤه التناسلية ومات[2].

---

(1) Larry Alderink, op. cit., p.7, Cf. Old Testament, Gen., 48-49.
وانتشرت هذه الفكرة (فكرة العيش بسلام على الارض) فى المسيحية فاقترن اورفيوس كصانع للسلام بالمسيح كداعية له.

(2) Paul Gehl, Cybelle & Attis, Religion & Ethics Institute, Evansten, U.S.A., 1980, pp. 1 - 2.



شكل رقم(٢٢)

فرسكو من معبد يهودي (منتصف القرن الثالث الميلادي)



شكل رقم (٢٣)

موزاييك من طرسوس (أرضية كنيسة من القرن الثالث الميلادي)

ويظهر الشكل رقم (٢٤) الالهة كيبيلى وهى تبكى حبيبها اتيس ثم تقوم بتحويله إلى شجرة صنوبر أو سرو، والقصة ترتبط بالجنس كرمز لاستمرارية الحياة، ودورة النبات من نمو ثم موت ثم بعث من جديد، بالاضافة إلى أن شجر الصنوبر أو السرو الدائم الاخضرار كان رمزاً للحياة الدائمة الخالدة.



شكل رقم(٢٤)
الإلهة كيبيلي تبكي حبيبها أتيس

وفى عبادة كيبيلى وأتيس أى فى الطقوس الغامضة، كان جنون اتيس، ونواح كيبيلى نموذجاً أو مدخلاً للرقصات المتهتكة وطقوس الخصى، ثم مراسيم الدفن واتى كانت تصاحبها المزامير والصنوج والطبول.

وربما كانت قصة ميلاد اتيس وموته والتى ارتبطت فى فريجيا بالقتل والجنون والخصاء غير مقبولة الى حد ما فى بلاد اليونان، لذا فقد تمحورت الديانة فى اليونان حول كيبيلى، واصبح اتيس غير ذى أهمية، فعلى حين وجد معبد لكيبيلى فى أثينا يعود إلى القرن السادس ق.م، وغيره فى دلفى وطيبة وبيرايوس تعود إلى فترات اسبق، لم يرد ذكر اتيس فى اليونان – فيما قبل العصر الرومانى – الا ثلاث مرات فقط[1].

---

(1) Paul Gehl, op. cit., p. 2.

وقد اضاف اليونانيون رفيقاً غير اتيس للالهة كيبيلى، ففى اتيكا على سبيل المثال كان رفيقها بان وأحياناً نمفيس، وفى ايونيا كان رفيقاها: شاب صغير يحمل اناء ماء (هيرميس)، وفتاة تحمل مشعلاً (هيكاتى). وكان الشكل اليونانى لعبادة كيبيلى رصيناً عن مثيله الفريجى الذى حفل بالرقصات المتهتكة وطقوس الاخصاء وكان الطقس ينتهى فى الغالب بمأدبة يشارك فيها الجميع بتناول الوجبة المقدسة[١].

ثم انتقلت ديانة كيبيلى إلى روما فى ٢٠٤ ق.م، وذلك عندما تم نقل تمثال للالهة اليها حيث قوبلت بترحاب كبير. فعندما كانت ايطاليا تقاسى مرارة الحرب البونية ظهرت نبؤة فى روما تقول بأن الغزاة الاجانب محكوم عليهم بالهزيمة المنكرة اذا ما نقلت الالهة كيبيلى الى روما، فرحلت بعثة رومانية فى ٢٠٥ ق.م إلى بيرجامون وطلبت من الملك اتالوس الاول نقل تمثال الالهة إلى روما، حيث وصلتها فى ابريل ٢٠٤ ق.م، ووضع التمثال فى معبد النصر على تل البالاتين حتى تم بناء معبد خاص لها افتتح فى ١٩١ ق.م وكان يقوم على رعايته كاهن اسيوى يشترط فيه ان يتم خصاؤه فى إشارة الى الاسطورة القديمة[٢].

وحتى عصر اوغسطس وخليفته تبيريوس كانت ديانة كيبيلى تكاد تكون ديانة ارستقراطية، ويعتبر الامبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤م) أول من حاول تحويل هذه الديانة إلى ديانة تشترك فيها طوائف عدة من الشعب، كما تزايد الاهتمام بأتيس رفيق كيبيلى وتم اضافة يومين للعيد السنوى للاحتفال به، ففى اليوم الأول من الاحتفال كان معتنقوا الديانة يتوجهون للغابة المقدسة ويقومون بقطع افرع من شجر الصنوبر (وهو من رموز اتيس) وتحمل فى

---

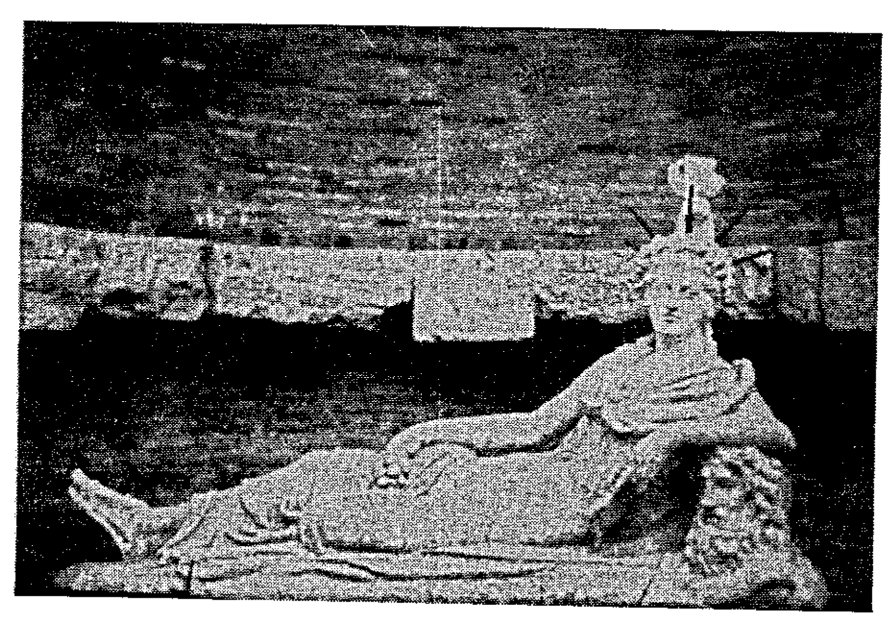
(1) M. J. Vermaserem, Cybelle & Attis, Myth & Cult, Thames & Hudson, London, 1976, p. 62 ff.

(2) Paul Gehl, op. cit., p.p. 3 - 4.

وتم تحديد العيد السنوى للالهة كيبيلى بتاريخ وصولها إلى روما فى ١٤ ابريل، بالإضافة إلى ١٠ ابريل وهو تاريخ افتتاح معبدها وكان هذا العيد يشتمل على مواكب ومآدب واحتفالات درامية.

موكب الى معبد كيبيلى حيث تزين، وفى اليوم التالى يقوم الكهنة والكاهنات بتمثيل طقوس الاخصاء، ثم يقوموا بدفن افرع الصنوبر التى ترمز لاتيس[1].

ويعتبر معبد كيبيلى وأتيس فى اوستيا من أكبر معابدها ويعود إلى منتصف القرن الثانى الميلادى، وعثر فيه على تمثال اتيس الذى انتصر على الموت شكل رقم (٢٥)، وقد تم اهداؤه الى المعبد فى فترة حكم انتونينوس بيوس (١٣٨ - ١٦١م)، وأتيس هنا يرمز للبعث والخلاص، والتمثال مزين بالازهار وحبوب القمح واغصان الصنوبر ونبات الخشخاش، والكل بالطبع يوحى بفكرة دورة النبات وخصوبة الارض.



شكل رقم (٢٥)
أتيس الذي إنتصر على الموت

وتنفرد ديانة كيبيلى بوضع متميز بين ديانات الاسرار العديدة، فقد كانت ضمن الديانات الرسمية للدولة خلال العصر الجمهورى، كما انها حظيت باهتمام العديد من الاباطرة فيما بعد على مدى ثلاثة قرون تقريباً، وقد

---

(١) وربما كان هذا اصل فكرة شجرة الكريسماس عند المسيحيين الغربيين.

أضاف الامبراطور انتونينوس بيوس إلى هذه الديانة طقساً جديداً يسمى Tau-robolium ويتضمن التضحية بأحد الثيران، وربما كان هذا تأثير اسيوى، وأحياناً ما كان يتم الاحتفاظ بالاعضاء التناسلية للثور. وخلال الفترة الاخيرة من القرن الثالث وربما الرابع الميلاديين، أخذت التضحية شكلاً يشبه تعميد اتباع كيبيلى بدم الاضحية[1].

أسرار الالهة السورية:

وهى ديانة ازدهرت فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط خلال الفترة من القرن الأول ق.م وحتى القرن الثانى الميلادى، ومع بداياتها لم تكن هذه الديانة سرية، لكن التأثير اليونانى حولها إلى ديانة سرية، على الأقل فى بعض أماكن مثل ثورى Thuri فى اليونان.

وكانت الالهة السورية تدعى «اتارجاتيس» Atargatis، لكنها عرفت فى العالم الرومانى باسم «الالهة السورية» Dea Syria.

انتشرت عبادة الالهة السورية فى الشرق الادنى فى مدن مثل هييرابوليس Hierapolis أو المدينة المقدسة بالقرب من نهر الفرات، وحلب وصيدا وبطلمية واسكالون، وإلى الشمال الشرقى من البحر الميت فى مملكة الانباط فى «خربت تنور» "Khirbet Tannur"، وفى بالميرا وديورا – ايوربوس[2] Dura Europos بالقرب من نهر الفرات، وفى مدينة بارثية تسمى «هاترا» Hatra فيما بين دجلة والفرات.

وحمل العديد من التجار ديانة الالهة السورية اتارجاتيس إلى كثير من مناطق العالم الجديد، بالاضافة إلى مجموعات من الخصيان كانت تتجول فى المنطقة داعية الى هذه الديانة، والذين اكتسبو سمعة سيئة بسبب قيامهم بجلد انفسهم اثناء ادائهم لطقوس هذه الديانة، وعلى ما يبدو فقد احتوت هذه

---

(1) Paul Gehl, op. cit., p. 7.

(٢) تم تأسيس ديورا – ايوروبوس كحصن عسكرى سليوقى حوالى ٣٠٠ ق.م، تم ازدهرت بسبب موقعها التجارى الهام، وفتحها الرومان ١٦٥ م.

الديانة على الكثير من تعاليم الزهد الجنسى، رغم أن اتارجاتيس قد عرفت بأنها الهة الخصوبة فى البر والبحر(١).

ويوضح الشكل رقم (٢٦) الالـهة اتارجاتيس مع رفيقها حداد Hadad فى نحت بارز وجد فى بقايا معبدها فى دورا ايوروبوس ويعود لحوالى القرن الثانى الميلادى، وقد خضعت مدينة ديورا ايوروبوس للعديد من المؤثرات السورية واليونانية الرومانية واليهودية والمسيحية، وفى مثل هذا المجتمع المتعدد التأثيرات كان طبيعياً ان تزدهر ديانة اتارجاتيس، وهنا تبدو الالـهة جالسة بين اسدين، ويظهر حداد جالساً على عرش وبجانبه احد الثيران، والملاحظ أنه قد صور فى حجم اصغر من الالهة نفسها.

أما أصل هذه الديانة فهو غير واضح، فالالـهة اتارجاتيس ورفيقها حداد يحملان ملامح من الالهة الميسوبوتامية والسورية والكنعانية، فأتارجاتيس تشبه إلى حد بعيد كيبيلى الفريجية، وعشتار البابلية، ويبدو أن اسمها قد اتى من اضغام لعدد من الاسماء، مثل الالـهة الكنعانية عشتارت وانات والشرى، أما اسم حداد فيبدو أنه قد اتى من الاله البابلى اداد(٢). وأحياناً ما كانت اتارجاتيس تدعى «دركتو» Derketo، فيخبرنا ديودوروس الصقلى انها كانت تعبد تحت هذا الاسم فى مدينة اسكالون مع حيوانها البحرى المقدس «الدرفيل»(٣).

وكانت جزيرة ديلوس أحد اشهر مراكز ديانة اتارجاتيس، ففى الفترة التالية للقرن الثانى ق.م تحولت ديلوس الى مركز تجارى ودينى فى بحر ايجة وبخاصة انها تحولت الى سوق عالمية للعبيد، وغالباً فقد ادخل تجار العبيد السوريون هذه الديانة إلى الجزيرة.

---

(1) Apuleius, Metnmorphoses, VIII.

(2) Robert Oden, The Syrian Godess, Religion & Ethics Institute Evanston, U.S.A., 1980, p. 2.

(٣) تقول الاسطورة أن اتارجاتيس سقطت فى بحيرة فتحولت إلى درفيل وتحولت ابنتها سميراميس الى حمامة، ولهذا كان الدرفيل والحمام من الرموز المقدسة فى ديانتها.
Cf. Diod. Sicul., II, 4,2 - 6; II 20, 1-2; Ovid, Metam, IV., 44- 48.



شكل رقم (٢٦)
الإلهة أتارجاتيس ورفيقها حداد



شكل رقم (٢٧)
معبد الإلهة أتارجاتيس في جزيرة ديلوس (أعلى اليمين)

ويظهر فى الشكل رقم (٢٧) معبد الالهة اتارجاتيس فى الجزء العلوى إلى اليمين فوق المسرح (منظر من الجو)، وكان المعبد يحتوى على بحيرة مقدسة تربى فيها الاسماك احد رموز هذه الديانة، والتى غالباً ما كانت تشكل العنصر الاساسى فى الوجبة المقدسة التى يشارك فيها اتباع اتارجاتيس.

ومما يؤكد استمرارية هذه الديانة لفترة طويلة اكتشاف بعض قطع من العملات البرونزية سكت فى عصر الاسكندر سفيروس (٢٢٢ - ٢٣٥م) وعلى وجهها صورة الامبراطور، وعلى الظهر صورت اتارجاتيس مع رفيقها حداد، وتحتهما نقش يقول «الآلهة لأهل هيرابوليس»(١).

ويبدو أن الطقوس الغامضة لديانة اتارجاتيس لم تكن منتظمة أو محددة تماماً، إلا أنه وجد على الاقل عدد من الكهنة الخصيان يهتمون بتمثال أو

(1) Robert Oden, op. cit., p. 4.

صورة الالهة، الذى كان يغسل مرتين فى العام كطقس تطهيرى يقوم به عبدتها بمصاحبة الرقص والموسيقى حتى يتحولون الى حالة من الانجذاب المقدس، وقد يقوم بعضهم بقطع اعضاؤهم التناسلية، أو على الاقل يتظاهرون بذلك، ثم ينتهى الاحتفال بوجبة مقدسة غالباً ما كان احد عناصرها هو السمك(١).

ديانات الاسرار والمسيحية:

تثير مشكلة العلاقة بين ديانات الاسرار القديمة والمسيحية الكثير من الجدل، مثلها فى ذلك مثل كل المشكلات الدينية. فوجهة النظر المسيحية التقليدية تقول بأن الديانات الوثنية التى تعد تابعيها بالخلاص، وبحياة ابدية سعيدة بعد الموت، لم يكن لها أى تأثير على المسيحية، لأن القبول بمثل هذا التأثير يصيب المسيحية نفسها فى مقتل.

ولهذا فقد تمت عدة محاولات لتفسير التشابه الواضح بين بعض الافكار والطقوس المسيحية ومثيلتها فى ديانات الاسرار، وأقدم هذه المحاولات يعود إلى القرن الثانى الميلادى وقام بها القديس «جوستين» والذى قال بأن الديانات السرية هى التى اخذت عن المسيحية وليس العكس، إلا أن هذا الرأى لا يستحق حتى عناء مناقشته لأن الادلة الاثرية والتاريخية تثبت أن ديانات الاسرار هذه تعود إلى ما قبل المسيحية بكثير.

والتفسير الاحدث لكليمنت السكندرى يقول بأن كتاب المسيحية الاوائل استعملوا اصطلاحات والفاظ معروفة ومتداولة فى المجتمع الوثنى حتى يمكنهم الوصول إلى المتلقى العادى البسيط، وبهذا الرأى يمكن تفسير التشابهات اللفظية، لكن مشكلة تشابه بعض المعتقدات والطقوس فى حاجة إلى تفسير(٢).

---

(1) Ibid., p.p. 4 - 7; Cf. Nelson Glueck, Deities & Dolphins, New York 1965; p.p. 316, 338 - 339.

(2) Justin, Apology, 66; Clement of Alexandria, Exhortation to the Greeks, 12.

- Cf. Howard Teeple, The Mystery Religion & Christianity. Religion and Ethics Institute. Evanston, U.S.A., 1980, p. 1.

ومع بدايات القرن العشرين ساد التفسير القائل بأن آباء الكنيسة الأول قد استعاروا معتقداتهم وطقوسهم الاساسية من الديانات السرية القديمة، وبالتالى فمن الممكن القول بأن المسيحية نفسها ليست إلا ديانة سرية أخرى(١). ولحساسية الموضوع فيجب مناقشته بحذر ولكن بشكل موضوعى تماماً.

وأول سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل نظر المسيحيون الأول إلى ديانتهم على أنها ديانة سرية؟.

تجدر الاشارة هنا إلى أن آباء الكنيسة الأول قد استعملوا الفاظاً مثل «سر مملكة الآله»(٢)، و«كلمة الآله»، و«السر المخبأ لقرون طويلة ثم تم كشفه للقديسيين»(٣)، إلا أنه رغم استعمال مثل هذه الالفاظ، فالسرية هنا تعبر عن تفسير لمعتقد مسيحى، وليس مجموعة من الطقوس الغامضة كما فى الديانات السرية، وبالتالى يمكن القول أن المسيحيون الأول لم ينظروا إلى ديانتهم على أنها ديانة سرية.

هذا بالإضافة إلى بعض الاختلافات الواضحة بين الطقوس المسيحية والطقوس الغامضة للديانات السرية مثل:

* فى الديانات السرية يتم التكريس والتلقين بشكل سرى، بينما فى المسيحية تتم الطقوس بشكل علنى.

* لم تمارس المسيحية التضحية بالحيوانات كما فى طقوس الديانات السرية.

* الرموز المقدسة التى ظهرت فى الديانات السرية لم تتواجد بشكل واضح فى المسيحية.

ويمكن تصنيف بعض أوجه التشابه بين المسيحية والديانات السرية على اساس نوعين من التشابه :

---

(1) Howard Teeple, op. cit., p.p. 1 - 2.
(2) New Testament, Mark, 4 - 11.
(3) Colossians 1 - 16; Cf. I Cor. 2 : 7.

النـوع الأول: تشابـه عرضـى يتمـثل فـى المـلامـح المشـتركـة بين هذين النوعين من الديانـة، مثل فكرة التـآخـى بين أتبـاع كل ديانة منهم، وفكرة التعميد أو التكريس والتلقين والتطهير بواسطة الماء. الا أنه يمكن القول بأن التعميد المسيحى بدأ بشكل مستقل عن الديانات السرية، فقد ارتبط فى الأساس بفكرة التوبة التى ربما توحى بأصول يهودية(١)، أو بموت النفس الشريرة وحلول النفس الصالحة محلها فى الجسد(٢).

أما فكرة قيام المسيح وصعوده الى السماء فقد قامت بمعزل عن الديانات السرية، هذا رغم وجودها فى ديانة ميثرا مثلاً،وربما ارتبطت أكثر باليهودية التى كان أتباعها يعتقدون أن الله قد أخذ الى جانبه عددا من أنبياء اليهود(٣).

ورغم هذا لا يمكن انكار أن هناك بعض الملامح فى المسيحية الأولى تمت إستعارتها من الديانات السرية، فقد كان المسيحيون الأول بالطبع من الوثنيين الذين تمت هدايتهم، وفى الغالب كانوا أما من أتباع احدى الديانات السرية أو على الأقل لديهم المام ما بها، وبالتالى فقد كان طبيعيا أن تنعكس أفكارهم القديمة على الديانة الجديدة.

ويبدو هذا التأثر واضحا فى الفن المسيحى فى مراحله الأولى، والمثال الذى سنستخدمه هنا هو ما يعرف باسم الصليب المصرى، وهو تعديل لعلامة الحياة «عنخ» فى مصر القديمة، والتى تظهر فى الشكل رقم (٢٨) من دعامة على عمود يعود الى أوائل الالف الثانى ق.م.

وقد استمر استعمال هذا الشكل فى ديانة ايزيس وسيرابيس السرية التى تعاصرت مع المسيحية فى جزء منها. ويظهر الشكل رقم (٢٩) جزءاً من لوحة جنائزية Stela لأحد الأقباط المصريين تعود الى القرن الخامس الى السابع الميلادى، ويظهر فيها عدة أشكال للصليب المسيحى، الا أن الصلبان فى الأسفل توضح أنها تعديل قبطى لعلامة الحياة.

---

(1) Acts 2 : 38.
Howard Teeple. op. cit., p.2.
(2) Rom., 6 : 2 - 4.
(1) I Cer., 15 : 5 : II Kings. 2 : 11.



شكل رقم (٢٨)
عنخ علامة الحياة في مصر القديمة



شكل رقم (٢٩)

الصليب المصري

ورغم عداء المسيحية الشديد للديانات الوثنية، فقد ظهرت عدة الهة من ألهة هذه الديانات فى الفن المسيحى - خاصة القبطى - حتى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وبصفة خاصة ديونيسوس وأورفيوس. ويظهر الشكل رقم (٣٠) الاله ديونيسوس مرسوما على لوحة من القماش القبطى تعود الى القرن الخامس الميلادى، ويظهر حول رأسه الهالة التى ابتدعها الفنانون الوثنيون ورسموها حول رؤوس الهتهم وملوكهم، ثم اقتبسها الفنانون المسيحيون وصوروا بها المسيح والقديسين.

هذا بالاضافة الى أن الالهة ايزيس كثيرا ما صورت وهى تعتنى بطفلها حورس، وسميت Isis Lactans، وهو النموذج الذى احتذاه الدين المسيحى فى تصويره للعذراء وهى تعتنى بطفلها المقدس Mary Lactans أو Madonna Lactans ، كما صور المسيح نفسه فى العديد من المناسبات على أنه أورفيوس أو ميثرا أو اله الشمس يقود عربته المجنحه فى السماء[١].

يضاف الى هذا تصوير الفنان المسيحى للولائم التى كان عنصريها الاساسين هما الخبز والنبيذ، وهى الولائم المقدسة التى ظهرت وميزت كل الديانات السرية القديمة (القربان المقدس)[٢].

وتتأكد استعارة المسيحية لبعض ملامح الديانات السرية القديمة من اختيار أباء الكنيسة ليوم ٢٥ ديسمبر عيداً لميلاد المسيح، فمع ملاحظة أن التاريخ الأصلى غير مؤكد، تجدر الاشارة إلى أن هذا التاريخ هو عيد ميلاد الاله ميثرا[٣].

أما النوع الثانى من التشابه فهو التشابه فى الافكار، خاصة فكرة الخلاص أو الحياة الابدية المباركة فى العالم الآخر، والتى لا تتحقق الا بالتعميد

---

(1) Hward Teeple. op. cit., p. 4.

(2) Justin, Apology, 66.

- Cf. Samuel Angus, the Mystery Religion & Christianity, London 1925. Passim.

(3) Howard Teeple, op. cit., p. 6.



شكل رقم (٣٠)
الإله ديونيسوس (قماش قبطي)

والتكريس والتلقين، وعضوية الديانات السرية، وما ينتج عن ذلك من ميلاد روحى جديد. وهى الفكرة الاساسية فى المسيحية، لكن ديانات الاسرار سبقتها الى تلك الفكرة بعشرة قرون على الأقل.

ويستمر انتشار المسيحية حتى تظهر موجة الاضطهاد المعروفة ضد المسيحية فى القرن الثالث الميلادى، حيث يتولى قنسطنطين العرش، فيتبنى سياسة معتدلة حاولت التوفيق بين المسيحية والديانات الوثنية الموجودة، وبالتدريج بدأ يميل إلى المسيحية فبدأ فى التشجيع على انشاء الكنائس، وبالمقابل منع ترميم أو انشاء معابد جديدة، ثم تبعه ابناؤه الثلاثة فى نفس الاتجاه، فأصدر الابن الثانى له قراراً بمنع تقديم الاضحيات الوثنية فى ايطاليا، أما الثالث فقد اصدر قراراً باغلاق المعابد، وهكذا بدأت هذه الديانات السرية فى الاحتضار.

وظهرت بارقة أمل عندما تولى الامبراطور جوليان العرش فالغى كل القرارات والمراسيم الامبراطورية المضادة للديانات الوثنية، لكن لم يستمر هذا الأمل الا ثلاث سنوات هى مدة حكم جوليان، فقد مات فى احدى المعارك مع الفرس، وعندما تولى بعده جوفيان الحكم اعاد للكنيسة كل امتيازاتها السابقة، ثم يكاد الصراع ينتهى بارتقاء الامبراطور ثيودوسيوس العرش، فقد اصدر فى ٣٩١ قراراً بتحريم الديانات الوثنية.

وبنهاية القرن الخامس الميلادى حسمت المعركة تماماً لصالح المسيحية الا من العديد من ملامح ديانات الاسرار التى دخلتها واصبحت جزءاً لا يتجزأ من تركيبتها اللاهوتية[1].

(1) Ibid., p. 7.

خاتمـــة:

مما سبق يتضح ان أقدم ديانات الاسرار يعود إلى حوالى القرن السادس عشر قبل الميلاد (الاسرار الاليوسية)، واحدثها يعود إلى الفترة من القرن الثالث إلى الثانى قبل الميلاد (ديانتا ايزيس وسارابيس والالهة السورية اتارجاتيس)، واستمر الاهتمام بهذه الديانات حتى القرن الرابع الميلادى، أى أن بعض هذه الديانات قد استمر تواجده على الساحة ما يرقب من الألفى عام.

وقد ظهرت هذه الديانات كرد فعل للقصور الذى شاب الديانات التقليدية الرسمية أو شبه الرسمية فى العالم اليونانى، والتى اهتمت اساساً بمظاهر الحياة الدنيوية، فأتت ديانات الاسرار لتتبنى فكرة الخلاص الروحى، وتعد اتباعها بحياة ابدية سعيدة خالدة فى العالم الآخر.

وباستثناء الاسرار الاليوسية والديونيسية والاورفية فقد كانت مصر ومنطقة الشرق الادنى القديم بما فيها آسيا الصغرى هى مهد ديانات الاسرار والتى هى فى الاصل تقديس لعناصر الطبيعة المختلفة والمؤثرة فى حياة الانسان، وكان ضمان الخصب ونمو المحاصيل هدفاً اساسياً لها. وفيما عدا الاورفية وديانة الالهة السورية اتارجاتيس، فقد كان الجنس يحتل مكانة هامة فى هذه الديانات كتعبير عن استمرارية الحياة.

وفى العصر الهللنيستى اتصلت الديانات الشرقية بمثيلتها اليونانية واثرت فيها واخذت عنها القليل، وبالتالى يمكن القول أن كل ديانات الاسرار التى احتوت على عناصر شرقية وغربية معاً قد تكونت عن طريق انتقالها من الشرق الى الغرب وليس العكس.

وقد غلب على هذه الديانات الطابع الشخصى الفردى، فهى ديانات تحقق منفعة مباشرة لمن يعتنقها، كالوعد بالخلاص الشخصى أو الخلود بعد الموت، ولذلك فرغم أن هذه الديانات كانت متاحة أمام الجميع، إلا أنها فى نفس الوقت كانت منغلقة على من يتبعها فقط، وبالتالى تحولت طقوسها إلى

طقوس سرية (عكس الديانات التقليدية ذات الطقوس العلنية) تحتوى على اشكال غريبة من الرقص والموسيقى والغناء والتضحية بالحيوانات ثم استخدام دمها فى التعميد، والصيام لفترات معينة، والتطهر بالماء والاشتراك فى وجبات جماعية مقدسة.

وكنتيجة لهذا الطابع الفردى الشخصى الذى حملته هذه الديانات، فقد انتشرت بشكل واضح، حتى أنه أمكن تحديد حوالى الاربعمائة موقع مقدس فى العالم اليونانى الرومانى كان يعبد فيها ميثرا وهو أشهر الهة الديانات السرية، ويضاف إلى هذا أن ديانة مثل ديانة كيبيلى، وأتيس اصبحت بسبب انتشارها من الديانات الرسمية للجمهورية الرومانية، واستمرت كذلك حتى الثلاثة قرون الأولى من العصر الامبراطورى.

وقد تعاصرت اغلب الديانات السرية مع المسيحية فى شكلها الأول، واستمر هذا الاحتكاك على الأقل لاربعة قرون، مما أدى إلى تسرب بعض افكار هذه الديانات الى المسيحية، مثل فكرة الموت ثم البعث (القيام)، والحياة بسلام على الارض، كما انتقلت العديد من طقوسها الغامضة ايضاً الى المسيحية، كالتطهير بالماء، والتعميد، والوجبة المقدسة (دم وجسد الاضحية) التى تحولت الى القربان المقدس، إلى حد أن تم اختيار عيد ميلاد الاله ميثرا ليصبح هو عيد ميلاد المسيح (٢٥ ديسمبر). هذا طبعاً بالاضافة إلى استعمال الفنان المسيحى للعديد من الرموز والاشكال وطرق التصوير الخاصة بالديانات السرية.

المبحث الرابع

الدراما الرومانية

مدخل :

كان الرقص هو أقدم الوسائل التى نفس بها الانسان البدائى عن إنفعالاته، ومن ثم كان الخطوة الأولى نحو الفنون، فقد كان هذا الانسان البدائى بالرغم من فقر امكانياته التعبيرية وقلة محصوله من الكلمات المنطوقة فى حاجة الى ترجمة إنفعالاته تجاه الظروف الطبيعية المحيطة به، ولما كانت الاشياء من حوله تتحرك حركة ايقاعية كحركة الأمواج والحقول وثبات شروق وغروب الشمس وظهور القمر وغيرها من الظواهر، لذا لجأ الانسان الى الحركات الرتيبة الموزونة كنوع من التعبير عن مشاعره الداخلية.

أما الاصوات التى كان الانسان البدائى يصدرها أثناء أداءه لرقصاته الايقاعية فقد أخذت وحدتها من حركة جسمه المتأرجحة ومن دبيب قدميه، وبالتدريج دخلت عليها الكلمة ومن ثم أصبحت نشيداً حربيا أو دينيا – فى الغالب –والذى أدى فى النهاية الى ظهور الشعر الذى نظمه الانسان فيما بعد عن وعى وادراك. ولا يبدو أنه من قبيل المصادفة أن يطلق على التفعيلة الشعرية (وحدة الوزن) كلمة ترتبط بالرقص البدائى وهى (قدم). كما أن الموسيقى التى لايمكن فصلها عن نشأة المسرح ارتبطت منذ البداية بالاصوات المصاحبة لهذا الرقص البدائى الايقاعى وكان هدفها هو تأكيد ايقاع القدمين وحركة الجسم عن طريق ضربات الاكف فى البداية ثم نقر الطبول فيما بعد. وهكذا يكون الرقص هو الاصل الذى تفرعت منه عدة فنون كالشعر والموسيقى ومن ثم المسرح.

والرقصة البدائية لم تكن تخلو من المضمون أو الفكرة التى هى جوهر «الفعل» فيمكن لنا أن نحصر ثلاثة أنواع على الأقل من الرقص يدور أولها حول علاقة الانسان بالآلهة والأرواح التى أحلها فى مظاهر الطبيعة المحيطة

به وهو ما يمكن أن نطلق عليه الرقص الدينى، أما النوع الثانى فيتعلق بأحتياجات الانسان نفسه من الطعام سواء كان نبات أو حيوان كرقصات استدرار المطر اللازم لنمو النبات أو رقصات صيد الحيوان، والنوع الثالث هو رقصات الحرب وفى جميع الأحوال، دائما ما توجد «الفكرة» التى يحاول الانسان التعبير عنها وفى سبيل ذلك لجأ الى بعض الوسائل المساعدة والتى كان أهمها القناع الذى هو فى حد ذاته تجسيد لفكرة أو انفعال أو شخصية حلت فى شخص مرتدى القناع وهذا جوهر التمثيل(١).

نخلص من هذا الى أن الرقصة البدائية بما صاحبها من مؤثرات تهدف الى تأكيد الفكرة أو الفعل الذى تدور حوله الرقصة كالموسيقى والقناع وأحيانا الكلمة المنطوقة كانت البداية الحقة لظهور المسرح. أما تحديد تاريخ هذا الظهور فهو لم يزل مثار الخلاف الشديد بين الباحثين فى هذا المجال، فيعتقد البعض أن بدايات المسرح كانت فى مصر القديمة حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح، مستندين فى ذلك الى النقوش وأوراق البردى التى تصور احتفال المصريون القدماء بعيد أوزوريس رب الخصب والنماء وقصته مع أخيه ست وكيف استطاع خداعه وقتله ومزق جسده الى ١٤ قطعة نثرها فى الدلتا المصرية، الا أن زوجته الوفية ايزيس استطاعت جمع اشلاء زوجها ثانية وأن تعيده الى الحياة (وكانت مصر قد قسمت فى هذا الوقت الى ١٤ مقاطعة على الارجح وربما كان هذا هو أصل الاسطورة) وكانت طقوس الاحتفال بعيد أوزوريس تعيد تمثيل تلك القصة ويعاصرها حرث الارض الزراعية وبذر البذور وصنع تمائم من الطين تحتوى على بذور القمح لتدفن فى باطن الارض، حتى اذا نمت تلك البذور كانت رمزا لعودة الاله الى الحياة ورجوع الخصب والنماء للأرض، وهكذا ترتبط الاسطورة بالظروف الطبيعية المحيطة بالانسان مرة أخرى(٢).

---

(١) شلدون شينى، تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة، الجزء الأول، ص ١١-٢٩. د. بينار، تاريخ المسرح، ص ٦ - ١١.

(٢) لسنا هنا بصدد مناقشة قضية وجود المسرح المصرى القديم أو عدم وجوده التى طال الخلاف عليها، لذا سنورد بعض المراجع التى تناولت القضية وأولها من يرفض هذه الفكر=

وكانت للحضارات الفينقية والبابلية والاشورية آلهة مماثلة مثل تموز وعشتار (أدونيس وعشتار)، وكانت عشتار - أيضا تمثل الخصب والنماء حيث كانت تلحق بحبيبها كل عام الى العالم السفلى والذى كان يموت كل عام ثم يعود للحياة ليموت وهكذا، وفى احتفالات عودة أدونيس كانت النساء - صبيحة موته - من كل عام يهبن أنفسهن للغرباء حزنا على موته وتأكيدا لخصبهن، وكانت الطقوس تنتهى بانشوده يتنبأ المحتلفون فيها بعودة الاله الى الحياة مرة أخرى.

هذه الطقوس والتى كانت تمثل حزن الانسان فى أوقات القحط والجدب وسعادته فى أوقات النماء كانت أيضا محاولة من جانب الانسان لإدراك كنه الظواهر الطبيعية المحيطة به واسترضائها بتأليهها وتقديم القرابين اليها، وقد كانت هذه الطقوس ظاهرة عامة فى كل المجتمعات البدائية ومنها بالطبع المجتمع الاغريقى(١)، الذى صور مرحلة أنعدام النماء ثم عودته بأختطاف هاديس اله الموت لبرسيفونى ابنة الربة ديمترا الهة الخصب والنماء ومحاولته اجبارها على الحياة معه تحت الارض، ويتدخل الاله زيوس كبير الالهة لحل لمشكلة وكان الحل الذى توصل اليه يقضى بأن تظل برسيفونى ستة أشهر من كل عام فى عالم الموتى ثم تعود الى عالم الاحياء فى الستة شهور الباقية، وفى طقوس احتفالاتهم كان الاغريق القدامى يقومون بدفن دمية تمثل برسيفونى ثم يستخرجونها بعد مدة كرمز لعودة الربيع.

= ويعتقد أن المسرح المصرى القديم (أو ما يسمى كذلك) ليس الا نصوص دينية وطقسية ويدعم رأيه بعدم وجود بناء مسرحى كما هو حادث بالنسبة لليونان أو روما عن هذا الرأى راجع :

عبد المحسن الخشاب، التياترو القديم، ص ٢٣-٤٣ أما الآراء الأخرى التى تؤكد هذا الوجود بل وترجح وجود مسرح أيضا فى وادى الرافدين فراجع عنها:

فائق الحكيم، تاريخ المسرح، صفحات ٥-١٥، شلدون شينى. المرجع السابق، ص ٢٣-٣٧ هـ.و فيرمان. انتصار حورس ص ٧-٣٩، اتيين دريوتون. المسرح المصرى القديم، ص ٣١-٨١، هيام أبو الحسن المسرح القديم ومصادره، ص ١٣-٢٠.

(١) ويقول هيرودوت أن هذه الطقوس قد انتشرت أيضا فى قبرص عن الموضوع بالتفصيل راجع حسين الشيخ، المرأة عند المجتمع الاثينى من خلال الاعمال المسرحية، ص ٨ حاشية ٢. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الاسكندرية، ١٩٨٣.

لكن الاغريق سرعان ما تطوروا الى جنس فنان خلاق حين تساموا بخرافاتهم وخلقوا الهة محددة الملامح ونسجوا حولها قصصا انتهت بهم الى احتفالات تملأ حياتهم. ومن هذه الالهة تركزت الإحتفالات حول ديونيسوس الذى جاء من جبال تراقية الوحشية الى اليونان حيث عبده الناس كرب للكروم والحقول والاخصاب وقد أحبه الاغريق لأنه بخمره يشيع فيهم النشوة والبهجة، فكانوا يحتفلون به فى صخب وسكر وعربدة وكما كانت العادة فقد نسج الكهنة حوله أسطورة تعلل مجيئه فقالوا أن زيوس رب الارباب قد أحب سميلى ابنة كادموس، وغارت هيرا زوجة زيوس كالعادة فأخذت تكيد لسميلى ومازالت بها حتى جعلتها تطلب من زيوس أن تراه فى كل روعته وبهائه، وحقق الرب لها مشيئتها ولكن ضياءه كان أقوى من أن يحتمله بشر فاحترقت سيميلى. وانقذ الاله زيوس ابنه منها وهو ديونيسوس بأن خاطه فى جسمه، وظل مخبأ فى جسم أبيه الى أن شب عن الطوق ونزل الى العالم الها حقيقيا. ولكنه مع ذلك ظل فى عقلية الناس الها للخصب والنماء واهبا للفرح والنشوة واللذة.

وكان ديونيسوس من أحب الالهة الى قلوب اليونانيين لأنه لم يكن يطلب الى عباده أكثر من السكر والخروج الى الشوارع للرقص والغناء، وساعد تصور اليونانيين لهذا الاله نصف البشر نصف الاله (بحكم بنوته لزيوس وهو اله وسيميلى وهى من البشر) على الايحاء بالأزدواج والصراع الرهيب داخل الانسان بين عناصره السماوية وعناصره الأرضية، اذ أن اليونانيين القدامى قد حلوا مشكلة خلق الانسان والتناقض الواضح فى تكوينه الداخلى ودوافعه الخيرة والشريرة عن طريق اسطورة ديونيسوس الذى احتال عليه التيتانس (وهم مجموعة من الوحوش الاسطورية) وقتلوه وجعلوا من لحمه وليمة لهم الا أن الاله زيوس غضب من فعلتهم فأرسل عليهم صواعقه الشهيرة فاحترقوا واحترق معهم لحم ديونيسوس، ومن الرماد المتخلف خلق زيوس الإنسان، وبهذا أصبح الانسان مزيجا من عنصر سامى وهو رماد الاله ديونيسوس وعنصر منحط وهو رماد التيتانس.

وساعد هذا التصور الى جانب الطقوس بالطبع على خلق الدراما، وكانت

الطقوس التى تتم أثناء الاحتفال بالاله ديونيسوس والمسماه «ديثرامبوس» عبارة عن رقصات ايقاعية مترنحة تصاحبها ترنيمات مناسبة وحركات تتلائم مع الخطوة تشمل الاحتفال بذبح أحد الحيوانات وغالبا ما كانت عنزة قربانا لهذا الاله واهب الحياة بينما يلتقى محبو الاله مرتدين جلد الماعز ممثلين بذلك بعث الاله فى أنفسهم بصورة رمزية، فاذا كان الاله نصف البشر نصف الماعز قد مات فهو قد حل بأجسادهم ولذا فهو خالد.

وكان على قادة هذه الرقصات الدثرامبية أن يقصوا على الناس قصة تتلائم مع الاحتفال الذى كانوا يقومون به، وكثيرا ما كانت هذه القصص تحكى عن أبطال ماتوا من أجل وطنهم ومن ثم نشأ عنصر الصراع فى تلك الاحتفالات ثم ما لبثت التفاصيل الانسانية أن حلت شيئا فشيئا محل الطقوس، ومما ساعد على تقوية ذلك الاتجاه أن الدين البدائى بدأ يضعف خاصة فى أثينا حيث تحول الى مجرد احتفالات يمتع فيها الاثينيون أنفسهم أكثر مما يقدمون فروض العبادة للالهة.

وعندما بدأ الشك يتسرب الى نفوس الاثينيين حول هذه الاساطير انطلقت الدراما من عقالها المتمثل فى الطقوس الدينية المهيبة. ثم جاء الوقت الذى تحولت فيه الكلمات المرتجلة التى كانت تصاحب الرقصات الديثرامبية الى حكايات مدروسة وانشاد محفوظ وساعد على ذلك تطور الشعر اليونانى[1].

وسرعان ما تحولت الكلمات التى كانت تنشد بصورة جزافية أو التى كانت على الاكثر مقسمة الى أجزاء يرددها الكورس الى حوار مشخص. ثم وقف ثسبيس ذات يوم على عربة أو منضدة أو مذبح ديونيسوس نفسه وخاطب رئيس الجوقة، وبذلك ولد الحوار فى المسرح الاغريقى، والهمت تلك الخطوة ثسبيس ففرق ما بين الممثل والراقص، كما كانت تلك المنضدة أو

---

(1) Gerald Else. The Origin & Early Form of Greek Tragedy, p. 9 ff,

Albin Lesky. Greek Tragedy. pp. 27 - 46.

A. E. Haigh, Tragic Drama of the Greeks. pp. 4 - 26.

المذبح الذى وقف عليه هى الخطوة الأولى نحو ظهور خشبة المسرح كشئ متميز عن الحلقة التى كان يتم فيها الرقص والتى عرفت فيما بعد بالاوركسترا حيث كانت الجوقة تردد أناشيدها.

ورغم أنه ليس من المؤكد أن ثسبيس هو الذى أضاف الحوار الى الاناشيد الدثرامبية إلا أنه يبدو أنه قد استخدمه بصورة أكثر وضوحاً ممن جاءوا قبله أو من معاصريه (ولعل هذا أيضا خطأ لأن المعلومات التى وصلتنا مازالت غير مكتملة فتعتمد على بعض النصوص والاشارات فى كتب المؤرخين أو السياسيين أو الفلاسفة ويرجع السبب فى نقص تلك المعلومات الى حريق مكتبة الاسكندرية ٤٨ ق.م. والتى كانت تضم معظم النصوص التى وصلتنا أسمائها أو اشارات عنها) ولكن من المؤكد أن ثسبيس قد حاز على الجائزة الأولى فى التأليف التراجيدى فى عام ٥٣٥ ق.م. بل أنه كان أول من قدم مسرحياته فى مبنى ثابت[١].

وقد بدأت المسابقات المسرحية فى ٥٣٥ ق.م. حين استحضر الطاغية بيزستراتوس الذى شغل منصب الحاكم المطلق لاثينا فى هذه الفترة مهرجانا ديونيسياًريفيا الى أثينا واستلزم ذلك بناء مسرح عرف فيما بعد باسم مسرح ديونيسوس.

وهكذا يشترك أحد السياسيين مع ثسبيس الشاعر فى خلق كيان محدد للمسرح الاغريقى، فلولا المسابقات المسرحية ولولا ذلك المسرح لظلت الدراما فى العالم الاغريقى ومن ثم فى العالم أجمع شيئا مختلفا عما نعرفه اليوم، كذلك لم يغفل ديونيسوس فى هذه الاحتفالات المسرحية فقد كرمه رجال المسرح بأن أعلنوه حاميا لهم ونظموا له المواكب وأعطوه أدوارا فى عديد من مسرحياتهم[٢].

وبعد ثسبيس أخذ المسرح فى التطور سريعا الى أن أخذ الشكل الذى نعرفه اليوم فقد أضاف ايسخيلوس ممثلا ثانيا وأضاف سوفوكليس الممثل الثالث.

---

(1) A. E. Haigh. op. cit., pp. 26 - 38

(2) Gerald Else op. cit., pp. 32 ff

وبينما كان كل هم ايسخولوس أن يصور الانسان فى علاقته مع الالهة مستخدما فى ذلك أبطال ملحمتى هوميروس فقد أضاف سوفوكليس أبعادا اجتماعية الى المسرح ثم جاء يوربيديس لكى ينقل المسرح الى ميدان النفس البشرية فكان بذلك بحق كاتبا مسرحيا حديثا قبل زمانه بخمسة وعشرين قرنا على الأقل. وجاء اريستوفانيس الشاعر الدرامى الكوميدى الذى تتراوح مسرحياته بين الفكاهات الجنسية الخشنة وبين الالتزام والمفاهيم الانسانية التى تدعو للسلام وأفكار فلسفية شاعرية. ثم جاء ميناندروس ونقل الضحك الى مجال آخر هو العلاقات العائلية والحب الرومانسى وبذلك اكتملت الدائرة، فمهما أضاف المسرح التقليدى اليوم فهو يدور فى فلك المسرح اليونانى القديم وفكره.

أما فيما يخص تطور الدراما اليونانية من المرحلة البدائية الى مرحلة أكثر تقدما فيبدو أن الفضل فيه يعود الى اريون الذى حولها من أناشيد تلقى فى أعياد الاله ديونيسوس الى شكل فنى يتجاوب مع هذا التطور، وهى مرحلة هامة كان لابد أن يحدث فيها شيئان: أولهما أن يضفى الشاعر على أعماله صفة الموضوعية المبرأة من الميول الشخصية، وثانيهما أن يتحرر الشاعر من كل القيود فى اختياره لموضوعاته بحيث لا يخضع لممليات الاسطورة والخرافة الشعبية.

ويرجع الى ثسبيس الفضل الأول فى تحقيق الهدف الأول المتعلق بالموضوعية واليه كذلك يرجع الفضل فى ادخال ممثل ليأخذ دوره على خشبة المسرح بجانب الجوقة (الكورس) التى كانت تقوم بأداء الرواية بأكملها قبله. أما تخلص الدراما من سلطان أسطورة ديونيسوس فيرجع الى فرنيكيوس الذى بدأ هذه البدعة مما جعل المشاهدين اليونانيين يجارون بالشكوى من هذا الابتكار الجديد. أما براتيناس فقد أحدث تطورا أهم اذ اليه ترجع نهضة التأليف الدرامى الاصيل الذى لم يكن يستقى كل عناصره من جو الاناشيد والطقوس وانما اصطبغ بالصبغة الشخصية وبفضله أصبح للمسرح ملامح أكثر جدية وخصوصية وتحررا وأصبح الطريق مفتوحا لنهضة الدراما التى أدت بها الى الشكل الذى وصلتنا به.

وخوريلوس هو الاسم الثانى الذى يلى فى الأهمية ثسبيس. كتب حوالى ١٦٠ مسرحية ونال الجائزة الأولى فى المباريات المسرحية ١٣ مرة، وظل يكتب للمسرح أربعين عاماً وأدخل القناع بديلا عن ثماله الخمر التى كانوا يطلون بها وجوههم حسب متطلبات الدور المسرحى.

ثم يتسلم فرنيكيوس دفة التطور المسرحى فيدفعه خطوة الى الامام عندما يدخل لأول مرة أدوارا نسائية على خشبة المسرح وأن كان الرجال بالطبع هم الذين يؤدون كل هذه الأدوار مكتفين بالمظهر الخارجى الدال على انثوية الشخصية المسرحية كالقناع وطبيعة الملابس والصوت الرفيع الرخيم ولذلك كان يفضل الشبان الصغار لأداء هذه الادوار.

وظهر فرنيخوس عام ٥١٢ ق.م، ويعد هذا التاريخ فى تطور الدراما اليونانية من الأهمية بمكان، اذ بدأ من هذا التاريخ أصبح لكل مسرحية اسم خاص بها ومن ثم وصلتنا أسماء مسرحيات (وأن لم تصلنا النصوص الأصلية نفسها) مثل الكستيس وبنات داناؤس والفينيقيات وغيرها[١].

ومن بين كتاب الدراما فى القرن الخامس يحتل خمسة منهم المركز الأهم بعد العمالقة الثلاثة وهم نيفرون من سيكيون واريستاخوس من تيجاى، ويون من خيوس، واخيوس من اثيريا، واجاثون من اثينا. كان نيفرون من أهم المتقدمين على يوربيديس من حيث الزمان ويرجع اليه ادخال العبيد فى المسرحيات ووضع الاسئلة المحيرة لهم.

أما اريستاخوس فولد عام ٤٥٣ ق.م. وهو يشغل الفترة الواقعة بين سوفوكليس ويوربيديس، وكتب سبعين مأساة فازت أربع منها بالجائزة فى المباريات المسرحية أما أيون فقد تمتع بامكانيات كبيرة وان كان أقل شهرة وكتب أربعين مأساة، كما كتب فى الملهاة ومات عام ٤٢١ ق.م.

أما أخيوس فولد عام ٤٨٤ ق.م وبالرغم من أنه كتب ما يزيد عن أربعين مسرحية الا أنه لم يفز بالجائزة الأولى الا مرة واحدة فقط.

---

(1) Haigh. op. cit., pp. 19 - 45.

أمـا أجاثون الذى ولد عـام ٤٤٦ ق.م. فقـد حـاز أعجـاب مواطنيه من الاثينيين ولعله احتل المنزلة الثانية بعد كتاب التراجيديا العظام فى أثينا ايسخولوس وسوفوكليس ويوربيديس. وقد أضـاف أجاثون شيئان الى الدراما هما:

١- كتب أجاثون مسرحيات ابتكر بنفسه موضوعها وشخوصها وبذلك تجاهل الالتزام بالعرف القديم من استخدام الاسطورة ومملياتها التى قيدت الكاتب الدرامى.

٢- فصل أجاثون القطع الموسيقية عن البناء الدرامى للمسرحية وجعلها قطعا قائمة بذاتها، وهذا التجديد وان كان قد حقق بعض الفائدة للجوقة عندما اعفاهم من الوقوع فى الارتباك الا أنه قد تقهقر عن ما قد حققه سوفوكليس من قبل عندما جعل القطع الموسيقية فى مسرحياته مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسياق الدرامى.

وقد أتخذ أفلاطون من بيت أجاثون مكانا لعمله الشهير بالمأدبة (السمبوزيوم) ومن الناحية الفنية يحدد أجاثون بداية التدهور للمسرح الاغريقى القديم.

وعلى المستوى الادنى يظهر «كريتاس» الذى كتب اثنتين من المآسى تميزتا بالاسلوب الثقيل هما برسيوس وسيسيفوس، والثانية تناقش نشأة الدين بأسلوب عقلى مجرد. أما فى القرن الرابع ق.م. فيظهر «استيداماس» الذى يقال أنه كتب العديد من المآسى التى لم يصلنا منها الا أبيات قلائل.

وخلال النصف الثانى من القرن الرابع بدأ المسرح الاغريقى ينسحب تدريجيا وببطء من الحياة العامة كعروض تؤدى على المسرح ودخل مرحلة المسرح المقروء، وبالتالى بدأ بعض الكتاب الذين اعتمدوا على اللغة وبلاغتها بدلا من فنية وحرفية المسرح فى الظهور مثل «خاريمون» السفسطائى، ثم يظهر ديونيسوس حاكم سيراكوز الذى كان يهوى الادب وخاصة المسرح وجرب مرات عديدة الا أنه لم يفز بالجائزة الا مرة واحدة فى مباريات ٣٦٧ق.م. ولم يعرف عن أعماله الا القليل.

ويتوالى ظهور كتاب المسرح من غير ذوى الشأن أمثال سرسيون ودوجونيس وكراتيس وموسكيون الذى أتخذ التاريخ مادة لمسرحياته. ويبدأ القرن الثالث بازدهار الحياة الادبية فى ظل الاسكندرية تحت حكم بطلميوس الثانى فيما يعرف بالعصر السكندرى ويظهر بعض الكتاب أمثال الكسندر وليكفرون وسوسيبيوس.

وبانتهاء العصر السكندرى الذى حقق علماءه وشراحه العديد من النصوص الدرامية بالاضافة لشعر الملاحم والاشعار الغنائية وحتى الكتابات النثرية ككتابات هيرودوت المؤرخ الشهير والذين يرجع اليهم الفضل فى وصول هذه النصوص الينا بحالتها التى نعرفها، ينتهى عصر الدراما الاغريقية ولا نكاد نعرف عنها شيئا الا من خلال اثرها على كتاب الرومان والذين خفت صوتهم بالتالى بعد اعلان المسيحية دينا رسميا للامبراطورية الرومانية حيث أخذت هذه الديانة الجديدة موقفا عدائيا – فى البداية – من المسرح باعتباره طقساً وثنياً ويستمر هذا الوضع – من تجاهل للدراما الاغريقية – حتى بداية عصر النهضة وظهور حركة احياء التراث القديم.

المسرح الروماني:

بموت اريستوفانيس يمكن القول أن عصر الدراميين العظام فى اليونان قد انتهى، وهو الأمر الذى نبه اليه الكاتب الكوميدى فى مسرحيته «الضفادع» وبظهور ميناندروس تبدأ فترة مسرحية جديدة تعرف باسم «الكوميديا الجديدة» بديلا عن الكوميديا القديمة التى مثلها اريستوفانيس.

عاش ميناندروس من ٣٤٢ – ٢٩١ ق.م. ووصلتنا مسرحية واحدة كاملة من أعماله هى «اللئيم» وقصاصات من ثلاث مسرحيات أخرى الا أن شهرته قامت أساسا على اقتباس الكتاب الرومان وبخاصة الكاتبان الكوميديين بلاوتوس وترنيتيوس للكثير من أعماله وتقديمها باللغة اللاتينية والتى وصلنا منها عدد لا بأس به.

وتتميز كوميديات ميناندروس بالرقة وخلوها الى حد بعيد من الألفاظ والمواقف الخشنة التى ميزت الكوميديا القديمة وخاصة عند اريستوفانيس،

هذا بالاضافة الى أن الكوميديا الجديدة قد ابتعدت عن مناقشة الموضوعات السياسية وكان لكتابها كل العذر اذ كانت اثينا لا تزال محتلة بواسطة مقدونيا، كما اختفى الكورس منها، وكان هذا تطورا طبيعيا اذ تظهر آخر أعمال اريستوفانيس ميله الواضح الى التقليل من فعالية الكورس. كما تميزت الكوميديا الجديدة، بموضوعاتها التى دارت فى الغالب حول قصة حب والعقبات التى تصادف الحبيبين ثم كيفية تغلبهما عليها فى النهاية كما استعملت بكثرة الشخصيات النمطية كاللئيم والبخيل والنبيل وغيرها.

وبموت ميناندروس بدأ المسرح اليونانى فى الاضمحلال سريعا اذ لم يظهر أى من كتاب التراجيديا أو الكوميديا بحجم وثقل كتاب القرنين الخامس والرابع ق.م. وأصبحت المسابقات المسرحية تعتمد على اعادة عرض المسرحيات القديمة ثم أصبحت هذه المسابقات نفسها غير منتظمة، وأحجم أثرياء اليونان عن تمويل الاحتفالات المسرحية كما كان الحال سابقا فتقلص حجم العرض المسرحى تخفيفا لاعباءه المالية، الا أنه من الغريب أن نفس هذه الفترة قد شهدت ازدهاراً فى الحركة المعمارية لبناء المسارح الضخمة والتى أصبحت لا تجد ما يعرض عليها سوى بعض المشاهد الراقصة والغناء[1].

بدايات المسرح الروماني :

منذ انشاء روما عام ٧٥٣ ق.م. بدأت بعض الكتابات التى يمكن مجازا اطلاق لفظ الادب عليها فى الظهور، فلم تتعد هذه الكتابات بعض الاشعار المتصلة بالطقوس الدينية، الا أنه بالاضافة اليها ظهرت «الاغانى الفاسكينية» التى كانت تلقى فى أعياد الحصاد ومناسبات الزواج، ولم يستخدم فيها الرقص، الا أنها شكلت البذرة الأولى لظهور الدراما الرومانية لاشتراك عدة أشخاص فيها وارتدائهم لملابس خاصة بهذه المناسبة. ثم دخل الرقص على الاناشيد الفاسكينية وتحولت الى لون جديد عرف باسم (ساتورا) التى آحتوت أيضا على بعض القصص المضحكة ولكن بدون حبكة تذكر بطبيعة الحال.

---

(1) Albin Lesky, Greek Tragedy. pp. 201-208.

وفى نفس الوقت ظهر لون جديد رومانى المنشأ هو فن «المايم» «والبانتومايم» أو الملهاة أو التمثيلية الناطقة والصامتة والتى أعتمدت أساساً على الرقص والحركات البهلوانية والإنشاد فى حالة البانتومايم.

وحتى هذه الفترة لم يكن للرومان معرفة بالمسرحية الكاملة حتى حدث الاتصال باليونان عن طريق المستعمرات اليونانية فى جنوب ايطاليا، الحروب والتوسعات الرومانية خارج حدود ايطاليا، فبدأت حركة الترجمة من اللغة اليونانية الى اللاتينية والتى قادها ليفيوس اندرونيكوس فترجم بعض المسرحيات اليونانية كما كتب عدة مسرحيات على نسق المسرح اليونانى، وتبعه الشاعر «نايفيوس»، وعندما لاقت هذه التجربة نجاحا ملحوظا، ضمت لأول مرة فى عام ٢٤٠ ق.م. العروض المسرحية التراجيدية والكوميدية ذات الطابع اليونانى الى الاحتفالات بالأعياد الدينية الرومانية[١].

أما عن المسرح الرومانى كبناء معمارى، فقد بدأ عرض الصور الأولى من المسرحيات غير الناضجة على منصات خشبية مؤقتة، وبمرور الوقت تطورت هذه المنصات الى مسرح خشبى ينصب فى أيام الأعياد ثم يزال بعد انتهائها ولم تعرف روما المسارح الثابتة المبنية بالاحجار الا فى عام ٥٥ ق.م. حين بنى بومبيوس أول مسرح ثابت من الحجر فى روما[٢].

التراجيديا الرومانية:

رغم أن الكوميديا كانت أقرب الى وجدان الشعب فى روما بطبيعة تكوينه والظروف المحيطة به الا أن التراجيديا ظلت تحتل مكانة لا بأس بها خاصة وأن الطبقات العليا كانت تشجع وجودها لاحتوائها على العديد من الآراء التى توافقهم خاصة من الناحية السياسية،فقد كان الرومانى يشارك اليونانى خوفه المستمر من الطغيان وحكم الفرد المطلق، والدليل على هذا هو التدهور الذى

---

(1) George Duckworth.The Nature of Roman Comedy,pp.3-17.18-38.

(2) W. Beare The Roman Stage. p. 154 ff.

أصاب التراجديا بعد اعلان النظام الامبراطورى فى روما، فقد تحولت تدريجيا الى تمرينات وتسلية أدبية، فقد كانت السلطات الحاكمة فى هذا الوقت تعى تماما اخطار تجمع عدد ضخم من المواطنين فى مكان واحد واطلاق القضايا الاجتماعية والسياسية للمناقشة من خلال عمل تراجيدى أو حتى كوميدى.

وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف فأن ما وصلنا من أعمال ثلاثة من أشهر شعراء التراجيديا الرومان وهم «اينيوس» و «باكوفيوس» و «أكيوس» ليس الا قصاصات قليلة، رغم أنه توجد معلومات عن ما يزيد عن ثمانين اسما لمسرحيات تراجيدية كتبها هؤلاء الشعراء. أما أشهر الاسماء على الاطلاق فى التراجيديا الرومانية فهو «سينكا» (٤ ق.م. الى ٦٥ ميلادية) وكان كاتبا دراميا وفيلسوفا ومعلما للامبراطور نيرون، وصلتنا تسع مسرحيات من أعماله هى: جنون هرقل، الفينيقيات، الطرواديات، ميديا، فايدرا، أوديب، أجاممنون، ثيتيس، هرقل، كما توجد مسرحية عاشرة يشك فى نسبتها اليه تحمل اسم «أوكتافيا» وهو اسم زوجة الامبراطور نيرون. ورغم أن سنكا قد استوحى موضوعاته فى الغالب من التراث اليونانى كما هو واضح من عناوين مسرحياته، الا أنه حاول أن يوجد لنفسه أسلوبا متميزا وقد أفلح فى هذا الى حد بعيد.

وقد تميزت تراجيديات سينكا بكثرة الحوادث البشعة فيها والتى كان من الصعب تمثيلها على المسرح كالقاء ميديا لاطفالها من فوق سطح القصر لزوجها جاسون بقصد قتلهم، ومحاولة ثسيوس تجميع أجزاء جثة ابنه هيبوليتوس بعد موته فى مسرحية فايدرا وقتل فايدرا لنفسها أمام عينى زوجها، وغيرها من المشاهد. وقد تأثر العديد من الكتاب فى عصر النهضة وما بعدهم بأسلوب سينكا ويظهر هذا واضحا تماما من مسرحية تيتوس اندرونيكوس لشكسبير أما نهاية سينكا نفسه فقد كانت مأساوية تماما كمسرحياته، فقد قتل على يد تلميذه الامبراطور نيرون[١].

---

(1) C.D.N. Costa. Seneca. Medea. pp. 1-15.

الكوميديا الرومانية :

ترتبط الكوميديا الرومانية دائما باسمين من أشهر اعلامها هما بلاوتوس (٢٥٤-١٨٤ ق.م) وترنيتيوس (١٨٥ - ١٥٩ ق.م).

كان تيتوس ماكيوس بلاوتوس (ومعنى اسمه الشخص ذو القدم المفلطحة) عاملا فى أحد المسارح ثم عمل بطحن الغلال وكان يكتب للمسرح فى أوقات فراغه، ووصلنا من أعماله عشرون مسرحية الكثير منها كامل وأشهرها: امفيتريون، الحمير، جرة الذهب، الباكخيديس، الاسيران، ولا يمكن انكار تأثر بلاوتوس بالكوميديا اليونانية، فالجو اليونانى هو المسيطر على كل أعماله حتى أن أغلب مسرحياته تدور حوادثها فى أثينا الا أنه يمكن القول هنا بأن بلاوتوس قد مارس نوعا من النفاق الفكرى لمواطنيه الرومان، فاباحية أعماله الكوميدية وبعدها عن الاخلاق الرومانية المتحفظة (حتى هذا الوقت)، كان المقصود بها امتاع الجمهور فقط دون النظر لأى اعتبار آخر ولكن هذا الامتاع الحسى أتى من خلال جو يونانى غريب على المجتمع الرومانى المتزمت، وبهذا استطاع بلاوتوس حل مشكلته ببساطة فكل ما هو غير أخلاقى عنده هو فى نفس الوقت غير رومانى[١].

أما بوبيليوس ترنيتيوس فقد كان على العكس من بلاوتوس فى كتاباته، فعلى حين كان بلاوتوس يكتب للعامة من الجمهور كتب ترنيتيوس للخاصة منهم، لذا جاء أسلوبه راقيا مصقولا مع عناية بالحبكة الدرامية فى أعماله، وعلى الرغم من أن ترنيتيوس تعامل مع موضوعاته الكوميدية كما فعل سلفه بلاوتوس، فالجو لم يزل غريبا على المجتمع الرومانى، اذ أن أثينا تبدو وراء كل سطر من كوميدياته، الا أنه لم يغالى فى اعتماده على النكته والموقف الخشن والتلميحات الجنسية، حاول أن يتعمق أكثر فى رسمه للشخصيات وتطور الحوادث، وقد وصلتنا جميع مسرحيات ترنيتيوس الستة وهى: أندريا، المعذب لنفسه، فورميو، الحماة، الاخوان، الخصى.

---

(1) Erich Segal. Roman Laughter. pp. 1-14.

تدهور المسرح الروماني:

بانتهاء عصر كبار كتاب الدراما الرومانية أمثال سينكا وبلاتوس وترنيتيوس، بدأ المسرح الرومانى فى التدهور وقد صاحب هذا التدهور ظرف اقتصادى تمثل فى فتوحات روما الحربية فى حوض البحر المتوسط، فقد تحولت الاقاليم والولايات الجديدة التى ضمت الى الامبراطورية الرومانية الجديدة الى سوق تجارى جديد مما استتبع بالتالى ازدهار عمليات المصارف والأقراض والوساطة التجارية والذى انعكس بدوره على الظروف المعيشية للرومان خصوصا فى أواخر العصر الجمهورى وبداية الامبراطورية.

هذا الظرف الاقتصادى كان له بالضرورة أثر مباشر على الحياة الادبية والفنية فى روما، فانتشرت حفلات التمثيل وسباق العربات والمصارعة بأنواعها والمعارك الحربية البحرية الممثلة وأنواع مختلفة من الاستعراضات.

وكان حضور هذه الحفلات والاستعراضات مجانا لطبقة العامة، وقد ازداد عدد الايام التى تقام فيها أمثال هذه الحفلات التمثيلية أو الاستعراضية حتى أصبح قرب نهاية الإمبراطورية ما يقرب من ١٧٥ احتفالا خلال العام.

ومن الطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يتراجع المسرح الرومانى مفسحا الطريق لمثل هذه الاستعراضات، الا أن الكوميديا قد ظلت صامدة لبعض الوقت عكس التراجيديا التى لم يعد لها محل للوجود فى وقت كان المتفرج الرومانى يشاهد مأسى أخرى أقرب لعالم الحقيقة والواقع، كالصراع بين الانسان والحيوان حتى الموت.

واتجهت هذه الكوميديا نحو البذاءة والانحطاط فى القول والفعل على حد سواء وأصبحت أقرب ما يمكن الى الكاريكاتور البذئ الذى يخاطب الحس متجاهلا العقل تماما.

الا أن كل هذا لا ينفى أن المسرحية الرومانية الجادة أو حتى اليونانية كانت تمثل ولكن على نطاق ضيق ولطبقة معينة من المتعلمين، وأن خلت هذه المسرحيات الى حد كبير من روح الاصالة التى ميزت المسرح اليونانى القديم.

ومع بداية العصر الامبراطورى (الذى يبدأ باوكتافيوس الملقب بأوغسطس) ازدادت هذه الظروف الاقتصادية السابق شرحها أزدهارا، ومن ثم أزدادت الروح التى سيطرت على الادب والفن – وخاصة المسرح – هبوطاً، حتى وصلت الى أدنى درجاتها فى أواخر العصر الإمبراطورى، وتحول الرومان فى هذه الفترة الى جماعة من المستهلكين الذين لا يصلحون لأى عمل، ولذا كان طبيعيا أن تبدأ امارات الانهيار والذى تمثل فى الهجمات المتتالية التى تعرضت لها الامبراطورية الغربية من القبائل الجرمانية من القوط والوندال وقبائل الهون المغولية والتى انتهت بسقوط الامبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ وبه تبدأ العصور الوسطى[1].

---

(١) عن الظروف الاقتصادية للامبراطورية الرومانية راجع الدراسة القيمة لدنكان جونز.
Richard Duncan - Jones. The Economy of the Roman Empire. Cambridge 1974.

المبحث الخامس

الفلسفة والعلوم

لم تحظ الفلسفة عند الرومان بنفس المكانة التى كانت لها عند اليونان[1]، ربما بسبب النظرة النفعية التى سادت المجتمع الرومانى، ومحاولة الرومان لتطويع مايحيط بهم لخدمة مجتمعهم. إلا أنه يمكننا استثناء المذهب الرواقى - إلى حد ما - من هذا الحكم فيبدو أن الرومان كانوا رواقيين بطبيعتهم، وحتى قبل أن يظهر المذهب الرواقى. وكان مؤسس هذا المذهب هو «زينون» (٣٥٠-٢٦٠ق.م) وقد ظهر فى أثينا والقى دروسه هناك. ويمكن القول أن المذهب الرواقى هو تتبع للفلسفة اليونانية بكاملها مع قدر لايستهان به من المؤثرات الشرقية، فقد اشتغل اتباع هذا المذهب بأغلب الإشكاليات التى أثارها الفكر الفلسفى، مثل ماوراء الطبيعة، المسائل الفيزيائية فى منطقة شرق البحر المتوسط، السيكولوجية،الأخلاقية، المنطقية، وحتى السياسية. وانتشرت تعاليمهم على نطاق واسع وبخاصة فى منطقة شرق البحر المتوسط.

إلا أن العقلية الرومانية كانت عقلية إنتقائية، فلم يكن الرومان يعتنقون مذهباً فلسفياً بأكمله، وإنما كانوا ينتقون منه مايتماشى مع ظروفهم الحياتية ومعتقداتهم السياسية، فلم يكن الرومان على سبيل المثال يهتمون كاليونان بالمسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة، بل إنصب إهتمامهم على سلوك الفرد، فأخذت الرواقية بالتدريج تتحول إلى فلسفة تساعد المواطن الرومانى على ضبط سلوكه فى هذا العالم المتسع والذى بدا الإنسان فيه ضئيلا، ومواجهة المقادير سواء حملت إلى البشر خيراً أم شراً، وكيفية مواجهة الموت فى ثبات، وكيف يظل المرء دوما سيد نفسه[2].

---

(١) فالفلسفة فى أصولها يونانية، هذا رغم محاولة البعض إثبات عكس ذلك.
راجع: چورج چيمس. التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة). مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ١٩٩٦.

(٢) م.ب. تشارلزورث. الإمبراطورية الرومانية. ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

ولم تلبث الفلسفة الرواقية أن أصبحت فلسفة عملية، مما يتفق مع المزاج العقلية الرومانية، واعتنقتها فئات إجتماعية مختلفة، فنرى من الرواقيين سنيكا رجل البلاط الثرى والمثقف والكاتب الدرامى، وموسونيوس روفوس Mousonius Rufus من الطبقة الوسطى، وابيكتيتوس Epictetus العبد المحرر، إلا أن أشهرهم على الإطلاق كان الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وقد وصلتنا تأملاته التى دونها بعنوان «إلى نفسه» وتقع فى اثنى عشر كتاباً نقتبس منها الفقرات التالية[1]:

«ليس هناك مايؤدى إلى العظمة العقلية كالمقدرة على فحص كل الأمور التى تعيننا فى الحياة فحصاً أمينا منظماً، وفحصها حين تحدث بطريقة تجعلنا نقدر نوع العالم الذى تنتمى إليه والهدف الذى تحققه وقيمتها بالنسبة لكل الأشياء، وبالنسبة للإنسان بصفتة مواطناً فى أسمى (دولة) تعتبر جميع الدول الأخرى مجرد عائلات فيها. وذلك لنفهم حقيقة كل أمر ولنفهم مم يتكون؟ والمدى الذى يحتمل أن يمكثه متى حكمنا عليه طبقاً لطبيعته – بمعنى أنه ينبغى على كل منا أن يقرر قيمة مايبرز لوعيه حاليا فى هذه اللحظة، ويتساءل عن الفضيلة التى ينبغى عليه أن يستخدمها فى مواجهته، كفضيلة الكياسة مثلا أو الشجاعة أو الصدق أو السذاجة أو الإستقلال».

«ما الذى تشكو منه؟ أمن خبث الإنسان؟ تأمل هذه الفكرة: إن المخلوقات التى تعقل قد خلق بعضها من أجل بعض، والصبر جزء من العدالة. والناس لايرتكبون خطيئة إلا على كره منهم.

وتذكر كم من الناس قد رقدوا رقدة الموت وأحرقت جثثهم حتى صارت رماداً بعد حياة من العداء الدفين والريبة والبغضاء ومناوشة بعضهم لبعض – فكر فى هذا ثم توقف أخيراً عن شكواك. أم هل تشكو من النصيب المخصص لك من مجموع الأشياء كلها؟[2].

---

(١) الترجمة العربية هنا لعبد الرزاق يسرى عن الترجمة الإنجليزية لبارو فى كتابه: الرومان. ص ١٦٣ ومابعدها.

(٢) الإشارة هنا إلى فكرة لوكريتيوس عن العالم المكون من مجموعة من الذرات.

تذكر ثانية أنك مخير بين أمرين (إما العناية السماوية وإما الذرات). والأدلة مجمعة على أن العالم (دولة من الدول)[1].

والمذهب الرواقى هناليس بالضرورة ديناً، رغم أنه قد يأخذ شكلا دينياً، كما لايعتبر مجموعة من المبادىء الأخلاقية الموصفة توصيفاً دقيقاً، ولايمكن إعتباره صورة طبق الأصل من المذهب الرواقى اليونانى، فالرومان أضفوا طابعهم الخاص على مااقتبسوه منه، كما فعلوا فى أشياء أخرى. فالمذهب الرواقى الرومانى هو نتيجة لإتصال المؤثرات الشرقية بالفكر الكلاسيكى، على إعتبار أن المدرسة الأفلاطونية والأرسطوطالية كانت قد انحلت إلى أجزاء كثيرة لاتهتم بالمسائل الجوهرية التى شغلت بال مؤسيسها، فأصبحت تهتم بأمور ثانوية كالمسائل التى تمس السلوك اليومى للمواطن العادى. وهكذا قام المذهب الرواقى بإرساء مجموعةضخمة من القواعد تحكم السلوك الإنسانى بما يحقق مصلحته ومصلحة الدولة فى آن واحد.

وقد كان المذهب الرواقى يحمل بعض التناقض تجاه المسائل التى قد تشغل الإنسان العادى مثل: الإله والخلود وحرية الإرادة والموت، فكان يقول أحيانا أن الإله هو القدر، وإن الإنسان هو قبس من الإله، وأحيانا كان يقرر أن الإنسان هو ذرة من التراب، ولايوجد خلود إلا للنفس، واحيانا كان يقرر أن النفس فانية وأن الحياة مرة وكان يمتدح الإنتحار.

ومع ذلك فقد أقام هذا المذهب فوق كل هذه المواقف المتناقضة والشكاكة مثل أعلى من الأخلاق النبيلة، فلا المشاكل ولا الهموم تؤثر فى الحكيم الرواقى، فهو فوق الثراء وفوق الفقر، وفق الأراء التى تنتقده أو تؤيده، وهو يعمل كل شيء بوازع من ضميره، رؤوف بأصدقائه غفور لأعداءه، يحترم جيرانه فى المدينة أو الدولة ولا يفعل ما يؤثر على حريتهم، وهو يموت وهو مدرك أنه قد غادر الدنيا بمسراتها وأحزانها بنفس لاتهتم بها، وأن الموت لايخيف[2]. ونتيجة لهذا فقد فرض الرواقيون على أنفسهم نوعاً ما من العزلة

---

(١) بارو. الرومان. ص ص ١٦٣ - ١٦٤.

Christopher shields, Ancient Philosophy, p. 253 ff

قارن: بارو. الرومان. ص ص ١٦٣ - ١٦٩.

والإنقطاع عن الناس فى هدوء، إلا أن هذا لاينفى أن هذا المذهب ظل له نفوذ قوى ربما بسبب:

- التشابه الكبير بين بعض المواقف الرواقية - وبخاصة عند سنيكا - وبين أجزاء من الإنجيل، مما يؤكد المستوى العالى للأخلاق الذى كان الرواقى قادراً على بلوغه.

- كان تأثير المذهب الرواقى على القانون الرومانى واضحاً، فكثير من رجال القانون الرومان كنوا رواقيين، ومع إتساع الإمبراطورية الرومانية أخذت فى الإحتكاك بأمم أخرى لها نظمها القانونية، إلا أن التشابه بين القوانين وبخاصة فى الجوهر، أوحى إلى الرواقيين من رجال القانون بإمكانية وجود أساس مشترك للفكر الإنسانى، وبالتالى ظهرت فكرة «قانون الأمم» أو «القانون الطبيعى» الذى يمكن تطبيقه على جميع أجناس البشر.

- كان للفكر الرواقى عن الأخوة والمحبة والتعاطف أثر كبير فى تحسن معامل العبيد الذين عوملوا أسوأ معاملة فى العصر الجمهورى، إلا أنه مع بداية الإمبراطورية وبتأثير رواقى بدأت هذه المعاملة فى التحسن.

أما الفلسفة الإبيقورية ودعوتها إلى أن اللذة هى الهدف الأسمى للإنسان وهى المعيار الأوحد للخير، فلم تنتشر إنتشاراً واسعاً فى العالم الرومانى، ربما بسبب تأويلها تأويلاً سيئاً فى البداية، إلا أن شرح ابيقوروس نفسه لهذا المذهب يدلل على التقشف الشديد فى التطبيق. وقد ظهر تلاميذ ابيقوروس فى العصر الإمبراطورى فى شكل جماعات متفرقة من (الأصدقاء) يجمعهم ولاؤهم وإحترامهم لمؤسس المذهب وتربطهم قواعد معينة تتحكم فى حياتهم، يؤثرون الحياة الهادئة بعيدا عن السياسة والحروب والمشاكل المعتادة، ينكرون وجود أية آلهة تدير الكون، مما أدى بهم إلى الإمتناع عن تقلد الوظائف العامة، وبالتالى بدأت جماهير الرومان تنظر إليهم بإرتياب على إعتبار أنهم «كافرون بالآلهة»، بالإضافة إلى ابتعادهم عن الحياة العامة فى بلد يتطلب من مواطنيه المشاركة الفعالة فى كافة نواحى الحياة، ومن الغريب أن الرومان قد نظروا إلى الابيقوريين نفس النظرة التى واجهوا بها المسيحيين الجدد من أنهم «ملحدون».

.وقد نادى الابيقوريون بأن الخوف هو الإنفعال الأعنف والأشد تأثيراً على كيان البشر، هذا الخوف قد يتخذ صوراً شتى، مثل الخوف من الألهة أو الموت أو حياة القبر أو الألم. ونادى ابيقوروس بتحطيم هذا الخوف عن طريق تحطيم الإيمان بالإلهة الذين لايولون البشر أدنى إهتمام، وتحطيم الخوف من حياة مابعد الموت لأنه مامن روح بشرية خالدة وتحطيم الخوف من الألم، وهكذا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة سعيدة(١).

ويعتقد ابيقوروس أن الكون يتألف من ذرات وفراغ، وأن القدر يتحكم فى كل شيء، وأن الروح تتحلل بعد الموت وينتهي الإنسان إلى العدم، وبالتالى فلايعنى الموت عند الابيقورى شيئاً، فطالما وجد الموت لايوجد الابيقورى، وطالما وجد الابيقورى فلاوجود للموت، وفى وسع الابيقورى تحمل الألم بتذكر لحظات السعادة التى عاشها من قبل.

ورغم ذلك فقد برهنت هذه العقيدة على سلبيتها، ولم تستطع أن توفر للبشر السعادة التى زعم ابيقوروس انها تحققها، ولهذا وكتعويض عن هذه السلبية، اتجه الابيقوريون إلى الصداقة، فكانوا فى جماعاتهم الصغيرة المنتشرة فى مختلف المدن يمارسون حياة مشتركة ويخضعون لقواعد دقيقة تقضى بتبادل النصيحة والموعظة، مع الإشارة دائماً إلى أهمية إعتماد الإنسان على أخيه الإنسان. وبهذا كانت هذه الجماعات الابيقورية اشبه بجزر صغيرة من السلام والصداقة داخل العالم الرومانى المضطرب الذى يجيش بشتى الوان الحياة، ولهذا نظر إليهم الرومان بشك على اعتبار أنهم سلبيون لايشاركون فى حياة مجتمعهم، بينما نظر لهم المسيحيون الجدد على أنهم ملحدون بل وممعنون فى الإلحاد(٢).

ومن المآخذ على هاتين الفلسفتين الطابع العملى الذى اكتسبتاه، ومن ثم وكرد فعل لهذا بحث الكثير من الرومان الذين ضاقوا بنظم الحياة الأخلاقية

---

(1) Christopher shields,op.cit., p. 237 ff

قارن: تشارلز وورث. المرجع السابق. ص ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) تشارلز وورث. المرجع السابق. ص ص ١٠٥ – ١٠٦.

البحتة التى وضعها الرواقيون والابيقوريون ولم يتألفوا مع مراسيم الدولة الدينية أو العقائد الأجنبية، بحثوا عن ذلك الكائن المطلق الذى يسمو عن الوصف والذى يقف وراء كل ظواهر الطبيعة، وذلك عن طريق التركيز الذهنى والتأمل والغيبيات، وكان رائدهم أفلوطين الفيلسوف المصرى المولد باعث الافلاطونيه تحت مسمى جديد هو «الأفلاطونية الحديثة» والذى استوطن إيطاليا فى عهد الإمبراطور فيليب (٢٤٤ - ٢٤٩م) وأنشأ مدرسته الفلسفية هناك(١) .

وقد حاول أفلوطين حل المشاكل الدينية عن طريق الفلسفة،وتجمع فلسفته بين الفلسفة اليونانية والفكر الشرقى، ويعتمد أساساً على فلسفة أفلاطون والفيثاغورية الجديدة، إلى جانب نظرية الفيض الإلهى التى ظهرت فى الشرق. ويدعو أفلوطين إلى وجود عالمين : عالم الحس، وعالم العقل المجرد، وعلينا أن نقرر إلى أى العالمين نتجه بأفكارنا، مع قناعته بأن عالم العقل المجرد هو الأسمى، ويرى أن الإله أفاض من نوره فنشأ العقل الذى انبعثت منه النفس الكلية، ومنها انبعثت النفوس الجزئية التى هى نفوس البشر، وهى أدنى مراتب العالم الروحانى، وقد خرجت من النفس الكلية أيضاً الطبيعة أو المادة، والتى يرى أفلوطين أنها أبعد الكائنات عن الكمال، وهى مصدر الشرور لأنها عبارة عن عدم، وغاية الحياة هى التحرر من المادة أو العدم حتى يتمكن البشر من الإتصال بالنفس الكلية ثم العقل فالإله فى النهاية.

وقد إنتشر هذا المذهب الفلسفى مع إحتفاظه بأساسه الصوفى، ولكن أحيانا مع بعض الإضافات فى روما على يد فورفيروس، وفى سوريا على يد جامبليكوس، وفى أثينا على يد بروكلوس، حتى ظهر الإمبراطور جستنيان وأغلق المدارس الفلسفية فى أثينا وروما وسوريا فى ٥٢٩م، وشهد هذا القرن (القرن السادس الميلادى) نهاية الفلسفة على يد المشتغلين بالدين المسيحى حتى عادت مرة أخرى فى عصر النهضة(٢) .

---

(١) تشارلز وورث. المرجع السابق. ص ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) نجيب بلدى. مدرسة الإسكندرية الفلسفية . ص ١٧ ومابعدها.

أما فيما يخص العلوم فقد يكون مناسباً أن نبدأ بالجغرافيا، فقد كان للظرف التاريخى الذى أحاط بتوسعات روما الضخمة فى العصر الإمبراطورى أثره المباشر على الجغرافيا، فظهرت الحاجة الماسة إلى خريطة واضحة لأقاليم الإمبراطورية الرومانية، وهنا يظهر ماركوس فسباسيانوس اجريبا M.Vaspasianus Agrippa نائب أوغسطس والذى يأمر بإعداد هذه الخريطة مع دليل جغرافى يحوى أكبر قدر من المعلومات عن الأقاليم الإمبراطورية.

وفيما بعد يرسل الإمبراطور نيرون ببعثة استكشافية إلى الحبشة لإكتشاف منابع النيل، ويبدو أن هذه البعثة قد وصلت إلى بحيرة البرت أى أنها اقتربت إلى حد كبير من تحقيق هدفها[١]. وفى عصر الإمبراطور تيتوس (حوالى عام ٨٠م) يرحل ديمتريوس من طرسوس إلى بريطانيا ليعود بوصف شامل لها، على حين كان أحد مواطنى أسبرطة ويدعى كليو مبروتوس Cleombro-tos يحاول استكشاف جنوب البحر الأحمر والمناطق المحيطة به.

وبدأت محاولات تصنيف هذا الكم من المعلومات الجغرافية وتبويبها ووضعها فى شكل أطلس جغرافى على يد الجغرافى مارينوس Marinus من صور، إلا أنها لم تأخذ شكلها النهائى إلا على يد بطلميوس الجغرافى السكندرى الذى ظهر فى القرن الثانى الميلادى بكتابه المشهور Mega le Syntaxis والذى ترجم إلى اللغة العربية فى العصر العباسى، وأطلق عليه العرب إسم «المجسطى»، والذى شرح فيه الكثير من الظواهر الفلكية وبرهن على كروية الأرض وأوقات شروق وغروب الكثير من الاجرام السماوية، وناقش مشكلة طول السنة. والشهور القمرية، كما حدد مواقع مايزيد عن الألف نجم، وأعطى وصفاً للأجهزة الفلكية التى يستعملها وغيرذ لك. ويتضح من كتاباته مدى تأثره بنظريات اريستارخوس مع بعض التطوير لها[٢]. أما

---

(١) جورج سارتون. تاريخ العلم.الجزء الرابع. ص ٢٨٧ ومابعدها.

(٢) اريستارخوس فلكى ظهر فى الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م، ووصلنا من أعماله رسالة عن «أحجام الشمس والقمر وأبعادهما»، وإن كانت أغلب النتائج التى توصل إليها خاطئة إلا أنه يحسب له جرأته العلمية فى أنه جعل مركز الكون هو الشمس وليس الأرض وجعل الكون نفسه امتداداً لايمكن ادراكه، وقوله بأن الأرض تدور يوميا حول محورها وسنويا حول الشمس، وأن القمر يدور حول الأرض، وفى هذا يسبق كوبرنيكوس فى نظريته بثمانية عشر قرنا على الأقل.

أشهر كتب بطلميوس فكان بإسم «الجغرافيا» والذى رسم فيه أول خريطة للعالم القديم، ورغم مافيها من قصور وأخطاء، إلا أن كتابه يعد أشمل ماكتب فى الجغرافيا قديماً.(١)

ولعل طبيعة الرومان العملية ونظرتهم النفعية للأشياء هى التى شكلت توجهاتهم العلمية العملية فنجد أن أحد أهم ابداعاتهم يظهر فى مجال الهندسة وبخاصة المعمارية والمدنية والتى تظهر انجازاتهم بشكل عملى ومؤثر على حياة المواطن الرومانى العادى. فأكتشفت طريقة استخدام البواكى والقباب المعلقة، وطورت السقوف المنحنية بحيث أصبحت تغطى مساحات كبيرة، وعرف فن البناء بالخرسانة، كما تم تطوير طرق بناء الطرق الرومانية الشهيرة ورسم اتجاهاتها وإقامة القناطر، وبناء القنوات المائية المعلقة. وبالإضافة إلى ذلك أبدى الرومان مهارة فى حفر الأنفاق والمناجم وقنوات الصرف وإستغلال القوى المائية.

وقد تزامن مع هذا التقدم فى التطبيق العملى للعلوم ظهور العديد من الكتب والموسوعات، منها على سبيل المثال كتاب ڤيتروڤيوس بليو Vitruvius Pelio الشهير «عن العمارة» De Architectura الذى سبقت الإشارة إليه والذى يمكن أن نعتبره بداية لعلم الهندسة المعمارية الحديثة، وكان له أعظم الأثر بعد اكتشافه فى عصر النهضة على ليوناردو دافنشى وباللاديو Palla-dio. كما اشتهر أيضا كتاب جايوس بلنيوس سيكوندوس (بلينى) G.Plinius Secondus المعنون بإسم «التاريخ الطبيعى» Historia Naturalis وهو عبارة عن دائرة معارف كتبها رجل واحد جمع فيها خلاصة علمه، حيث يقول بلينى نفسه «إن هدفه أن يعطى وصفاً عاماً لكل ماهو موجود على سطح الأرض»(٢)، والكتاب ملىء بالتعميمات الساذجة والخرافات والمعلومات الخاطئة، إلا أنه يحسب له بعض المعلومات النافعة وخاصة ما اتصل فيها بالصناعات القديمة وتاريخ الفن وإستخدامات بعض النباتات والعقاقير.

---

(١) چورج سارتون. المرجع السابق. ص ١٢٣ ومابعدها.
قارن: حسين الشيخ. العصر الهللينستى (مصر). ص ص ٢٠٨ – ٢١٠.
(2) Pliny, NH., III.6.

ويضاف إلى هذا كتابات كلسوس Celsus وسينكا Seneca وفرونتينوس Frontinus، لكن من الواضح أن الجزء الشرقى من الإمبراطورية الرومانية الناطق باليونانية هو الذى أضاف للبحوث النظرية الكثير، فتظهر مؤلفات ديوفانتوس Diophantus (حوالى ١٧٠م) والذى بدأ علم الجبر واستحدث رموز التساوى والناقص والمجهول وغير ذلك، كما ظهرت كتابات نيكوماخوس من جيرازا Nicomachus of Gerasa (حوالى ١٥٠م) الذى كتب «مقدمة فى الرياضيات» وناقش فيها نظرية الأعداد، كما كتب هيرون Heron السكندرى فى علوم الميكانيكا وخصائص الغازات والهواء، بالإضافة إلى كتابات أبوللونيوس السكندرى Apollonius فى القرن الثانى الميلادى حول قواعد اللغة[١].

أما الطب فقد أخذه الرومان عن اليونان كما أخذوا عنهم الدراما والفلسفة وغير ذلك من نواحى حياتهم، وقد كانت روما خاصة وإيطاليا عامة فى حاجة شديدة إلى طب متقدم، فقد أحاطت المستنقعات بروما من جميع الجهات وبالتالى انتشرت الملاريا بشكل واضح بدءاً من القرن الثانى ق.م، ومع ازدياد الحياة المترفة فى العصر الإمبراطورى ظهر داء النقرس، ومع التحلل الأخلاقى الواضح بدأت الأمراض الجنسية فى الظهور مثل الزهرى، وإجتاحت الأوبئة القاتلة ايطاليا وبخاصة فى المنطقة الوسطى أعوام ٢٣ ق.م، ٦٥م، ٧٩م، ١٦٦م[٢].

أما عن نشأة العلوم الطبية فقد جرى العرف على إعتبار هيبوكراتيس مؤسس وواضع قواعد الطب الأغريقى الذى أخذ فى التطور حتى وصل إلى درجة عالية فى مدرسة الإسكندرية العلمية، وكما كان طب الاسكندرية المتطور محصلة لسنوات طويلة من الممارسة العملية والمعرفة النظرية، كذلك كان الطب الأغريقى تتويجاً لمحاولات استمرت مئات السنين فى وصف المرض ومحاولة علاجه، بدأت (كأقدم معلومات لدينا) فى الإلياذة

---

(١) تشارلز وورث. المرجع السابق. ص ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) ول ديورانت. المرجع السابق. ص ١٩٤.

لهوميروس عن هيلين التى استعملت دواءاً مصرياً، مما يشير إلى مشكلة تأثر الطب الأغريقى ومن ثم الطب السكندرى بالطب المصرى، وهى المشكلة التى لم تحل حتى الآن بشكل قاطع، وإن كان من المؤكد أن طب الاسكندرية قد تأثر بالطب المصرى عن طريق الموسيون ومكتبة الاسكندرية الشهيرة[١].

ولايمكن إنكار دور الدين فى بداية ظهور العلوم الطبية وبخاصة الإله ايسكليبيوس، مما يشير إلى فكرة العلاج النفسى، أو العلاج بالإيحاء التى بدأها المصريون ومارسها الكهنة فى معابدهم، ونقلها عنهم اليونان ثم نقلها عنهم الرومان، وعندما بدأ هؤلاء الكهنة فى إستعمال بعض العقاقير بالإضافة إلى التأثير النفسى لتواجد المريض فى معبد الإله، يمكن القول أن الجانب العملى فى الطب عن طريق الممارسة والخطأ والصواب قد بدأ. واشتهرت من المدارس الطبية مدرستى كنيدوس وقوص واللتان وإن إنتميتا جغرافيا إلى أسيا الصغرى، إلا أن تأثيرهما على اليونان ومن ثم الرومان كان كبيرا وبخاصة قوص عن طريق طبيبها الشهير هيبوكراتيس.

ومع بداية العصر الهللينستى وفتوحات الإسكندر التى ضاعفت مساحة العالم المعروف، ومن ثم وفرت للعلماء فرصة لزيادة معارفهم عن الأجناس البشرية والنبات والحيوان وغيرها من العلوم، ومع وجود قواعد البحث العلمى التى كان قد وضعها أرسطو، والتى تتطلب قدراً كبيراً من المعلومات لتحليلها وإستخلاص النتائج منها أصبح من المنطقى قيام نهضة علمية كبيرة. ومع بداية العصر الإمبراطورى ازدادت مساحة العالم المعروف عن ذى قبل، ومن ثم انطلق العلماء والأطباء خاصة إلى آفاق أوسع وأرحب[١].

وحتى القرن الأول ق.م لم تكن الجمهورية الرومانية قد وضعت نظاماً خاصاً لممارسة الطب، فكان يمارسه كل من يجد فى نفسه المقدرة على ذلك

---

(١) وتجدر الإشارة هنا إلى تتلمذ هيبوكراتيس على أيدى الكهنة المصريين، أما أعماله الطبية فالمتتبع لها يلمح بوضوح التأثير المصرى، حتى أن بعضها يكاد يكون ترجمه لبعض البرديات الطبية المصرية.

(١) حسين الشيخ. المرجع السابق، ص ص ٢١٥ – ٢١٧.

كالحلاقون والقابلات والسحرة وغيرذلك. إلا أن القرن الأول الميلادى وبخاصة النصف الثانى فى عهد الإمبراطور فسباسيان شهد تحولاً فى ممارسة مهنة الطب، فقد فتحت فى عهده مدارس طبية يتولى التدريس فيها أساتذة معينون من قبل الدولة، وكانت لغة التدريس فى هذه المدارس هى اليونانية، وكان يطلق على خريجى هذه المدارس «أطباء الجمهورية»، وكانوا وحدهم المسموح لهم بممارسة مهنة الطب بشكل قانونى وخاصة بعد صدور قانون «أكويليا» Lex Aquilia الذى يقضى بإشراف الدولة على عمل الأطباء، كما نص على وجوب أن يتحملوا تبعات اخطائهم المهنية، ثم صدر قانون «كورنيليا» Lex cornilia الذى يفرض عقوبات مشددة على الأطباء الذين يتسببون فى موت مرضاهم بسبب إهمالهم أو أخطائهم فى عملهم[١]

وقد وصل الطب العسكرى مع بداية القرن الثانى الميلادى إلى مرحلة متقدمة من النضج والنظام، فقد كان لكل تجمع عسكرى هيئة اسعافات أولية مع مجموعة من الجراحين، وكان بالقرب من كل معسكر هام مسشفى عسكرى. كما افتتح الأطباء مستشفيات خاصة تطورت عنها المستشفيات العامة فى العصور الوسطى، وكانت الدولة تساعد الأطباء فى معالجة الفقراء مجاناً وتؤدى لهم أجورهم. أما الأغنياء فكان لهم أطباؤهم الخصوصيون، وكانت بعض الأسر تتعاقد أحياناً مع بعض الأطباء بشكل دائم، ويبدو أن الأطباء قد أخذوا يحققون دخلاً عاليا، حتى أن بلينى يتحدث عن الطبيب «كوينتوس استرتنيوس» الذى كان دخله السنوى يزيد عن ستمائة الف سسترس، كما استطاع الجراح «الكون» أن يسدد غرامة فرضت عليه مقدارها عشرة مليون سستريس فى بضع سنوات من دخله من ممارسة الطب[٢].

وفى العصر الإمبراطورى ظهر التخصص فى الطب فأصبح هناك أطباء متخصصون فى المجارى البولية وفى أمراض النساء وفى أمراض العيون والأسنان كما ظهر الأطباء البيطريون، وظهرت أيضا طبيبات تخصصن

---

(١) ول ديورانت. المرجع السابق. ص ص ١٩٥ – ١٩٦.

(1) Pliny, XXVIII, 2, 8.

أساساً فى أمراض النساء والولادة. وقد وصلتنا كتابات كلسوس والتى وصف فيها بعض العمليات الجراحية كعملية إستئصال اللوز، واستخراج حصوة من المثانة، واستخدام عصير بعض النباتات المخدرة فى التخدير قبل اجراء العمليات.

ولايكتمل الحديث عن الطب عند الرومان دون ذكر جالينوس Claudius Galenus الذى ولد فى بيرجاموم ثم درس الطب وزار اليونان ومصر ثم استقر فى روما وخدم فى بلاط الإمبراطور ماركوس اوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) وبعد موت ماركوس اوريليوس عاد جالينوس إلى بيرجاموم حيث ظل هناك حتى توفى عن عمر يناهز التسعين عاماً فى ١٩٣م. وأشتهر جالينوس بغزارة إنتاجه حيث كتب مايزيد عن مائتى كتاب احترق أغلبها فى حريق شب فى أحد المعابد فى روما حيث كانت هذه الكتب محفوظة.

إلا أن كتابه عن «فرق الطب» وصلنا مع عدد آخر من كتبه، ونشير هنا إلى هذا الكتاب حيث يعتبره جالينوس نفسه المدخل الطبيعى لدراسة الطب، وقد قام بنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية أبوزيد حنين أبن اسحق العبادى[1]، ويقول جالينوس فى مطلع كتابه هذا:

«إن قصد الطب إلتماس الصحة، وغايته إحرازها. فالطبيب مضطر إلى أن يعلم الأشياء التى تعيد الصحة إذا فقدت، والأشياء التى تحفظها إذا كانت موجودة. فالأشياء التى تعيد الصحة إذا فقدت هى الأشياء التى ينتفع بها فى إجتلاب الصحة، والتى تبلغ بمن فقد الصحة إليها من العلاج باليد والأغذية والأدوية. وأما الأشياء التى تحفظ الصحة إذا كانت موجودة فهى مايستعمل الأصحاء من التدبير والأغذية.

ولذلك قالت القدماء: أن الطب هو معرفة الأشياء المصححة والأشياء الممرضة[2].

---

(١) كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين. نقل أبى زيد حنين بن اسحق العبادى المتطبب. تحقيق وتعليق دكتور محمد سليم سالم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٨.

(٢) نفس المرجع. ص ص ١١ - ١٢.

تتبقى إشارة أخيرة إلى علم اهتم به الرومان اهتماماً كبيراً بسبب تأثيره المباشر على حياتهم اليومية وبخاصة فى مجال السياسة، وهو علم البلاغة واللغة ومايرتبط بهما من حرف كالخطابة. وقد اعتاد الكتاب الذين كتبوا باللغة اليونانية فى العصر الإمبراطورى على إستعمال اللغة اليونانية القديمة التى كانت سائدة فى القرنين الرابع والخامس ق.م، وهى اللغة التى كتب بها ثوكيديديس وليسياس وأفلاطون وديموسثينيس وغيرهم، حيث نظروا لها على أنها اللغة الأمثل للكتابة والتعبير، إلا أن هذا الموقف خلق وضعا خطيراً إذا إنقطعت الصلة بين الكلمة المكتوبة واللغة المستعملة فى الكلام، وبالتالى فقدت اللغة المكتوبة أسباب الحياة والتطور وأخذت فى الموت البطىء التدريجى. وماحدث مع اللغة اليونانية حدث أيضا مع اللغة اللاتينية حيث أخذ المظهر يطغى على الجوهر وانقطعت الصلة بين الكتاب الرومان الذين استعملوا الألفاظ الطنانة المهجورة والأساليب القديمة فى التعبير وبين المتلقى وهو هنا المواطن الرومانى البسيط المحدود الثقافة، وكنتيجة حتمية لهذا بدأت اللغة اللاتينية تنكمش وتتقوقع مبتعدة عن الحياة العامة والمواطن البسيط لتتحول إلى لغة لصفوة المثقفين ثم إلى لغة للطقوس الدينية[١].

---

(١) تشارلز وورث. المرجع السابق. ص ص ١١٤ – ١١٥.



المبحث السادس

الفن والمجتمع

«الفن هو نتاج المجتمع الذى يفرزه»، مقولة قد تصدق على أغلب فنون ومجتمعات العالم القديم والحديث على حد سواء. إلا أننا فى معرض تعاملنا مع الفن الرومانى لابد وأن نتعامل مع مثل هذه المقولة بحذر شديد، فالفن الرومانى فى أغلبه – وخاصة فى بداياته – هو نتاج للمجتمع اليونانى وإفراز من إفرازاته. وقد كان معظم فنانى روما – بإستثناء بعض المهندسين المعماريين – من اليونانيين الأرقاء أو المحررين أو المستأجرين، ونظر الرومان، لهم على أنهم من طبقة الصناع، وهنا يتناقض المجتمع الرومانى مع المجتمع اليونانى، فاليونانيون رغم كراهيتهم للعمل اليدوى وعدم إحترامهم لهم (وإن حاولوا إخفاء ذلك) أطلقوا على الصانع لقب «تخنيتيس Technytes» أى «فنان» عكس الرومان الذين أطلقوا على الفنان لقب «صانع».

وربما كان هذا الموقف هو السبب فى تجاهل أغلب من كتبوا باللغة اللاتينية للفنانين كأشخاص، فالتاريخ الشخصى للفن الرومانى غير موجود إلا فى أضيق الحدود، وبهذا يمكن القول بأن تاريخ الفن الرومانى هو تاريخ الأشياء نفسها أو الأعمال الفنية،فلايوجد لدينا شخصيات مثل ميرون أو فيدياس أو براكستيليس وغيرهم من علامات الفن اليونانى، وبهذا يجد المشتغل بالفن الرومانى نفسه مضطراً إلى تتبع مجموعات العملة أو الأوانى الفخارية المختلفة أو النقوش العديدة أو التماثيل والصور والمبانى وغير ذلك من النماذج الفنية، أما من هم وراء هذه النماذج والسبب فى ظهورها إلى حيز الوجود، ففى الغالب لايستطيع الوصول إليهم.

وقد انتقل الفن اليونانى إلى روما عن طريق صقلية وجنوب ايطاليا الذى انطبع تماماً بالطابع اليونانى حتى سمى «اليونان العظمى Magna Graecea» وعن طريق كمبانيا وإترוריا، وعن طريق بلاد اليونان نفسها والاسكندرية

والشرق الذى اصطبغ بالصبغة اليونانية، هذا بالإضافة إلى ثراء روما المضطرد مع بداية العصر الإمبراطورى مما جعلها تتحول إلى مركز جذب فهاجر إليها العديد من الفنانين اليونانيين والشرقيين وكان لهم أبلغ الأثر فى إنتاج مجموعات ضخمة من النماذج الفنية التى إن لم تكن يونانية بالكامل فهى على الأقل تحمل الروح والتأثير اليونانى المباشر. ويمكن القول أن الفن اليونانى فى روما قد شهد عصره الذهبى فى الفترة التى تمتد من فتح الرومان لليونان وحتى ظهور الإمبراطور نيرون عاشق اليونان.

ومن ناحية أخرى يمكن القول أيضا أن الفترة التى أعقبت ذلك شهدت تغيرا واضحاً فقد بدأ الفن الرومانى الواقعى فى الظهور واستطاع الخروج على القوالب اليونانية التقليدية بما أدخله من واقعية فى النحت والتصوير التأثرى وهندسة العقود والقباء، حتى تحولت روما إلى عاصمة فنية للغرب.

أولاً: العمارة:

قامت العمارة اليونانية فى جوهرها على فكرة الخط المستقيم مهما أدخل عليه من تعديل أو تنظيم كالعمود الرأسى والعارضة الأفقية والقوصرة المثلثة الشكل. أما العمارة الرومانية فقد قامت على أساس الخط المنحنى كالعقود والأقواس والقباب.

واستخدم الرومان فى مبانيهم الخشب والحجر والرخام والآجر والمسلح. وكان الطوب الآجر هو المادة الأكثر شيوعاً فى بناء الحوائط، وصنعه الرومان من خليط من الرمل والجير وتراب الرخام والماء توضع فى قوالب وعندما تجف تصبح صلبة تماماً، ولازالت بقايا الاجر المستخدم فى الكولسيوم فى روما شاهد على الصلابة التى تمتع بها هذا النوع من مواد البناء.

أما المسلح (ونستعمل لفظ المسلح هنا مجازاً) فقد صنعه الرومان من خليط من تراب البراكين الموجود بوفرة فى ايطاليا مع خلطه بالجير والماء، وكان يوضع فى هذا الخليط قطع صغيرة من الاجر والفخار والرخام والحجارة، وينتج عن هذا الخليط نوع من الملاط اللدن قابل للتشكل أو الصب فى أى قالب أو أى شكل، وعند جفافه يصبح فى صلابة الصخر. وبفضل هذا

الملاط استطاع البناؤن الرومان أن يغطوا مساحات واسعة خالية من الأعمدة بقباب صلبة خالية من الأكتاف الجانبية التى تحمل السقف المقوس، وهى الطريقة التى بنوا بها سقف البانثيون وقمم أسقف الحمامات الكبرى[1].

وتميزت العمارة الرومانية بالخلط بين الطرز المعمارية المختلفة فإستعمل الرومان الطرز الدورية والأيونية والكورنثية والتسكانية، فكثيراً مايكون المبنى خليطا من هذه العناصر المعمارية مجتمعة أو من بعضها على صورتها الأصلية أو حتى بعد إدخال بعض التعديل عليها. وكثيرا ما استعمل الرومان الأعمدة المنحوتة من قطعة واحدة من الحجر بديلا عن الطريقة اليونانية التى استعملت أكثر من قطعة إسطوانية Drum لتكوين العمود، وأحيانا ماكان للأعمدة الدورية قواعد ذات طراز ايونى، أو يتشكل تاج العمود من أكثر من طراز.

وقد إزدحمت روما بالمبانى وبخاصة المعابد، وكان أشهرها معبد الإله جوبيتر على تل الكابيتول، ومعبد جونو الحارسة Juno Moneto بجوار دارسك العملة، ومعبد ساترن ومعبد مارس وأقام أوغسطس على تلك البالاتين معبداً فخماً للإله أبوللو الذى ناصره فى موقعة اكتيوم وزينة بتماثيل من نحت ميرون وسكوباس. وعلى تل البالاتين أيضا أقيم معبد ضخم للإلهة كيبيلى، وإلى الشمال الغربى أقيم معبد آخر للإلهة إيزيس.

الفورم:

هو ساحة مكشوفة تستخدم فى المدن الرومانية مثل الأجورا فى المدن اليونانية لممارسة الأعمال التجارية والإجراءات القضائية والنشاطات السياسية، وإلى جانب وظيفة الفوروم فى الحياة اليومية كان كذلك مقراً للخدمات الحكومية والأنشطة العامة والرسمية، فكانت تجرى فيه الإنتخابات

---

(1) Michael Grant, The World of Rome , p 260 ff; Mortimer Wheeler, Roman Art and Architecture, p.89 ff; Helga Von Heintze, Roman Art, p. ff; Nancy Ramage, Andrew Ramage, Roman Art, p. 30 ff.

ويعقد فيه ملجس السناتو إجتماعاته، كما كانت المواكب الدينية ومواكب النصر تمر من طريق ڤياساكرا (الطريق المقدس) الذى يخترق الفوروم، وكانت تقام فيه المآدب العامة الكبرى.

وقد بدأ الفوروم كمساحة غير معبدة مترية حتى نهاية القرن السادس ق.م حيث سويت الأرض وعبدت وبدأت ترتفع فيه المبانى مثل معابد ساتورن وانطونينوس بيوس والإلهة ڤستيا وكاستور وبوللوكس ومقبرة رومولوس، كما أقيم بالفوروم مقر لمجلس الشيوخ (السناتو)، وبازيليكا إميليا، ودار المخفوظات (الأرشيف)؛ وبازيليكا جوليا ومعبد قيصر المؤله[1]،كما أقيمت به أقواس النصر لأوغسطس وسبتميوس سفيروس وتيتوس.

ومع انهيار الإمبراطورية الرومانية فى الغرب أهمل الفوروم الرومانى، رغم محاولة المسيحيين الإبقاء عليه على أساس إستعمال معابده ككنائس، إلا أن زلزالا مدمراً ضرب روما فى القرن الثامن الميلادى قضى على ما تبقى منه، فإنتشرت فيه قمائن الجير التى كانت تتغذى على مبانيه، حتى القرن الثامن عشر حين بدأت محاولات التنقيب الأثرية تكشف عن بقاياه.

ساحة (فوروم) تراچان:

تولى الإمبراطور تراچان الحكم فى عام ٩٨م، وفور توليه الحكم بدأ مشروعاً طموحاً لبناء فوروم روما الجديد والذى عرف بإسم ساحة تراچان. وقد شهد عصر تراچان ومن بعده هادريان أقصى توسع للإمبراطورية الرومانية، وبذلك ازداد عدد سكان روما وزائريها زيادة كبيرة، مما جعل المنشآت التى اقيمت فى الفوروم الرومانى منذ العصر الجمهورى لا تفى بمتطلبات هذا العصر، ومن هنا نشأت فكرة الفوروم الجديد الذى بنى على مساحة تزيد عن الخمسة وعشرين فداناً.

وقام بالتنفيذ المهندس اليونانى ابوللو دوروس الذى حقق شهرة كبيرة

---

(1) Nancy Ramage, Andrew Ramage, op.cit., pp. 65 - 68.

قارن : ثروت عكاشة. الفن الرومانى . ص ص ١٦٤ – ١٧٥ .

عندما استطاع بناء جسر على نهر الدانوب فى النقطة التى يتسع فيها النهر إلى أقصى حد. وكان الدخول إلى الفوروم الجديد عن طريق بوابة ضخمة تؤدى إلى فناء مربع كبير يحيط بجوانبه الشرقية والغربية والجنوبية أروقة ذات أعمدة، أما الجانب الشمالى فأنشأت فيه بازيليكا أولبيا التى استخدمت للاجتماعات العامة وعقدت فيها جلسات المحاكم، وعلى جانبيها الشمالى والجنوبى اقيم صفان من الأعمدة، وعلى الجانبين الشرقى والغربى اقيمت ثلاثة صفوف من الأعمدة، واقيمت فوق هذه الأعمدة سلسلة متصلة من العوارض الحجرية انتصبت فوقها صفوف أخرى من الأعمدة وهى التى كانت تحمل سقف البازيلكا. وبعد البازيليكا قامت مكتبتان احداها للكتب اليونانية والأخرى للكتب اللاتينية، وفى المساحة الخالية التى تفصل بين المكتبتين انتصب عمود تراچان، وفى نهاية الفوروم أى فى اقصى الجانب الشمالى له اقيم معبد تراچان.

كما أنشأ تراچان ايضاً الحمامات التى اشتهرت باسمه وبناها ايضاً المهندس اليونانى أبوللو دوروس وزودها بأحواض الماء الساخن والفاتر والبارد، وأضاف إليها غرف لخلع الملابس وجمنازيوم ومطعم وقاعات للمطالعة وغير ذلك من وسائل التسلية، واصبحت الحمامات مكاناً تعرض فيه الغنائم المنهوبة من البلاد التى تغزوها روما(١).

الكولوسيوم:

ويعود بناؤه إلى أواخر القرن الأول الميلادى وكانت تقام فيه الإحتفالات والمباريات الرياضية والصراع بين الإنسان والوحوش المفترسة الذى اشتهر به الرومان، وبنى الكولوسيوم على مساحة ستة أفدنة وأخذ الشكل البيضاوى وكان يتسع لحوالى خمسين ألف مشاهد، وزود المبنى بما يقرب من ثمانين بوابة حتى يتيسر للمشاهدين الدخول والخروج بسهولة وسرعة. والمبنى يتكون من اربعة طوابق ترتكز عليها مدرجات المشاهدين ويرتفع سبعة

---

(1) Nancy Ramage, Andrew Ramage, op.cit., pp. 189 - ff.

قارن : ثروت عكاشة. المرجع السابق. ص ص ١٧٥ – ١٨٥.

واربعين متراً، واستعمل فى بنائه (المسلح) الذى سبق الحديث عنه والذى تكون من خليط من التراب البركانى والجير والماء مضاف إليهم قطع صغيرة من الحجارة والأجر. وتبدو ظاهرة اختلاط الطرز المعمارية المختلفة فى مبنى واحد والتى طبعت الكثير من المبانى الرومانية واضحة فى مبنى الكولوسيوم، إذ إستعملت فى الطابق الأرضى اعمدة ذات طراز توسكانى، أما اعمدة الطابق الثانى فكانت ذات طراز أيونى، على حين كانت اعمدة الطابق الثالث كورنثية(١).

البانثيون:

وهو مجمع الآلهة عند اليونان والرومان، أى المكان الذى يضم تماثيل جميع الآلهة، والبانثيون هو البلورة المادية لفكرة دينية تقول بأن الآلهة أيضاً تجتمع فى مكان معين لتناقش احوال البشر وتشرع للمسائل الكونية. وقد بنى النموذج الأول للبانثيون فى العصر الجمهورى، إلا أن الإمبراطور هادريان اعاد بناؤه من جديد بعد أن احترق، وقد بدأ البناء الجديد حوالى ١٢٠ م وربما كان ابوللو دوروس ايضاً هو المهندس الذى اشرف على البناء.

والبانثيون الرومانى هو تجسيد للإبداع المعمارى الرومانى بكل المقاييس رغم أن الفكرة الهندسية التى قام عليها بسيطة للغاية حيث لا تخرج عن مبنى اسطوانى يحمل سقفاً عبارة عن نصف كرة، وإرتفاع القبة من الداخل حوالى ٤٢ متراً وهو نفس اتساع المبنى ايضاً مما يعطى احساساً بالبساطة والرحابة فى نفس الوقت. والمبنى عبارة عن قاعدة اسطوانية سميكة للغاية إذ يبلغ سمك الجدران حوالى ستة أمتار حتى تتحمل ثقل القبة الضخمة، وفى هذه الجدران ثمانية تجاويف، استعمل احدها كمدخل للمبنى، أما التجاويف السبعة الأخرى فاستخدمت كحنيات توضع فيها التماثيل(٢). ولما كان الثقل المتوقع للقبة كبير جداً لذا استخدم فى بنائها نظام خاص فإستعملت العقود والأكتاف، وصبت خرسانة القبة على حلقات افقية الواحدة فوق الأخرى،

---

(1) Nancy Ramage, Andrew Ramage, op.cit., pp. 156 - ff.
(2) Mortimer Wheeler, op. cit., p. 104, ff.

فما أن تجف الحلقة حتى تتماسك مع الحلقة السابقة لتصبحان وكأنهما كتلة واحدة. وصمم مدخل البانثيون على الطراز الكورنثى بإتساع يبلغ أكثر من ثلاثين متراً، وتم كساء المبنى من الخارج بألواح من البرونز.

وبشكل عام فإن تصميم المبنى بجدرانه وقبته لم يهتم كثيراً بالمظهر الخارجى بقدر ما اهتم بالفراغ الداخلى حتى يتلائم المبنى مع الغرض الذى أنشئ من أجله، وهو جوهر فلسفة الرومان المعمارية.

بهذا يمكن القول أن البناؤون الرومان قد تركوا بصمة واضحة على فن العمارة تمثل فى أربعة إضافات قاموا بها:

– ملائمة المبنى للحياة اليومية فنرى البازيليكات والجسور وشبكات المياه والمجارى والطرق مما يحقق منفعة مباشرة للمواطن الرومانى، وهو تعبير عن النظرة الواقعية للأمور التى إتسم بها الرومان ونظامهم وصلابتهم.

– استحداث تصميمات داخلية جديدة للمبانى عن طريق افساح فراغ كبير داخل الوحدات المعمارية لمواجهة الزيادة السكانية المضطردة فى روما.

– إمكانية الارتفاع بالمبانى الى ارتفاعات لم تعرف قبل الرومان مما وفر فراغات داخلية كبيرة، وقد ساعد على ذلك تطور تكنولوجيا البناء.

– إستخدامهم لنظام العقود فى البناء بالإمكانات المعمارية الرائعة التى وفرها هذا النظام، هذا بالإضافة إلى استخدامهم للقبوات ايضاً(1).

النحت:

لعل أهم ما يميز الفن الرومانى هو إرتباطه الوثيق بواقع الحياة اليومية. وفى أواخر العصر الملكى وبداية العصر الجمهورى أوائل القرن الخامس ق.م كان التأثير الاتروسكى على الفن الرومانى واضحاً تماماً، وبخاصة فى مجال النحت، فيشير بلينى إلى أن التماثيل فى تلك الفترة كانت ذات طابع إتروسكى، ومعظمها كانت من التراكوتا خاصة تماثيل الآلهة، بالإضافة إلى

---

(1) ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص ص ١٩٤ – ١٩٧.

بعض التماثيل البرونزية اكثرها كان للشخصيات التاريخية[1]، أما الرخام فلم يستعمل فى النحت إلا أواخر العصر الجمهورى، ولم يستخدم الذهب والفضة إلا فى التماثيل الصغيرة الحجم وفى أمثلة قليلة، وتماثلها فى القلة التماثيل المنحوتة من الأحجار المحلية.

ومن أقدم النماذج النحتية الرومانية التماثيل الفخارية ذات الطابع الإتروسكى والتى تعود إلى منتصف القرن السادس ق.م، عندما أقام ملك روما المعروف بإسم تاركوينيوس Tarquinius معبداً للإله جوبتر على تل الكابيتول وكلف فنانين اتروسكيين بزخرفته ونحت تماثيله. ولم ينته التأثير الإتروسكى بإنتهاء السيطرة الإتروسكية، إذ كلما إحتاج الرومان لزخرفة معبد إو إقامة تماثيل كانوا يطلبون الفنانين الإتروسك من إتروريا.

وبدءاً من القرن الثالث ق.م بدأ التأثير اليونانى يتضح فى الفن الرومانى، وكان ذلك نتيجة إحتكاك الرومان باليونان، سواء عن طريق المستعمرات اليونانية فى جنوب إيطاليا أو عن طريق بلاد اليونان نفسها،ففى عام٢٧٢ق م احتل الرومان مدينة تارنتوم ثم احتلوا سيراقوسة ونقلوا أغلب الأعمال الفنية فى المدينتين إلى روما. وفى ٢١٠ ق.م غزا الرومان مدينة كابوا وفى ١٩٤ ق.م مقدونيا ومنهما تدفقت التماثيل البرونزية والمرمرية والأوانى الفاخرة، وقد ساهم ذلك فى وضع نهاية لإستعمال الفخار والخشب لصنع التماثيل فى روما حسب التقليد القديم واستبدلت بهما التماثيل المستوردة.

ويمكن القول بأن فن البورتريه هو دليل واضح على الإنجازات الفنية التى تميز الفن الرومانى، كما تعتبر ايطاليا هى الموطن الأساسى لفن البورتريه، الذى استعمله الفنان الرومانى لتسجيل دقيق وأمين لقسمات الوجه مع التأكيد على السمات الفردية الخاصة بالشخص المصور حتى يمكن للناظر أن يتعرف على الشخص من البورتريه الذى يمثله بكل بساطة. وهنا لايتفق الفنان الرومانى الذى مثل الشخص بشكل واقعى وكما هو فى الحقيقة مع الفنان اليونانى الذى مثل الشخص كما ينبغى أن يكون أى بشكل مثالى.

---

(1) Pliny, H. N., XXXV. 158.

والبورتريه الرومانى خاصة فى العصر الجمهورى يؤخذ على أنه تعبير عن مكانة سياسية واجتماعية معينة قبل أن يؤخذ على أنه عمل فنى، فقد اختص الارستقراطيون أنفسهم بالبورتريهات التى تمثلهم وقد ساعدهم فى ذلك انهيار المحاولات الإصلاحية التى بدأها الأخوين جراكوس وعودة مجلس السناتو إلى سابق عهده من قوة ونفوذ وخاصة مع دكتاتورية سلا[١].

وقد ظهر عدد من بورتريهات العصر الجمهورى على العملة وكانت تخص حكام كانوا قد توفوا، حتى بدأ يوليوس قيصر ومن بعده أوغسطس عادة سك صورة بورتريه الأحياء على العملة. وتميز هذا النوع بالواقعية الشديدة التى اهتم فيها الفنان بتسجيل تجاعيد البشرة والملامح التفصيلية أكثر من إهتمامه بتسجيل الهيئة العامة للشخص المصور.

وقد ارتبط البورتريه بالفن الرسمى[٢]، وكان دائماً معنياً بتحقيق التوازن بين متطلبين فنيين، الأول هو التزام الدقة والأمانة فى نقل تفاصيل الجسم البشرى والوجه، والثانى هو الأسر الأرستقراطية المحلية الحريصة على تسجيل وجوه اسلافها بواقعية لاتغفل أدق التفاصيل.

ولاشك أن لإنتشار البورتريه فى الفن الرومانى صلة بنظرة الرومان لرأس الإنسان الذى اعتبروه عضواً مستقلاً قائماً بذاته يعبر عن شخصية الإنسان. وذلك بعكس الفن اليونانى الذى احترم الجسم البشرى بل وصوره بشكل مثالى، مما جعل فكر بتر جزء من الجسم فكرة غير مقبولة، وبالتالى لم ينتشر فن البورتريه عند اليونان إنتشاره عند الرومان[٣].

وإنطلاقاً من هذه الفكرة نجد أن النحات الرومانى لايولى الجسد المنحوت فى التمثال الكامل نفس الإهتمام الذى يوليه للرأس والوجه، فيبدو الرأس كما

---

(١) ثروت عكاشة. المرجع السابق. ص ص ٢٠٨ – ٢١٢.

(٢) ظهر عند الرومان إتجاهان فنيان الأول موجه إلى الطبقة الحاكمة ومن حولها من الارستقراطية وعرف بالفن الرسمى، والثانى موجه لعامة الشعب وعرف بالفن الشعبى أو فن عامة الشعب.

(٣) ثروت عكاشة. المرجع السابق، ص ص ٢١٢ – ٢٢٣.

لو كان مركباً على جسم لايخصه، وذلك بعكس النحات اليونانى الذى أهتم بالجسم نفس إهتمامه بالوجه فأتى التمثال متناسقاً يحمل قدراً كبيرا من الهارمونية أو الإتساق.

وفى العصر الإمبراطورى بدأ البورتريه فى التضخم فأخذ حجم الجزء المنحوت من الجسم فى الإزدياد، فعلى حين إقتصر النحات فى عصر الأسرة الجيوليوكلاودية على تصوير الرأس والعنق فقط، نجد أن النحات فى عصر الأسرة الفلافية ينحت المنكبين والجزء الأعلى من الصدر، كما أنتج النحاتون جذوعاً بشرية أى أجسام بدون رأس تمثل أوضاعاً معينة مثل الإله أبوللو عازف القيثار أو مارس إله الحرب أو ڤينوس أو هرقل وغيرهم بإنتظار وفاة الشخص فيوضع البورتريه الخاص به فوق أى من هذه الأجسام الجاهزة وبذلك يكون المنتج الفنى النهائى هو تمثال للميت فى شكل أحد الألهة أو الأبطال.

مذبح السلام:

وهو النصب التذكارى أو الهيكل وبداخله المذبح الذى بدأ إنشاؤه فى عام ١٣ق.م وإنتهى العمل فيه فى عام ٩ ق.م وافتتح فى مناسبة عودة أوغسطس منتصراً من أسبانيا وبلاد الغال ايذانا بحلول السلام بالإمبراطورية الرومانية كلها. وأقيم الهيكل والمذبح فوق قاعدة بسيطة أشبه بالمنصة وإستعمل فى بناءه الرخام الأبيض وأخذ الشكل المربع تقريبا،وهو ذو مدخلين أحدهما فى الواجهة والآخر فى الخلفية أى مدخل شمالى ومدخل جنوبى. أما الجدارين الشرقى والغربى الممتدين فقد زخرفا فى شريطين عريضين يعلو أحدهما الآخر ويفصلهما افريز مزخرف، الشريط العلوى ممثل عليه الموكب الذى يمثل مراسم افتتاح المذبح والأسرة الإمبراطورية والشريط السفلى يحتوى على العديد من الزخارف النباتية. أما الواجهتين الأمامية والخلفية فتمثل مهرجان الخصب الرومانى ومشهد لإينياس يقدم القرابين ومشهد تيللوس ربة الخصوبة تحتضن طفليها، وبعض مشاهد التضحية وتقديم القرابين[1].

---

(1) Helga Von Heintz, op.cit, pp. 60, 69, 70, 75, 77

النحت علي التوابيت:

درج الرومان على الإحتفاظ برماد جثث موتاهم بعد حرقهم فى أوان خاصة ، إلا أنه ومع بدايات العصر الإمبراطورى بدأ التحول إلى إستعمال التوابيت الرخامية، وبالتالى ظهرت الحاجة إلى تجميل هذه التوابيت بالنقوش البارزة، وظهرت أماكن متخصصة فى هذه العملية فى روما وأثينا وأسيا الصغرى.

وفى الغالب بدأ تحول الرومان إلى إستعمال التوابيت نتيجة الإتصال الوثيق مع المدن ذات الطابع اليونانى فى أسيا الصغرى والتى إستخدمت التوابيت قبل ذلك بفترة طويلة. إلا أن التوابيت الرومانية برغم إستلهامها للأساطير اليونانية والزخارف الآتية من آسيا الصغرى والإسكندرية، كان لها برغم ذلك خصوصيتها ورمزيتها الدينية والفلسفية[1].

ومن أشهر التوابيت الرومانية «تابوت أخيليس» الموجود بمتحف اللوفر،، وقد نحتت على جوانبه الأربعة موضوعات مستمدة من قصة اخيليس فى الإلياذة، فنجد اخيليس وهو يعزف على القيتار وسط مجموعة من الفتيان، واخيليس وهو يستعد للحرب ويرتدى درعه واسلحته، وأوديسيوس واجاممنون مع عدد من ملوك اليونان، ومركبة اخيليس الحربية وهى تجر جثة هكتور وبريام ملك طروادة جاثيا عند قدمى اخيليس مطالباً بإستعادة جثة ابنه هكتور فى حضور البطل الاسطورى هيراكليس.

وكانت التوابيت المستوردة من أثينا وآسيا الصغرى تزخرف من جوانبها الأربعة، وبالتالى كان التابوت يوضع فى وسط حجرة الدفن، إلا أنه بداية من عصر الإمبراطور هادريانوس ظهر تقليد جديد يقضى بوضع التابوت ملاصقاً لأحد حوائط حجرة الدفن، وبالتالى زخرفت جوانبه الثلاثة الظاهرة للعين فقط، وترك الجانب الرابع الملاصق للحائط أملساً.

ومع بدايات القرن الثالث أخذ الرومان ينصرفون عن الموضوعات

---

(1) Ibid, 91 - 95, 182

الأسطورية فى زخرفة توابيتهم، وتحولوا إلى الموضوعات المتعلقة بالحياة اليومية. وإلى هذه الفترة يعود ظهور نوع جديد من التوابيت الرومانية يمتلىء بمشاهد معارك الرومان ضد البرابرة من الشعوب المتاخمة لحدود الإمبراطورية، ولدينا مثال شهير هو تابوت أحد قادة حملات الامبراطور ماركوس أوريليوس المحفوظ بالمتحف القومى فى روما، والموضوعات النحتية على جوانب التابوت شديدة الثراء والدقة فى التنفيذ مما يجعل المشاهد يحس بالألم الذى تعانية مجموعات البرابرة المصورة على التابوت، إلا أن وجه الشخصية الرئيسية فى المشهد – أى صاحب التابوت – غير مكتمل، مما يرجح أن هذا التابوت كان من النوعية التى تنتج بالجملة، ثم يكمل الفنان وجه الشخصية الرئيسية بعد شراء التابوت ليتطابق مع وجه الشخص الذى سيدفن بداخله.

وقد كان القرن الثالث الميلادى هو فترة «الأزمة» التى عاشت فيها الإمبراطورية الرومانية فى كافة النواحى الإقتصادية والسياسية والعسكرية، وأيضا فى النواحى الفكرية والمعنوية، فقد اغتيل الإمبراطور كومودوس فى ديسمبر ١٩٢م، وخلفه بيرتيناكس الذى يقتل أيضا بعد ثلاثة أشهر من توليه الحكم، ثم يدخل سبتميوس سفيروس روما فى ١٩٣ على رأس جيشه بحجة الثأر من قتلة بيرتيناكس ليقيم حكماً استبدادياً مركزياً صارماً ظل موجوداً حتى عصر الإمبراطور دقلديانوس، وبالتالى اختفى مفهوم الدولة الرومانية بوصفها إمتداداً لإمبراطورية الإسكندر وللعالم اليونانى القديم[1].

وقد أسفرت هذه الأزمة عن تحول جذرى فى الأشكال الفنية الرومانية، فتراجعت العناصر الجوهرية للفن الرومانى والمتأثرة بالفن اليونانى، وشاع العنصر اللاعقلانى لأول مرة حتى فى الإنجازات الرسمية للأباطرة الرومان.

وتقلصت عملية إنتاج التحف الفنية رفيعة المستوى، وأخذت أغلب

---

(1) Nancy Ramage, Andrew Ramage, op.cit., pp. 228 - 233

قارن: ثروت عكاشة. المرجع السابق. ص ٣٤٩ ومابعدها.

الإنجازات الفنية تأخذ شكل الإنجازات الحربية مثل السور الذى بناه الإمبراطور أوريليان حول روما لحمايتها من غارات البرابرة.

وفيما يخص النحت على التوابيت فقد انعكست آثار هذه الأزمة على موضوعاته، فقد جسدت منحوتات هذه التوابيت الإحساس المتوتر والألم ومشاكل العصر، من خلال التعبيرات المثيرة والحركات العنيفة كإستخدامها لموضوعات صيد الأسود والحيوانات المتوحشة. وتكاد أغلب الوجوه التى تظهر فى هذه المنحوتات تتفق فى مسحة الحزن التى تلفها والألم الذى يظهر من تعبيرات الوجه والجسد.

إلا أن أوائل القرن الرابع وبالتحديد عصر الإمبراطور قنسطنين يشهد تحولاً فنياً جديداً، فقد اصدر قنسطنطين فى ٣١٣م مرسوم ميلانو المعروف الذى اعترف فيه بالمجتمع المسيحى وطلب حسن معاملة المسيحيين، مما جعل البعض يعتقدون أنه قد اعتنق المسيحية (وهى مسألة موضع شك حتى الآن). وتم تأسيس القسطنطينية كعاصمة جديدة للإمبراطورية، مما كان له عظيم الأثر فى انبثاق فن جديد هو فن الدولة البيزنطية، فأخذت الأشكال القديمة المليئة بالحزن والألم والمعاناة تختفى تدريجياً ليحل محلها السكون والهدوء والأمل فى حياة أخرى خالدة مليئة بالحب والتعاطف[1].

ثالثاً: التصويــر:

من المؤسف أن معلوماتنا عن فن التصوير اليونانى لاتخرج عن قائمة بأسماء بعض الفنانين وأعمالهم وبعض المعلومات البسيطة عنهم، فلانعرف عن أعمال أشهر مصورى اليونان أمثال بوليجنوتوس وزيوكسيس وابلليس سوى الأوصاف التى تركها لنا الكتاب القدماء، وقد حدث نفس الشىء تقريبا بالنسبة للفنانين الرومان، فلانعرف الكثير عن فابيوس بيكتور – أو توربيليوس أو لابيو أو أريليوس أو لوديوس، وإنما مانتعرف عليه هو الأعمال المصورة نفسها والتى عن طريقها يمكننا التعرف على فن التصوير اليونانى.

---

(1) Nancy Ramage, Andrew Ramage, op.cit., p.312 ff

والاستثناء الوحيد فى هذه الحالة ربما يكون المصور فابوللوس Fabullus الذى نتعرف على زخرفته لبيت نيرون الذهبى Domus Auria من خلال نماذج مستنسخة لها. وقد تكون بقايا الأعمال المصورة التى وصلتنا من روما وأوستيا قليلة، إلا أن ثورة بركان ڤيزوف فى ٧٩م ودفنه لمدينتى بومبى وهيركولانيوم تحت الحمم البركانية ربما كان العامل الأول فى حفظ العديد من الصور الجدارية لنا مما يتيح تتبع تطور هذا الفن وبخاصة فى مرحلة تأثره بالفن اليونانى.

وقد كان فن التصوير فى كمبانيا واتروريا فنا جنائزيا فى المقام الأول، اهتم بزخرفة جدران المقابر التى روعى فى تصميمها أن تتسع جدرانها لتصوير حياة المتوفى وإنجازاته والقابه وغير ذلك مما كان يمس حياته قبل الوفاة، وكان أسلوب الرسم المستخدم واحداً، وهو تغطية جدران المقبرة بطبقة رقيقة من الجص ثم الرسم عليها بالألوان التقليدية مثل الأحمر والأسود والأبيض[١].

ويبدو التأثير اليونانى واضحاً فى هذه المرحلة الأولى من تطور فن التصوير. وبالتدريج بدأ يحدث تحول فى الموضوعات المصورة على جدران مقابر الرجال، فأخذ الفنان يصور إنتصاراتهم الحربية وغنائمهم من هذه الإنتصارات، وصوروا الطقوس الجنائزية وكأنها ملاحم بطولية، أما فى مقابر النساء فقد عنى الفنان بتصوير مشاهد من الحياة اليومية لهن، وابتعدوا عن مشاهد العالم الآخر ومشاهد الوداع.

ومع نهاية العصر الجمهورى وبداية العصر الإمبراطورى بما حمله من بذخ وتغير فى أسلوب معيشة الرومان، ظهرت نماذج متعددة من التصوير الجدارى استغلت فى زخرفة حوائط المنازل الفاخرة والقصور،وجاءت هذه النماذج متأثرة تماماً بالفن اليونانى. ومن الأمثلة التى وصلتنا لوحة للبطل الأسطورى ثيسيوس عثر عليها فى بومبى تمثله بعد قتله للوحش الاسطورى المينوتاوروس وإنقاذه لشباب أثينا الذين كان هذا الوحش يحتجزهم تمهيدا

---

(١) ثروت عكاشة. الفن الرومانى (التصوير). ص ص ٤١٧ – ٤٢٠.

لقتلهم، ولوحة أخرى عثر عليها فى هيركولانيوم تعالج نفس الموضوع وإن كانت أكبر فى الحجم. وفى لوحة بومبى يبدو التأثير اليونانى واضحاً فى تصوير ثيسيوس كأحد تماثيل الأغريق من صنع فيدياس أو لايسبوس، بينما لوحة هيروكولانيوم يظهر فيها شيء من الواقعية وبعض الأخطاء الفنية التى تؤكد أنها منسوخة عن لوحة بومبى مما يرجح أن فنان هيركولانيوم ينتمى إلى فترة تالية على فنان بومبى.

وفى روما كما كان فى بومبى وهيركولانيوم ظهر فن التصوير المتأثر بالنموذج اليونانى جنباً إلى جنب مع التصوير الرومانى الذى انبثق من وسط إيطاليا، وبالتدريج أخذ المصور الرومانى يتحرر من المؤثرات اليونانية، رغم أنه استعمل نفس الموضوعات المكررة المتوارثة، إلا أن الروح الرومانية بدأت تطغى عليها ممثلة فى الواقعية التى اشتهر بها المجتمع الرومانى، ومحاولة البحث عن موضوعات جديدة تتفق مع ظروف هذا المجتمع[1].

وقد عرف فن التصوير الرومانى أسلوب «المنظور» فى التنفيذ أو «البعد الثالث» للصورة، وقد تعددت الأراء حول ظهور هذا الأسلوب وهل هو نابع من التأثير اليونانى أم هو رومانى صرف؟ إلا أن اختفاء إستعمال المنظور مع إختفاء المؤثرات اليونانية من فن التصوير الرومانى يرجح أن هذ الأسلوب أتى مع التأثيرات اليونانية على فن التصوير الرومانى، وإلا ظل قائماً خاصة فى عصر نيرون الذى شهد ثورة معمارية كبرى.

وهكذا يرتبط التصوير الرومانى – مثله فى ذلك مثل النحت – على إتجاهين واضحين: الأول يرتبط بالتقاليد الرومانية والذى امتلأ بتصوير الأحداث التاريخية أو الشخصيات الشهيرة، والثانى ارتبط بالتقاليد اليونانية وإن احالها إلى مجرد عناصر زخرفية. ومع القرن الأول الميلادى تندثر التقاليد اليونانية تدريجيا مفسحة الطريق للتقاليد الرومانية البحتة، وإن كانت هذه التقاليد الرومانية لم تنتج لوحات فى شهرة اللوحات اليونانية، فحصرت

---

(1) Helga Von Heintz, op.cit., p. 115 ff
CF. Mortimer Wheeler, op.cit., p. 172 ff

منجزاتها فى تسجيل مشاهد النصر فوق جدران المبانى العامة، ثم اتجهت إلى تصوير البورتريه الذى إنتشر فى روما ومصر، ووصلتنا نماذج رائعة منه فيما يعرف بإسم «بورتريهات الفيوم»[١]. وبهذا تتحدد معالم فن التصوير الرومانى على مدى عدة مراحل من التطور، فقد بدأ بعناصر أولية استخلصها من الفن اليونانى وحافظ عليها مع التجديد المستمر، إلى أن بدأ هذا الفن فى التميز بخصائص ترتبط به فقط وتقتصر عليه لتلائم الظروف التاريخية والمادية التى عاشها الرومان[٢].

رابعاً: العملــة:

عندما لاتملك السلطة الحاكمة وسائل طباعة أو إذاعة أو بريد، تصبح العملة فى هذه الحالة من الوسائل القليلة التى يتم تداولها بين أفراد الشعب، فهى تفرض نفسها فى كل مكان، مما يجعلها تستخدم كبيانات أو وثائق رسمية عظيمة التأثير وسريعة الإنتشار والتنقل، فيمكن للشعب من خلالها أن يتعرف على إنجازات السلطة الحاكمة، وتصبح العملة فى هذه الحالة أكثر الفنون إنتشاراً وإستغلالاً لأغراض الدعاية والإعلان، فهى تمثل الفن الرسمى الذى يصدر عن السلطة الحاكمة ويعبر عن وجهة نظرها، كما يصبح موجهاً للمتلقى الذى يتمثل فى أفراد الشعب، حيث يتم تداول العملة بواسطتهم، ويصبح من المستحيل الا يلاحظ هؤلاء الأفراد الرموز والموضوعات المصورة على العملة، سواء كانت موضوعات سياسية أو دينية أو عسكرية أو شعارات دعائية ويتأثروا بها[٣].

وهنا تكمن أهمية العملة، حيث تختلف عن الأوانى الفخارية والأحجار الكريمة وغيرها من الفنون الصغرى، لكون العملة وثائق واسعة الإنتشار يتم تداولها محلياً وعالمياً. وهكذا تصبح مصدراً لإستنباط العديد من المعلومات من خلال دراستها التى لاتقل أهمية عن دراسة المصادر الكتابية.

---

(1) Euphrosyne Doxiadis, The Mysterious Fayum Portraits, Faces From Ancient Egypt, Passim

(٢) ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

(3) M.A. Pearce, Roman Imperial Coinage, p. xx;
CF. A.Burnett, Coinage in the Roman World, p. 6.

فالعملة وخاصة فى العصور القديمة تمثل سجلاً للعديد من الجوانب الحضارية، فهى غالباً ماتعكس أحداثا سياسية وإقتصادية وإجتماعية ودينية وعسكرية وإنشائية وغير ذلك. ونظرا لإنتشارها الواسع بين طبقات الشعب المختلفة فقد اتجهت السلطات الحاكمة فى كثير من الأحيان للإفادة منها فى الدعاية والإعلان عن إنجازاتها الداخلية والخارجية، أو التأكيد على قوى هذه السلطات وثبات أقدامها فى الحكم. ولما كانت العملة تضرب من مواد وفئات مختلفة لذا فهى تمثل مقياساً لمستوى تدهور أو إزدهار إقتصاد الدولة، بالإضافة إلى أنها تعتبر أحيانا مرآة لعقيدة الشعب بسبب صور الآلهة المختلفة التى صورت عليها(١).

والعملة من الفنون التى تتحكم فيها عوامل تفوق من حيث العدد أى فن من الفنون الأخرى مثل:

- عوامل ترتبط بطريقة سك العملة ونوع المعدن المستخدم والفئات والأوزان المختلفة، مما يعطى مؤشراً عن طبيعة إقتصاد المنطقة التى أصدرت العملة.

- عوامل ترتبط بالصور الشخصية للحكام والأساليب الفنية المستخدمة فى تصويرهم ومدى تأثر هذه الأساليب بالفنون الأخرى.

- عوامل ترتبط بالموضوعات الأخرى المصورة على العملة (بإستثناء الصور الشخصية للحكام) من حيث أسباب إختيار هذه الموضوعات وماتعكسه لنا من أحوال سياسية وإجتماعية وعسكرية ودينية وإنشائية.

- عوامل ترتبط بالنقوش التى تظهر على العملة من حيث اللغة المستخدمة سواء كانت يونانية أولاتينية، وأسماء والقاب الحكام وعلامات التأريخ ودور السك وأشكال الحروف(٢).

---

(1) A.Burnett, Coins, p. 34

(2) Ulpianus, Digest, XIVIII; Scriptores Historiae Augusta; Tacitus, 9.

قارن: حسين عبد العزيز. العملة الرومانية. مدخل للدراسة الآثرية. دراسة غير منشورة. الاسكندرية ١٩٩٧. ص ص ١١ – ٢٠.

وهكذا يجد دارس العملة نفسه يتحرك فى عالمين مختلفين، كل منهما يؤدى إلى نتائج تساعد على إستعادة صورة شبه حية للمجتمع الذى تنتمى إليه العملة، عالم الفن وعالم التاريخ، وإذا أضفنا إلى هذا معرفة المنطقة التى اكتشفت فيها العملة، فإنها فى هذه الحالة تصبح سجلاً حضارياً لهذا الموقع تبرز أهميته فى الفترات التاريخية المختلفة التى تمثلها العملة المكتشفة(١).

وفى روما ظهرت العملات الذهبية والفضية والبرونزية، وكانت العملات البرونزية هى الأكثر إنتشاراً، وأول وأكثر صورها إنتشارا كان الأس AS الرومانى وهو يزن رطلاً رومانيا (حوالى ٣٢٨ جراماً) ويحتوى على ١٢ أوقية Ounce، وعندما صدرت العملة الفضية سميت دينار Dinarius وكان الدينار يساوى ١٠ آس، ثم صدرت عملات برونزية من فئة أصغر هى السستريس Sestertius وكان يساوى ٤ آس، أما العملة الذهبية فقد صدر منها الأوريوس Aurius الذى احتوى ٨ جرام من الذهب فى عهد قيصر ثم بدأ الذهب ينخفض فى الأوريوس حتى ثبت على ٤,٥ جرام فى عصر قنسطنطين وسمى سوليدوس Solidus بدلا من أوريوس وظل مستعملا حتى سقوط الإمبراطورية.

وعرف الرومان خلط الذهب بالفضة وخلط الفضة بالبرونز ولكن بنسب محددة، كما ظهرت فى بعض الأحيان العملة المطلية، كالعملة البرونزية المطلية بالفضة أو الفضية المطلية بالذهب وهكذا، إلا أن إستعمالها كان نادراً. وكانت جريمة تزوير العملة تعتبر من الجرائم الكبرى طبقاً لقانون Lex Gulia الذى اصدره أوغسطس.

أما فى المستعمرات الرومانية فقد تمتعت بحق إصدار العملة الخاصة بها حتى ٢٦٨ق.م حين أوقفت روما هذا الإمتياز. وقد اعطى قانون چوليا Lex Julia فى ٩٠ ق.م سكان إيطاليا المواطنة الرومانية وبالتالى تم القضاء على

---

(1) CF. C.Seltman, Greek Coins, p. VI; Richard Ducan - Jones, Money and Government in the Roman Empire, Passim

قارن كذلك: علياء السيد إبراهيم. مجموعة عملة كوم أوشيم المحفوظة فى المتحف اليونانى الروّمانى بالإسكندرية. رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة طنطا ١٩٩٧. ص ص أ – د.

العملة المستقلة لمستعمرات وحلفاء روما فى إيطاليا، وذلك فيما عدا بايستوم Paestum، بالإضافة إلى صقلية وإسبانيا اللتان ظلتا تصدران عملات خاصة بهما. أما مصر فقد استعملت عملتها اليونانية التى ابطل استعمالها مع اصلاحات دقلديانوس.

كما أصدر الرومان عملات عسكرية، فقد كان من حق القائد العسكرى بمقتضى سلطة الإمبريوم Imperium أن يسك عملة بإسمه أو بإسم أحد الموظفين الماليين مثل الكوايستور Quaestor، وكانت مثل هذه الإصدارات لاتتطلب موافقة مجلس السناتو، ورغم طابعها العسكرى فقد كانت مثل هذه العملات جزءاً من نظام العملة الرومانى وكان مسموحاً باستخدامها فى كافة الولايات الرومانية. وأول هذه الإصدارات العسكرية كان فى أثناء الحرب البونية الثانية فقد صدرت عملة ذهبية تساوى ٢٠، ٤٠، ٦٠ سسترتيوس، كما أصدر سولا العديد من العملات العسكرية لدفع رواتب جنوده، وكانت عملاته تحمل النقش «لوكيوس سولا» L.Sulla، كما أصدر بومبى وقيصر فيما بعد عملات عسكرية أخرى، وتبعهم فى ذلك ماركوس انطونيوس وجايوس أوكتافيانوس «أوغسطس»، وحتى كليوباترا ظهرت صورتها على عملة ماركوس انطونيوس. إلا أنه ومع بداية العصر الإمبراطورى أصبح وضع الصور الشخصية امتيازاً خاصاً بالإمبراطور.

وقد وجدت هيئة مسئولة عن إصدارات العملة تمثلت فى البداية فى القناصل ثم تولاها بعض الموظفين، مثل العملة التى حملت توقيع C.Pulcher، وأحيانا ماكانت العملة تحمل أكثر من توقيع مثل العملة التى حملت ثلاثة توقيعات لثلاثة مسئولين عن إصدارها وهم: M.Calidius Q.Mettellos Con.Folvius كما ظهرت العديد من العملات التى صدرت بإسم السناتو وتحمل نقوشا مثل:

S (enatus) C(onsulto): SC

Ex S(enatus) C(onsulto):EXSC

D(e) S(enatus) C(onsulto):DSC

P(ublice) E(x) S(enatus) C(onsulto):PESC

وفى عصر الإمبراطور اوريليانوس تم إلغاء إمتياز السناتو فى إصدار العملة وعهد بإصدارها إلى مسئولين من الخزانة الإمبراطورية، وجعل تراجان نظام العملة نظاماً مركزيا سواء فى إيطاليا أو الولايات الرومانية وذلك تحت إشراف مدير مالى للعملة الإمبراطورية يعينه الإمبراطور بنفسه(١).

أما طرز العملة المستخدمة أى النماذج الفنية المنقوشة على وجه العملة Obverse وظهرها Reverse، فقد استعمل وجه العملة للصور الشخصية للحكام والسياسيين مع بدايات القرن الثالث ق.م وإستمر خلال العصر الجمهورى والإمبراطورى، ومن أشهر النماذج لدينا صور أوغسطس على العملة والتى مثلته بشكل مثالى يتفق مع فكرة أنه خليفة الإسكندر، أما صور نيرون على العملة فقد مثلته فى البداية كشاب وسيم نحيل، ثم انتهت بتصويره كرجل بدين فى منتصف العمر مما يشير بواقعية ذلك التصوير. ومع إصلاحات دقلديانوس للنظام النقدى أصبحت كل دور السك تتبع نظاما موحداً يخدم سياسة الإمبراطور الإقتصادية والدعائية وبالتالى أصبحت كل الطرز متماثلة وبنفس النقوش اللاتينية، حتى أن أغلب صور الاباطرة جاءت متشابهة.

أما ظهر العملة فقد استخدم لإظهار بعض الآلهة أو تجسيد بعض المعانى المجردة مثل الوفرة والخير والخصوبة والعدل والرحمة والسلام وغير ذلك، وأحيانا ماكان يتم تجسيد بعض العناصر المعمارية على ظهر العملة مثل صور لمبانى أو أقواس نصر أو معابد أو أعمدة وغير ذلك(٢).

أما دور سك العملة المسئولة عن الإصدارات النقدية فقد حملت كل منها علامة خاصة بها تشير إلى البلد الذى توجد فيه دار السك وإلى رقمها إن وجدت أكثر من دارسك فى نفس البلد، حتى يمكن السيطرة على أعمالها ورقابة الوزن ودرجة نقاء المعدن المستخدم فى سك العملة، وفيما يلى بضعة أمثلة لهذه الدور:

---

(١) حسين عبد العزيز. المرجع السابق. ص ص ٢٣ – ٢٩.
(٢) المرجع السابق. ص ص ٣٧ – ٦٤.

– اكويليا Aquileia فى ايطاليا	SMAQ, AQPS, AQOB,AQVIL, AQ
– الاسكندرية Alexandria فى مصر	SMAL, ALE
– انطاكية Antioch فى سوريا	SMAN, ANTOB, ANT, AN
– اوستيا Ostia فى إيطاليا	MOST
– ترڤيرى Treveri فى المانيا	TRPS, TROB, TRE, TR, SMTR
– ثسالونيكا Thessalonica فى اليونان	THSOB,THS
– راڤنا Ravenna فى ايطاليا	RVPS, RV
– روما Roma فى إيطاليا	ROMOB,ROM,ROMA, RM
– قرطاجة Carthage فى تونس	KART, PK,K
– القسطنطينية Constantinopolis فى تركيا	CONOB, CONSP, CON, CP,C
– لوجدونوم Lugdunum فى فرنسا	PLG,LUGPS,LUGD,LUG, LG
– لونديـنيوم Londinium فى إنجلترا	PLON,PLN,MSL,MLN,LM,L(١)

خامساً: الفخار:

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات التى عرفها الإنسان، وقد عرفت إيطاليا هذه الصناعة بدءاً من العصر الحجرى الحديث وعصر البرونز، فقد ظهر فخار محلى مشكل وملون باليد عرف بإسم Impasto واستخدم أساساً فى أغراض الدفن وكان لونه يميل إلى اللون الأسود. وفى جنوب إيطاليا ظهر فخار أسود أيضا ولكن وجدت عليه بعض الرسومات بلون افتح ثم انتشر فى لاتيوم واتروريا واستعملت فى زخرفته الرسومات الچيومترية(٢).

وحوالى القرن العاشر ق.م عرفت اتروريا الفخار المصنوع بعجلة الفخار وعرف بإسم Bucchero واستمد زخرفته من الفخار اليونانى وبالتدريج أخذ هذا الفخار يأخذ الشكل المصقول الناعم ويتحول إلى الزخارف المحلية. ومع إزدياد قوة التأثير اليونانى على إيطاليا وبخاصة عن طريق الجزء الجنوبى

---

(١) نفسه. ص ص ٣٤ – ٣٦.

(2) Alex Gibson, Ann woods, Prehistoric Pottery for the Archaeologist, passim.

منها، إنتشر إستعمال الأوانى اليونانية المستوردة، ثم ظهرت مراكز لإستيراد الفخار الاتيكى، وبالتدريج تحولت إلى مراكز لصناعته وتقليده فى لوكانيا وكمبانيا وبايستوم وصقلية.

ومن المحتمل أن إقبال الإيطاليون على اقتناء الفخار اليونانى كان له إرتباط ما بشهرة أثينا وزعامتها للعالم القديم، لأنه ما أن هزمت أثينا فى الحروب البلوبونيزية وبدأ نجمها يأفل حتى بدأ الطلب على الفخار الاتيكى فى ايطاليا فى التدهور، وربما ساعد على ذلك توقف مصانع هذا الفخار فى اليونان وهجرة فنانيه إلى مناطق أخرى واعدة بكسب أكثر. وبدأ يسود الإتجاه نحو الإعتماد على الأنواع المحلية من الفخار وخاصة الفخار الذى كان يصنع فى كمبانيا ذو اللون الأسود اللامع والذى تعددت أشكاله وتميز بشدة لمعانه حتى كاد يحاكى الأوانى المعدنية[١].

ولما كانت مراكز إنتاج الفخار وتسويقه ترتبط بالضرورة بالظروف الاقتصادية والسياسية، فقد كان لسقوط الإسكندرية فى ٣٠ ق.م فى يد الرومان بقيادة اوغسطس أثر كبير أدى بالتالى إلى ظهور مركز جديد لصناعة وتسويق الفخار الرومانى هى مدينة أريتيوم Aretium فى أتروريا، وقد أشار بلينى نفسه إلى جودة فخار أريتيوم ومدى اتقانه[٢]. وقد عرفت أريتيوم فى البداية صناعة الفخار الأسود مثلها فى ذلك مثل بقية المدن الإيطالية فى لوكانيا وكمبانيا وبايستوم وصقلية، ثم بدأت فى صناعة الفخار الأحمر والذى استعملت فى صناعته قوالب جاهزة Moulds وكان ذو زخارف بارزة. ومع ظهور هذه الأوانى الحمراء ظهرت عليها لأول مرة أختام تحمل أسماء صانعيها وأغلبهم فى البداية كما يتضح من أسمائهم كانوا من الفنانين اليونانيين الذين أسروا فى الحملات الرومانية التى قادها بومبيوس ولوكللوس وغيرهم على الشرق، وإن كانت اسماؤهم قد كتبت على الأوانى الفخارية بحروف لاتينية.

---

(١) منى محمد الشحات. الفخار فى العصرين الرومانى والبيزنطى. ص ص ٣ – ١٠.
(2) Pliny, HN. XXXV

وأهم مايميز فخار اريتيوم هو الحرق الجيد للطين المحلى الأحمر وزيادة لمعان الأوانى الفخارية مع التنوع الكبير فى أشكالها بالإضافة إلى الأختام التى ظهرت عليها.

وفيما يخص زخرفة فخار اريتيوم فقد تمت زخرفته بطريقتين:

الأولي: واستعملت فيها الأشخاص فى الزخرفة، وصورت غالبا فى حجم واحد وفى مجموعات وأحيانا ماكان يفصل بين المجموعة والأخرى عمود. وهذه النوعية من الزخرفة كانت هى الغالبة وشملت مشاهد من الإحتفالات الديونيسسية أو مناظر تقديم الأضاحى، وإلهات الفنون وربات الفصول، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه النوعية لم تكن تروى قصة ما وإنما إستعملت الشخصيات لغرض زخرفى بحت.

الثانية: واستعملت فيها الوحدات الطبيعية مثل أكاليل الزهور واللفائف وزخارف الزهور وزخارف البيضة والسهم وغيرها.

ويضاف إلى ذلك نوعية من الأوانى الفخارية من اريتيوم أيضا ولكنها تمتاز بأنها خالية من الزخرفة Plain wares وهى أوانى مصقولة صقلاً جيداً لكنها خالية من أى زخرفة وتركزت غالباً فى نوعية من الأطباق المسطحة Flat Dishes.

أما فيما يخص الأختام التى ظهرت على فخار اريتيوم فقد استعملت هذه الأختام منذ بدء ظهور هذه النوعية من الفخار وحتى اضمحلالها فى نهاية القرن الأول ق.م، وكانت أشكال الأختام تأخذ غالباً الشكل المستطيل وأحيانا شكل قدم الإنسان، ونادراً ماظهرت أختام بشكل مستدير أو بيضاوى أو بشكل هلالى.

وكان إسم صاحب مصنع الفخار هو الذى يوضع فى داخل الختم وأحيانا ماأضيف له إسم الصانع أو العبد الفنان وكان يوضع إما أعلى الختم أو أسفله.

ومن خلال هذه الأختام تم التعرف على أسماء عدد من الفنانين صانعى وأصحاب مصانع الفخار نذكر منهم Poblius cornelius, Domitius, Clau-

diustrigo وأشهرهم كان Marcus Perennius وكان إسمه يظهر فى الأختام بأشكال مختلفة مثل: M.Perenn أو M.Peren أو M.Per أو M.Pe.

ومع نهايات القرن الأول ق.م أخذت هذه النوعة من الفخار فى الإضمحلال، صحيح أنها لم تتوقف تماماً، إذا إستمر انتاج مايخص الحياة اليومية أو امفورات حفظ الخمور وغيرها، إلا أن هذا الطراز أخذ فى الأختفاء التدريجى مفسحاً الطريق أمام الطراز الجديد الذى عرف بإسم تراسيجيلاتا[1].

نصل الآن إلى مرحلة جديدة فى تاريخ تطور صناعة الفخار الرومانى وهى التى ظهر فيها فخار العصر الإمبراطورى المعروف بإسم Terra Sigil-lata وسنرمز له من الآن فصاعدا بالحرفين T.S، فحين توقفت صناعة الفخار تقريبا فى اريتيوم انتقلت هذه الصناعة إلى مراكز جديدة فى بلاد الغال وأوروبا. وتختلف نوعية فخار T.S عن فخار اريتيوم فى آن الفخار T.S أكثر نعومة وتتميز طبقة الطلاء الأحمر الذى يطلى به Glaze فى أنها أقل سمكاً وأكثر شفافية.

وقد ظهرت أشكال التراسيجيلاتا الأولى فى جنوب بلاد الغال (فرنسا) وكانت هذه الأشكال لازالت تحمل مؤثرات فخار اريتيوم، إلا أنه وبالتدريج بدأ فخار T.S يأخذ شكلا مميزاً: فسطح الطلاء الخارجى لامع كالمعدن ويرجع هذا إلى إرتفاع درجة حرارة فرن الحرق، وبالتالى تكاد الطينة تتشابه مع الزجاج الذى كان قد بدأ فى الظهور والإنتشار، كما أن لون الفخار الأحمر يميل إلى اللون الداكن. وقد زخرف هذا النوع بإستخدام الحليات المختلفة أكثر من استخدام المناظر الطبيعية والشخصيات.

أما فخار وسط بلاد الغال من نوعية T.S فقد عاد مرة أخرى إلى استخدام الأشكال الآدمية فى الزخرفة وإستعمال الموضوعات الأسطورية الكلاسيكية مثل ديونيسوس، وهيراكليس وبيرسيوس والميدوزا بالإضافة إلى تصوير

---

(١) منى محمد الشحات، المرجع السابق ص ص ١٧ – ٢٧.

المصارعين ومناظر الصيد، وقد وضعت هذه الزخارف فى شكل افريز متصل. أما فى المانيا فقد ظهر فخار T.S فى أوائل القرن الثالث الميلادى واستمر موجوداً حتى نهاية القرن الخامس تقريبا، وتميز بالكتابات المنفذة بالفرشاة على الآنية الفخارية، وعادة ماكانت كتابات مرحة، تدعو الشخص مثلا إلى شرب الخمر مع الشاربين، وكانت الكتابة تتم عادة بالفرشاة مع إستخدام اللون الأبيض.

كما ابتدع صانعوا الفخار الألمان طريقة تقسيم الإناء من الخارج إلى خطوط افقية أو أفاريز، ثم تقسم هذه الخطوط بخطوط أخرى طولية فينتج عن ذلك زخرفة تأخذ شكل المربعات أو مايشبه لوحة الشطرنج، ثم تملأ الفراغات بخطوط أو تموجات أو زخرفة بشكل الصليب أو وردات صغيرة.

ومثلما إنتقل فخار إيطاليا القديم إلى بلاد الغال حيث ازدهرت صناعته وإنتشر، فقد انتقل فخار T.S من بلاد الغال وأوروبا إلى المقاطعات الرومانية، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة فى تاريخ صناعة الفخار وهى مرحلة الفخار الرومانى المتأخر Late Roman Wares والتى لم تقدم أى جديد فى هذا المجال وبالتالى أخذت هذه النوعية تتراجع مفسحة الطريق لطراز جديد كان قد بدأ فى الظهور واتضحت معالمه تماماً فى القرن الخامس الميلادى وهو الفخار البيزنطى[1].

---

(١) منى محمد الشحات، المرجع السابق ص ص ٢٨ – ٧٣.



ملاحــق الدراســة



ملحق رقم (١)
جدول تاريخي لأهم الأحداث في العالم الروماني

عام ٨٠٠ ق.م	أول استقرار على تل البالاتين.
٧٥٣	تأسيس روما. وفى الفترة المتأخرة من القرن الثامن بدأت الحركة التوسعية اليونانية لاحتلال صقلية والتمركز فى جنوبى ايطاليا
٧٢٥ – ٧٠٠	تأسيس قرطاجة
٧٠٠ – ٦٠٠	سيطرة الاتروسك تمتد إلى إقليم لاتيوم وكمبانيا ووادى نهر البو
٥٠٩	نهاية سيطرة الاتروسك فى روما. نهاية الملكية. تعيين أول قنصل
٤٣٥	انشاء وظيفة الكنسور
٤٢٦ – ٤١٧	انشاء وظيفة التريبون
٤٠٠	هجرة الكلتيين إلى وادى البو
٣٩٠ أو ٣٨٧	غزو الغال لروما
٣٦٦ أو ٣٦٢	انشاء وظيفة البرايتور
٣٤٣ – ٣٤١	الحرب السمنية الأولى
٣٣٨	حرب اللاتين
٣٢٦ – ٣٠٤	الحرب السمنية الثانية
٣٠٩ – ٣٠٨	الحرب مع الاتروسك
٣٧٩	تحالف روما مع قرطاجة
٢٦٤ – ٢٤١	الحرب البونية الأولى
٢٥٦ – ٢٥٥	غزو روما لافريقيا
٢٣٧	هاميلكار فى اسبانيا
٢٢٩	هازدروبال يخلف هاميلكار فى أسبانيا
٢٢١	هانيبال فى أسبانيا
٢١٨ – ٢٠١	الحرب البونية الثانية
٢١٥	تحالف هانيبال مع فيليب الخامس المقدونى. الحرب المقدونية الأولى

٢٠٤	سكيبيو يغزو أفريقيا
٢٠٢	موقعة زاما ونهاية قرطاجة
٢٠٠ – ١٩٦	الحرب المقدونية الثانية
١٧١ – ١٦٧	الحرب المقدونية الثالثة
١٤٩ – ١٤٦	الحرب البونية الثالثة
١٤٩ – ١٤٨	الحرب المقدونية الرابعة
١٤٨	مقدونيا تتحول إلى مقاطعة رومانية
١٤٦	تدمير قرطاجة وافريقيا تصبح مقاطعة رومانية
١٢٣ – ١٢٢	جايوس جراكوس تريبونا
٨٢ – ٨١	ديكتاتورية سلا
٧٧ – ٧١	بومبى قائدا فى أسبانيا
٧٠	أول قنصلية لبومبى وكراسوس
٦٣	شيشرون قنصلا – مؤامرة كاتالينا
٥٩	قيصر قنصلاً
٤٨	موقعة فارسالوس. موت بومبى
٤٨ – ٤٧	حرب الاسكندرية
٤٤	اغتيال يوليوس قيصر
٤٣	أوكتافيان قنصلاً
٣١	موقعة اكتيوم
٣٠	موت أنطونيوس وكيلوباترا. مصر مقاطعة رومانية
٢٧ – ١٤م	أوغسطس
١٤ – ٣٧ م	تيبريوس
٣٧ – ٤١م	جايوس كاليجولا
٤١ – ٥٤م	كلاوديوس
٥٤ – ٦٨م	نيرون

ملحق رقم (٢)
تعريف ببعض الأسماء والوظائف والإصطلاحات الواردة في الدراسة

Aedile

(الايديل) موظف عمومى فى المدينة يشرف على المنشآت العامة والأسواق ونظم المرور وامداد المدينة بالمياه، وتوجد هذه الوظيفة فى البلدان أيضا.

Ala

(آلاى) فصيلة من الفرسان يصل عددها بعد عصر أوغسطس إلى ٥٠٠ أو ١٠٠٠ جندى يتم تعبئتهم من الولايات.

Annona

(أنونا) ومعناها الحرفى «الحصاد» وهى هيئة امداد روما بالحبوب أصبحت لها أهمية قصوى فى عصر جايوس جراكوس. وقام أوغسطس بتنظيمها على أنها مصلحة أميرية.

Censor

(الكنسور) وهو رجل يعين ليقوم بعمل تعداد للسكان كل خمس سنوات وتقدير قيمة المقاطعات حتى تفرض الضرائب (ذلك فى عام ٤٤٥ ق.م) ووضعت قائمة أعضاء مجلس الشيوخ تحت اشرافه، وبذلك أصبح له نفوذ قوى فى عام٣١٢ ق.م. وفيما بعد أصبح فى دائرة اختصاصه سلطات واسعة لمراقبة الاخلاق والتصرفات.

Civitates, Civitas

(دويله) وكانت أثناء الحكم الامبراطورى عبارة عن وحدة محلية ذات حكومة ذاتية وفى الغالب ما تكون هذه الوحدة مدينة ولكن ليس هذا شرطاً أساسياً.

Cohortes, Cohors

كانت منذ زمن ماريوس عبارة عن وحدة من الفرقة للتحركات العسكرية وكانت كل عشر وحدات تكون فرقة من ٦٠٠ جندى، أما فى زمن الامبراطورية فقد أصبح هذا الاسم يطلق على وحدات المشاة من الولايات.

Colonate

وهم الفلاحون المستأجرون فى عصر الامبراطورية وخاصة من يستأجر المقاطاعات الأميرية.

Colonie, Colonia

(مستعمرة) وهى فى الأصل تعنى استقرار مواطنين رومان أو لاتين فى أرض ما عن طريق مشروع الغرض منه الزراعة أو الدفاع وفيما بعد أصبحت الدولة هى التى تنشئ المستعمرات لأغراض اقتصادية وغالباً ما تكون خارج ايطاليا – وفى عصر الامبراطورية كانت المستعمرات عادة من أجل أسكان المحاربين القدماء.

Conloni, Colonus

وهى تعنى (١) عضو فى مجتمع المستعمرة Colonia

(٢) فلاح مستأجر

Consistorium

وهو عبارة عن مجلس امبراطورى تكون منذ القرن الرابع الميلادى يعقده الامبراطور ويتكون من رؤساء المصالح الأميرية.

Consul

(القنصل) وهى أعلى وظيفة فى عصر الجمهورية وكان هناك قنصلان ينتخبهما الشعب ولفترة طولها عام واحد وكان القناصل يزاولون سلطات عسكرية نظراً لأنهم خلفوا الملوك فى سلطاتهم أما فى عصر الامبراطورية فقد أصبحت القنصلية وظيفة شرفية إلى حد كبير.

Consular

(وتعنى قنصل سابق)

Imperium

(سلطة الامبريوم) وهى أعلى سلطة إدارية يتمتع بها كبار موظفى الجمهورية فى منطقة (وهى الولاية) نفوذهم

Imperium Infinitum Aequum

(السلطة غير المحدودة والمساوية لسلطات الحكام) وهى سلطة ليست لها حدود جغرافية ومساوية لسلطة أى حاكم لولاية.

Iugerum

وهى مقياس رومانى لقياس الأراضى مساوية ($\frac{٥}{٨}$ الفدان)

Legatus

وهى تعنى (١) مبعوث.

(٢) نائب عن حاكم لولاية
(٣) قائد الفرقة الرومانية وذلك فى عصر الامبراطورية.
(٤) حاكم لولاية تابعة للامبراطور..

Magistrate

فى عهد الجمهورية كان هو الموظف التنفيذى فى الدولة ينتخبه الشعب ويزاول سلطاته لمدة عام عادة. وأهم هؤلاء الموظفين هم: القنصل الكنسور، البرايتور، الكوايستور، والايديل.

Master of Horse

(قائد الفرسان) وهى وظيفة يقوم الدكتاتور بتعيين شخص فيها ليكون نائباً عنه.

Master of Soldiers

جاءت فى أواخر عصر الامبراطورية وهى تعنى القائد الأعلى لقوات المشاة والفرسان. وقد تولاها البرابرة فيما بعد.

(Modii) Modius

المقياس العام للمكيال الرومانى، وهو يعادل ١,١ من المكيال الانجليزى (وهو ٢ جالون).

(Municipia) Municipium

وهى تعنى (١) مقاطعة ايطالية تتمتع بالحكم الذاتى.
(٢) مجتمع من مجتمعات الولايات يتمتع بالحكم الذاتى وهو أقل مرتبة من (الدويلات Civitates) التى كانت فى بلاد الغال وبريطانيا.

Plebs

كتلة المواطنين الرومان عامة باعتبارها طبقة أخرى غير طبقة الارستقراطية (Patricii).

Populares

اصطلاح يطلق بالذات على الحزب الذى يعتمد على تأييد الطبقات الفقيرة، وذلك منذ القرن الثانى قبل الميلاد. ولكن هذا الحزب كان فى الواقع يقف فى وجه الارستقراطية فيما يختص بمصالح الطبقة المتوسطة.

Praetor

وظيفة من وظائف الجمهورية العامة، مجال اختصاصها الأساسى هو الاشراف

على العدالة. وكان (Praetor Peregrinus) أو برايتور الأجانب يفصل فى القضايا التى يكون الزوار والأجانب المقيمون فى روما طرفا فيها.

Primipilaris

كلمة استخدمت فى عصر الامبراطورية وهى تطلق على قائد المجموعة الأولى من الفرقة. وبعد تسريح هؤلاء القادة كانوا عادة يجندون للقيام بخدمات مدنية.

Princeps

كلمة اختارها أوغسطس ليصف بها مركزه فى الامبراطورية باعتباره زعيما للدولة. وفيما بعد انتحل الاباطرة الرومان هذا اللقب لأنفسهم عند اعتلائهم العرش.

Proconsul

كان هذا اللقب فى عصر الجمهورية المتأخر يطلق على حاكم الولاية. أما فى عصر الامبراطورية فقد كان يطلق على حاكم ولاية تابعة لمجلس الشيوخ.

Procurator

ظهرت فى عصر الامبراطورية وهى تطلق على ضابط مالى تابع للامبراطورية يشرف على الشئون المالية وشئون المناجم والعملة والمقاطعات فى الولايات.

(Publicani) Publicanus

وهم الذين اختصوا بجمع الضرائب من الولايات، وكانوا يتمتعون بثراء فاحش فى عصر الجمهورية، ولكن قل شأنهم فى عصر الإمبراطورية.

Quaestor

وظيفة وجدت فى عصر الجمهورية، اختصاص هذا الموظف الرئيسى هو الشئون المالية

Tribune

وهو التريبون العسكرى، قائد جيش احتياطى، وقد كان هناك سته ترابنة فى كل فرقة أثناء العصور الأخيرة من الجمهورية.

(Tribuni plebis) Tribunes

وهم ترابنة العامة، ضباط ينتخبون ليصونوا مصالح الشعب من بطش الارستقراطية، وقد كانوا يتمتعون باستخدام حق الاعتراض (Veto) تمتعا فائقا.

ملحق رقم (٢)
ثبت بأسماء الاباطرة الرومان وتواريخ توليهم عرش الامبراطورية الرومانية

أولا - من أوغسطس حتي سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية:

٢٦ ق.م – ١٤ م	أوغسطس
١٤ – ٣٧	تيبريوس
٣٧ – ٤١	كاليجولا
٤١ – ٥٤	كلوديوس
٥٤ – ٦٨	نيرون
٦٨ – ٦٩	جالبا
٦٩	أوتو
٦٩	فيتليوس
٦٩ – ٧٩	ڤاسباسيان
٧٩ – ٨١	تيتيوس
٨١ – ٩٦	دوميتيان
٩٦ – ٩٨	نيرفا
٩٨ – ١١٧	تراجان
١١٧ – ١٣٨	هادريان
١٣٨ – ١٦١	انطونينوس بيوس
١٦١ – ١٨٠	ماركوس أوريليوس
١٨٠ – ١٩٢	كمودوس
١٩٣	برتيناكس
١٩٣ – ٢١١	سبتيموس سفيروس
٢١١ – ٢١٧	كاراكلا
٢١٧ – ٢١٨	مكرينوس

٢١٨ – ٢٢٢	انطونينوس بيوس
٢٢٢ – ٢٣٥	سفيروس الاسكندر
٢٣٥ – ٢٣٨	مكسيمينوس التراقى
٢٣٨	جورديان الأول
٢٣٨ – ٢٤٤	جورديان الثالث
٢٤٤ – ٢٤٩	فيليب
٢٤٩ – ٢٥١	دسيوس
٢٥١ – ٢٥٣	تريبنيانوس جالوس
٢٥٣ – ٢٦٠	فاليريان
٢٦٠ – ٢٦٨	جالبينوس
٢٦٨ – ٢٧٠	كلوديوس الثانى
٢٧٠ – ٢٧٥	أوريليان
٢٧٥ – ٢٧٦	تاسيتوس
٢٧٦ – ٢٨٢	بروبوس
٢٨٢ – ٢٨٣	كاروس
٢٨٣ – ٢٨٤	كارينوس
٢٨٤ – ٣٠٥	دقلديانوس (اعتزل العرش فى ٣٠٥)
٢٨٦ – ٣٠٥	مكسيميان (اعتزل العرش فى ٣٠٥)
٣٠٥ – ٣١١	جاليريوس وآخرون
٣١١ – ٣٢٤	قسطنطين الأول ولبسينوس
٣٢٤ – ٣٣٧	قسطنطين الأول
٣٣١ – ٣٤٠	قسطنطين الثانى
٣٤٠ – ٣٥٠	قسطنطين الثانى وقنستانز
٣٥٠ – ٣٦١	قسطنطين الثانى
٣٦١ – ٣٦٣	جوليان
٣٦٣ – ٣٦٤	جوفيان

٣٦٤ – ٣٧٥	فالتينيان الأول
٣٧٥ – ٣٧٨	فالنس
٣٧٨ – ٣٩٥	ثيودوسيوس الأول وآخرون
٣٩٥	تقسيم الامبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية، والاباطرة التالية اسماؤهم حكموا فى الجزء الغربى من الامبراطورية
٣٩٥ – ٤٢٣	هونوريوس
٤٢٥ – ٤٥٥	فالنتينيان الثالث
٤٥٥	بترونيوس كلسيموس
٤٥٥ – ٤٥٦	ارفينوس
٤٥٧ – ٤٦١	ماجوريان
٤٦١ – ٤٦٥	ليبيوس سفيروس
٤٦٧ – ٤٧٢	انتميوس
٤٧٢	أولبريوس
٤٧٣ – ٤٧٤	جليسريوس
٤٧٤ – ٤٧٥	يوليوس نبوس
٤٧٥ – ٤٧٦	رومولوس أوغسطولوس، وهو آخر الاباطرة الرومان الغربيون وقد خلع عن العرش وبه تنتهى الامبراطورية الرومانية الغربية

ثانيا- اباطرة الرومان في الشرق منذ تقسيم الامبراطورية وحتي سقوط القسطنطينية:

	تقسيم الامبراطورية الى شرقية وغربية
٣٩٥	اسرة ثيودوسيوس وضمت اسكاديوس نيودوسيوس الثانى مارشيان
٣٩٥ – ٤٥٧	أسرة ليو وضمت ليو الأول – ليو الثانى – زينو – انسطاسيوس
٤٥٧ – ٥١٨	أسرة جستنيان وضمت جوستين الأول – جوستين الثانى – نيروس
٥١٨ – ٦١٠	الثانى – موريس – فوكاس.
٦١٠ – ٧١٧	أسرة هرقل وضمت هرقل – كوستانز الثانى – تبريوس الثالث – بروانس – انسطاسيوس – قسطنطين الرابع – جستينيان الثانى – ليونتيوس الثانى – ثيودوسيوس الثالث

٧١٧ – ٨٢٠	الاسرة الايزورية وضمت ليو الثالث – قسطنطين الخامس – ليو الرابع – قسطنطين السادس – ايرين – نقفور – استراواثيوس – ميخائيل الأول – ليو الخامس
٨٢٠ – ٨٦٧	أسرة فريجيا وضمت ميخائيل الثانى – نيوفيلوس – ميخائيل الثالث
٨٦٧ – ١٠٥٧	الأسرة المقدونية وضمت بازيليوس الأول – ليو السادس – قسطنطين السابع – رومانوس الأول – رومانوس الثانى – نقفور الثانى – جون الأول – رومانوس الثالث – ميخائيل الرابع – ميخائيل الخامس – ثيودورا – قسطنطين التاسع – ميخائيل السادس
١٠٥٧ – ١٠٨٥	أسرة كوفينوس وضمت ايزاك الأول – قسطنطين العاشر – رومانوس الرابع – ميخائيل السابع – نقفور الثالث – الكسيوس الأول – جون الثانى – اندرونيكوس الأول
١١٨٥ – ١٢٠٤	اسرة الانجيليين وضمت ايزاك الثانى – الكسيوس الثالث – الكسيوس الرابع – الكسيوس الخامس
١٢٠٤	استولت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية وأسست فيها حكم الاباطرة اللاتين. واستمر حكمهم حتى ١٢٦١ حين أعيد استرداد القسطنطينية.
١٢٦١ – ١٤٥٣	اسرة باليولوجوس وضمت ميخائيل الثامن – اندرونيكوس الثانى – ميخائيل التاسع – اندرونيكوس الثالث – جون الخامس – جون السادس – اندرونيكوس الرابع – جون السابع – مانويل الثانى – جون الثامن – قسطنطين الحادى عشر وكان آخر أباطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية وحكم حتى ١٤٥٣ حين استولى محمد الثانى على القسطنطينية لتنتهى بذلك الامبراطورية الرومانية الشرقية وتبدأ الامبراطورية التركية.

ملحق رقم (٤)
أسماء بعض المدن والمناطق القديمة ومقابلها الحديث

الاسم اللاتيني		الاسم الحديث	
أجريجنتوم	Agrigentum	أجريجتو	Agrigento
اليسيا	Alesia	اليس ستى رين	Alise-Ste-Reine
اريتيوم	Arretium	اريتزو	Arezzo
اريلاتى	Arelate	ارليس	Arles
اوجستا ڤيندليكوروم	Aujusta Vindelicorum	اوجسبرج	Augsburg
بونونيا	Bononia	بولونا	Bologna
هيبو	Hippo	بون	Bone
بورديجالا	Bordigala	بوردو	Bordeaux
اكوينكوم	Aquincum	بودابست	Budapest
جاديس	Gades	قادش	Cadiy
نوفاكارتاجو	Nova Carthago	قرطاجنة	Cartagena
كاتانيا	Catania	كاتانا	Catana
ديفا	Deva	تشستر	Chester
كورنيوم	Corinium	كيرنسستر	Cirencester
كامولدونوم	Camulodonum	كولشستر	Colchester
كولونيا اجربينا	Colonia Agrippina	كولون	Cologne
بيزنتيوم	Byzantuim	القسطنطينية	Constantinople
دوراخيوم	Dyrrachium	دوراتزو	Durazzo
جنيفا	Genevea	جنيف	Geneva
جليفوم	Glevum	جلوسستر	Gloucester
بيزانتيوم	Byzantium	استنبول	Istanbul
لامبايسيس	Lambaesis	لامبسا	Lambessa
ليندوم	Lindum	لينكولن	Lincoln
اوليسبو	Olisipo	لشبونه	Lisbon
لونديتيوم	Londinium	لندن	London
لوجدونوم	Lugdunum	ليون	Lyons
مجونتياكوم	Moguntiacum	مينز	Mainz
مالاكا	Malaca	مالاجا	Malaga
لوليبايوم	Lulybaeum	مارسالا	Marsala
ماسيليا	Massilia		Marseilles

الاسم اللاتيني	الاسم الحديث
Emerita أمريتا	Merida مريدا
Massana مسانا	Messina مسينا
Mediolanum ميديولانوم	Milan ميلان
Neapolis نيابوليس	Naples نابولى
Narbo ناربو	Narbonne ناربون
Nemausus نيماوسوس	Nimes نيمى
Naisus نايسوس	Nish نيس
Patavium باتافيوم	Padua بادوا
Panormus بانورموس	Palermo باليرمو
Areminum أريمينوم	Rimini ريمينى
Saguntum ساجونتوم	Sagunto ساجونتو
Caesaraugusta كايساراوجستا	Saragossa ساراجوسا
Hadrumetum هادروميتوم	Sausse سوس
Spalato سبالاتو	Split سبلت
Argentoratum ارجنتوراتوم	Stasbourg ستاسبورج
Tingis تنجيس	Tangier طنجة
Tauromenium تاورومنيوم	Taoromina تاورومينا
Tarentum ترينتوم	Taranto ترانتو
Tarraco تاراكو	Tarragona تاراجونا
Augusta Treverorum أوجستا تريفرورم	Treves ترفى
Tergeste ترجستى	Trieste تريستى
Vindobona فيندوبونا	Vienna فينا
Viroconium فيروكونيوم	Wroxeter روكستر
Eboracum ابوراكوم	York يورك

ملحق (٥)

ثبت بالأباطرة وأعضاء العائلات الإمبراطورية

٢٧ ق.م – ١٤م	١- أغسطس (جايوس أوكتافيوس ثورينوس) ليڤيا: زوجة أغسطس أجريبا: صديق أغسطس چوليا : أبنة أغسطس من سكريبونيا جايوس قيصر: إبن أجريبنا من چوليا
١٤ – ٣٧ م	٢- تيبيريوس (تيبيريوس كلاوديوس نيرو) دروسوس: ابن تيبيريوس من فيسبانيا نيرو كلاوديوس دروسوس: أخو تيبيريوس أنتونيا: زوجة نيرو كلاوديوس دروسوس جرمانيكوس: ابن نيرو كلاوديوس دروسوس أجريبينا الكبرى: ابنة أجريبا وچوليا نيرو قيصر: ابن جرمانيكوس وأجريبنا دروسوس قيصر: ابن جرمانيكوس وأجريبينا
٣٧ – ٤١ م	٣- كاليجولا (جايوس قيصر) كايسونيا: الزوجة الرابعة لكاليجولا
٤١ – ٥٤ م	٤- كلاوديوس (تيبيريوس كلاوديوس دروسوس) مساليتا: ڤاليريا مساليتا الزوجة الثالثة لكلاوديوس بريتانيكوس: تيبيريوس – كلاوديوس – بريتانيكوس ابن كلاوديوس ومساليتا أجريبينا الصغرى: ابنة جرمانيكوس وأجريبينا الكبرى
٥٤ – ٦٨ م	٥- نيرو (نيرو كلاوديوس قيصر دروسوس

جرمانيكوس)

أوكتاڤيا: الزوجة الأولى لنيرو

بوبايا: بوبايا سابينا: الزوجة الثانية لنيرو

كلاوديا: ابنه نيرو وبوبايا

٦٨ – ٦٩ م ٦– جالبا (سرڤيوس سولبيكيوس جالبا)

٦٩ م ٧– أوتو (ماركوس سالڤيوس أوتو)

٦٩ م ٨– ڤيتليوس (أولوس ڤيتليوس

لوكيوس ڤيتليوس: أو ڤيتليوس

٦٩ – ٧٩ م ٩– فسباسيان (تيتوس فلاڤيوس فسباسيانوس)

فلاڤيا دوميتيلا : الزوجة الأولى لفسباسيان

دوميتيلا الصغرى: ابنة فسباسيان

٧٩ – ٨١ م ١٠– تيتوس (تيتوس فلاڤيوس فسباسيانوس)

چوليا تيتى: ابنة تيتوس

٨١ – ٩٦ م ١١– دوميتيان (تيتوس فلاڤيوس دوميتيانوس)

دوميتيا: زوجة دوميتيان

٩٦ – ٩٨ م ١٢– نيرڤا (ماركوس كوكيوس نيرڤا)

٩٨ – ١١٧ م ١٣– تراجان (ماركوس أولبيوس ترايانوس)

بلوتينا: بومبيا بلوتينا زوجة تراجان

تراجان باتير: أبو تراجان

ماركيانا: أخت تراجان

ماتيديا: إبنة ماركيانا

١١٧ – ١٣٨ م ١٤– هادريان (بوبليوس أيليوس هادريانوس)

سابينا: زوجة هادريان

أنتينوس: خليل هادريان

أيليوس ڤيروس: لوكيوس – أيليوس – ڤيروس متبنى هادريان.

١٣٨ – ١٦١ م ١٥– أنتونينوس بيوس (تيتوس أوريليوس فولڤوس

بويونيوس أريوس أنتونينوس)
فاوستينا الكبرى: زوجة أنتونينوس بيوس
جاليريوس أنتونينوس: إبن أنتونينوس بيوس

١٦١ – ١٨٠ م	١٦– ماركوس أوريليوس (ماركوس أيليوس أوريليوس ڤيروس)
	فاوستينا الصغرى: أنياجاليريا فاوستينا ابنة انتونينوس بيوس وزوجة ماركوس أوريليوس
١٦١ – ١٦٩ م	لوكيوس ڤيروس (لوكيوس أوريليوس ڤيروس) امبراطور مشارك
	لوكيلا: زوجة لوكيوس ڤيروس
١٧٧ – ١٩٢ م	١٧– كومودوس (لوكيوس أوريليوس كومودوس)
	كريسبينا: بروتيا كريسبينا زوجة كومودوس.
١٩٣ م	١٨– برتيناكس (بوبليوس هلڤيوس برتيناكس)
١٩٣ م	١٩– ديديوس يوليانوس (ماركوس ديديوس يوليانوس)
	مانليا سكانتيلا: زوجة ديديوس يوليانوس
	ديديا كلارا: ابنة ديديوس يوليانوس
١٩٣ – ١٩٤ م	بسكنيوس نيجر (جايوس بسكنيوس نيجر) حاكم سوريا ١٩٣ – ١٩٤ م
١٩٥ – ١٩٧ م	كلوديوس ألبينوس (ديكيموس كلوديوس سبتميوس ألبينوس) حاكم بريطانيا
١٩٣ – ٢١١ م	٢٠– سبتميوس سڤيروس (لوكيوس سبتميوس سڤيروس)
	چوليا دومنا: زوجة سبتميوس سڤيروس
١٩٨ – ٢١٧ م	٢١– كاراكالا (ماركوس أوريليوس أنتونينوس كاراكالا)
	بلاوتيلا: زوجة كاراكلا

٢٠٣ – ٢١٢ م	جيتا (بوبليوس سبتميوس جيتا) إمبراطور مشارك
٢١٧ – ٢١٨ م	٢٢– ماكرينوس (ماركوس أوبليوس ماكرينوس) ديادومنيان: ماركوس – أوبليوس – ديادومنيانوس ابن ماكرينوس
٢١٨ – ٢٢٢ م	٢٣– إلاجابالوس (ماركوس أوريليوس أنتونينوس) چولياباولا: چوليا كورنيليا باولا زوجة إلاجابالوس أكويليا سيڤيرا: چوليا أكويليا سيڤيرا زوجة إلاجابالوس أنيا فاوستينا زوجة إلاجابالوس الثالثة چوليا سوايمياس: أم إلاجابالوس چوليا مايسا: جدة إلاجابالوس
٢٢٢ – ٢٣٥ م	٢٤– سڤيروس الاسكندر (ماركوس أوريليوس سڤيروس الإسكندر) أوربيانا: سالويتيا باربيا أوربيانا زوجة سڤيروس الاسكندر چوليا مامايا: أم سڤيروس الاسكندر
٢٣٥ – ٢٣٨ م	٢٥– ماكسيمنيوس الأول (جايوس – يوليوس – ڤيروس – ماكسيمنيوس) باولينا: زوجة ماكسيمينوس ماكسيموس: ابن ماكسيمينوس
٢٣٨ م	٢٦– جورديان الأول الإفريقى (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
٢٣٨ م	جورديان الثانى الافريقى (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
٢٣٨ م	٢٧– بالبينوس (ديكيموس كايليوس بالبينوس)

٢٣٨ م	بوبينوس (ماركوس كلوديوس بوبينوس ماكسيموس)
٢٣٨ – ٢٤٤ م	٢٨- جورديان الثالث (ماركوس أنتونيوس جورديانوس)
	ترانكويلينا: فوريا سابينيا ترانكويلينا زوجة جورديان الثالث
٢٤٤ – ٢٤٩ م	٢٩- فيليب الأول (ماركوس يوليوس فيليبوس)
	أوتاكيليا سيڤيرا: ماركيا أوتاكيليا سيڤيرا زوجة فيليب.
٢٤٧ – ٢٤٩ م	فيليب الثانى (ماركوس يوليوس فيليبوس)
	باكتيان (تيبيريوس كلاوديوس مارينوس باكاتيانوس)
٢٤٨ م	مويسيا العليا
٢٤٨ م	جوتابيان (ماركوس فولڤيوس روفوس يوتابيانوس) قائد القوات فى سوريا
٢٤٩ – ٢٥١ م	٣٠- تراجان ديكيوس (جايوس مسيوس كوينيوس ترايانوس ديكيوس)
	هرنيا إتروسكيلا: زوجة تراجان ديكيوس
٢٥١ م	هرنيوس إتروسكوس – هرنيوس – إتروسكوس – مسيوس ديكيوس)
٢٥١ م	هوستيليان (جايوس ڤالنس – هوستيليانوس – مسيوس – كوينتوس)
٢٥١ – ٢٥٣ م	٣١- تريانيانوس جاللوس (جايوس – ڤيبيوس – تريونيانوس – جاللوس)
٢٥١ – ٢٥٣ م	فولوسيان – جايوس – ڤيبيوس – أفينيوس – جاللوس – ڤندومنيانوس ڤولوسيانوس)
٢٥٢ – ٢٥٣ م	٣٢- أيميليان (ماركوس أيميليوس أيميليانوس)
	كورنيليا سوبرا: زوجة أيميليان

٢٥٣ – ٢٦٠ م	٣٣– ڤاليريان الأول (بوبليوس ليكينيوس ڤاليريانوس)
	مارينيانا: زوجة ڤاليريان الأول
٢٥٣ – ٢٦٨ م	٣٤– جالينوس (بوبليوس ليكينيوس إجناثيوس جالينوس)
	سالونينا: كورينليا سالونينا زوجة جالينوس
	ڤاليريان الثانى (بوبليوس – كورنيليوس –
٢٥٣ – ٢٥٥ م	ليكينيوس ڤاليريانوس) الإبن الأكبر لجالينوس
٢٥٩ م	سالونينوس (بوبليوس – ليكينيوس – كورنيليوس – سالونينوس ڤاليريانوس) الإبن الأصغر لجالينوس)
٢٦٠ – ٢٦١ م	ماكريانوس (فولڤيوس يوليوس ماكريانوس)
٢٦٠ – ٢٦١ م	كويتوس (فولڤيوس يوليوس كويتوس)
٢٦٠ – ٢٦١ م	رجاليانوس (بوبليوس جايوس رجاليانوس)
٢٥٩ – ٢٦٨ م	بوستوموس (ماركوس – كاسيانيوس – لاثينيوس – بوستوموس) حاكم الغال وإسبانيا وإنجلترا
٢٦٨ م	لايليانوس (أولبيوس كورنيليوس لايليانوس)
٢٦٨ م	ماريوس (ماركوس أوريليوس ماريوس)
٢٦٨ – ٢٧٠ م	٣٥– كلاوديوس الثانى القوطى (ماركوس أوريليوس كلاوديوس)
٢٦٨ – ٢٧٠ م	ڤيكتورينوس (ماركوس بياڤونيوس ڤيكتورينوس)
٢٧٠ م	كوينتيلوس (ماركوس أوريليوس كلاوديوس كوينتيلوس)
٢٧٠ – ٢٧٥ م	٣٦– أوريليان (لوكيوس دوميتيوس أوريليانوس)
	سيڤيرينا: زوجة أوريليان
	زنوبيا: سبتيميا زنوبيا
٢٧١ – ٢٧٢ م	ڤابالاتوس
٢٧٠ – ٢٧٣ م	تتريكوس الأول (جايوس بيوس أسوڤيوس تتريكوس)

٢٧٠ – ٢٧٣ م	تتريكوس الثانى (جايوس بيوس إسوڤيوس تتريكوس)
٢٧٥ – ٢٧٦ م	٣٧– تاكيتوس (ماركوس كلاوديوس تاكيتوس)
٢٧٦ م	٣٨– فلوريانوس (ماركوس أنيوس فلوريانوس)
٢٧٦ – ٢٨٢ م	٣٩– بروبوس (ماركوس أوريليوس بروبوس)
٢٨٠ م	بونوسوس
٢٨٢ – ٢٨٣ م	٤٠– كاروس (ماركوس أوريليوس كاروس)
٢٨٣ – ٢٨٤ م	نوميريان (ماركوس أوريليوس نوميريانوس)
٢٨٣ – ٢٨٥ م	٤١– كارينوس (ماركوس أوريليوس كارينوس)
	ماجنيا أوربيكا: زوجة كارينوس
	نيجرينيان: ربما ابن كارينوس
٢٨٤ – ٢٨٥ م	چوليان (ماركوس أوريليوس يوليانوس)
٢٨٤ – ٣٠٥ م	٤٢– دقلديانوس
٢٨٧ – ٢٩٣ م	كاراوسيوس
٢٩٣ – ٢٩٦ م	أليكتوس
٢٩٦ – ٢٩٧ م	دوميتيوس دوميتيانوس
٢٨٦ – ٣٠٥، ٣٠٦ – ٣٠٨، ٣١٠م	٤٣– ماكسيميانوس
٣٠٥ – ٣٠٦ م	٤٤– كونستانتيوس كلوروس
٣٠٥ – ٣١١ م	٤٥– جاليريوس
	جاليريا ڤاليريا: زوجة جاليريوس
٣٠٦ – ٣٠٧ م	٤٦– سڤيروس الثانى
٣٠٩ – ٣١٣ م	٤٧– ماكسيمنوس الثانى
٣٠٦ – ٣١٢ م	٤٨– ماكسنتيوس
	رومولوس: ابن ماكسنتيوس
٣٠٨ – ٣٢٤ م	٤٩– ليكينيوس الأول
٣١٧ – ٣٢٤ م	ليكينيوس الثانى
٣١٤ م	ڤالنس

٣٢٤ م	مارتنيان
٣٠٧ – ٣٣٧ م	٥٠- قسطنطين الأول
	فاوستا: زوجة قسطنطين
	هيلينا: زوجة قسطنطين
٣١٧ – ٣٢٦ م	كريسبوس
٣٣٥ – ٣٣٧ م	دالماتيوس
٣٣٥ – ٣٣٧ م	هانيباليانوس
٣٣٧ – ٣٤٠ م	٥١- قسطنطين الثانى (فلاڤيوس – كلاوديوس – كونستانتيوس)
٣٣٧ – ٣٥٠ م	٥٢- كونستانس (فلاڤيوس يوليوس كونستانس)
٣٣٧ – ٣٦١ م	٥٣- كونستانتيوس الثانى (فلاڤيوس – يوليوس كونستانتيوس)
٣٥٠ – ٣٥٣ م	ماجننتيوس (فلاڤيوس ماجنوس ماجننتيوس)
٣٥١ – ٣٥٣ م	ديكنتيوس
٣٥٠ م	ڤترانيو
٣٥٠ م	نيبوتيان
٣٥١ – ٣٥٤ م	كونستانتيوس جاللوس (فلاڤيوس – كلاوديوس – كونستانتيوس)
٣٦٠ – ٣٦٣ م	٥٤- چوليان الثانى (فلاڤيوس كلاوديوس يوليانوس)
٣٦٣ – ٣٦٤ م	٥٥- چوڤيان (فلاڤيوس يوڤيانوس)
٣٦٤ – ٣٧٥ م	٥٦- ڤالنتينيان الأول (فلاڤيوس فالنتينيانوس)
٣٦٤ – ٣٧٨ م	٥٧- فالنس (فلاڤيوس فالنس)
٣٦٥ – ٣٦٦ م	بروكوبيوس
٣٦٧ – ٣٨٣ م	٥٨- جراتيان (فلاڤيوس جراتيانوس)
٣٧٥ – ٣٩٢ م	٥٩- ڤالنتينيان الثانى (فلاڤيوس ثيودوسيوس)
٣٧٩ – ٣٩٥ م	٦٠- ثيودوسيوس الأول (فلاڤيوس ثيودوسيوس)
	أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول

ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس – كليمنس – ماكسيموس)	٣٨٣ – ٣٨٨ م
أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول	٣٨٧ – ٣٨٨ م
ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس – كليمنس – ماكسيموس)	٣٨٣ – ٣٨٨ م
فلاڤيوس ڤيكتور	٣٨٧ – ٣٨٨ م
يوچنيوس	٣٩٢ – ٣٩٤ م
٦١– أركاديوس (فلاڤيوس أركاديوس)	٣٨٣ – ٤٠٨ م
يودوكسيا: أيليا يودوكسيا زوجة أركاديوس	
٦٢– هونوريوس (فلاڤيوس هونوريوس)	٣٩٣ – ٤٢٣ م
قسطنطين الثالث	٤٠٧ – ٤١١ م
كونستانس	٤٠٨ – ٤١١ م
ماكسيموس	٤٠٩ – ٤١١ م
بريسكوس أتاللوس	٤٠٩ – ٤١٠، ٤١٤ – ٤١٥م
چوڤينوس	٤١١ – ٤١٣ م
سباستيانوس	٤١٢ – ٤١٣ م
كونستانتيوس الثالث	٤٢١ م
جالا بلاكيديا	
يوهانس	٤٢٣ – ٤٢٥ م
٦٣– ثيودوسيوس الثانى	٤٠٢ – ٤٥٠ م
يودوكيا: أيليا يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى	
بولكيريا: أيليا بولكيريا ابنة أركاديوس	
٦٤– ڤالنتينيان الثالث (بلاكيديوس ڤالنتينيانوس)	٤٢٥ – ٤٥٥ م
ليكينيا يودوكسيا: زوجة ڤالنتينيان الثالث	
هونوريا: يوستاجراتا هونوريا ابنة كونستانتيوس الثالث	

٦٥- ماركيان	٤٥٠ - ٤٥٧ م
بترونيوس ماكسيموس	٤٥٥ م
أفيتوس	٤٥٥ - ٤٥٦ م
٦٦- ليو الأول	٤٥٧ - ٤٧٤ م
فرينا: أيليا فرينا زوجة ليو الأول	
٦٧- ليو الثانى	٤٧٣ - ٤٧٤ م
ماچوريان	٤٥٧ - ٤٦١ م
سفيروس الثالث	٤٦١ - ٤٦٥ م
أنتميوس	٤٦٧ - ٤٧٢ م
يوفيميا: أيليا ماركيا يوفيميا	
أوليبريوس	٤٧٢ م
جليكريوس	٤٧٣ - ٤٧٤ م
٦٨- يوليوس نبوس	٤٧٤ - ٤٧٥ م
٦٩- رومولوس أغسطس	٤٧٥ - ٤٧٦ م
٧٠- زينو	٤٧٤ - ٤٩١ م
اريادنى: أيليا أريادنى زوجة زينو	
باسيليسكوس	٤٧٥ - ٤٧٦ م
زنونيس: أيليا زنونيس زوجة باسيليسكوس	٤٨٤ - ٤٨٨ م
ليونتيوس	
٧١- أناستاسيوس الأول	٤٩١ - ٥١٨ م

ملحق (٦)

ثبت بالإختصارات والنقوش التي تظهر علي العملة الرومانية

A	= Aulus, Annius
A'ET.	= Aetarnitas
AFR,	= Africanus.
ARAB,	= Arabia adquisita.
ARM,	= Armeniacus.
AV,	= Aurelius, Augustus, Augusta.
AVG.F.	= Augusti filius (filia).
AVG.D.F.	= Augusti divi filius.
AVGG,	= Duorum Augustorum.
AVGGG.	= Trium Augustorum
BON, EVENT.	= Bonus Eventus.
BRT.	= Britannicus.
C.	= Caius, Caesar, Consul, Consulto.
CAE.	= Caelius.
COM., COMM.	= Commodus.
CONC.	= Concordia.
CONOB.	= Constantinopoli Obryziacum.
COS.	= Consul.
COSS.	= Consules.
D.	= Dacicus, Decimus, Divus, Designatus, Dominus,
DAC.	= Dacicus.
D.C.A.	= Divus Caesar Augustus.
DD.	= Duo Domini.
DDD	= Tres Domini.
DD.NN.	= Domini Nostri.
DEC.	= Desius, Decennalia.

DIVIF.	= Divi filius.
D. N.	= Dominus Noster, Domina Nostra.
ETRV.	= Etruscus (Herennius).
F.	= felix.
F.	= filius.
FE.	= felix.
G.	= Galerius (Maximianus).
GEN.	= Genius, Genio.
G.P.R.	= Genio populi Romani.
GER. GERM.	= Germania, Germanici, Geremanicus.
G.M.	= Germanicus maximus.
G.M.Q.	= Gnaeus Messius Quintus (Traianus Decius).
HILAR.	= Hilaritas.
I.	= Jovius.
IMP.	= Imperator.
INDVLG.	= Indulgentia.
INV., INVIC.	= Invictus.
I.O.M.	= Jovi Optimo Maximo.
IVL.	= Julia, Julius.
IVN.	= Junior.
L.	= Lucius Legio, Ludi.
LA. LAT, LATL.	= Latienus (Postumus).
LEG.	= Legio.
LIC, LICI, LICIN.	= Licinius.
M	= Marcus, mater, Martia (legio), maxima (victoria), maximo (Jovi optimo m.). maximus (pontifex m.). Messius, Minervia (legio), Moneta, multis (votis).
M. AN.	= Marcus Annius (Florianus).
MAR.	= Marcus, Mars, Marti.
MAT.	= mater.

MAX.	maxima (victoria), maximus (pontifex), Maximus
MERC.	= Mercurio.
MESS.	= Messius.
MIN.	= Minerva.
N.C.	= Nero Caesar, Nobilissimus Caesar, Nostri Caesaris.
NE. CAES.	= Nerone Caesare.
NEPT.	= Neptunus.
OPT.	= Optimus.
OT, OTAC.	= Otacilia.
P.	= Pontifex (maximus).
P.R.	= Populus Romanus.
P.	= Potestas (Tribunicia potestate).
PAR.	= Parthicus.
PART.	= Parthicus.
P.,B.,G.MAX.	= Parthicus, Britannicus, Germanicus Maximus.
PER, PERS.	= Persicus.
PER., PERT.	= Pertinax (Septimius Severus).
P.F.	= Pius Felix.
PL., PIAV.	= Piavonius (Victorinus).
PI.	= Pius.
PI. A.	= Pius Augustus.
PII F.	= Pii Filius.
P.L., P. LIC.	= Publius Licinius (Valerianus).
P. MAX.	= Parthicus Maximus.
POT.	= Potestate (tribunicia pot.).
P.Q.R.	= Populusque Romanus.
P.R.	= Populus Romanus.
PROCONS.	= Proconsul.
PROVID.	= Providentia.
P.R.VOT.	= Populi Romani Vota.
Q.	= Quintus.

R.P.	= Reipublicae.
S,M.	= Sacra Moneta.
SAEC. AVR.	= Saeculum Aureum.
S.C.	= Senatus Consulto.
SE.	= Severus (Alexander).
SENAT.	= Senatus.
SEN. ETP. R.	= Senatus et Populus Romanus.
SEP., SEPT.	= Septimius (Severus).
SER.	= Servius (Galba).
SEV.	= Severus, Severa.
S.P.Q.R.	= Senatus Populusque Romanus.
S.R.	= Senatus Romanus.
SVL., SVLP.	= Sulpicius (Galba).
T.	= Tiberius, Titus, Tribunicia (Potestate).
T.AEL.	= Titus Aelius (Antoninus Pius).
TI.	= Tiberius, Titus.
TR.P.	= Tribunicia Potestate.
TRBV.P.	= Tribunicia Potestate.
V.	= Valens (V. Hostilianus).
V.	= V. Valerius.
V.	= Vibius (Volusianus).
V.	= Vota.
VAL.	= Valens (Hostilianus), valerius.
VEND.	= Vendumnianus (Volusianus).
VER.	= Verus (Maximus Caesar).
VIB.	= Vibius (Volusianus).
VIC.	= Victiori (Jovi), Victoria (Augusti).
VICTR.	= Victrici (Dianae, Veneri).
VIRT.	= Virtus.

ملحق رقم (٧)

بعض ألفاظ واصطلاحات وتعريفات الحضارات القديمة

أولاً: حضارات وعصور تاريخية

١- العصر الأشولي:

(E) Acheulian Period, (F) Période Acheuléenne

المرحلة الثانية من عصر الباليوليثى القديم "Palaeolithic" سميت باسم القديس أشول عند نهر السوم بفرنسا حيث عثر على أدوات قديمة تشبه ما وجد منها فى العصر الأشولى.

(أنظر العصور الجيولوجية)

٢- الحضارة الايجية:

(E) Aegean Civilization, (F) Civilisation Egéenne,

(G) Agaische Kultur, Kultur, Kertisch-Mykenische Kultur.

مصطلح عام يطلق على الحضارات التى نشأت فى حوض بحر ايجة وجنوب بلاد الاغريق قبل قيام الحضارة الاغريقية من منتصف الألف الثالث ق.م الى قرابة سنة ١٣٠٠ ق.م وتشتمل أيضا على حضارة كريت المعروفة بالحضارة المينوية "Minoan" التى سادت بين ٣٥٠٠، ١٠٠٠ ق.م وكذلك الحضارة الميسينية "Mycenae" التى بلغت أوج مجدها بين ١٥٠٠، ١٠٠٠ ق.م. اشتهر الايجيون بالملاحة وحب الرحلات.

(*) الألفاظ والاصطلاحات والتعريفات التالية أقرت بمعرفة مجمع اللغة العربية فى جلساته بتاريخ ٢٠/٢/١٩٧١، ١٧/٢/١٩٧٣، ٣/٣/١٩٧٤ ونشرت فى دورية المجمع فى مجلدات ١٣/١٩٧١، ١٥/١٩٧٣، ١٦/١٩٧٤ بالقاهرة.

٣- التمـيرا :

(E) Altamira, (F) Altamira, (G) Altmira.

مكان كهوف فى جبال البرانس بشمال أسبانيا حيث كشفت فيها سنة ١٨٧٩ نماذج شهيرة من فن الكهوف تمثل رسوما لثيران على الجدران. وعثر أيضا على سلاح من الصوان وأدوات أخرى يحتمل نسبتها الى العصر الباليوليثى الأعلى (الحجرى القديم) الذى امتد بين حوالى ٢٠,٠٠٠ سنة ق.م الى ٥٠٠٠ سنة ق.م وربما بعد ذلك.

٤- حضارة مصر القديمة :

(E) Ancient Egyptian Civiliztion,

حضارة عريقة، من أقدم الحضارات أن لم تكن أقدمها. اعتدت بالحياتين الدنيا والآخرة، وإنشغلت بعالم السماء وعالم الأرض. وضعت مبادئ الحساب والهندسة وعالجت أبوابا من الطب والفلك وانتهت فى اللاهوت الى طائفة من المبادئ والآراء. مهد لها النيل السعيد قبل التاريخ. ويرجع تاريخها المعروف الى نحو ٥٠٠٠ سنة ق.م، وعمرت نحو ثلاثة آلاف سنة. ومرت بعصور مختلفة، أولها عصر الدولة القديمة أو عصر الأهرام الذى عرف بعمارته الزاهرة، ثم عصر الدولة الوسطى فى الألف الثانى ق.م، وعصر الدولة الحديثة فى النصف الأخير من هذا الألف.

٥- الحضارة الاندية :

(E) Andean Civilization, (F) Civilisation Andée (Inca).

(G) Andaische (Inkaische) Kultur.

حضارة أصلية منسوبة الى جبال الانديز فى أمريكا الجنوبية. ظهرت حوالى عام ١٠٠ ق.م، وغربت شمسها فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى. مهدها «شيمو» "Chimu" الى الشمال من «بيرو» و «نازكا» "Nacca" الواقعة فى الجنوب من «بيرو» نشأت تحت رايتها امبراطورية «أنكا» "Inca" وسادت أيامها الفلسفة الفيراكوشية.

٦- الحضارة العربية الاسلامية :

(E) Arabic Islamic Civilization,

الحضارة الاسلامية التى ازدهرت فى أخريات القرن السابع الميلادى، وامتدت الى الشام والعراق ومصر وشمال افريقية والأندلس وفارس. وازدهرت فى عصر الدولة العباسية ببغداد والاندلسية بقرطبة والفاطمية بمصر والموحدية بالمغرب وفى أقطار الدولة العثمانية، غذيت بالثقافات القديمة من فارسية وهندية أو مصرية ويونانية. وتمتاز بتسامحها ونزعتها العالمية ورفعها لشأن الانسان والاعتداد بحقوقه. حفظت التراث القديم وغذته ونمته، وتأثرت بها القرون الوسطى المسيحية والنهضة الأوربية الحديثة.

٧- العصر القديم :

(E) Archaic Period, (F) Periode Archaique (G)Archaische Periode.

اسم جميع الحقب التى تشتمل عليها معرفتنا بالحضارات القديمة عن طريق التحقيقات الأثرية. وهى مصطلح يرادف «ما قبل التاريخ»، بيد أنه يستخدم فى التعبير عن الحضارات القديمة فى مصر وكريت واليونان وما بين النهرين وتشتمل أيضا على حضارات سومر وبابل وآشور.

٨- عصر أورنياك :

(E) Aurignacian (Culture of Period) (F) Aurignacien,

(F) Auignac Periode.

يرجع تاريخه الى أيام العصر الحجرى القديم. ونسبته الى أورنياك فى فرنسا حيث أخذ الناس ينظرون فى آثاره ويفضلون دراسته. وليس من الممكن تحديد تاريخ هذا العصر على وجه الدقة، وأن كان من الراجح أنه يتصل بالعصر الباليوليثى الأعلى.

٩- العصر الازيلي :

(E) Azilian (Culture of Period), (F) Azilien.

يتوسط هذا العصر عصرين حجريين هما القديم والحديث واشتق هذا المصطلح من اسم مكان فرنسى حيث درست آثاره لأول مرة. وآثار ذلك العصر واضحة فى معظم نواحى غرب أوربا، ثم فى بريطانيا.

وهى تقدم لنا المرحلة الأخيرة من مراحل تطور حياة البشر من سكان الكهوف. وليس من السهل تحديد تاريخ ذلك العصر وضبطه وان كان من الممكن أن تقول أن حضارته بلغت قمتها بين عامى ٦٠٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م.

١٠- أزتــك :

(E) Aztec, (F) Axtéque.

حضارة ظهرت فى قطر مكسيكى يحمل هذا الاسم. غزته القوات الاسبانية بقيادة كورتيز ،عام ١٥١٩،. ولم يبدأ العلماء بدراسة آثار تلك الحضارة إلا فى القرن التاسع عشر.

١١- الحضارة البابلية :

(E) Babylonic Civilization, (F) Civilisation Babylonienne,

(G) Babylonische Kultur.

لها صلة بالحضارة السومرية. ومهدها الجزء الأدنى من أرض الرافدين. أشرق فجرها حوالى عام ١٥٠٠ ق.م وغابت شمسها حوالى عام ٥٣٨ ق.م. أى أنها عمرت ما يقرب من عشرة قرون. أزهى عصورها أيام امبراطورية بابل (من ٦١٠ – ٥٣٩ ق.م) وكانوا يعنون بالتنجيم. ولغة أهل هذا الحضارة لغة سامية.

١٢- العصر البكيري :

(E) Beaker Period, (F) Période Beaker.

مصطلح يطلقه الباحثون على مرحلة مبكرة من مراحل العصر البرونزى، تتميز بنوع من الفخار ذى شكل خاص وبالغزاة الذين هاجموا بريطانيا بين عامى ٢٠٠٠ ، ١٨٠٠ ق.م. وقد أصبح معروفا اليوم أن الثقافة البيكرية قد

حملت بين أيدى غزاة هاجموا انجلترا مرتين، مرة من جنوبها الشرقى وأخرى من شمالها الغربى. وتتوافر شواهد الغزو فى الجزء الجنوبى لانجليا الشرقية وفى ناحية Peak فى:

Witshire. Derbyshire. Yorkshire. Woods.

وقد عثر على نماذج من هذا الفخار المشار اليه فى أماكن أخرى منها:

West Wales, Nonhumberland, Anglesey.

ويقابل هذا العصر الدولة الوسطى فى مصر القديمة.

١٣- العصر البرونزي :

(E) Bronze age, (F) Age du Bronze (G) Bronzezeit

من عصور ما قبل التاريخ صيغت فيه الادوات من البرونز، زمانه بين العصر الحجرى الجديد (النيوليتى) ومطلع عصر الحديد.

لم يشمل هذا العصر ما شمل من بقاع الأرض فى زمن واحد. عرفته بقاع مصر وجنوب غربى آسيا حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م، وعرفته بريطانيا حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م.، كان عصر البرونز لاحقا لعصر النحاس وكان مطلعه يثير ثورة اجتماعية مست ميادين الزراعة ودفعت الناس الى تطوير طرق التجارة، ففى أيامه استخدمت الخيل وغيرها لأول مرة فى وسائل النقل.

١٤- عصر الكهوف :

(E) Cave Period, (F) Age des Cavernes.

حقبة من العصر الحجرى القديم كان البشر يلجأون فيها إلى الكهوف خلال قسوة الطقس فيتخذون منها مساكن وأحسن مثال لحياة الكهوف حياة «نياندرتال» فى الحقبة «الموستيرية» ومنها كثير من المخلفات التى استعان بها الباحثون على دراسة ذلك العصر.

١٥- حضارة الاسكيمو :

(E) Eskimo, (F) Esquimo.

مهدها أومنك Umna وجزر الويتيا Aleutian فى الشمال الغربى لأمريكا الشمالية. ظهرت حوالى عام ١٠٠ ق.م، وغربت شمسها حوالى عام ١٨٥٠ للميلاد فتكون بـذلك قد عمرت حوالى تسعة عشر قـرنا ونصف قـرن. أزهر عصورها أيام دولـة « ثولة ». عبد أصحابـها الـه السـماء Sil ثم سـدنا Sedna (انظر سدنا).

١٦- حضارة الشرق الأقصي :

(E) Far Eastern Civilization (F) Civilisation Extreme-Orientale,

(F) Fernot Kultur.

تنقسم هذه الحضارة الى قسمين:

حضارة اليابان وكوريا – الحضارة الصينية القديمة

ظهرت حوالى عام ٥٨٩ م، ولم يبق من آثارها غير ما ندر بلغ عمرها اليوم حوالى ١٤ قرنا مهدها الأول سى نجان (Si Ngan) ووادى نـهر وى (Wei).

قامت فى ظل هذه الحضارة امبراطورية المغول (١٣٨٠ – ١٥٥١م) ثم امبراطورية مـانشو (Manchu) (١٦٤٤ – ١٨٥٣م). يديـن أصـحـابـهـا بالموهيانية Mohayaniah والبوذية.

١٧- الحضارة الهيلينية :

(E) Hellenic Civilization, (F) Civilisation Hellenique,

(G) Hellenische Kultur.

ترجع الى القرن السابع ق.م، وتشمل عصر «بركلس» وهو أكمل صورة لها. وتمتد الى عصر الاسكندر. وهى مظهر لحياة الاغريق وأسلوب معيشتهم

وفنهم وفلسفتهم. وقد غذت علومها وفلسفتها القرون الوسطى والتاريخ الحديث.

وهى وأن كانت أيونية النشأة فهى قد تأثرت بتيارات شرقية فى اللغة والشعر والتاريخ والعقائد الدينية والعلوم وفن العمارة والسياسة.

١٨- الحضارة الهلينستية:

(E) Hellenistic, Civilization, (F) Civilisation Hellenistique,

(G) Hellenistische Kultur.

هى حضارة يونانية - رومانية وامتداد للحضارة الهيلينية بعد وفاة الاسكندر. وامتازت بالجمع بين الفكر الشرقى والغربى وتعددت فيها المدارس العلمية والفلسفية شرقا وغربا وأدركت مولد المسيح، واختلطت بحركة الآباء والمدارس المسيحية الأولى.

١٩- الحضارة الهندوكية:

(E) Hindu Civilization, (F) Civilisation Hindoue.

(F) Hindische Kultur.

لون من الحضارة ظهر فى العصر الحديث (حوالى عام ٨١٠م) ولازالت شمسها ساطعة حتى اليوم، وعمرها اليوم اثنا عشر قرنا مهدها "Gange" "Gamma" "Kanauf", ثم "Duab" أظلتها أعلام دولة المغول قرابة قرن وثلث (١٥٧٢ - ١٧٠٧م) وساد أهلا الحكم البريطانى قرابة قرن وربع قرن (٨١٨ - ١٩٤٧) يدين أصحابها بالهندوكية والسيخية.

٢٠- الحضارة الحيثية:

(E) Hittite Civilization (F) Civilisation Hittite,

(G) Hethitische Kultur.

ظهرت فى آسيا الصغرى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م. ثم انتهت حوالى

١٢٠٠ ق.م. وصلتها قريبة بالحضارة المينوية. عمرت ثمانية قرون. كان مهدها الأناضول، ودان الناس تحت رايتها بدين البانثيونية "Pantheinism" وكان أصحابها يتكلمون لغة هندوكية أوربية.

٢١- حضارة اليابان وكوريا :

(E) Japanese & Korean Civilization.

صلتها ثابتة الى حد كبير بالحضارة الصينية. ظهرت حوالى منتصف القرن السابع الميلادى. عمرها حوالى ١٤ قرنا ومازالت قائمة الى اليوم. مهدها اليابان أظلتها أعلام دولتى "Shogunate Tokogawa" بين عامى (١٦٠٠، ١٨٦٨م). يقدس أصحابها «الميكادو» ويدينون بالشنتوية "Shintoism" والبوذية ويعتنقون فلسفة «زن» "Zen" .

٢٢- حضارة مايا :

(E) Mayan Civilization, (F) Civilisation Maya, (G) Maya Kultur

مهدها غابات «جواتيمالا» بأمريكا الجنوبية حيث ظهرت حوالى عام ٢٠٠٠ق.م، وانتهت حوالى عام ١٥٥٠م أى أنها عمرت حوالى ٣٥ قرنا. كان أزدهارها أيام امبراطوريتها الأولى (بين عامى ٣٠٠ – ٦٩٠ ميلادية) من معتقادت أهلها أباحة التضحية البشرية.

٢٣- الحضارة المينوسية :

(E) Minoan civilization, (F) Civilisation Minoenne,

(G) Minoische Multur.

نسبة الى ملكها الأسطوى (مينوس). ظهرت قبيل عام ٢٠٠٠ ق.م وانتهت حوالى عام ١٤٠٠ ق.م. أى أنها عمرت نحو ستة قرون. وهى حضارة أصيلة. مهدها «كونوسوس» فى كانديا من جزيرة كريت. ومن أشهر معالمها اليوم فى تلك الناحية قصور مينوس. وكان أهل هذه الحضارة يتكلمون لغتين: لغتهم الأصلية، ولم يعرف أصلها إلى اليوم. ثم اللغة الاغريقية وكانوا يكتبونها بحروفهم واشاراتهم التى لم تفسر الى الآن.

٢٤- الحضارة البولونيزية :

(E) Polynesian civilization, (F) Civilisation Polyesienne.

(G) Polynesische Kultur.

مهدها ساموا (Samoa) وتونجا (Tonga) جزيرتان بالمحيط الهادى. ظهرت حوالى عام ٥٠٠ ق.م، وانتهت خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى، فتكون بذلك قد عمرت نحوا من اثنين وعشرين قرنا ونصف قرن عبد الناس أيامها أرواح السلف ثم أمنوا بالقوى الخارقة غير المشخصة التى اعتقدوا إنتشارها فى العالم كله، وتتغلغل فى كل كائن فتعطيه خصائصه الذاتية، وأطلق القوم على تلك الفكرة كلمة «مانا».

٢٥- الحضارة الصينية القديمة :

(E) Sinic (Chinese) Civilization, (F) Civilisation Chinoise.

(G) Chinesische Kultur.

مهدها حوض النهر الأصفر فى الصين، ظهرت حوالى عام ١٦٠٠ ق.م وانتهت حوالى ٢٠٠م. أى أنها عمرت نحو ١٨ قرنا. وأكبر الدول التى قامت فى ظل هذه الحضارة امبراطورية «تسين» وامبراطورية «هان» "Han" (٢٢١ ق.م – ١٧٢م).

٢٦- الحضارة الاسبرطية :

(E) Spartan Civilization, (F) Civilisation Spartiate,

(G) Spartische Kulur.

كان مهدها فى «لاكونيا» "Laconi" فى بلاد اليونان اذ كانت نواتها وجذورها فى حجر الحضارة الهلينية. ظهرت حوالى عام ٩٠٠ ق.م، وانتهت فى نهاية القرن الرابع الميلادى (٣٩٦م). وبذلك تكون قد عمرت نحو ثلاثة عشر قرنا.

٢٧- الحضارة السومرية :

(E) Sumerian Civilization, (F) Civilisation Sumérienne,

(G) Sumerische Kultur.

ظهرت حوالى عام ٣٥٠٠ ق.م، وانتهت حوالى عام (١٧٠٠ ق.م)، أى أنها عمرت قرابة ثمانية عشر قرنا، كان مهدها دلتا الرافدين (دجلة والفرات) . وهى حضارة أصيلة المولد والنشأة. أرقى الدول التى عاشت تحت رايتها «سومر» ثم «أكد» عبد الناس أيامها «تموز» رمز البعث فى حياة الزراعة والزراع. وباسمه تسمى الشهر السابع فى التقويم السريانى الذى يوافق يوليو فى التقويم الجريجورى. لغة أهل سومر لا علاقة لها باللغات السامية، واخترعت الاشارات المسمارية لتدوينها.

٢٨- الحضارة الارامية السريانية :

(E) Syriac Civilization, (F) Civilisation Syrique,

(G) Syrische Kultur.

ظهرت عام ١٢٠٠ ق.م وغابت شمسها حوالى عام ٩٧٠م، وهى بذلك قد عمرت حوالى اثنين وعشرين قرنا. انتشرت آثارها فى قيلقية الشرقية وأظلتها راية الامبراطورية الاخمينية (Achaemenian).

٢٩- الحضارة الغربية :

(E) Western Civilization, (F) Civilisation Ocidentale.

(G) Westliche Kultur.

وليدة عصر النهضة وخليفة الحضارة الاغريقية الرومانية بدأت فى القرن ١٦ ثم أخذت تبسط نفوذها فى أوربا وأمريكا، وامتدت بعض آثارها الى آسيا وأفريقيا. وتطورت على مر الزمن، لكنها ذات ملامح مشتركة فى البلاد التى أخذت بها. قامت على أساس من التعاليم المسيحية والفكر اليونانى والحضارة العربية والاسلامية ودعت الى تطوير العلم والبحث وانتهت فى ذلك الى نتائج باهرة من كشوف واختراعات.

ثانياً : دول وشعوب

١- الاخيــون :

(E) Achaeans, (F) Achéens, (Lat.) Achivi (G) Achiier.

شعب من أواسط أوربا نزح مهاجرا أو غازيا الى شبه جزيرة البلقان واستقر فى جنوبها. امتص حضارتى ميسينا Mycenae ثم كريت بعد غزوها.

٢- الاكديون :

(E) Akkadians, (F) Accadies, (G) Akkadaer.

اسم اصطلح عليه العلماء المحدثون للدلالة على أسلاف البابليين والآشوريين، نسبة الى «اكد» الدولة السامية الأولى التى قامت فى أرض بابل وعمرت نحو قرنين (من ٢٣٥٠ : ٢١٥٠ ق.م).

٣- البيــون :

(E) Albion, (F) Albion, (G) Albion.

لقب يطلق على بريطانيا (انجلترا) نسبة الى Albus بمعنى أبيض، لأن خلجانها الجنوبية طباشيرية.

٤- آشور (مدينة وقطر وامبراطورية) :

(E) Assyria, (F) Assyrie, Assour, (G) Assyria.

مقر الامبراطورية الآشورية على الضفة اليمنى لنهر دجلة ولا تزال أطلالها قائمة هناك فى موقع يسمى (شرقاط) وقد بلغت الامبراطورية الآشورية ذروتها فى القرن الثامن ق.م.

٥- اتربيــات :

(E) Atrebates, (F) Atrébate (G) Atrebate.

اسم قبيلة كانت تعيش فى بريطانيا أيام الفتح الرومانى وكان مكانها فى

جنوب الوسط من انجلترا. مكانها اليوم مقاطعات «بركشير وهمبشير ولانكشير».

٦- بابل : (أصلها باب - ايل) :

(E) Babylon, (F) Babel, Babylone, (G) Babylon.

من المدن القديمة ذات الشهرة الواسعة بأرض الرافدين، موقعها على نهر الفرات كانت عاصمة الامبراطورية التى سميت بأسمها. ذاعت شهرتها منذ الألف الثالث قبل ميلاد المسيح.

٧- مملكة بابل :

(E) Babylonia, (F) Babylonie, (G) Babylonien.

مملكة قديمة ذات شهرة عالمية واسعة (انظر Babylon).

٨- بلــج :

(E) Belgains, Belges, (G) Belgen.

هو الأصل فى اسم بلجيكا، وعلم على طوائف من قبائل الكلت، كانت تعيش أول الأمر فى المناطق الشمالية من بلاد الغال – قام بعضهم بغزوات لبريطانيا بين عامى ٨٠، ٧٠ ق.م، ثم حوالى عام ٥٠ ق.م فى أعقاب الغزوات التى قام بها يوليوس قيصر لبلاد الغال فاستقروا على أثر ذلك فى كثير من المناطق الواقعة فى الجنوب والشرق من بلاد انجلترا وبدأوا يقاومون الرومان.

٩- الكلتيــون :

(E) Celtic Race, (F) Race Celtique (G) Keltischder stamm

مجموعة من الشعوب، انتشرت على منطقة واسعة فى أوربا الوسطى والغربية، قبل ميلاد المسيح. وقد ربطت بينهم صلات لغوية وتقارب فى الثقافة.

ومن تلك الشعوب الكلتية البريطانيون (Britons) الآصليون الذين سكنوا الجزر البريطانية. والايبيريون (Iberians) وهم سكان شبه جزيرة يبريا ثم الفرنسيون قبل الفتوح الرومانية، ثم كان أن حل الجرمان محل الكلتيين فخالسوهم ونشأت شعوب منها الانجليز ومنها الفرنسيون فى العصور الوسطى.

١٠- كلدانيا :

(E) Chaldaca, (F) Chaldée (G) Chaldiia.

علم كان يطلق قديما على أقصى الجنوب من وادى بين النهرين. ويمتد أحيانا فيشمل «بابل» ويغطى بذلك سائر الجنوب من أرض الرافدين واشتق هذا الاسم من أسم الشعب (كالدانيين Chaldaeer) الذى غزا تلك المنطقة أيام القرن الحادى عشر ق.م ومن هنا كانت مملكة بابل الثانية تسمى أحيانا «الامبراطورية الكلدانية». وفى أيام هذه الامبراطورية تقدم الاشتغال بالتنجيم فكان الكلدانى يسمى المنجم.

ثالثاً : معبودات وشعائر

١- أشــور :

(E) Assur, (F) Achour, (G) Assur.

علم على الاله أشور أكبر آلهة الأشوريين.

٢- ذو رأس ثور :

(E) Bull headed, (F) Taurocéphale (G) Stierkopfig

من صور المعبودات التى أبدعها قدماء المصريين فى جسم انسان له رأس ثور. ومن ذلك «منفيس Mnevis» معبود هليوبوليس ثم المعبود «أبيس» الذى قدس فى منف وأخذتها عنهم شعوب أخرى مثل الاغريق.

٣- فيتش :

(E) Fetish, (F) Fétiche, (G) Fetisch.

شئ مادى صغير يعتقد بأن له قوة سحرية خارقة للعادة واللفظ برتغالى الأصل، أطلق أول الأمر على ما كانت تقدسه بعض شعوب أفريقيا ثم انتقل الى بعض اللغات الأوربية الحديثة.

٤- الفيتشية :

(E) Ferishism, (F) Fétichisme, (G) Fetischismus.

الاعتقاد بأن لبعض الأشياء المادية الصغيرة قوى سحرية خارقة للعادة.

٥- صنــم :

(E) Idol, (F) Idole, (G) gotzenbild

صورة المعبود من الحجر أو المعدن وغيرهما قبل عصر التوحيد.

٦- التطهير بالماء :

(E) Libation, (F) Libation, (G) Wasseropfer.

شعيرة من شعائر القدماء، فقد كانوا يطهرون بها موتاهم وقرابينهم.

٧- سـدنا :

(E) Sedna, (F) Sedna, (G) Sedna.

الهة عند الاسكيمو، واسكيمو الاقليم المتجمد الشرقى بخاصة وقد رفعوها الى مكانة عالية، وجعلوها معبودتهم الأولى وعددهم انهاء تشرف على توالد الفقمات.

١- أندريـدا:

(E) Anderida (F) Anderida.

حصن رومانى على الشاطئ السكسونى (انجلترا) المجاور لقرية سيسكس فى بيفنسى Pevensey ويتكون بناء الحصون فى الأغلب من سور متصل تتخلله عشرة أبراج أصلية يزيد ارتفاع كل منها على عشرين قدماء، شيدت أثناء القرن الرابع الميلادى، وظلت تحرسها حامية حتى بداية القرن الخامس حين استولى علهيا عنوة السكسونيون الجنوبيون وقتلوا رجالها.

٢- سور انتونين :

(E) Antonine Wall, (F) Mar d'Antonin.

(G) Antonius Mauee

سور رومانى قديم من الطين شيد عبر شمال بريطانيا حوالى سنة ١٤٠ - ١٤٥م. وكان طوله ٢٧ ميلا. وبطلت فائدته حوالى سنة ١٨١م.

٣- بعلبـك :

(E) Baalbec, (F) Baaslbek, (G) Baalbek.

اسماها الاغريق هليوبوليس. لأن أهل البقاع من حولها قدسوا فيها آله

الشمس «بعل». موقعها فى سفح جبل لبنان الشرقى، وعن بعد مسيرة ٨٥كم من مدينة بيروت. ين أطلالها بقايا من معبديها اللذين بنيا أيام الأمبراطور الرومانى «انطونينوس بيوس» وفيها أستقرت جالية رومانية أيام الأمبراطور أغسطس.

٤- بجنــور:

(E) Bignor/

قرية قديمة فى سسكس (Sussex) أشتهرت بطراز فريد من الدور الرومانية الصغيرة، موقعها أسفل الشق الجنوبى للدونس (Downs) وهى ملاصقة للطريق الرومانية الرئيسية (طريق Stane Street) الذى كان يربط لندن بـ «ششستر»: (Chichester).

٥- كاستيريد (جزر القصدير):

(E) Cassiterides, (F) Cassitérides

كلمة من أصل اغريقى معناها الحرفى «جزر القصدير» هناك مراجع شتى فى الآداب الكلاسيكية تشير الى مجموعة من الجزر كان يستخرج القصدير من مناجمها ثم يصدر على أيدى التجار الفينيقيين. ليس من المؤكد تحقيق مواقعها، ويتجه الرأى المدعوم أن المقصود كورنوال وجزر (Soitly) سميت هذه الجزر كاستيريد نسبة الى المعدن وهو باليونانية (Cassiteros).

٦- سراديب الموتي (كاتا كومب):

(E) Catacombs, (F) Cataoombes, (G) Kataomben

علم على حى فى روما فى الطريق المعروف باسم "Via Appis" به مدافن للنصارى تحت الأرض، ومن ذلك أصبح الاسم علماً على القبور من هذا النوع. ومن تلك المدافن ما يتكون من طبقات محفورة فى الصخر تجرى بينها معارج وفى جوانبها تنقر مخادع الموتى. فإذا ما وسدوها سدت بألواح من الحجر. والى جانب مخادع الموتى كانت توجد أماكن للعبادة والخدمات

الدينية. والواقع أن تلك السراديب لم تكن أحداثا لجثث النصارى وحسب. ولكنها كانت كذلك أماكن للعبدة يلجأ اليها العابدون أيام الاضطهاد. والسراديب فى باريس رومانية الأصل ومنها ما أصله محاجر واليها نقلت رفات الموتى من الجبانات المهجورة عام ١٧٧٤.

٧- حفائر:

(E) Excavations, (F) Fouilles (G) Ausgrabungen.

ويقصد بهذا التعبير البحث عن التراث المكنون فى باطن الأرض.

٨- تيه (اللابيرنث):

(E) Labyrinth, (F) Labyrinthe, (G) Labyrinth

(مشتقة من اللغة الأغريقية من Labrus أى الفأس) اسم «تيه» جاء ذكره فى الأساطير الأغريقية وكان الناس يظنون أنه فى أحد محاجر كريت المتعرجة، الى أن كشف فى Knossos بجزيرة كريت عن قصر Minos فوجدت به رسوم ورموز ظنوها اشارات للمرور فى اللابيرنث والخروج عن متاهاته وقد أطلقه الأغريق على بناء آثار المصريين القدماء بالفيوم لأن الناس كانوا يتيهون فيه ولا يجدون منه مخرجا، لكثرة حجراته.

خامساً: لغات ودراسات قديمة

١- الاشورية (لغة):

س (E) Assyrian, (F) Assyrien, (G) Assyrisch

فرع من الاكادية شأنها فى ذلك شأن البابلية.

٢- اشوريات:

(E) Assyriology, (F) Assyriologic, (G) Assyriologie.

العلم الذى يدرس لغة منطقة ما بين النهرين وآثارها.

٣- الارامية (لغة):

(E) Aramaic, (F) Araméen, (G) Aramaisch.

واحدة من لغات الأسرة السامية كانت لغة الاراميين من شعوب بلاد ما بين النهرين وسورية خاصة. وصلت قمة ازدهارها فى الألف الأولى الميلادية. استخدمها أهالى بعض أجزاء فلسطين خلال القرون القليلة الأولى المسيحية ثم ظلت لهجة عبر القرون الوسطى. ومازالت اللغة مستعملة فى بعض جهات لبنان والشام وبخاصة قرية معلولة وما يجاورها من قرى جبل قلمون بالقرن من دمشق، وبعض قرى الشام.

٤- البابلية (لغة):

(E) Babylonian, (f) Babylonien, (G) Babylonisch.

فرع من الاكادية، شأنها فى ذلك شأن الاشورية وهى من اللغات المنقرضة.

سادساً: عــرافة

١- قراءة الطالع بأوراق اللعب :

(E) Cartomancy, (F) Cartomanice.

نوع من الرجم لايزال يمارس حتى اليوم. يقلب ممارسوه فى أوراق اللعب ويزعمون أنهم يقرأون بذلك طوالع الناس.

٢- قراءة الكف :

(E) Chiromancy, (F) Chiromancie.

ضرب من العرافة (عرف فى العصور الوسطى) تقرأ فيه خطوط الكف لمعرفة مستقبل صــاحبها ويــسمى القــارئ من هذا القبيل قارئ الكف: Chiromancien.

٣- ضرب الرمل :

(E) Geomaney, (F) Gémancie.

البحث عن المجهول يضرب خطوط فى الرمل وذلك شئ من خرافات الماضى، ومايزال يمارس حتى اليوم. ويسمى من يمارس ذلك (ضارب الرمل).

٤- التكهن بالماء :

(E) Hydromancy, (F) Hydromancie.

ضرب من التكهن شاع عن الاشوريين وقدماء الأغريق، كان كهانهم ينظرون فى الماء ويرقبون حركاته ودورانه ويزعمون أنهم يقرأون فى ذلك الغيب من أمور الدنيا.

٥- رقية سحرية :

(E) Incantation, (F) Incantation Magique, (G) Zauberei.

تميمة تحمل أو عبارات تتلى قوامها السحر والايمان به.

٦- قراءة الطالع في الانية :

(E) Lecanomaney, (F) Lécanomancle.

ضرب من العرافة كان الاغريق والرومان يمارسونه عن طريق استنباء الأواني.

٧- استحضار الأرواح :

(E) Necromancy, (F) Nécromancie.

ضرب من عمل الكهان والمتكهنين يزعمون فيه أنهم يستطيعون مناجاة أرواح الموتى لاستحضارها ليعرفوا منها الأسرار باستنطاقها. ويسمى الكاهن الذى يمارس ذلك (مستحضر الأرواح) : Necromancien = Neoromant .

٨- قراءة العظام :

(F) Nécyomancie.

ضرب من الكهانة عند قدماء الأغريق يزعم أصحابه أنهم يكشفون الأسرار ويقرأون الغيب عن طريق فحص عظام الموتى والتقليب فيها.

٩- الرجم بالغيب عن طريق السحاب:

(E) Nephelomancy. (F) Néphélomancie.

كان الكهان والسحرة قديما يزعمون أنهم يرون ما خفى واستتر من أمور الغيب بالنظر فى السحاب ورصد حركاته وأشكاله.

١٠- تفسير الأحلام :

(E) Oneromancy, (F) Oniromancie.

تعبير ما يرى البشر فى منامهم. وذلك أمر عرف عند أكثر شعوب الأرض.

١١- عمل الحواة :

(E) Ophiomancy, (F) Ophiomancie.

ضرب من التكهن أو الرجم يستخلصه ممارسوه من تحوى الحيات.

١٢- زجر الطير :

(E) Ornithomancy, (F) Ornithomancie.

كان القدماء من العرب مشغوفين بمعرفة الطالع، فيطلقون الطير ويتفائلون أو يتشائمون باتجاهه يمنة ويسرة.

١٣- عرافة بوساطة الحيوان :

(F) Zoomancie.

ضرب من الكهانة يلتمسه ممارسوه عن طريق مراقبة الحيوانات ورصد حركاته وخصائصها وقد عرف ذلك عند قدماء الأغريق وغيرهم من الشعوب.

سابعاً: العمارة الأغريقية والرومانية

١- ناصية التاج:

Abacus (E) Abacus (F)

Abacus (L) Saulenplatte (Ger).

صفحة من الحجر فى رأس التاج ترتكز عليها العارضة أو ما يعلوها من بناء.

٢- الاكروبول:

Acropolis (E) Acropole (F).

اكروبوليس كلمة يونانية معناها المدينة العالية أو الحصن كانت علما على كثير من القلاع الاغريقية. أشهرها اكروبول أثينا ولاتزال آثاره قائمة الى اليوم.

٣- قواعد التماثيل (على قمة الجملون):

Acroteria (E) Acrotéres (F).

Acroteria (L) Acroter (Ger).

القواعد على طرفى المسنم (الجملون) ووسطها تستقر عليها التماثيل أو الزخارف المنحوتة.

٤- الملعب الروماني:

Amphitheatre (E) Amphithéatre (F)

Amphitheatrum (L) Amphitheater (Ger).

بناء مستدير أو بيضى لعرض الألعاب المختلفة، تتوسطه حلبة العرض ومن حولها مقاعد النظارة تتدرج من أسفل الى أعلى. أشهر تلك الملاعب ما أقامه الأمبراطور ڤاسباسيانوس (٧٠ – ٧٩) وولداه تيتوس ودوميتيانوس عند

سفح تل ايسكوبلياى بمدينة روما. يتكون الجزء الخارجى من عدد من الأروقة تزين أولاها عمد دورية والثانى عمد ايونية والثالث عمد كورينثية. وكان يتسع لحوالى ٨٧٠٠٠ متفرج.

٥- التماثيل فوق المسنم (التماثيل فوق الجملون):

Anteffixea (E) Antéfixes (F) Antefixe (L).

أشكال منحرفة فى هيئة الانسان أو الحيوان لتزيين أسقف المبانى عامة أو المسنم (الجملون) فى الطراز الدورى وموقع هذه الأشكال على أطراف المسنم (الجملون) الثلاثة.

٦- العمارة:

Architecture (E) Architectura (L)

Architecture (F) Architekture (Ger)

فن تشييد المنازل ونحوها ثم تزيينها وفق قواعد معينة ومن ذلك قوانين التناسب والقواعد الجمالية.

٧- العارضة:

Architrave (E) Architrave (F)

Cpisylium (L) Architrb (Ger).

حلية من خشب أو حجر فوق الأعمدة.

٨- حلبة:

Arena (E) Harena (arena) (L)

Aréne (F) Kampfplatz (Ger).

مكان مستدير مفروش بالرمل يتوسط الملعب الرومانى (Amphitheatrum) تعرض عليه مختلف العاب القوى، ومنها الصراع المسلح. وكان المصارعون عادة أسرى حرب أو مسجونين.

٩- السوق الاثينية العامة :

Athenian Market-Place (E) Agora Athénienne (F).

Forum Athenaeum (L) Athener Markt-Platz (Ger).

مركز النشاط التجارى والسياسى والمدنى والاجتماعى كان يلتقى فى ساحاته الفلاحون لبيع محاصيلهم وتنتشر فيه دكاكين لبيع السمك والخبز وأماكن للصيارفة ويلتقى فيه الآهلون للتحدث فى شئونهم الخاصة والعامة. وفيه رواق يزدان بصورة تمثل تخريب طرواده وكان يغش الفيلسوف «زيتون» ومعه تلاميذه، ومن هنا كانت فلسفتهم تسمى الرواقية. وفيه رواق للمعبود «زيوس» وآخر يعرف بالرواق الملكى، وهو بمثابة ساحة للقضاء يجلس فيه الوزير المختص لينظر فى القضايا الشرعية. وكان فيه مجلس الخمسمائة الى تنتشر فيه تماثيل الأبطال وبعض أماكن العبادة كما كان به العمد المربعة تحمل تماثيل نصفية للمعبود هيرميس عدا تمثاله الكامل.

١٠- الباسيليكا :

Basilica (E) Basilique (F)

Basilica (L) Basilika (Ger.)

قاعة مستطيلة البناء ذات أروقة، مكانها بجوار السوق العامة استخدمها الرومان ساحة للقضاء ومكانا للنشاط السياسى والاجتماعى والتجارى.

١١- تاج العمود :

Capital (E) Capitulum (L)

Chapiteau (F) Kapitell (Ger.)

الجزء من العمود فوق عنقه مباشرة.

١٢- الكابيتول :

Capitol (E) Capitolium (L)

Capitole (F) Kapitol (Ger.)

اسم المعبد الذى بين فوق تل كابيتولينوس بمدينة روما وخصص لعبادة حاميها المعبود «جوبيتير» وصاحبته «جونو» وابنته «مينيرفا».

١٣- تماثيل (عذاري كوراي) :

Caryatids (E) Caryatides (L)

Caryatides (F) Karyatidern (Ger.)

تنسب الى عذارى قرية كاروای بأقليم «لاكونيا» جنوبى بلاد اليونان حيث كن يقمن بالرقص فى العيد السنوى للمعبودة «ارتيميس» وقد اعتبرهن الاغريق سبايا بسبب انضام أهل قريتهن الى الفرس فى الحروب التى جرت بينهم وبين الاغريق وجعلوا لهن تماثيل تفوق قدودهن الطبيعية وأسموها كوراى أى العذارى، وحملوها سقوف المعابد. وأشهر تلك التماثيل سنة فى الرواق الجنوبى بمعبد ايرنحثيون (انظر Erechtheum).

١٤- سوق الماشية :

Cattle-Market (E) Marché aux bestiaux (F)

Forum Boarium (L) Tier-Markt (Ger)

سوق مكشوفة للماشية فى مدينة روما موقعها بين تل بالاتينوس ونهر التيبر وبها بيوت للتجارة.

١٥- الملعب الكبير (السيرك) :

Circus (E) Circus Maximus (L) Cique (F) Zircus (Ger)

بناء بيضى بناه تاركوينيوس بريسكوس، خامس ملوك روما فى الوادى الواقع بين تلى بالاتينوس وافيتينوس بمدينة روما. طوله بعد أن أعاد بناءه يوليوس قيصر - حوالى ١٨٠٠ قدما وعرضه ٣٥٠، تتدرج مقاعده فى ثلاثة صفوف وتتسع لمائة وخمسين ألف شخص. ومن الألعاب التى كانت تجرى به سباق الخيل والمركبات ثم العدو والملاكمة والمصارعة والمبارزة بالسيف ومصارعة الوحوش كما كان يعرض فيه أحيانا بعض الأعمال المسرحية.

١٦- الكولوسيوم:

Colosseum (L)

علم آخر على الملعب الرومانى الذى بناه الامبراطور فسباسيانوس (٧٠ – ٧٩) فى مدينة روما ولايزال من أشهر معالمها ويحتمل السبب فى تسميته بهذا الاسم وجوده قرب تماثل شامخ للأمبواطور «نيرون».

١٧- تمثال شامخ :

Colossus (E) Colossus (L)

Colosse (F) Kolotz (Ger.)

كان الأغريق أول من سمى به الضخم الشامخ من التماثيل ومن ذلك التمثال البرونزى لإله الشمس (يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً) وقد أقيم عند مدخل الميناء فى جزيرة رودس عام ٢٨١ ق.م. تخليدا لذكرى البطولة لشعب الجزيرة وقد دمره الزالزال عام ٢٢٥ ق.م وفى مصر من تلك الشوامخ غير واحد منها تمثالا امينوفيس الثالث المعروفان باسم تمثالى ممنون فى غرب طيبة وتمثالاه بمتحف القاهرة وأكثر من واحد لرمسيس الثانى.

١٨ عمـود :

Column (E) Coumna (L)

Colome (F) Saule (Ger.)

العمود الأغريقى فى طرزه الثلاثة: الدورى والايونى والكورنثى.

١٩- عنق العمـود :

Coumn-neck (E) Cou (F)

Hypotrachelium (L) Hals (Ger.)

الجزء من العمود بين الجذع والتاج.

٢٠- العمود الكورنثي :

Corinthian column (E) Colonne Corinthienne (F)

Columan Corinthia (L) Saule Korinthische (Ger.)

ثالث الطراز الأغريقية الثلاثة ومن مميزاته الخاصة أنه أكثرها رشاقة اذ يبلغ جذعه عشرة أمثال قطره وهو أقرب شبها من العمود الايونى من حيث قيامه فوق قاعدة ومن حيث رشاقة الجذع، أما تاجه فيلفت النظر لأنه يتكون من أوراق الكنكر (Acanthus) فى صفين تبرز بينهما سيقان ذات وريقات تنتهى بأربعة زخارف معقوصة صغيرة تزين أطرافه وهو قليل الاستعمال عند الاغريق.

٢١- الطنف :

Cornice (E) Corniche (F)

Corona (L) Kranz (Ger.)

الجزء البارز فى أعلى الافريز وهو أرفع أجزاء السطح المعمد.

٢٢- العمود الدوري :

Dorische saule (Ger.) Colonne Doirique (F)

Doric column (E) Columna dorica (L)

أقدم طرز العمد الأغريقية ومن مميزاته الخاصة الفخامة والمتانة وقلة الزخرفة لا قاعدة له، ويبلغ ارتفاع جذعه نحو خمسة أمثال قطر أسفله ويزدان عادة بنحو عشرين شطبة رأسية وتاجه كبير يخلو من الزخرف.

٢٣- أسطوانة :

Drum (E) Saluentromnal (Ger.)

Tamboru (F) Seapus (L)

كتلة من الحجر على شكل اسطوانى يتكون جذع العمود من عدد منها.

٢٤- الوسادة :

Echinus (E) Echinus (L)

Echine (F) Echinus (Ger.)

قاعدة تاج العمود الدورى تتسع عند قمتها.

٢٥- سطح معمد :

Entablature (E) Entablement (F)

Intavolatura (It.) Saulengebalk (Ger.)

مصطلح معمارى حديث يطلق على السطح القائم على عمد ويجمع بين أجزاء ثلاثة: العارضة، الافريز، الطنف.

٢٦- إيرخثيون :

Erechtheun (E) Erechtheum (L)

Erechthéon (F) Eréchtheion (Ger.)

معبد بنى لمعبودات مدينة أثينا وهى اثينا وبوسيدون ثم إيرخثيون الملك الأسطورى لمدينة اثينا فوق تلها المعروف باسم اكروبول، حرقه الفرس عام ٤٨٠ ق.م وأعيد بناؤه بين عامى ٤٢١ - ٤٠٧ ق.م. وقد أدخل الأغريق فى بنائه طرازا معماريا لم يكن مألوفا لديهم من قبل (انظر تماثيل عذارى كوراى) وقد سمى بهذا الاسم نسبة الى إيرخثيوس.

٢٧- الشطبة :

Flute (E) Hohlkehle (Ger.)

Cannelure (F) Stria (L)

قناة رأسية يحلون بها العمود فى الطرز الأغريقية الثلاثة: الدورى والأيونى والكورنثى، ويبلغ عدد القنوات فى العمود الدورى عشرين تنتهى عند أسفل عنقه وتبلغ فى العمود الأيونى أربعا وعشرين، وهى ليست دائما من خصائص العمود الكورنثى.

٢٨- سوق أغسطس :

Forum Augustum (L)

بناها الامبراطور أغسطس (٦٣ ق.م - ١٤م) فى روما، موقعها فى الشمال الشرقى من سوق يوليوس، طولها ١٤٠ ياردة وعرضها ١٠٠، كان بها تمثال لمعبود الرومان «مارس المنتقم» (Mars Ultor) كما كانت بها كثرة من تماثيل مشاهير الرومان. وأطلال السوق لاتزال بادية.

٢٩- سوق يوليوس :

Forum Iulium (L)

بناها يوليوس قيصر (١٠٢ - ٤٤ ق.م) فى روما. موقعها فى الشمال من السوق الرومانية (Forum Romanum) طولها ١٢٥ ياردة وعرضها ٣٠ يحيط بها سور ذو أروقة يتوسطها معبد «فينوس الأم» "Venus Genetrix" .

٣٠- السوق الرومانية :

Forum Romanum (L)

رحبة مكشوفة فى مدينة روما، طولها ٢٠٠ ياردة وعرضها ٧٠، موقعها بين التلين بالاتينوس وكابيتولينوس، بها كثير من القاعات المسقوفة المعروفة باسم باسيليكا (انظر Basilica) ومكاتب صغيرة للصيارفة وكانت مسرحا للحياة الرومانية بمختلف ألوانها مثلها فى ذلك مثل أسواق العرب عكاظ وغيرها.

٣١- سوق تراجان (ترايانوس) :

Forum Traianum (L)

بناها الأمبراطور ترايانوس (٩٨ - ١١٧م) فى روما شمالى سوق أغسطس، طولها ١٣٠ ياردة وعرضها ١٠٠، بها ساحة للقضاء عرفت باسم «باسيليكيا أولبيا» نسبة الى «أولبيوس» الاسم القبلى للإمبراطور (انظر Ba-silica) وخزانتان للكتب الأغريقية واللاتينية، وبها عمود لذكرى تراجان يتوسط أحد أفنيتها.

٣٢- الافريز :

Zuphorus (L) Fries (Ger.)

Frieze (E) Frise (F)

ما أشرف من الحائط خارجا عن البناء ويتكون فى الطراز الدورى من جزئين متتابعين هما التريجليف والميتوب (انظر هذين المصطلحين) .

والافريز فى العمارة الاسلامية هو السطر المكتوب أو المنقوش تحت

السقف داخل البناء أو تحت الشرفة من خارج البناء وجاء عند ابن رسته (كتاب العلاق النفسية ص ٣٢، ليدن) فى وصفه للكعبة الشريفة سنة ٢٩٠هـ، ٩٠٢م:

وسقف الكعبة منقوش بالذهب والزخرف ويدور حول السقف افريز من الفسيفساء.

٣٢- المجالدون:

Gladiators (E) Gladiateurs (F)

Gladiatores (L) Gladiatoren (Ger.)

المبارزون بالسيف (Gladius) فى الملعب الكبير (السيرك) والسوق العامة وكذلك الملهى فى العصور المتأخرة لامتاع الشعب الرومانى ويكونون عادة من الأسرى أو العبيد أو المجرمين أو المواطنين الأحرار.

٣٤- جمنازيوم:

Gymnasium (E) Gymnase (F)

Gymnasium (L) Tarnnalle (Ger.)

المكان الذى كان الاغريق يمارسون فيه رياضتهم البدنية وكانوا يمارسونها عرايا وأغلب الظن أن الأتراك حرفوها الى «جمباز» وكان فى خارج هذا المكان أروقة يناظر فيها الفلاسفة ويلقون دروسهم العامة. كذلك أطلق اللفظ على المدارس بعامة أو المدارس الفلسفية بخاصة ثم أطلق فى العصر الحديث على بعض دور العلم فى البلاد الأوربية وفى ألمانيا بخاصة.

٣٥- العمود الأيوني:

Coumnna Ionica (L) Ionische sule (Ger.)

Ionic column (E) Colonne Ionique (F)

ثانى طرز العمد الأغريقية الثلاثة ومن مميزاته الخاصة قيامه فوق قاعدة حيث يسمو فى رشاقة واضحة يبلغ ارتفاعه من القاعدة الى التاج نحو تسعة

أمثال قطر الجذع من أسفل. ويزدان جذعه بأربع وعشرين شطبة رأسية وبأسفل التاج وسادة تنتهى أطرافها الأربعة بزهرف معقوصة.

٣٦- الأجـــورا :

Forum (L) Market-Place (E)

Marktplatz (Ger.) Agora (F)

يطلق الاسم على مجلس الشعب عند الأغريق ويطلق أيضا على السوق العامة حيث يلتقى الأهل للتحدث فى شئونهم العامة وللمتاجرة وفى ساحاته تنتشر التماثيل والمعابد وتتخللها الأشجار وهى تشبه الأسوار الرومانية وفى مصر من هذه الأسواق واحدة فى الاشمونين لا تزال أطلالها بادية.

٣٧- سـوق عامة :

Market-Place (E) Forum Marché (F)

Forum (L) Marktplatz (Ger.)

كانت تتوسط المدن الرومانية الكبرى. وكانت فى أول الأمر مركزا للتجارة وبانتقال التجارة الى الأحياء المختلفة أصبحت منتدى للحياة السياسية والاجتماعية وكان فى مدينة روما عدد من الأسواق.

٣٨- الميتــوب :

Metope (E) Metope (F)

Metopa (L) Metope (Ger.)

صفحة مربعة فى افريز العمود الدورى تتوسط زوجين من التريجليف (انظر هذا المصلح) تزينها صور بارزة.

٣٩- حلية معمارية :

Moulding (E) Moulure (F) Gesims (Ger.)

وتكون على هيئة اطار أو افريز فى بعض أطراف المبانى كالطنف وتيجان العمد وغيرها.

٤٠- قاعة الموسيقي :

Odeon (E) Odéon (F)

Odeum (L) Konzertsaal (Ger.)

بناء مستدير هرمى السقف خصص لمباريات فى العزف الموسيقى، عرف فى أثينا وروما. أقدم تلك الآثار قاعة بناها بيريكليس بمدينة أثينا (٤٤٥ ق.م) وأشهر ما بنى بعد ذلك قاعة هيروديس أتيكوس، الخطيب الاغريقى الثرى (١٠١ – ١٧٧م) بناها تخليدا لذكرى زوجته. موقعها فى الجنوب الغربى من سفح الاكروبول الاثينى.

٤١- الطراز المعماري (عند الاغريق) :

Order (E) Ordre (F)

Ordo, (genus) (L) Ordnung (Ger.)

نمط للعمود الاغريقى فى طرزه الثلاثة الدورى والايونى والكورنثى.

٤٢- البـارثينون :

Parthenon (L)

معبد بارثينوس، وهى عند الاغريقى المعبودة أثينا العذراء، بنى من المرمر فوق أكروبول أثينا أيام بيريلكليس بين ٤٤٧، ٤٣٨ ق.م. أسهم فى بنائه المعماريان اكتينوس وكاليكراتيس. يحيط به رواق ذو ستة وأربعين عموداً من الطراز الدورى يبلغ طول قاعدته حوالى ٢٢٨ قدما وعرضها ١٠١ تحول فى العصر المسيحى الى كنيسة نذرت للعذراء مريم. ثم حول بعد ذلك الى مسجد بقى حتى ١٦٨٧ حين نسف على أثر انفجار مخزن للبارود للحامية التركية.

٤٣- المسنم (الجملون) :

Pediment (E) Fronton (F)

Fastigium (L) Giebelfeld (Ger.)

سقف محدب على هيئة سنام الجمل وقد أسماه الاغريقى ايتوما لأنه يشبه جناحى النسر حين يبسطهما فى طيرانه.

٤٤- وطيــدة :

Plinth (E) Plinthe (F)

Plinthus (L) Plimthe (Ger.)

كتلة مربعة من الحجر تحت قاعدة العمود الايونى.

٤٥- رواق - بهو العمد :

Portioo (E) Protique (F)

Porticus (L) Saulenhalle (Portikus) (Ger.)

بناء مسقوف تقوم واجهته على عمد وقد يزدان جداره عند الاغريق بمختلف الصور الاسطورية. وعند الرومان يضعون أمام العمد بعض التماثيل أحيانا أو يتجون بها العمد نفسها وكان بهو العمد عند الاغريق والرومان يستخدم للاجتماعات، ومكانه اما بالقرب من المعابد أو بيوت الرياضة البدنية أو الأسواق العامة.

٤٦- البربيلايا (المدخل المسقوف) :

Propylaea (E) Propylaea (L)

Propylées (F) Propylaea (Ger.)

اسم مدخل الاكروبول الاثينى الى الأماكن المقدسة فى طرفها الغربى. بنى أيام بيريكليس بتصميم المعمارى منسيكليس حوالى عام ٤٣٥ ق.م، ويتكون المدخل من سور تتخلله خمسة أبواب أكبرها الأوسط. والعمد التى فى الاروقة من الطراز الدورى. وبرغم التدمير الذى أصابه أثر الانفجار الذى حدث عام ١٦٥٦م، بقيت منه أطلال تثير الاعجاب.

٤٧- روســترا :

Rostra (E) Rostre (F)

Rostra (L) Redner, uhne (Restra) (Ger.)

معنى اللفظ صدور السفن ومقدماتها ثم أصبح علما على منصة الخطابة لأنها كانت تزين بهذه الأجزاء من السفن التى كان الرومان يستولون عليها مما يقع فى أيديهم.

سمى «روسترا» بمعنى صدور السفن بسبب اقامته فوق منصة زينت بصدور السفن التى استولى عليها أغسطس فى موقعة اكتيوم.

٤٨- معبد يوليوس قيصر:

Rostra Iulia (L)

بناه الامبراطور أغسطس عام ٢٩ ق.م تخليدا لذكرى يوليوس قيصر، مكانه فى الطرف الشرقى للفوروم بمدينة روما حيث آحرق جثمان قيصر.

٤٩- اسكوتيا:

Scotia (E) Scotia (L)

Scotie (F) Skotle (einziehung) (Ger.)

حلية معمارية على هيئة القناة تجرى بين خلخالى العمود (انظر Ctorus)

٥٠- جذع العمود:

Fut (F) Shaft (E)

Scapus (L) Schaft (Ger.)

الجزء من العمود بين أسفله وتاجه فى الطراز الدورى وبين قاعدة العمود وتاجه فى الطرازان الايونى والكورنثى.

٥١- البساط:

Stylobate (E) Stylobate (F) Stylobata (L).

المكان فى أرض المعبد الذى يستقر عليه العمود الدورى.

٥٢- خلخال (معماري):

Torus (E) Tore (F)

Torus (L) Phuhl, torus (Ger.)

حلية فى رسغ العمود من الطراز الأيونى والكورنثى وهى بارزة ونصف مستديرة ولكن عمود زوج منها.

٥٣- التريجليف، ذو الثلاث الشطب :

Triglyph (E)	Triglyphe (F)
Triglyphus (L)	Triglyphe (Ger.)

كتلة ناتئة قليلا فى أفريز الطراز الدورى على وجهها ثلاث شطب أو قنوات.

٥٤- صدر المسنم (الجملون) :

Tympan (F)	Tympan (E)
Tympanum (L)	Tympanum (Ger.)

الجزء بين جناحى المسنم (الجملون) وتحليه فى الطراز الدورى صورة منحوتة.

٥٥- الوسادة الحلزونية اللفائف:

Volute (F)	Volute (E)
Voluta (L)	Volute (Ger.)

أهم ما يميز تاج العمود فى الطراز الايونى، أنها تنتهى أطرافها الأربعة بلفائف حلزونية.

ثامناً : الملابس اليونانية والرومانية

١- سروال (براكاي) :

(L) Bracae, (E) Trousers,

(F) Pantalon, (G) Beinkleider.

ضرب من السراويل كانت ترتديه الشعوب الجرمانية، ثم ذاع استعماله عند الرومان أيام الامبراطورية.

٢- حذاء النبلاء (كالكيوس باتريكيوس) :

(L) Calceus Patricius.

ضرب من الأحذية مصنوع من الجلد الأحمر، سميك النعل وله قفل على هيئة الهلال كان من لباس نبلاء الرومان وكان يحتذيه قواد الحرب عند الاحتفال بالظفر.

٣- حذاء الشيوخ (كالكيوس سيناتوريوس) :

(L) Calceus Senatorius

ضرب من الأحذية خاص بأعضاء مجلس الشيوخ من الرومان وكان من جلد أسود يربط حول الساق بأربطة أربعة من الجلد.

٤- حذاء الجند (كاليجا) :

(L) Caliga.

ضرب من الأحذية كان ينتعله جنود الرومان.

٥- رداء الصيد (الخلاميس) :

(L) Chlamys (= Paludamentum),

(E) Chlamys, (F) Chlamyde, (G) Chamys,

لباس عسكرى نقله الاثينيون من اقليمى تساليا ومقدونيا وكان من نسيج

الصوف يحكم على الكتف اليمنى ثم يطرح على اليسرى وكان يستخدم كذلك فى السفر وعند الخروج للصيد.

٦- حذاء العدائين (ايندروميديس) :

(G) Evopouions

ضرب من الأحذية ذو عنق طويل عرفه الاغريق للعدائين والرحالة.

٧- حذاء الصيادين (قوثورنوس) :

(L) Cothnrnus, (E) Buskin,

(F) Cothorne, (G) Kothurn

ضرب من الأحذية عرفه الاغريق والرومان، له نعل سميكة وعنق طويل يغطى نصف الساق وينعقد عليها من أمام بسيور حمراء ويحتذيه الصيادون واحتذاه من بعدهم ممثلو المأساة الأغريقية والرومانية ليرفع من قامتهم.

٨- دلماسية :

(L) Dalmatica, (E) Dalmatic Tunic,

(F) Dalmatique, (G) Dalmatika.

ثوب من الصوف ذو كمين، ويسمى كذلك لأنه منسوب الى دلماسية على اشاطئ الشمالى الشرقى لبحر الادرياتكى، لبسه الرومان رجالا ونساء، حل محل الاستولا (انظر هذا المصطلح) وأصبح فى الكنيسة الرومانية جزءا من لباس الأساقفة والشمامسة.

٩- حذاء الفقير (ايمياس) :

ضرب من الأحذية مجدول من الكتان، كان يحتذيه المسنون والفقراء من الاغريق. ويسمى فى المغرب «عقاس».

١٠- ايكسوميس :

(L) Exomis.

ضرب من «الكتانية» «الخيتون» (انظر هذا المصطلح)، قد يخلو من

الأكمام أو يكون له كم واحد يبدو منه الصدر والذراع اليمنى عاريين، وهو زى العمال والبحارة والعبيد.

١١- عبـاءة:

عباءة من لباس الاغريق رجالا ونساء، طويلة فضفاضة لا كم لها وتغطى ما تحتها من ثياب.

١٢- حذاء طويل (كرببيسي):

ضرب من الأحذية يغطى الساق، وكان من لباس الاغريق.

١٣- قلنسوة الجندي (كوني):

معنى اللفظ جلد الكلب، ويعنى هنا قلنسوة من الجلد كان يلبسها الجنود الاغريق.

١٤- حرملـة:

(L) Laena, (E) Cloak,

(F) Manteau, (G) Laena.

نوع من لباس الاغريق من نسيج الصوف مربع فضفاض كانوا يلبسونه فوق الخيتون.

١٥- معطف السفر (لاكيرنا):

(L) Lacerna, (E) Cloak for Journeys,

(F) Manteau de voyage, (G) Reisemantel

ضرب من البرنس كان يحمله الرومان فى الرحلات يتقون به المطر.

١٦- حذاء القنصل (موليوس):

(L) Mulleus

ضرب من أحذية الرومان مصنوع من الجلد الأحمر أو الارجوانى اللون كان يحتذيه من ذوى المناصب الكبرى ثلاثة منهم القناصل والمشرفون على القضاء.

١٧- برنس العامة (بانيولا) :

(L) Paenula

نوع من البرنس عرفه الرومان من نسيج الصوف الغليظ أو الجلد، لونه قاتم ولا كم له، كان من لباس الطبقة الدنيا، وقد يرتديه القادرون من الرجال والنساء فى رحلاتهم وعند المطر.

١٨- شملة (بالا) :

(L) Palla, (E) Pally,

(F) Poele (Manteau), (G) Mantel.

نوع من أزياء الحرائر عند الرومان تطرح فوق الاستولا يتدلى طرفها من الكتف اليسرى الى أمام ويطرح باقيه على الظهر ثم يشد الى أمام ليوضع فوق الكتف اليمنى.

١٩- البرد :

(L) Peplum, (F) robe,

(E) Gown, (G) Gewand,

ثوب مخطط فضفاض من أزياء نساء الاغريق. كن يلبسنه فوق الثياب الداخلية.

٢٠- حذاء السائق (بيرو) :

(L) Pero

حذاء طويل العنق مصنوع من الجلد غير المدبوغ وكان من لباس الجند وسائقى العجلات عند الرومان.

٢١- اللبدة «بيتاسوس» :

(L) Petasus, (E) Petasus,

(F) Petase (G) Sehirmhut, Flugelhut.

ضرب من القلانس المصنوعة من اللبد عرفه الاغريق والرومان وكان فى الأصل من لباس أهل تساليا، كما كان يلبسها الشباب حين يتدربون على أعمال الحرب.

٢٢- قلنسوة الصيادين (بيلوس) :

(L) Pilleus.

قلنسوة من اللباد كروية الشكل تغطى الرأس وتهبط حتى تغطى الفودين كانت فى الأصل من أزياء الصيادين والسحارة وعمال الصناعة ثم لبسها غير أولئك من أعيان الريف فى السفر كما كانت الجماهير تلبسها فى أعياد «سانورتوس».

٢٣- معطف الحرب (الساجوم) :

(L) Sagus, (E) Sagum,

(F) Sagun, (G) Kriegsgewand, Kriegskleid

رداء عسكرى عرفه الرومان، كان من نسيج الصوف الخشن، يتشح به الجندى الرومانى ليغطى به درعه ويحبك على الكتف مشبك وهو رمز للحرب. ويرمز بالتوجا الى السلام،

٢٤- صنـــدال :

(L) Sandalium, (E) Sandal,

(F) Sandale, (G) Sandalen.

حذاء من الخشب أو اللبد أو الجلد ذو نعل سميكة يربط حول القدم بسيور من جلد، كان يحتذيه الاغريق من الرجال والنساء.

٢٥- خف (سوكوس) :

(L) Soccus, (E) Sock,

(F) Socque, (G) Socke.

ضرب من النعال أخذه الرومان من الأغريق،وكان يحتذيه ممثلو الملهاة.

٢٦- نعل (سوليا) :

(L) Solea, (E) Slippers,

(F) Pantoufle, (G) Pantoffel.

ضرب من الأحذية التى عرفها الرومان، كان نعله من الخشب أو اللباد أو الجلد، كانوا يحتذونه فى الدور ولا يخلعونه الا حين تناول الطعام وكان يشد على القدم برباطين يمرر أحدهما بين الابهام وما يليها ثم يحكم بعد ذلك بقفل.

٢٧- مشلح (استولا) :

(L) Stola, (E) stole,

(F) Stole, (G) Stola.

مشلح طويل من ملابس عقائل الرومان تحملنه فوق ثيابهن الداخلية، مفتوح جانباه من أعلى ويحبك حول الخصر فتبدو على الصدر ثناياه العراض.

٢٨- صدرية (ستروفيوم) :

(L) Strophium, (E) Breast-hand, Stay

(F) Soutien, (G) Korset,

صدرية من لباس النساء يحبكنها تحت الثديين.

٢٩- حلة (سونثيسيس) :

(L) Synthesis, (E) Loose gown, (F) robe deliée.

حلة فضفاضة زاهية اللون كان الرومان يتزينون بها حول المائدة وفى عيد معبودهم «ساتورنوس».

٣٠- جورب (تيباليا) :

(L) Tibialia, (E) Stocking,

(F) Bas, (G) Strumpf.

ضرب من الجوارب التى عرفها الرومان وكانت تصنع من الجلد أو القماش.

٣١- عباءة السلام (توجا) :

(L) Toga, (E) Toga,

(F) Toge, (G) Toga.

رداء فضفاض من الصوف الأبيض يحملها الرجال من الرومان يكاد أحد طرفيها يمس الأرض من أمام على حين الثانى على الكتف اليسرى.

٣٢- عباءة السادة (هيماتيون) :

(L) Toga, (E) Mantle,

(F) Manieau, (G) Mantel.

عباءة يلبسها سادة الاغريق، رجالا ونساء فوق الخيتون وكانت تسدل على الجسم فتبلغ الركبتين على الأقل، يطرح أحد طرفيها على الكتف اليسرى ثم ينسدل ليشد على الذراع اليسرى ثم يسحب طرفه الثانى بعد ذلك على الكتف اليمنى وينسدل ليغطى الجانب الأيمن وقد يمرر هذا الطرف من تحت الابط اليمنى لتحرير الكتف اليمنى والذراع اليمنى.

٣٣- عباءة الانتخاب (توجا كانديدا) :

(L) Toga Candida, (E) White Toga,

(F) Toge blanche, (G) Weisse Toga.

عباءة يحملها المتنافسون على المناصب العامة وقت اجراء الانتخاب وتعرف بالبيضاء لأنها كانت تبيض بالطباشير.

٣٤- عباءة موشاة (توجابيكتا) :

(L) Toga Picta, (E) Painted Toga,

(F) toge Peinte, (G) Bemalte Toga

عباءة موشاة بنجوم ذهبية عرفها الرومان وكان يلبسها منهم كذلك القائد

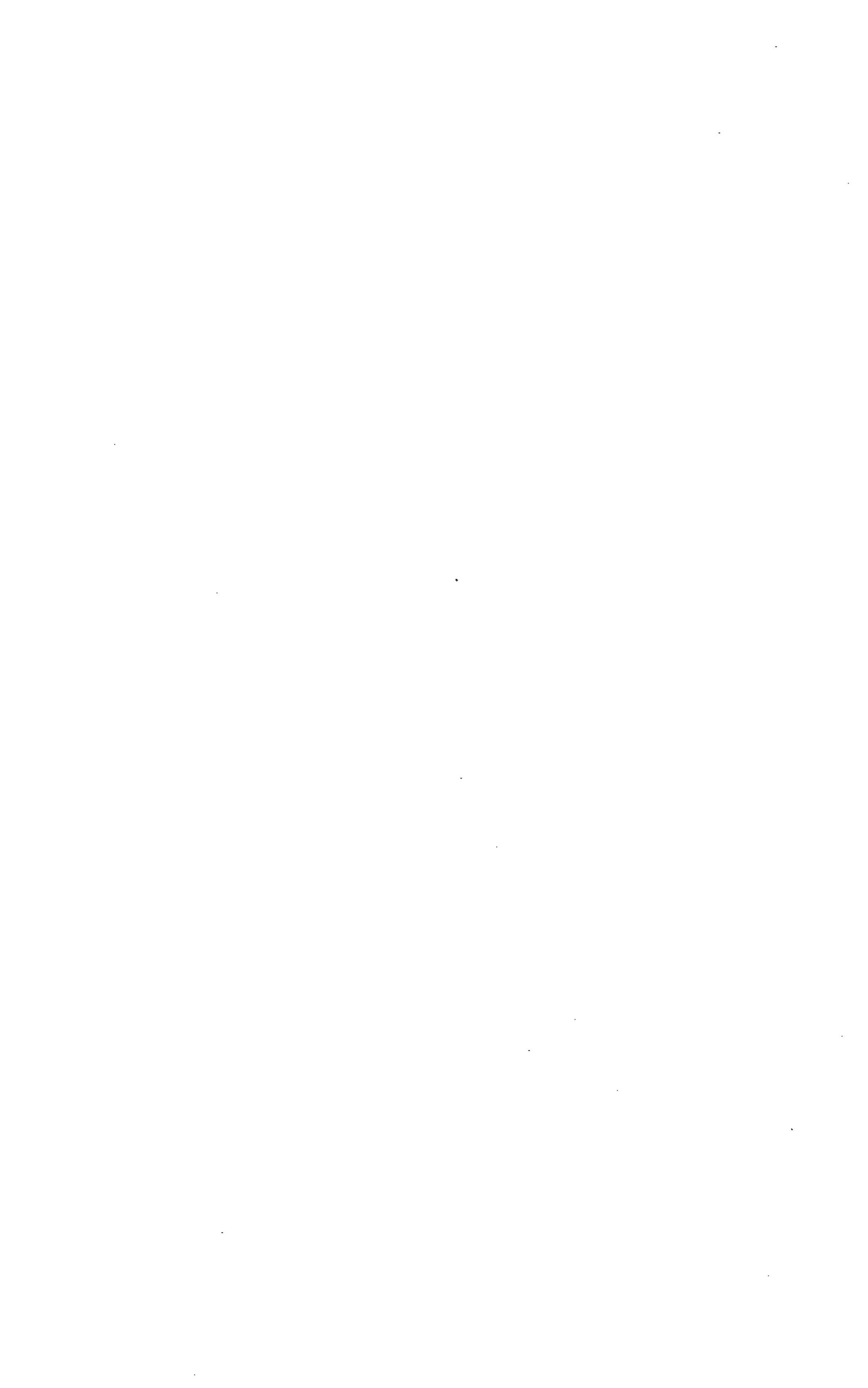
الظافر والحاكم الذى كان يشرف على مهرجانات الألعاب كما أرتداها القناصل أيام الامبراطورية عند تعيينهم كما لبسها الامبرطور أيام الأعياد.

٣٥- عباءة مهدية (توجابريتيكستا) :

(L) toga Praetexcta, (E) Toga Pretecta,

(F) toge Pretexte, (G) Consularkleid

عباءات ذات أهداب، تزدان أطرافها بحواش ارجوانية. كانت من لباس بعض كهان الرومان وذوى المناصب العليا منهم كما كان يلبسها الصبية من أبناء الأحرار حتى يرشدوا والبنات حتى يتزوجن.



مصادر ومـراجع الدراسة



مصادر ومراجع الدراسة

أولاً: المصادر

-Aeschylus, Loeb.

- Aristotle, Politics, Loeb.

- Idem., Constitution of Athens, London 1983.

- Athenaeus, The Deipnosophists, Loeb.

- Cicero, Loeb.

- Demosthenes, kata Neaera, Loeb.

- Diogenes Laertius, Loeb.

- Dio Chrysostom, On Training for Public Speaking, Loeb.

- Euripides, Loeb.

- Herodot, Histories, Loeb.

- Homer, Iliad, Loeb.

- Idem., The Odyssey, Loeb.

- Juvinal, Loeb.

- Lucian, The Parasite, Loeb.

- Martial, Loeb.

- Ovid, Loeb.

- Pausanias, Description of Greece, Loeb.

-Petronius, Loeb.

- Plato, Crito, Apology, Protagoras, Republic, Loeb.

- Pliny, Natural History, Loeb.

- Plutarch, Vitae, Loeb.

- Idem., Moralia, Loeb.

- Quintilianus, Loeb.

- Seneca, Loeb.
- Sophocles, Loeb.
- Suetonius, Loeb.
- Tacitus, Loeb.
- Thucydides, Loeb.
- Vitruvius, De Architectura, Leob.
- Xenophon, Ath. Pol. Edited by J.M.Moses.
  Aristotle and Xenophon, On Democracy and Oligarchy, California 1975.

ثانيا: مراجع باللغة العربية

- إبراهيم نصحى : تاريخ الرومان، جزءان، القاهرة ١٩٧٨.
- إتيين دريوتون: المسرح المصرى القديم، ترجمة ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٣.
- ر.بينار: تاريخ المسرح، ترجمة أحمد كمال يونس، الألف كتاب، القاهرة ١٩٦٣.
- تشارلز وورث: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزى جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٣.
- ثروت عكاشة: الفن الرومانى (النحت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- نفسه : الفن الرومانى (التصوير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- حسين عبد العزيز: العملة الرومانية: مدخل للدراسة الأثرية، دراسة غير منشورة، الاسكندرية، ١٩٩٧.
- دونالد دولى: حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبى وفاروق فريد، الألف كتاب، القاهرة ١٩٦٤.
- هيام أبو الحسن: المسرح المصرى القديم ومصادره (فصول)، المجلد الثانى، العدد الثالث، القاهرة ١٩٨٢.
- فائق الحكيم : تاريخ المسرح، بغداد ١٩٧٩.
- فتحية حسين سليمان: التربية فى المجتمعين اليونانى والرومانى، القاهرة، ١٩٧٠.

- ڤيرچيل: الإنيادة، ترجمة عبد المعطى شعراوى وآخرون، القاهرة ١٩٧٧.
- هـ. فيرمان: إنتصار حورس، ترجمة د. عادل سلامة، المسرح العالمى، الكويت ١٩٧٢.
- عبد المحسن الخشاب: التياترو القديم، القاهرة ١٩٧١.
- عبد المعطى شعراوى: أساطير اغريقية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢.
- عبد اللطيف أحمد على: مصادر التاريخ الرومانى، بيروت ١٩٧٠.
- على سامى النشار: نشأة الدين، دار الثقافة، الإسكندرية ١٩٤٩.
- لطفى عبد الوهاب يحيى: تاريخ الرومان. غير منشور، بيروت ١٩٨٠.
- محمد سليم سالم (تحقيق وتعليق): كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين، نقل أبى زيد حنين بن إسحق العبادى المتطبب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨.
- منى محمد الشحات: الفخار فى العصرين الرومانى والبيزنطى، دار القبس، القاهرة ١٩٩٧.
- مصطفى العبادى: تاريخ الرومان، غير منشور، بيروت ١٩٨٥.
- سعد عبد العزيز: الأسطورة والدراما، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٢.
- سيد أحمد الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥.
- شلدون تشينى: تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف عام، ترجمة درينى خشبة، الجزء الأول، الألف كتاب، القاهرة ١٩٦٣.

ثالثاً: مراجع باللغات الأجنبية

- Badcock, Timgay G., The Romans,, Hulton Avon 1987.
- Barker, Ernest, Greek Political Theory, Methuen 1952.
- Bernard, Andreae, The Art of Rome, New York 1977.
- Birley, Anthony, Hadrian, The Restless Emperor, Routledge, London 2000.
- Bowra, C.M., Landmarks in Greek Literature, London 1966.

- Burnett, A., Coinage in the Roman World, London 1987.
- Idem., Coins, London 1991.
- Burnt, John, Greek Philosophy, London 1920.
- Bury, J.M., Meggs Russel, A History of Greece, London 1977.
- Buttler, S., The Authoress of The Odyssey, Chicago 1967.
- Crowford, D.S, Greek and Latin, An Introduction to The Historical Study of The Classical Languages, Fouad I University, Cairo 1939.
- Cary, M., The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford University Press 1949.
- Dalby, Andrew, Empire of Pleasures, luxury and Indulgence in the Roman World, Routledge, London and New York 2000.
- Davies, Penelope J.E., Death and The Emperor, Roman Imperial Funerary Monuments from Augustus to Marcus Aurelius, Cambridge University Press 2000.
- Decharme, P., Euripide et l'Esprit de son Theatre, Paris.
- De Coulanges, Fustel, The Ancient City, New York.
- Devereux, George, Dreams in Greek Tragedy, Oxford 1979.
- Dickinson, Lowes, The Greek View of Life, Methuen 1954.
- Doxiadis, Euphrosyne, The Myserious Fayum Portraits, Faces from Ancient Egypt, The American University in Cairo Press, Cairo 2000.
- Earp, F.R., The Way of The Greeks, Oxford 1930.
- Easterling, P.E., Muler, J.V., Greek Religion and Society, Cambridge 1985.
- Ehrenberg, Victor, From Solon to Socrates, London 1976.
- Else, Gerald, The Origin and Early From of Greek Tragedy, New York 1972.

- Finley, M., The Ancient Greeks, New York 1974.
- Idem., Early Greece, The Bronze and Archaic Ages, London 1926.
- Idem., The Greek City and its Institutions, London 1929.
- Forrest, W.G., A History of Sparta, 950-192 B.C, Hutchinson University Liberary, London 1968.
- Gibson, Alex, Woods Ann, Prehistoric Pottery for The Archaeologoist, Leicester University Press, London and Washington 1997.
- Goodenough, Simon, Citizens of Rome, Hamlyn 1977.
- Griffin, Miriam, Nero, The End of a Dynasty, Routledge, London 2000.
- Grant, Michael, The Antonines , Routledge, London 1996.
- Idem., The World of Rome, The History of The Roma Empire From 133 B.C. to AD. 217, Phoenix Press, London 2000.
- Idem., The Climax of Rome, London 1993.
- Idem., The Roman Emperores, Phoenix Press, London 2002.
- Idem., Roman History fiom Coins, Cambridge 1968.
- Grube, G.M.A., The Gieek and Roman Critics, London 1968.
- High, A.D., The Tragic Drama of The Greeks, Oxford 1938.
- Hammand , B.E., The Political Institutions of The Ancient Greeks,London 1995.
- Harch, P.W.A., A Handbook of Classical Drama, Stanford 1948.
- Harrison, Jane, Prolegomena to The Study of Greek Religion, Meridian Books, New York 1955.
- Harlow, Mary, Ray Laurence, Growing up and Growing old in Ancient Rome, Routledge, London and New York 2002.
- Heintze, Helga Von, Roman Art, Herbert Press, London 1990.

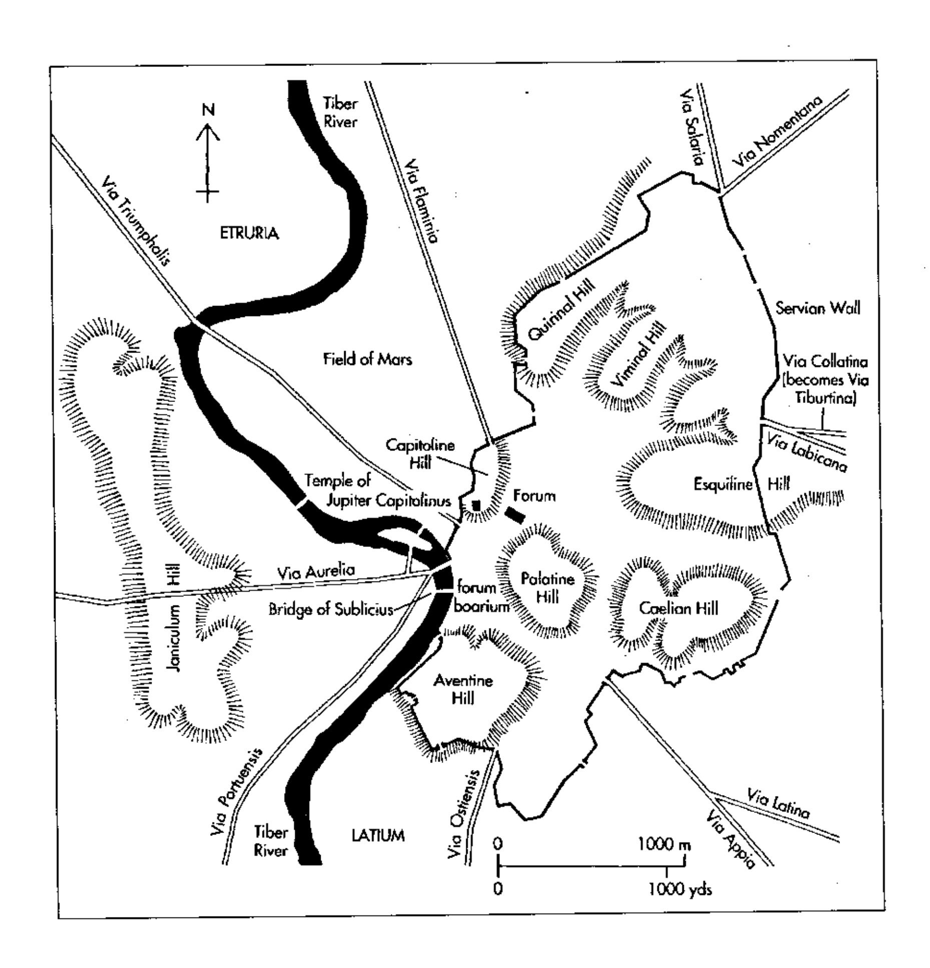
- Henderson, B., The Great War Between Athens and Sparta, Oxford 1926.
- Hignett, C., A History of The Athenian Constitution, Oxford 1967.
- Huskinson, Janet, Experiencing Rome , Routledge, London 2000.
- Janowitz, Naomi, Magic in the Roman World, Routledge, London 2001.
- Jiménez, Ramon L., Caesar Against Rome, The Great Roman Civil War , Praeger, London 2000.
- Jones, A. H. M, Athenian Democracy, Oxford 1957.
- Jung, C.G., Kerenyi, C., Essays on the Science of Mythology, Princeton University Press 1973.
- Kerenyi, C., The Gods of The Greeks, Thames and Hudson 1982.
- Laistner, M.L.W., A History of the Greek World, Methuen 1936.
- Lee, R.W., The Elements of Roman law, London 1946.
- Lesky, Albin, Greek Tragedy, London 1967.
- Idem., A History of Greek Literature, Methuen 1966.
- Leveick, Barbara, The Government of The Roman Empire, Croom Helm, London 1985.
- Matz, David, Daily Life of The Ancient Romans, Greenwood Press, London 2002.
- Moore, J.M., Aristotle and Xenophon, California University Press 1975.
- Murray, G., The Rise of The Greek Epic, Oxford 1967.
-Idem., Aeschylus The Creator of Tragedy, Oxford 1940.
- Idem., Euripides and his Age, London 1937.
- Norwood, G., Greek Tragedy, Methuen 1963.
- Idem., Greek Comedy, Methuen 1964.

- Pearce, M.A., Roman Imperial Coinage, London 1951.
- Perkins, John, Roman Architecture, New York 1977.
- Ramage, Nancy, Ramage, Andrew, Roman Art, Laurence King, London 2000.
- Robinson, W.S., A Short History of Greece, London 1953.
- Robin, Leon, Greek Thought, London 1928.
- Romaine, J., Marc-Aurele, ou L'Empereur de Bonne Volonté, Paris 1968.
- Rose, H.J., Greek Mythology, Methuen 1953.
- Scarre, Chris, Chronicle of The Roman Empire Thames and Hudson, London 1998.
- Seltman, Charles, Women in Antiquity, Pan Books, London 1956.
- Sheilds, Christopher, (editor), Ancient Philosophy, Blackwell Publishing 2003.
- Shotter, David, Tiberius Caesar, Routledge 1992.
- Simon, Bennett, Mind and Madness in Ancient Greece, Cornell University Press 1978.
- Sinclair, T.A., A History of Classical Greek Literature, London 1939.
- Starr, Chester, The Economic and Social Growth of Ealry Greece, Oxford Unviersity Press 1977.
- Stein, Peter, Roman Law in European History, Cambridge University Press 1999.
- Tellegen - Couperus, Olga, A Short History of Roman Law, Routledge, london 1993.
- Toutain, Jules, The Economic Life of The Ancient World, Kegan Paul, London 1930.

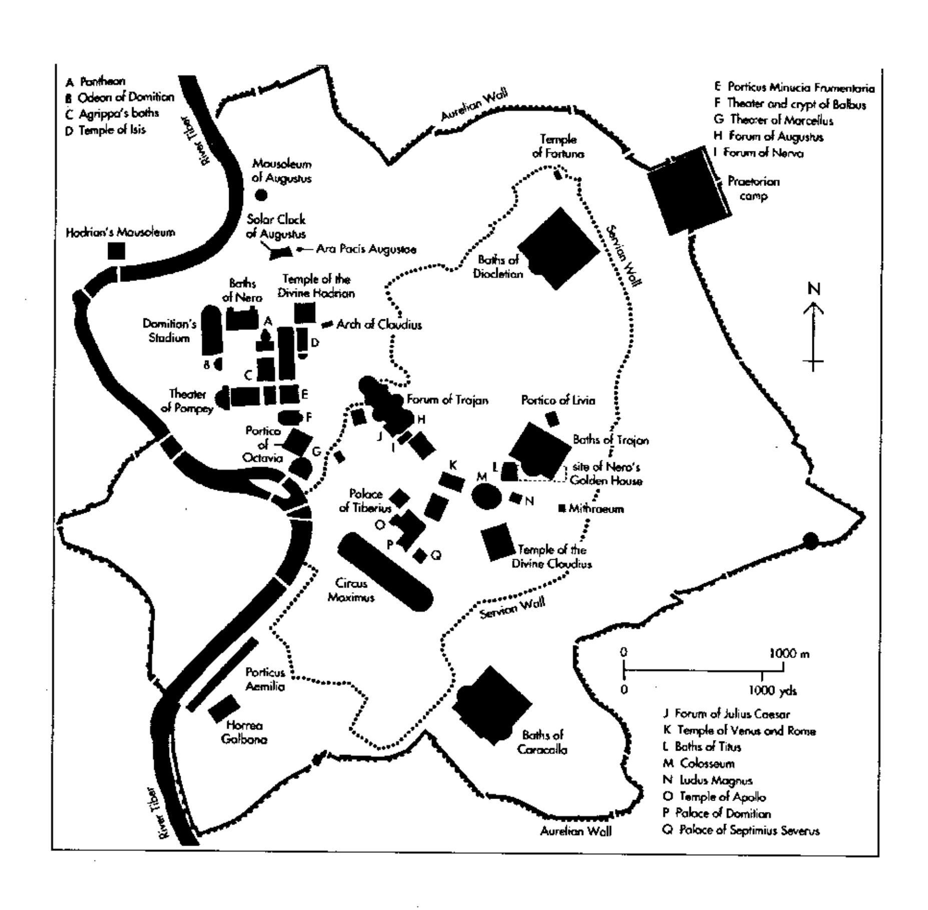
- Toynbee, Arnold, Hellenism, The History of a Civilization, Oxford 1959.
- Wellesley, Kenneth, The Year of The four Emperors, Rout ledge, London 2000.
- Wheeler, Mortimer, Roman Art and Architecture, Thames and Hudson 1994.
- Whitman, Cedric, Sophocles, A Study in Heroic Humanism, Harvard University Press 1951.
- Wolff, Hans Julius, Roman Law, An Historical Introduction, University of Oklahoma Press 1982.
- Zimmern, Alfred, The Greek Commonwealth, Politics and Economics in Fifth Century Athens, Oxford 1944.

الخرائط والرسوم والصور والأشكال التوضيحية

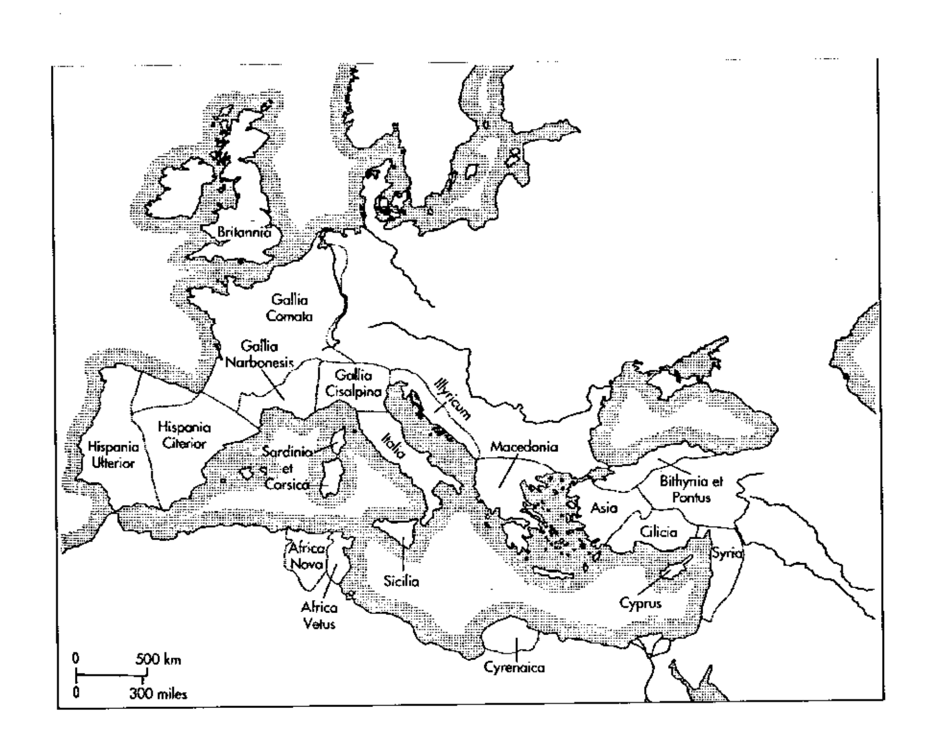




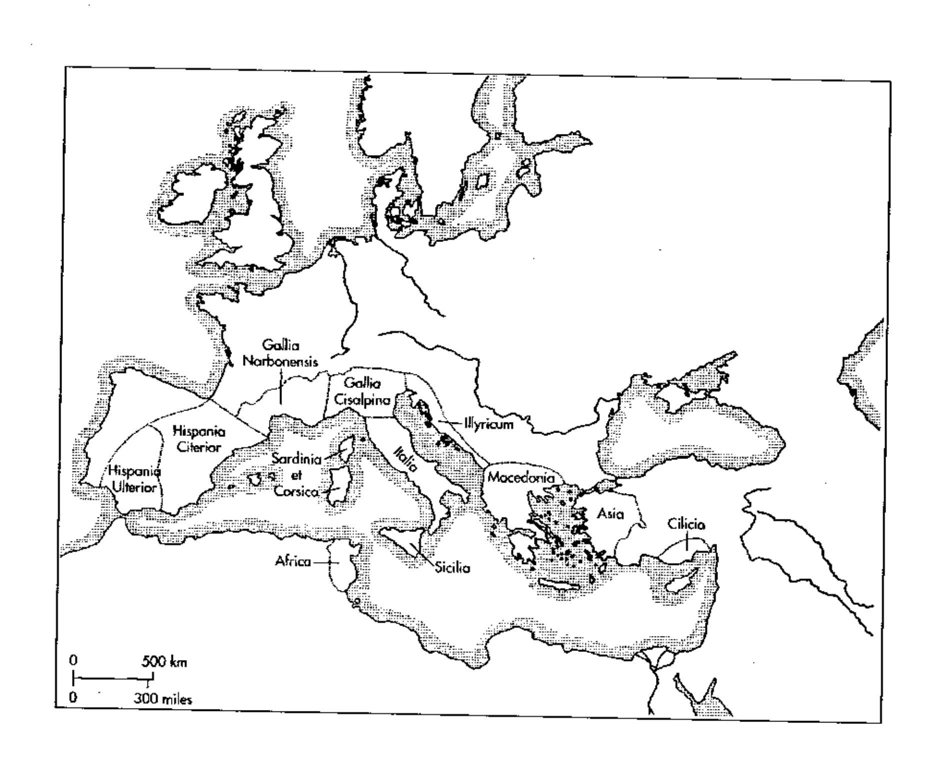
شكل (١)
روما فى العصر المبكر (التلال السبعة)



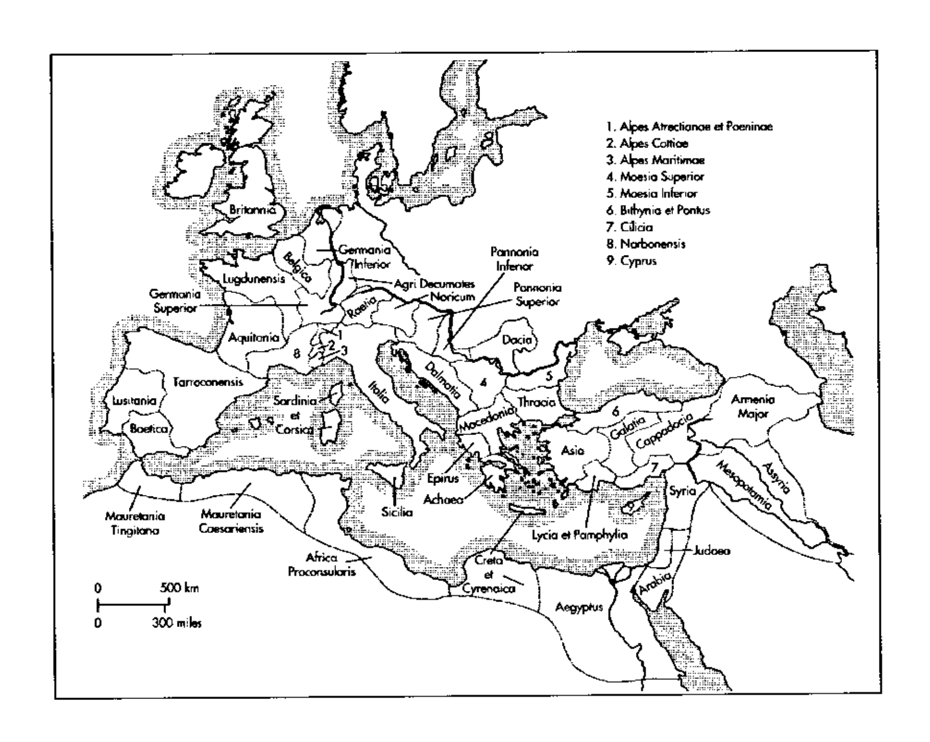
شكل (٢)
روما فى العصر الإمبراطورى (المعالم الرئيسية)



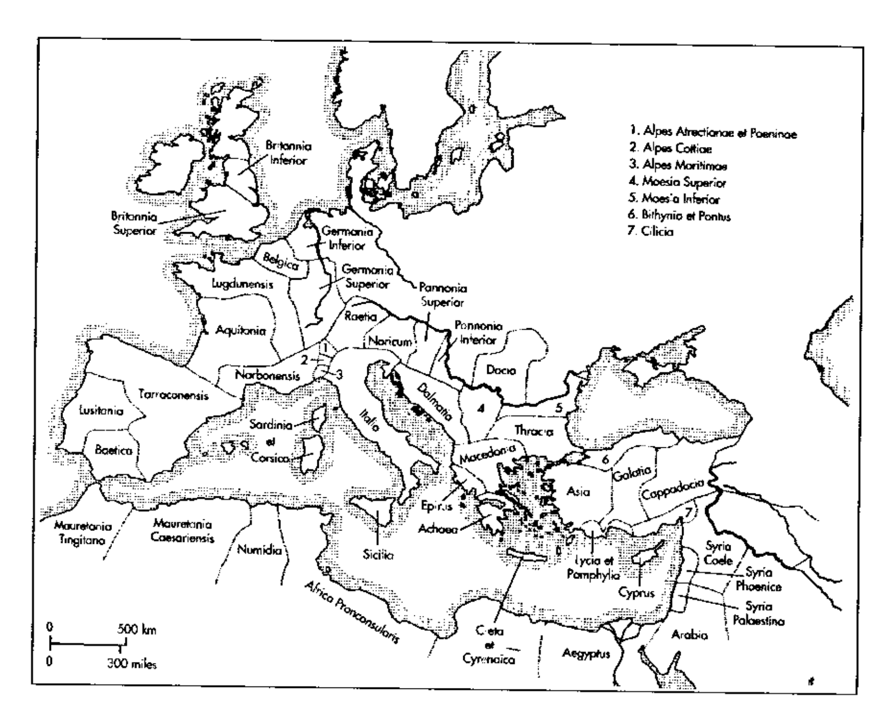
شكل (٣)
العالم الرومانى فى ١٠٠ق.م



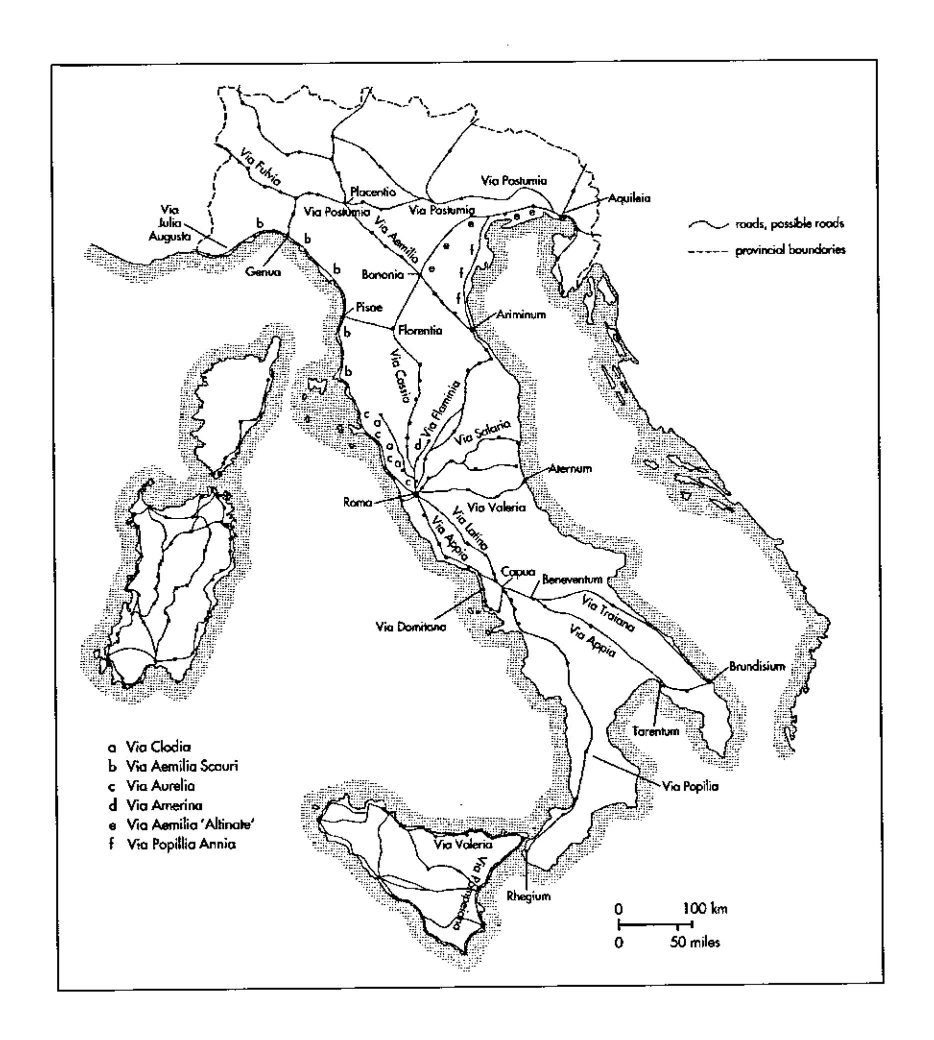
شكل (٤)
العالم الرومانى فى ٤٤ ق.م



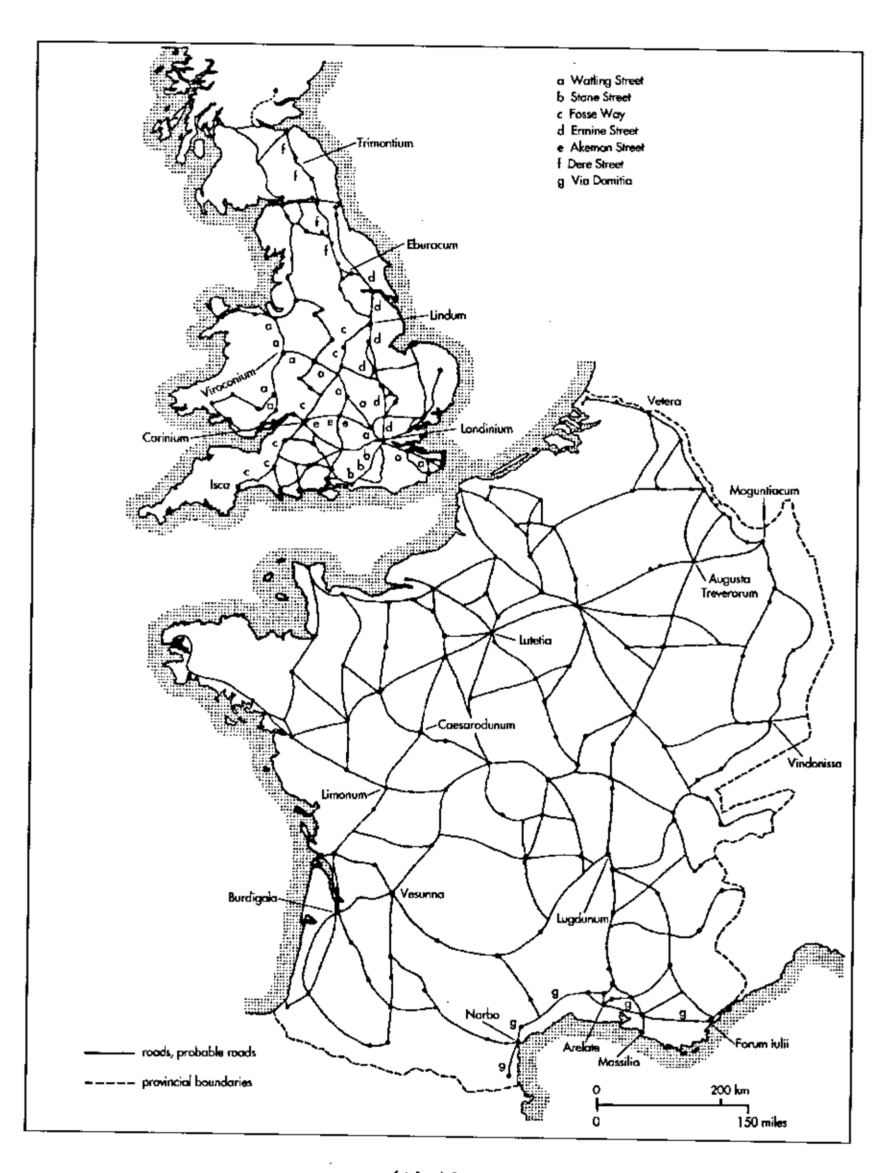
شكل (٥)
الإمبراطورية الرومانية فى ١١٧ م



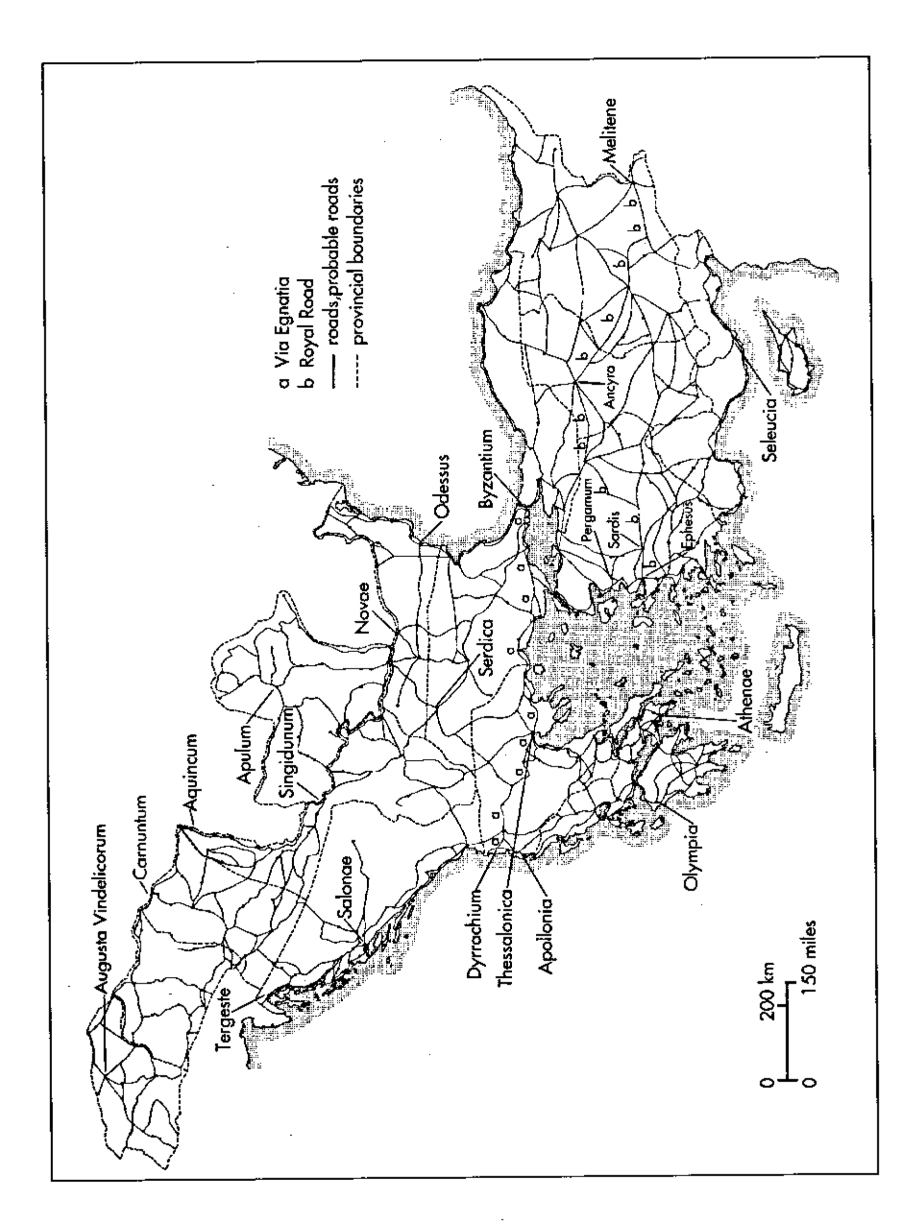
شكل (٦)
الإمبراطورية الرومانية فى ٢١١ م



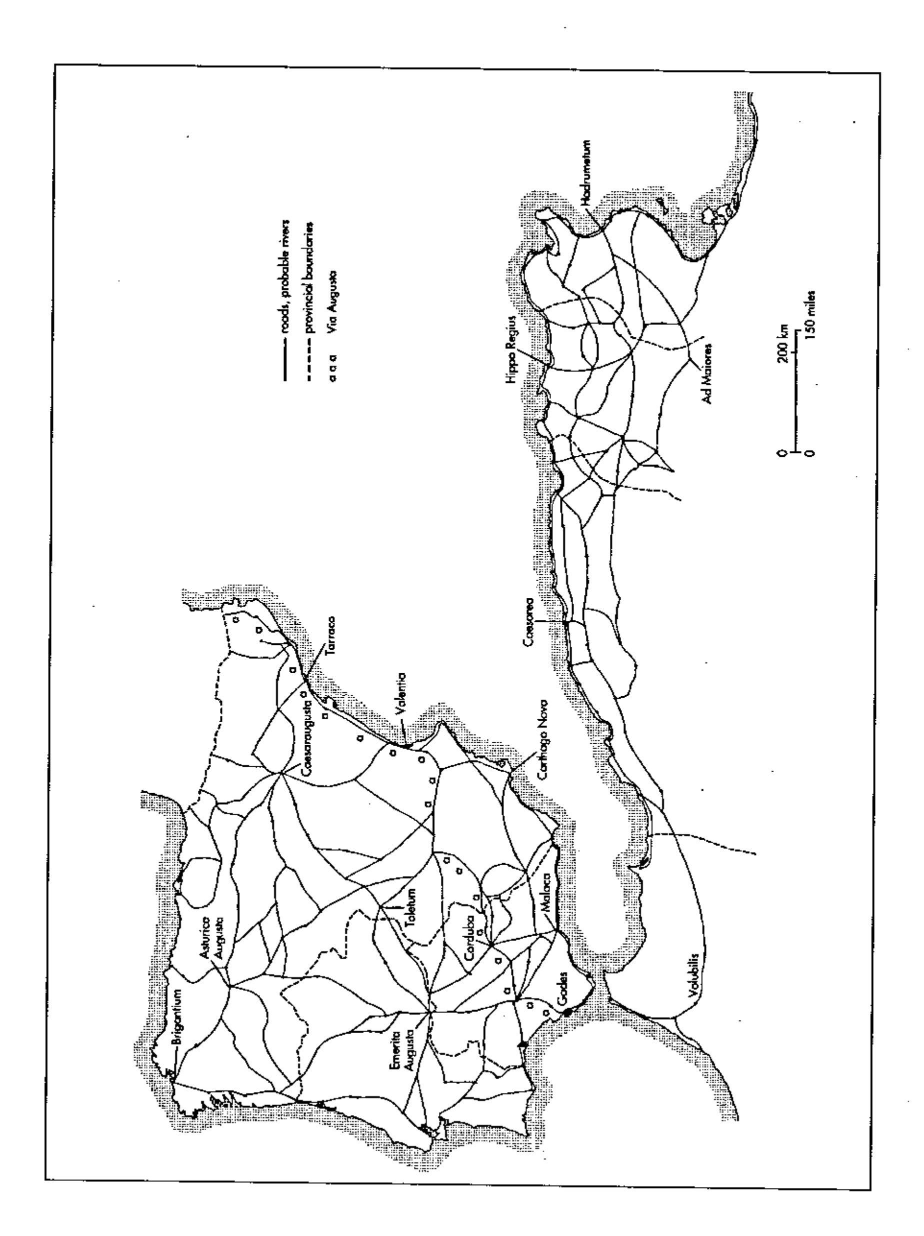
شكل (٧)
شبكة الطرق الرومانية فى ايطاليا
وساردينيا وكورسيكا



شكل (٨)
شبكة الطرق الرومانية فى بلاد
الغال والمانيا وبريطانيا



شكل (٩)
شبكة الطرق الرومانية
فى شرق اوروبا وآسيا الصغرى

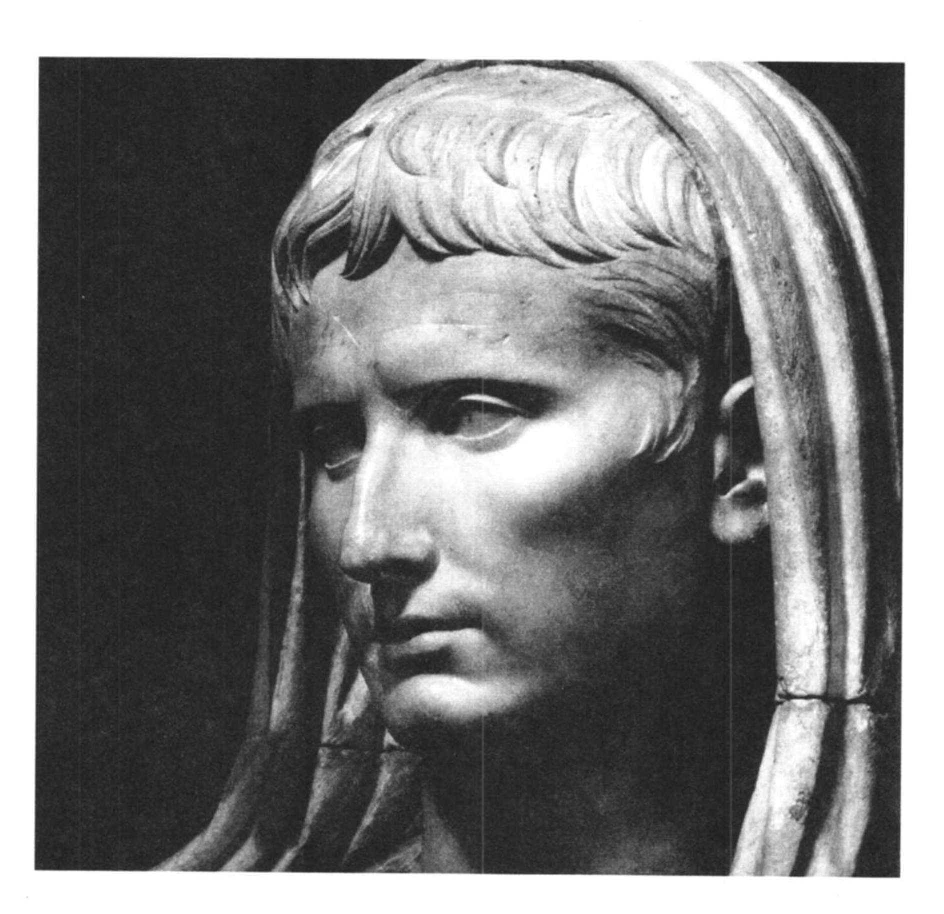


شكل (١٠)
شبكة الطرق الرومانية
فى مصر وسوريا



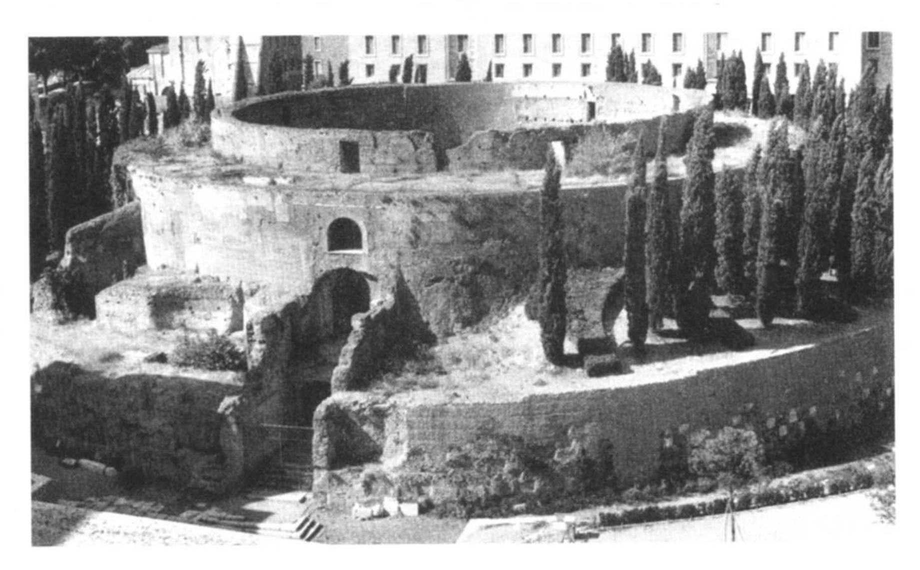
شكل (١١)
الفوروم الرومانى

شكل (١٢)
حجرة النوم فى ڤيلا بوسكوريالى بالقرب
من بومبى . منتصف القرن الأول ق.م



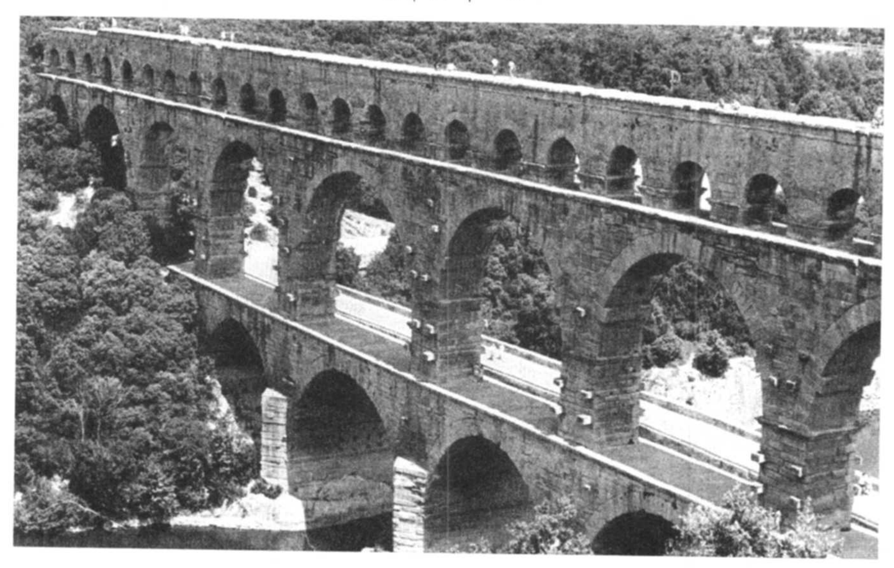
شكل (١٣)
بورتريه اوغسطس فى هيئة كاهن

شكل (١٤)
معبد الإله مارس فوروم أوغسطس
روما



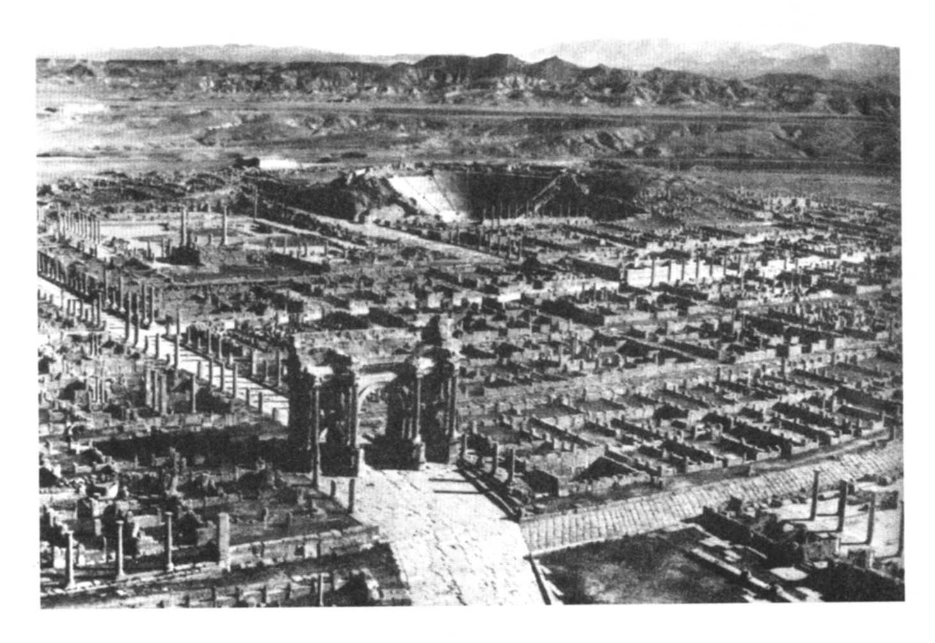
شكل (١٥)
مقبرة اوغسطس
روما

شكل (١٦)
مذبح السلام. اهدى إلى اوغسطس
فى عام ٩ق.م روما

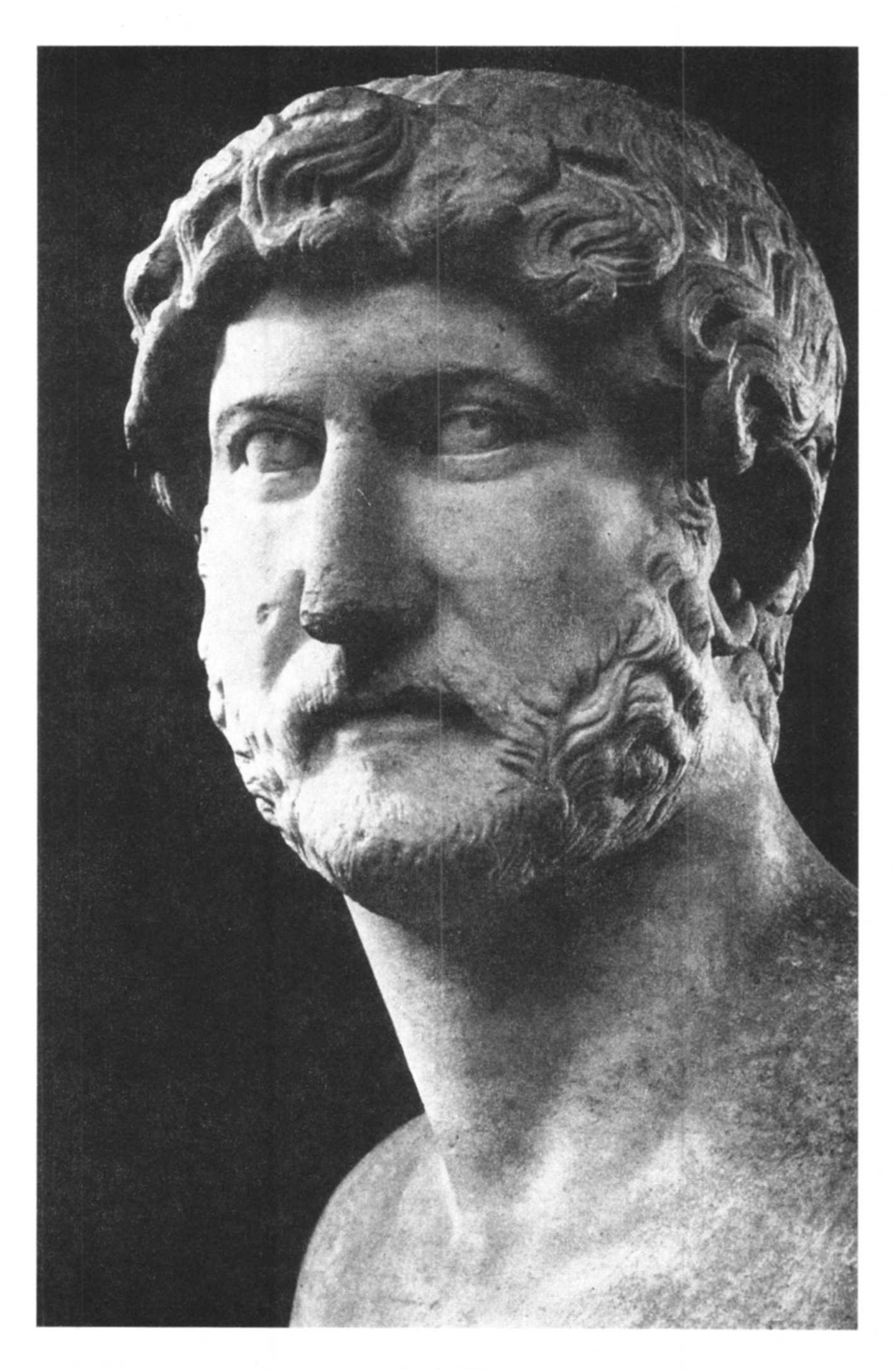


شكل (١٧)
اكوى دكتسى من ثلاثة طوابق - بونت دى جارد - فرنسا
منتصف القرن الأول الميلادى. الإرتفاع ٥٠ متر تقريبا.

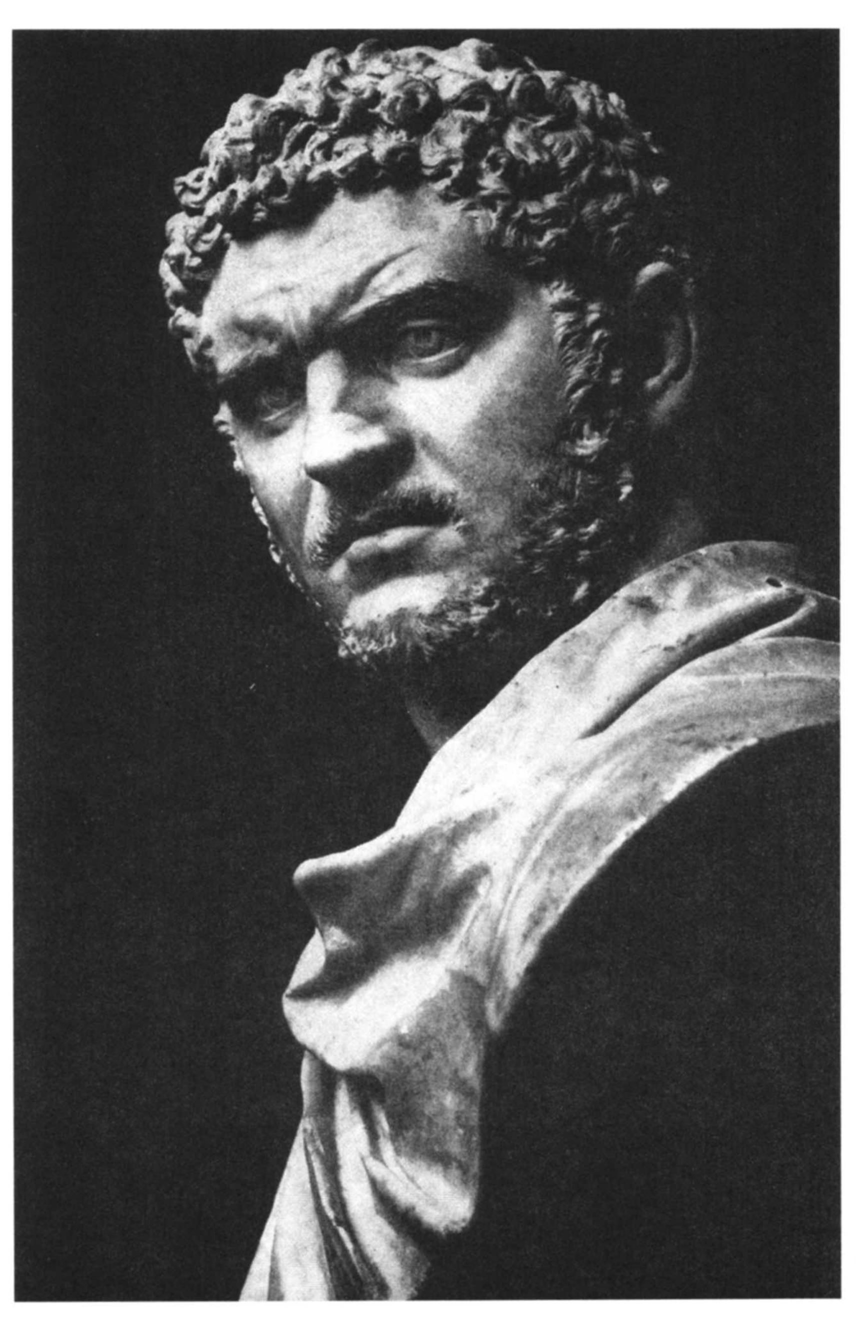
شكل (١٨)
سوق تراچان ـ روما
حوالى ١٠٠ ـ ١١٢ م.



شكل (١٩)
مدينة تيمجاد ـ الجزائر



شكل (٢٠)
الإمبراطور هادريان



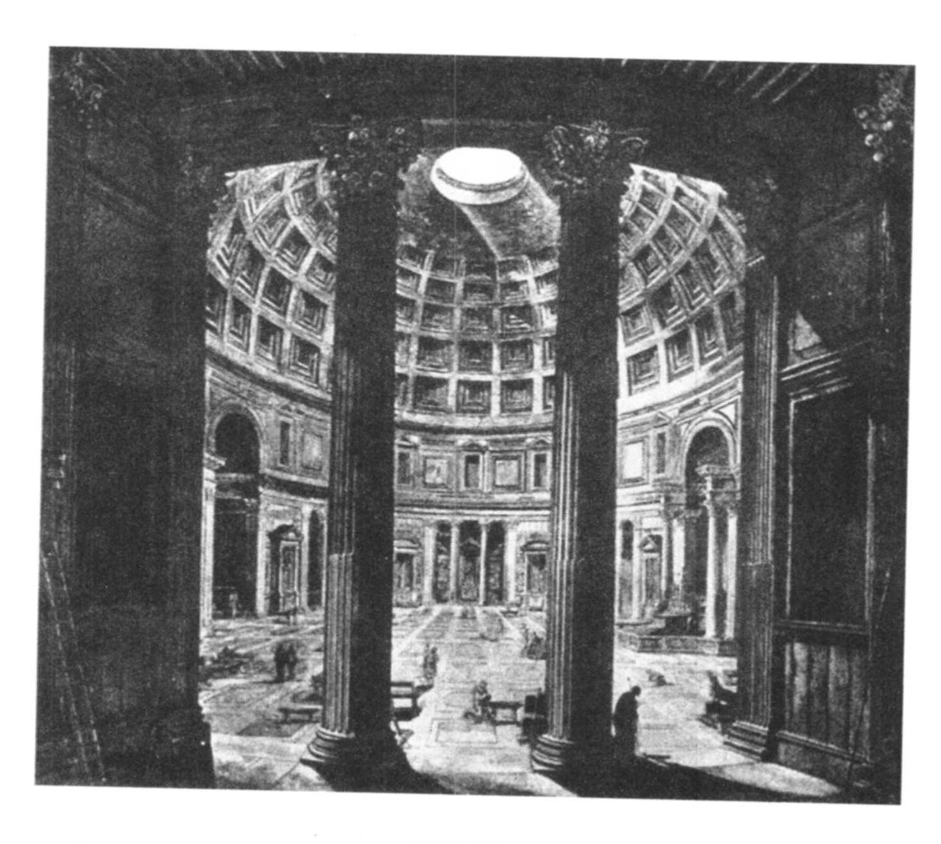
شكل (٢١)
الإمبراطور كاركلا



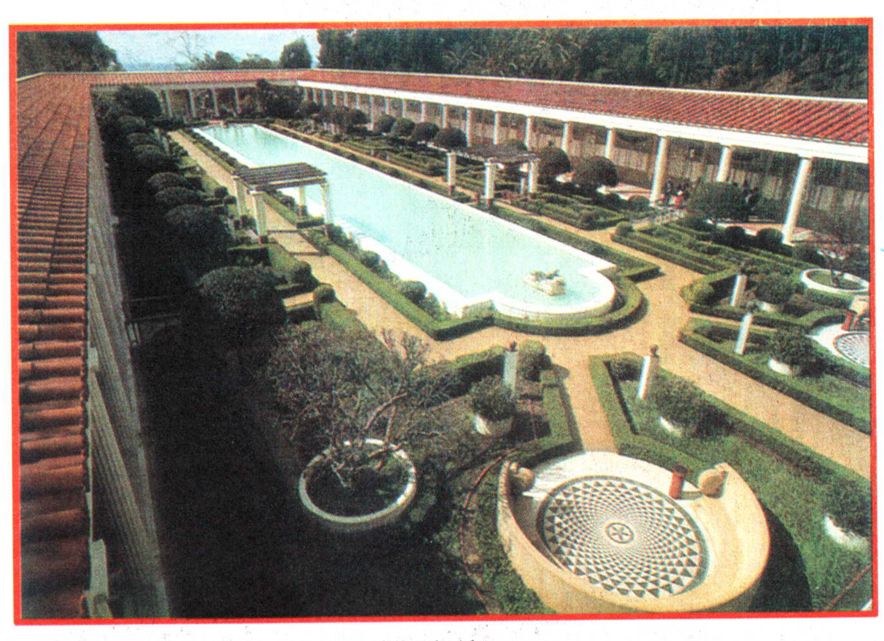
شكل (٢٢)
الكولسيوم - روما
منظر من الجو



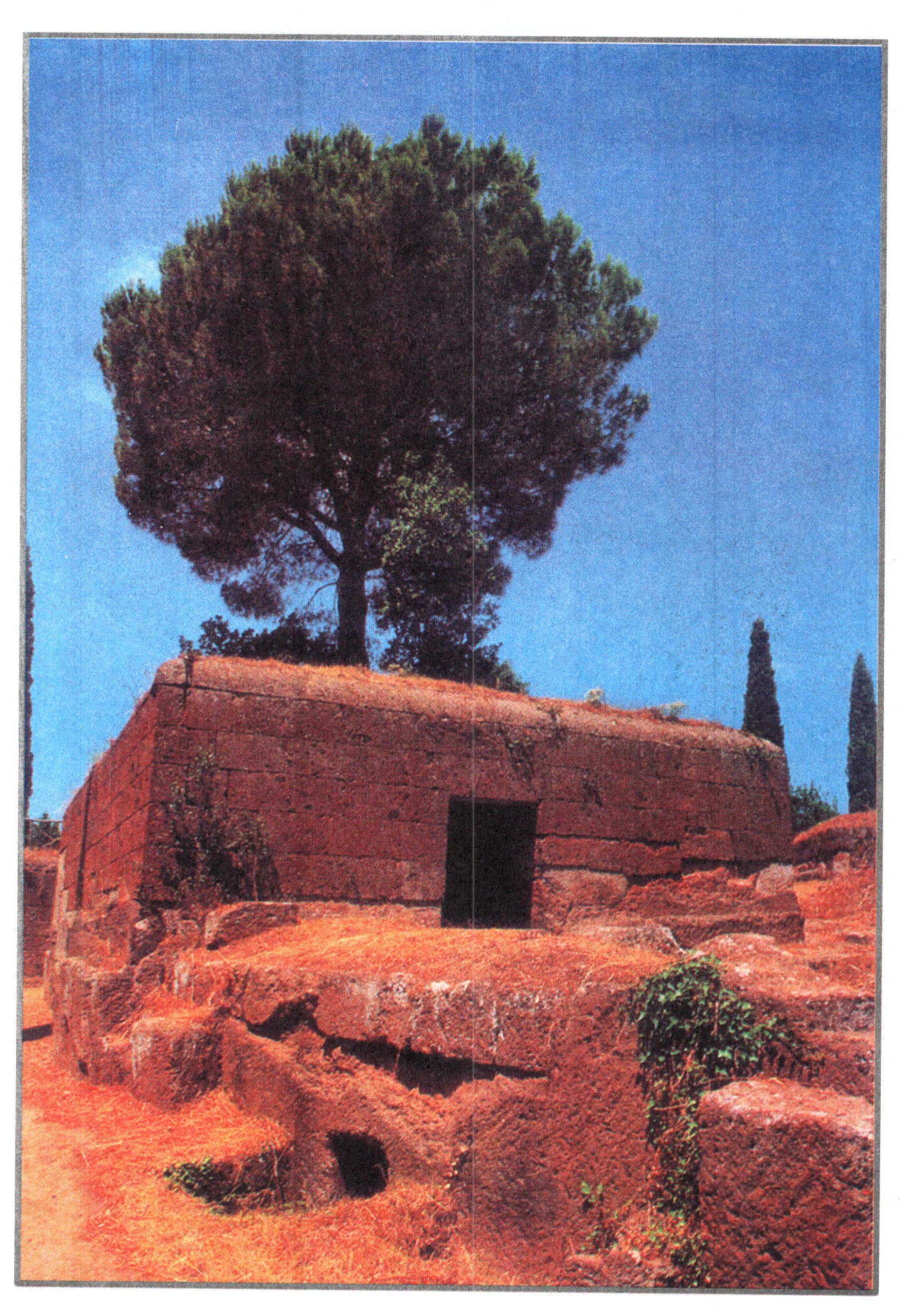
شكل (٢٣)
البانثيون من الخارج
روما



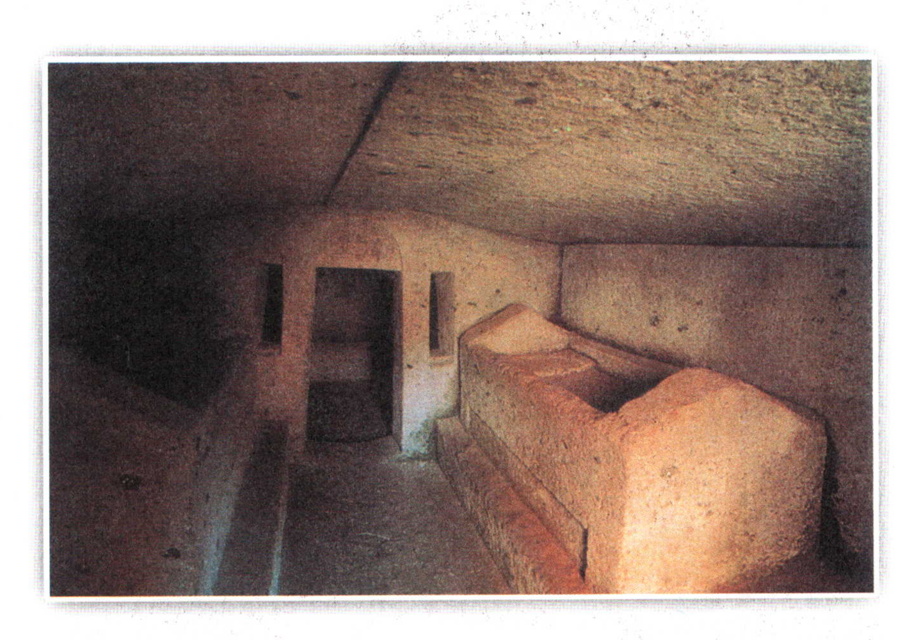
شكل (٢٤)
البانثيون من الداخل
روما



شكل (٢٥)
ڤيلا رومانية - ڤيلا بابيرى - هيركولانيوم
إعادة تصور بمتحف بول جيتى بماليبو - كاليفورنيا



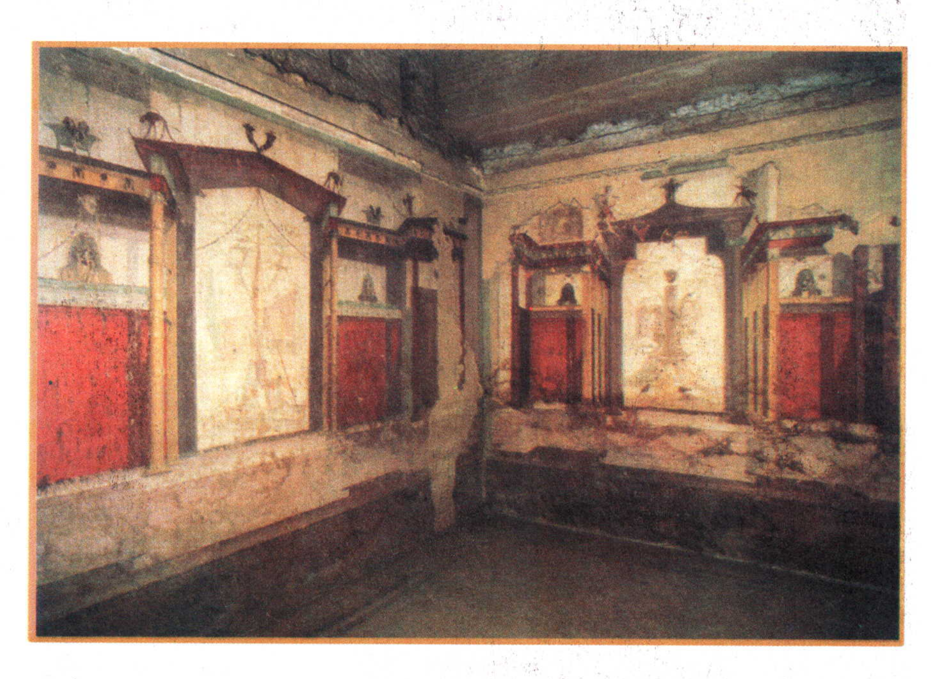
شكل (٢٦)
مقبرة اتروسكية القرن السابع إلى الرابع ق.م



شكل (٢٧)
مقبرة اتروسكية من الداخل
تابوتين على الجانبين



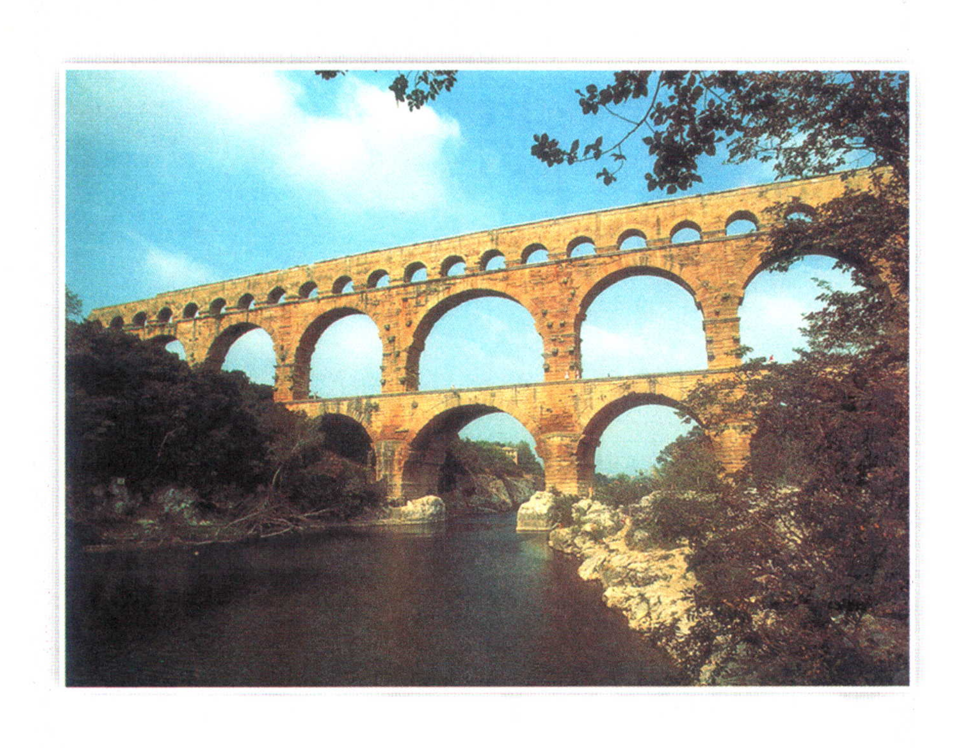
شكل (٢٨)
معبد الإلهة فورتونا فى روما - حوالى ١٠٠ ق.م



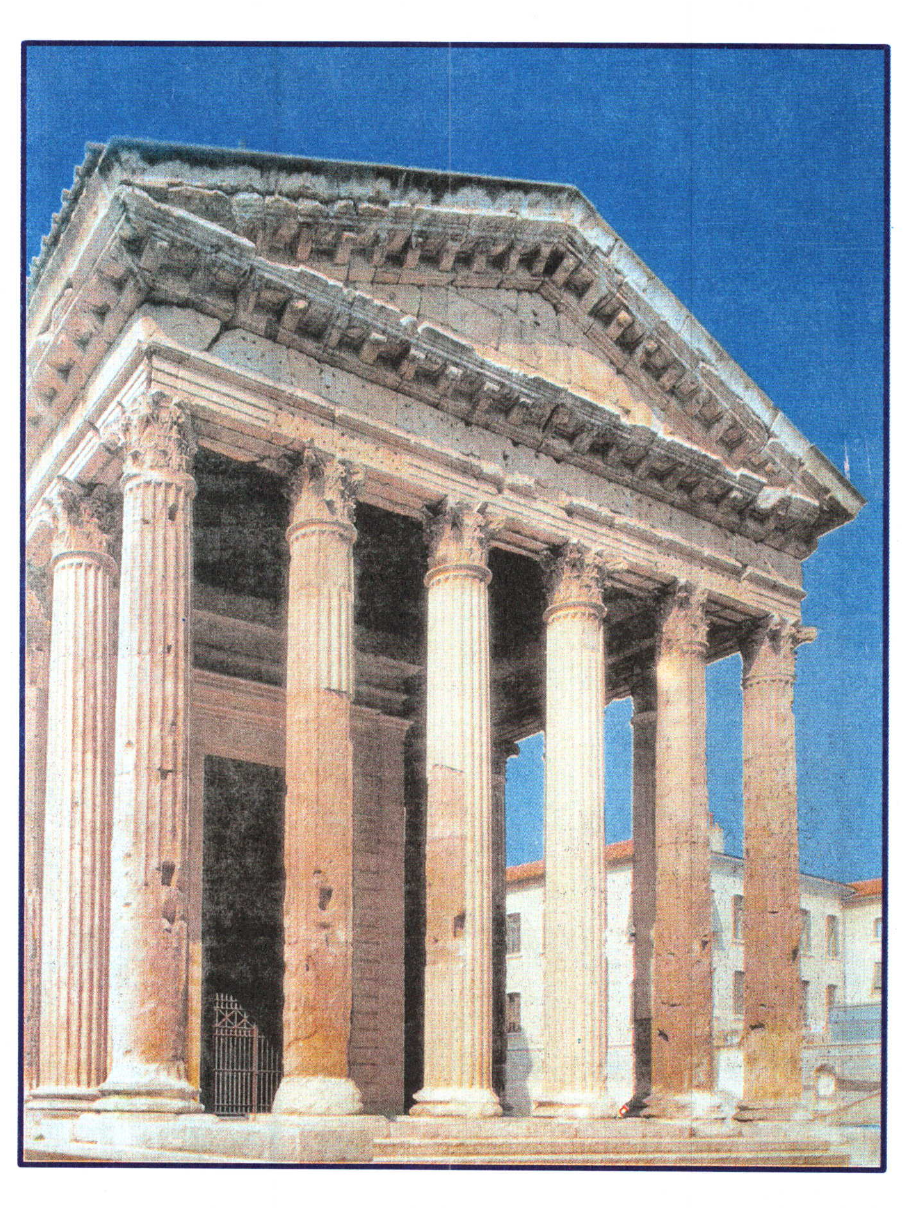
شكل (٢٩)
منزل اوغسطس على تل البالاتين
منظر داخلى ـ حوالى ٢٥ ق.م



شكل (٣٠)
فيلا شيشرون(؟) فى مدينة فورميا على خليج جايتا
بدايات العصر الإمبراطورى



شكل (٣١)
اكوي دكت نيمس - عبر نهر جاردون بطول ٣٠٠ متر
وارتفاع ٥٠ متر - عصر اجريبا (١٩ ق.م)



شكل (٣٢)
معبد مدينة ڤيينا - مهدى إلى اوغسطس وروما فى ١٥م



شكل (٣٣)
مسرح اورانج عصر تيبيريوس وكلاوديوس
الخلفية بإرتفاع ٣٧ مترا .



شكل (٣٤)
الكولسيوم من الخارج



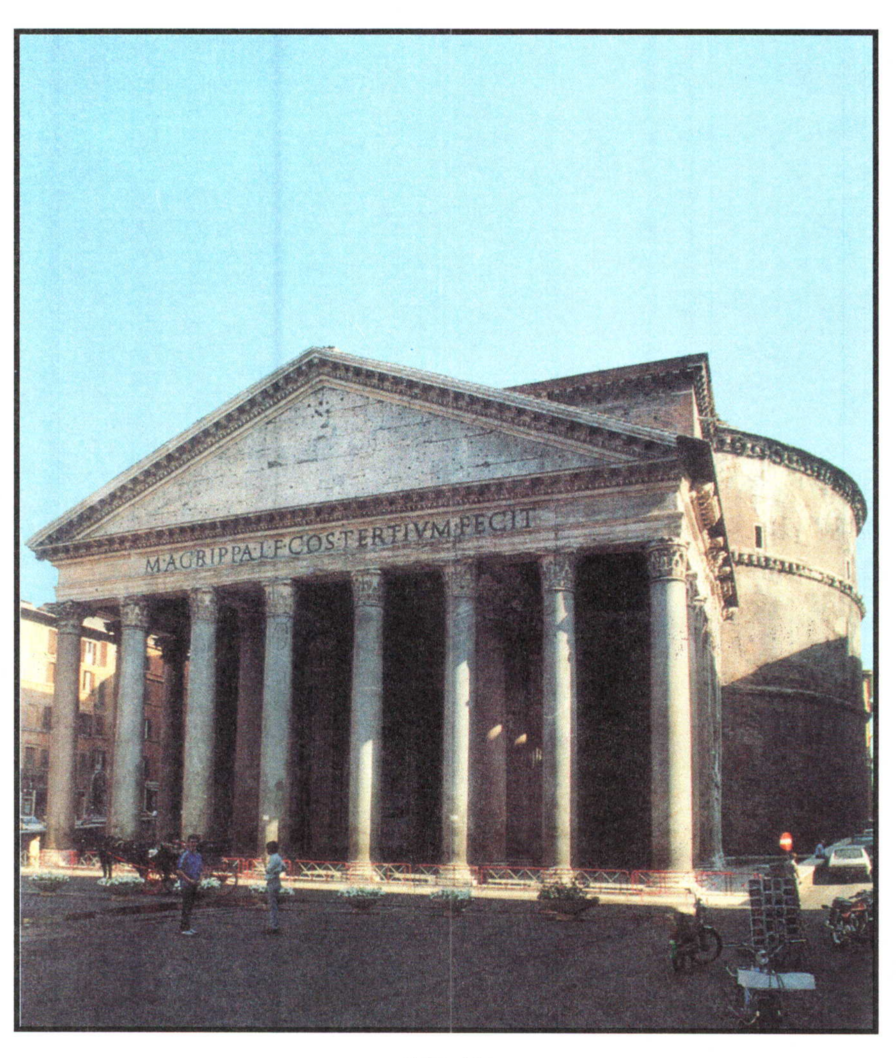
شكل (٣٥)
الكولسيوم من الداخل
السعة ٧٠٠٠٠ متفرج - أغلب مقاعد المتفرجين غير موجودة.



شكل (٣٦)
طريق ميركورى
الطريق إلى الفوروم - مدينة بومبى.



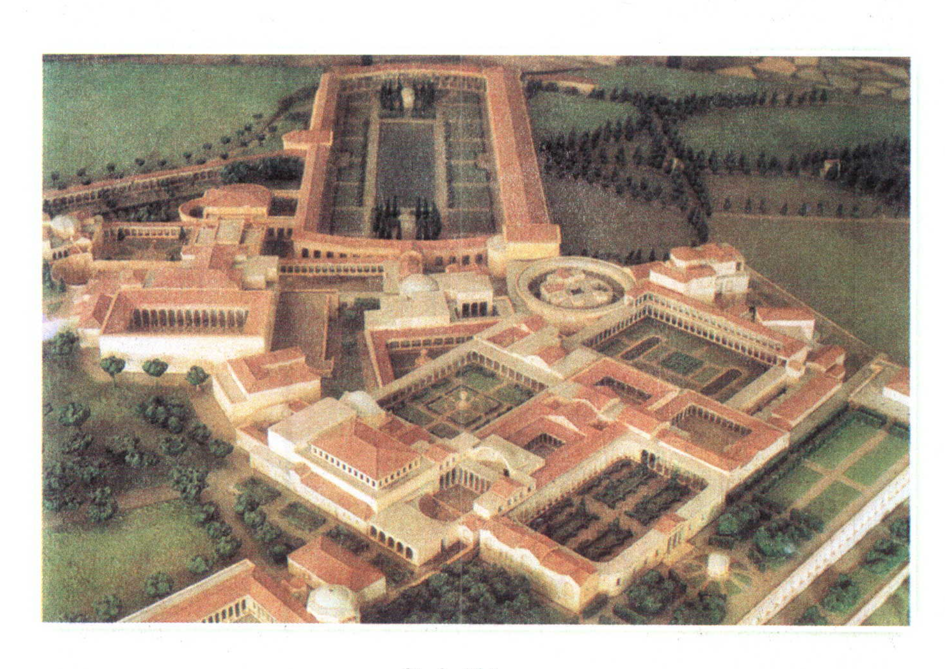
شكل (٣٧)
سوق تراچان فى روما - إعادة تصور



شكل (٣٨)
البانثيون من الخارج ـ روما
عصر الإمبراطور هادريان.



شكل (٣٩)
البانثيون من الداخل - روما



شكل (٤٠)
ڤيلا هادريان فى تيڤولى - إعادة تصور